كَشفُ الغُمَّة

الجَامِعُ لأَخبَارِ الأُمَّة

تصنيف

الشيخ سرحان بن سعيد الإزكوي

(القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي)

تحقيق وتقديم

أ. د. محمد حبيب صالح

د. محمود بن مبارك السليمي

الجزء الثاني

الطبعة الثانية

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م


كَشفُ الغُمَّة
الجَامِعُ لأَخبَارِ الأُمَّة
الجُزءُ الثَّاني

الطَّبعَة الثَّانِيَة
١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م

سلطنة عُمان ـ ص.ب.: ٦٦٨ مسقط، الرمز البريدي: ١٠٠
هاتـــف: ٢٤٦٤١٣٠٠ / ٢٤٦٤١٣٢٥، فاكـــس: ٢٤٦٤١٣٣١
البريد الإلكتروني: info@mhc.gov.om
موقع الوزارة على الإنترنت: www.mhc.gov.om

سلطنة عمان
وزارة التراث والثقافة

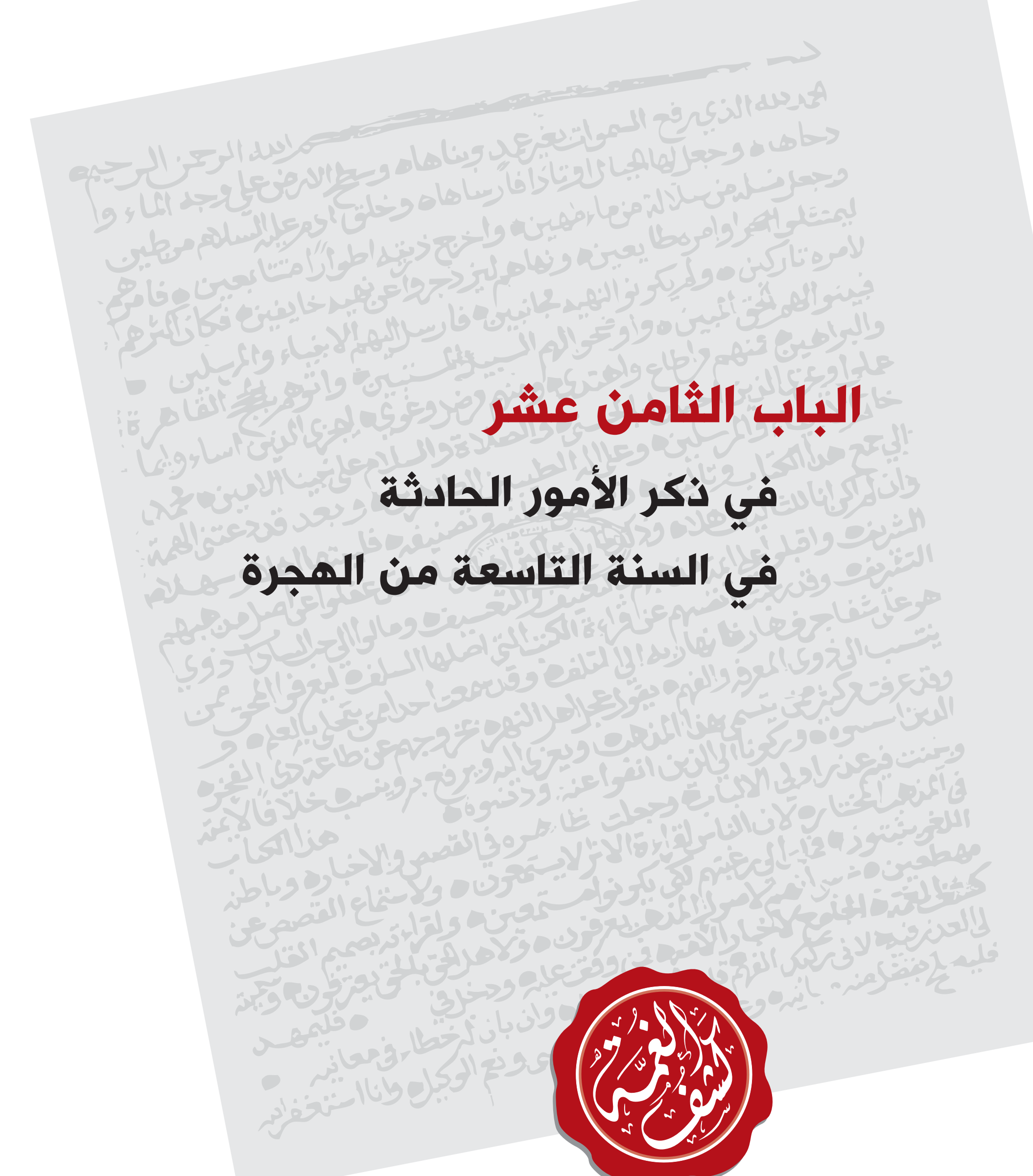


تصنيف
الشيخ سرحان بن سعيد الأزكوي

تحقيق وتقديم
أ.د. محمد حبيب صالح — د. محمود بن مبارك السليمي

الجزء الثاني


بسم الله الرحمن الرحيم



الباب الثامن عشر

في ذكر الأمور الحادثة
في السنة التاسعة من الهجرة

وفي هذه السنة، كانت قصّة[(١)] بني تميم، وذلك أن رسول الله ﷺ، بعث إليهم عيينة بن حصن في خمسين فارساً، فكانوا يسيرون بالليل، ويكمنون بالنهار، حتى هجموا عليهم بصحراء، فهربوا، وأسروا منهم أحد عشر رجلاً، وإحدى عشرة امرأة، وثلاثين صبيّاً، وأتوا بهم إلى المدينة. وأقبل رؤساء بني تميم إلى النبي ظهراً، فإذا هم بذراريهم عند باب المسجد، فبكى إليهم ذراريهم، فدخلوا المسجد، وكان النبي قايلاً، فاستعجلوا خروجه رقّة لذراريهم، فجعلوا ينادون: يا محمد، اخرج إلينا. فما زالوا ينادونه، حتى استيقظ بندائهم، فانتبه، وخرج إليهم، وهو يمسح وجهه من النوم، فقالوا: يا محمد، فادنا عيالنا، قال: نعم، ففادى نصفهم، وأعتق نصفهم، فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ [الحجرات: ٤] الآية. يقول: لو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لأعتقهم كلهم بغير فداء.

وفي هذه السنة، تتابعت الوفود، فقدم وفد فزارة[(٢)]، ببضعة عشر رجلاً، فيهم خارجة بن الحصين[(٣)]، والحّر بن قيس[(٤)]، فجاؤوا مقرّين بالإسلام.

---

(١) وفي النسخة (أ) «قضية» وما أثبتناه من النسخة الأصلية ب، ص ١٨٢.

(٢) فزارة: فزارة بن ذبيان بن بغيض من غطفان، من العدنانية، جدّ جاهلي، تفرع نسله من خمسة من أبنائه مازن، وسعد، وعدي، وشمخ، وتفرقت بطونهم في نجد ووادي القرى، ثم إفريقيا والمغرب الأقصى. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٥، ص ١٤٥.

(٣) خارجة بن حصين: والصحيح خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جويّة بن لوذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة، أبو أسماء الفزاري. قدم على رسول الله ﷺ، رجع من تبوك، وكان معه الحرّ بن قيس، فشكوا إلى رسول الله ﷺ الجدوبة والضيق والجهد وذهاب الأموال، وقالوا له: إشفع لنا إلى ربّك ﷻ. قال: «**إن الله تبارك وتعالى ليرى جهدكم وأزلكم وقرب غياثكم**». فأسلموا ورجعوا. انظر: ابن الأثير؛ علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص ٨٤.

(٤) الحرّ بن قيس: الحرّ بن قيس بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جويّة بن لوذان بن ثعلبة بن =

وقدم وفد نجد[١] وهم ثلاثة عشر رجلاً، وقد ساقوا معهم صدقات أموالهم، فسُرَّ ذلك النبي ﷺ، وقال: مرحباً بكم، وأكـرَمَ مثواهم، وأمر بلالاً أن يحسن ضيافتهم وجوائزهم، وأعطاهم أكثر مما كان يعطي الوفود قبلهم.

وقدم على النبي وفد بني أسد[٢]، وقالوا: أتيناك نتدرع الليل البهيم في سنة شهباء، وكانوا يكثرون على رسول الله، كل يوم يغدون إليه، ويروحون، ويقولون: أتيناك بالذراري والأموال مسلمين، وإنما يأتيك من يأتيك على ظهور رواحلهم، فلنا عليك حق بإسلامنا وإقبالنا بالذراري، وأكثروا في ذلك، وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات، وأغلوا أسعارها، وطلبوا من النبي الصدقة، وكانوا يمنّون عليه بإسلامهم، وهم إنما خرجوا من أرضهم لقحط أصابهم، لا رغبة في الإسلام. فأنزل الله ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ ﴾ [الحجرات: ١٧] الآية. وقدم وفد الداريين[٣]، وهم عشرة.

وفيها قدم عروة بن مسعود الثقفي[٤]، فأسلم، (١٨٤) ثم استأذن النبي ﷺ،

= عدي بن فزارة بن ذبيان الفزاري، وهو أحد الوافدين على الرسول ﷺ بعد رجعته من تبوك، وهو الذي خالف ابن عباس في صاحب موسى الذي سأل السبيل إلى لقائه. وقيل: إن الذي خالف ابن عباس هو نوف البكالي. وكان الحرّ بن قيس من جلساء عمر بن الخطاب. انظر: ابن الأثير؛ علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص٤٦٦ - ٤٦٧.

(١) وفي النسخة الأصلية ب، «وفد نجيب» والصحيح ما أثبتناه في النص.

(٢) أسد: أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس، من مضر: جدّ جاهلي ينسب إليه بعض الأسديين، وكانت بلادهم في نجد، ثم تفرقوا وتكاثروا في شمال الجزيرة العربية، وراء جبال شمر. ونزل جماعات منهم بين البصرة والكوفة. وفي الكوفة نفسها، حي خاص بهم، وقطن آخرون منهم بلدة «سطيف» غربي القيروان. وكانت منهم فرق في جيوش علي والحسين والمختار والمهلب وابنه يزيد. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج١، ص٢٩٧.

(٣) ورد في الأصل «وفد الدربين»، والصحيح: وقدم وفد من الداريين من لخم، وهم عشرة. انظر: الطبري؛ محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، المجلد الثاني، ص١٣٨.

(٤) عروة بن مسعود الثقفي: عروة بن مسعود بن معتّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف بن منبه بن هوازن بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان الثقفي، أبو مسعود. وقيل: أبو يعفور. وأمه سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف القرشية. وهو من الذين أرسلتهم قريش إلى النبي ﷺ يوم الحديبية، =

أن يرجع إلى قومه، فيدعوهم إلى الإسلام. فقال له النبي ﷺ: هم قاتلوك. فقال: أنا أحب إليهم من أبكار أولادهم. فأذن له، فخرج إليهم، فدعاهم إلى الإسلام، وأذّن بالصبح على غرفة له، فرماه رجل من بني مالك بسهم، فقتله.

وقدم وفد الطائف في شهر رمضان، فنزلوا دار المغيرة بن شعبة[(١)]، وطلبوا الصلح، فأمر النبي خالد بن سعيد بن العاص[(٢)]، أن يكتب لهم كتاب الصلح، ثم أسلموا.

وقدم وفد بهراء[(٣)]، فنزلوا على المقداد بن عمرو.

= فعاد إلى قريش وقال لهم: «قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها». روى ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ لمّا انصرف من ثقيف، اتبع أثره عروة بن مسعود بن معتّب، فأدركه قبل أن يصلب إلى المدينة فأسلم، وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام، فقال له رسول الله ﷺ: «إنهم قاتلوك». فعاد إلى قومه، ودعاهم إلى الإسلام، وأظهر لهم دينه، فرموه بالنبل من كل وجه، فأصابه سهم فقتله. وقيل لعروة: ما ترى في دمك؟ فقال: كرامة أكرمني الله بها، وشهادة ساقها الله إليّ، فليس فيّ إلّا ما في الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله مع رسول الله ﷺ قبل أن يرحل عنكم، فادفنوني معهم، فدفنوه معهم، ويزعمون أن رسول الله ﷺ قال فيه: «إن مثله في قومه كمثل صاحب يس في قومه»، ولعروة ولد يقال له أبو المليح، أسلم بعد قتل أبيه مع قارب بن الأسود. انظر: ابن الأثير؛ علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص ٣١، ٣٢، ٣٣.

(١) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي، أحد دهاة العرب وقادتهم، يقال له: «مغيرة الرأي» ولد في الطائف سنة ٢٠ ق.هـ، عندما ظهر الإسلام تردد في قبوله إلى أن كانت سنة ٥هـ، فأسلم، وشهد الحديبية، واليمامة، وفتوح الشام، وذهبت عينه في اليرموك، وشهد القادسية، ونهاوند، وهمذان وغيرها. ولّاه عمر بن الخطاب على البصرة، ثم ولّاه على الكوفة، وأقرّه عثمان على الكوفة، ولما حدثت الفتنة بين معاوية وعلي اعتزلها المغيرة، ثم ولّاه معاوية على الكوفة، فلم يزل فيها إلى أن مات سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م. قال الشعبي: دهاة العرب أربعة: معاوية للأناة، وعمر بن العاص للمعضلات، والمغيرة للبديهة، وزياد بن أبيه للصغير والكبير. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٧، ص ٢٧٧. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٥، ص ٢٣٨ ـ ٢٤٠.

(٢) خالد بن سعيد العاص: خالد بن سعيد العاص بن أمية بن عبد شمس، صحابي، من الولاة الغزاة، قديم الإسلام، أسلم ورسول الله ﷺ يبث الدعوة للدين سرّاً، فكان الثالث أو الرابع من الداخلين في الإسلام بعد البعثة، ولزم رسول الله ﷺ يصلي معه في نواحي مكة خالياً. هاجر إلى الحبشة، فأقام بضع عشرة سنة، وعاد سنة ٧هـ، فغزا مع النبي، وحضر فتح مكة، ثم وقعة تبوك. شارك في معركة أجنادين سنة ١٣هـ، وقتل في وقعة مرج الصفر قرب دمشق. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٢، ص ٢٩٦. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة ج ٢، ص ١٢٤ ـ ١٢٥.

(٣) بهراء: بهراء بن عمر بن الحافي، من قضاعة: جدّ جاهلي، كانت منازل بنيه في شمالي منازل «بلي» من ينبع إلى عقبة أيلة، وانتشر الكثيرون منهم ما بين بلاد الحبشة وصعيد مصر النسبة إليه «بهراني». انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٢، ص ٧٦.

وقدم وفد البكا[١]، ووفد طيء، وهم من أهل اليمن.

وفي هذه السنة، بعث النبي ﷺ، الوليد بن عقبة بن أبي معيط[٢] إلى بني المصطلق من خزاعة، وكانوا قد أسلموا، وبنوا المساجد، وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية، فلما سمعوا بدنوّه، خرج منهم عشرون رجلاً يتلقونه بالخير والغنم، فرحاً به، وتعظيماً لأمر الله ورسوله، فظنّ الوليد أنهم يريدون قتله، فخافهم، وولّى راجعاً إلى المدينة، فقال للنبي: إنهم تلقّوه بالسلاح، وأرادوا قتله. فغضب ﷺ، وهَمّ أن يغزوهم.

وسمع القوم برجوع الوليد، فقدموا على النبي، وقالوا: يا رسول الله، سمعنا بقدوم رسولك إلينا، فخرجنا نتلقّاه، إكراماً له، وفرحاً به، ولندفع إليه ما قبلنا من حق الله، فرجع، فخشينا أن يكون جاء كتاب منك تأمره فيه بالرجوع غضباً غضبته علينا، فإنّا نعوذ بالله من غضبه، وغضب رسوله، فاتهمهم النبي، وبعث إليهم خالد بن الوليد في عسكر خفيفة، وأمره أن يخفي عليهم قدومه، وقال له: انظر، فإن رأيت منهم ما يدل على إيمانهم، فخذ منهم زكاة أموالهم،

(١) والصحيح: ما ذكره الطبري: «ثم إن رجالاً من المسلمين أتوا رسول الله ﷺ وهم البكاؤون، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم، فاستحملوا رسول الله، وكانوا أهل حاجة، فقال: «لا أجد ما أحملكم عليه، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً أن لا يجدوا ما ينفقون». وكان ذلك أثناء الاستعداد لغزوة تبوك، وبالتالي لم يكونوا من الوفود التي جاءت إلى الرسول ﷺ كي تسلم بين يديه كما يفهم من المخطوطة. انظر التفاصيل في: الطبري؛ محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، المجلد الثاني، ص١٤٣.

(٢) الوليد بن عقبة بن أبي معيط: الوليد بن عقبة بن أبي معيط، أبو وهب، الأموي القرشي: من فتيان قريش وشعرائهم. فيه ظرف ومجون ولهو. وهو أخو عثمان بن عفان لأمه. أسلم يوم فتح مكة، وبعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق، ثم ولاه عمر صدقات بني تغلب، وولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص سنة ٢٥هـ، فانصرف إليها، وأقام إلى سنة ٢٩هـ، فشهد عليه جماعة عند عثمان بشرب الخمر. ولما قتل عثمان تحول الوليد إلى الجزيرة الفراتية، فسكنها، ورثى عثمان وحرّض معاوية على الأخذ بثأره. مات بالرقة سنة ٦١هـ. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٨، ص١٢٢. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في مدينة الصحابة، ج٥، ص٤٢٠ ـ ٤٢٢.

وإن لم ترَ ذلك، فاستعمل فيهم ما تستعمل في الكفار. فسار إليهم خالد، وسمع منهم الأذان والصلاة في المساجد، فأخذ منهم الزكاة، ولم يَرَ منهم غير الطاعة. فرجع إلى النبي، وأخبره بذلك. فأنزل الله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ [الحجرات: ٦] الآية.

وفيها اختصم رهط عبد الله بن رواحة، ورهط عبد الله بن أبي سلول المنافق، وذلك أن النبي أقبل (١٨٥) ذات يوم، وهو راكب على حمار له، يقال له عفير، فانتهى إلى مجلس فيه عبد الله بن رواحة، وعبد الله بن أبي سلول المنافق، وقف حمار النبي وراث، فأمسك عبد الله بن أبي سلول على أنفه، وقال: أفّه أفّه إليك بحمارك عن وجه الريح، فقد أذاني بنتنه، فمضى رسول الله ﷺ، فقال عبد الله بن رواحة: تقول هذا لرسول الله، يا ابن أبي سلول؟ فَوَالله لحمار رسول الله أطيب ريحاً منك. فقال عبد الله بن أبي سلول: تقول هذا يا ابن رواحة؟ قال: نعم، ومن أُمك أيضاً. ثم استبّا حتى اقتتلا، فجاء قوم هذا وقوم هذا، فاقتتلوا بينهم بالأيدي والنعال، فأمر الله نبيّه أن يأتيهم، فيصلح بينهم، فأتاهم، فلم يقدر (أن)[1] يصلح بينهم، فأنزل الله: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ﴾ [الحجرات: ٩] الآية، فقرأها عليهم النبي، فكفوا عن ذلك، وجاء بشير بن سعد أبو النعمان الأنصاري، مشتملاً على سيفه، فوجدهم قد اصطلحوا، فقال له عبد الله بن أبي سلول: عليَّ تسلّ السيف؟ قال: نعم، لو جئت قبل الصلح، لضربتك به حتى أقتلك، لأنك الباغي على ابن رواحة.

وفي هذه السنة، هجر النبي نساءه، وقال: «لا أدخل عليكنَّ شهراً». وسبب ذلك أن النبي، (صلى الله عليه وسلم)[2]، كان في بيت حفصة، فاستأذنته

(١) إضافة يقتضيها السياق.
(٢) سقطت من النسخة الأصلية ب.

في زيارة أبيها، فأذن لها، وأرسل إلى جاريته مارية، فأدخلها بيت حفصة، وواقعها، فلما رجعت حفصة، وجدت الباب مغلقاً، فجلست عند الباب، حتى فتح، وخرج رسول الله ووجهه يقطر عرقاً، وأبصرت مارية معه في بيتها، فلم تدخل، حتى خرجت مارية، وبكت حفصة، فقال لها: ما يبكيك؟ فقالت: إنما أذنت لي لأنك تريد (أن)[١] تدخل جاريتك بيتي، فواقعتها في فراشي، وفي يومي، أما رأيت لي حرمة؟ أما جعلت لي حقّاً؟ ما صنعت هذا بامرأة من نسائك دوني.

فلما رأى في وجهها الغيرة والغضب، قال: أليست هي جاريتي؟ أحلّها الله لي؟ اسكتي فهي عليَّ حرام، ابتغي بذلك رضاك، وأخبرك أن الخليفة من بعدي وبعد أبي بكر أبوكِ، ولا تخبري أحداً بما سررت إليك.

فلما خرج النبي ﷺ، مضت إلى عائشة، (١٨٦) وقالت لها: قد أراحنا الله من مارية، وقصَّت عليها القصّة، فأنزل الله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ [التحريم: ١] الآيات.

وخيّر النبي نساءه بين الدنيا وزينتها، وبين الله ورسوله، والدار الآخرة، فاخترن الله، والرسول، والدار الآخرة.

وفي هذه السنة، مات النجاشي، واسمه أصحمة، وهو الذي هاجر إليه المسلمون، وكانت منه الأفعال الجميلة والإعانة. توفي في رجب، فصلى عليه النبي بالمدينة، واستغفر له، فقال المنافقون: انظروا إلى محمد[٢]، يصلي على علج حبشي، ولم يره قطّ. فأنزل الله: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَـٰشِعِينَ﴾ [آل عمران: ١٩٩] الآية.

(١) إضافة يقتضيها السياق.
(٢) وفي النسخة الأصلية ب، «انظروا إلى هذا».

وفي هذا الشهر، من هذه السنة، كانت غزوة تبوك[١]، وذلك أن رسول الله ﷺ، لمّا رجع من غزوة الطائف، مكث بالمدينة ما شاء الله، ثم أمر المسلمين بالتأهب للمسير إلى الشام، وسبب ذلك، أن قوماً من الأنباط، قدموا المدينة بالدرمك والزيت، وغير ذلك من متاع (الشام)[٢]، فذكروا أن الروم أجمعوا الجموع الكثيرة لقتال المسلمين، وأعطاهم الرزق ملكهم لسنة، وأن العسكر ببلقاء، وتخلف هرقل بحمص[٣]، وكانوا كاذبين فيما قالوا، وإنما قيل لهم ذلك، فقالوا، ولم يكن من ذلك شيء، فجمع النبي الجموع، واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب، وقيل: (سباع بن)[٤] عرفطة، ويقال: محمد بن (مسلمة)[٥]، ولمّا توجه إلى تنوجة[٦]، عقد الألوية، ودفع اللواء الأعظم إلى أبي بكر، والراية العظمى إلى الزبير، ولواء الأوس إلى أسيد بن الحصين[٧]،

(١) تبوك: موضع بين وادي القرى والشام، وهو حصن به عين ونخل، ويقال: إن أصحاب الأيكة الذين بعث الله إليهم شعيب عليه السلام كانوا فيها، ولم يكن شعيب منهم، وإنما كان من مدين. وبين تبوك والمدينة اثنتا عشرة مرحلة، وكان ابن عريض اليهودي قد طوى بئر تبوك، لأنها كانت تعظم في كل وقت. قال بحرة الطائي:

تبارك سابق البقرات أني ... رأيت الله يهدي كل هادِ
فمن يك حائداً عن ذي تبوك ... فإنا قد أمرنا بالجهاد

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٢، ص ١٢ - ١٥.

(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ١٨٥.

(٣) حمص: مدينة بين دمشق وحلب في نصف الطريق، ويقال: إنها بدأت بحصن بناه رجل يقال له حمص بن المهر بن جان بن مكنف، وقيل: حمص بن مكنف العمليقي. وقال أهل السير: حمص بناها اليونانيون، فتحت من قبل أبي عبيدة عامر بن الجرّاح، وفيها دار خالد بن الوليد وقبره، وقبر عياض بن غنيم فاتح بلاد الجزيرة، وقبور أولاد جعفر الطيار، ومقام كعب الأحبار. انظر: الحموي؛ ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٢، ص ٣٠٢ - ٣٠٣.

(٤) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ١٨٥.

(٥) وفي النسخة الأصلية (ب) مسلمة وليس سلمة وهذا ما أثبتناه في المتن.

(٦) تنوجة: والصحيح تنتهج، وهي قرية بها حصن من مشارف البلقاء. انظر: الحموي؛ ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٢، ص ٥١.

(٧) أسيد بن الحصين: والصحيح أُسيد بن حضير: وهو أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس =

ولـواء الخـزرج إلـى أبي دجانـة[١]، وقيل: إلى حبـاب[٢]، فسـاروا وهـم ثلاثون ألفـاً، وفيهم عشـرة آلاف مـن الأفراس، وتخلّـف نفر من المسـلمين، من غير نفـاق، منهم أبو خيثمة[٣]، ثم لحق النبي، وقـال النبي للجدِّ بن قيس: «هل لك أن تخـرج معنـا، لعلك تحتقب من بنات الأصفـر؟»، فقال: لقد علم قومي أني لأشدّ النـاس عجبـاً بالنسـاء، وإذا رأيتهنّ، لـم أصبر عنهنَّ، فأذن لـي بالمقام، ولا تفتنـي، فقـال ابنه عبدالله: أنت أكثر بني سـلمة مالاً، فما منعك أن تخرج؟ فقـال: ما لي وللخروج إلى بنـي الأصفر، والله لا آمنهم، وإني لأعلم بالدوائر. فقـال ابنـه وائلة: ما بك إلّا نفاق، والله لينزلنّ فيك قرآناً يقرأه المسـلمون. قال له: إسـكت يا لكع، وأخذ نعله، وضربه بها في وجهه، وطفق الجدُّ يثبّط قومه

= الأنصاري الأوسـي الأشـهلي. فارس الأوس فـي حروبهم مع الخزرج، وكان لـه حصن واقم، وكان رئيس الأوس يوم بعاث، أسـلم بالمدينة على يد مصعب بن عمير، وكان إسـلامه بعد العقبة الأولى، وشـهد العقبـة الثانيـة، وكان نقيباً لبني عبدالأشـهل. شـهد بـدراً وأُحـداً وما بعدها من المشـاهد مع رسـول الله ﷺ، وآخـى بينه وبين زيد بن حارثة. توفي بالمدينة سـنة عشـرين هجريـة، ودفن بالبقيع. انظر: ابن الأثير؛ علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص١١٨ - ١١٩.

(١) دجانـة: والصحيـح أبو دجانـة سـماك بن خرشـة. وقيـل: سـماك بن أوس بـن خرشـة بن لوذان بـن عبـد ودّ بـن زيد بـن ثعلبة بن طريف بـن الخزرج بن سـاعدة بن كعب بن الخزرج الأكبـر الأنصاري الخزرجي السـاعدي، من رهط سـعد بن عبادة، يجتمعان في طريف، شـهد بدراً مع النبي ﷺ، وكان من الأبطال الشـجعان، ودافع عن رسـول الله ﷺ يوم أُحُد. وشـهد اليمامة، وهو ممن اشترك في قتل مسـيلمة الكذاب. وكان أبو دجانة أخا عتبة بن غزوان، آخى بينهما رسـول الله ﷺ. انظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٦، ص٩٥ - ٩٦.

(٢) حباب: حباب بن المنذر بن الجموع بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سـلمة الأنصاري الخزرجـي السـلمي، يكنـى أبـا عمرو. شـهد بـدراً والمشـاهد كلها مع رسـول الله ﷺ، وهـو القائل يـوم سـقيفة بني سـاعدة: أنا جذيلها المحـكك، وعذيقها المرجـب، منّا أمير، ومنكـم أمير. توفي في خلافـة عمر بـن الخطـاب. انظر: ابـن الأثير؛ علي بن محمد: أسـد الغابـة في معرفـة الصحابة، ج١، ص٤٣٢ - ٤٣٣.

(٣) أبـو خيثمة: عبدالله بن خيثمة الأنصاري السـلمي. وقال ابن الكلبـي: هو أبو خيثمة مالك بن قيس بن ثعلبة بـن العجلان بـن زيد بـن غنم بن سـالم بن عوف بن عمرو بـن عوف بن الخـزرج الأكبر. وهو الذي لحق النبي ﷺ وهو بتبوك، فقال: كن أبا خيثمة، فجاء فجلس إلى رسول الله ﷺ، فجعل يسأله عن المدينة. انظر: ابن الأثير: علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٦، ص٦٣ - ٦٤.

عن الجهاد، ويقول: لا تنفروا في الحرّ. فأنزل الله فيهم: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾ [التوبة: ٤٩] الآية. (١٨٧) وقوله تعالى: ﴿لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ [التوبة: ٨١] الآية.

وجاء البكاؤون، وهم سبعة نفر منهم: معقل بن يسار[1] وصخر بن خنساء وعبد الله بن معقل المزني[2]، وعبد الله بن كعب الأنصاري[3]، وسالم بن عمير[4]، وثعلبة بن غنمة[5]، وكانوا صلحاء، وأهل حاجة يستحملون النبي، فقالوا: يا رسول الله، قد انتدبنا للخروج معك، فاحملنا على الخفاف المرقوعة، والنعال المخصوفة، نغزوا معك، فقال: لا أجد ما أحملكم عليه، فتولّوا وأعينهم تفيض بالدمع حزناً، فأنزل الله: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ [التوبة: ٩٢] الآية.

---

(١) معقل بن يسار: معقل بن يسار بن عبد الله المزني، صحابي. أسلم قبل الحديبية، وشهد بيعة الرضوان، وسكن البصرة، وتوفي بها. و«نهر معقل» منسوب إليه، حفره بأمر عمر. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٧، ص ٢٧١. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٥، ص ٢٢٤.

(٢) عبد الله بن معقل المزني: والصحيح عبد الله بن أبي معقل بن نهيك بن يساف الأنصاري.

(٣) عبد الله بن كعب الأنصاري: عبد الله بن كعب بن عمرو النجاري الأنصاري، صحابي، شهد بدراً. وكان على غنائم النبي ﷺ فيها وفي غزوات أخرى. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٤، ص ١١٥. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣، ص ٣٧٠.

(٤) سالم بن عمير: سالم بن عمير بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف. قيل في نسبه: سالم بن كلفة بن ثعلبة بن عمرو بن عوف الأنصاري، شهد العقبة، وشهد بدراً وأُحُداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. وهو أحد البكائين، منهم ثعلبة بن زيد بن حارثة، وآخرين. توفي سالم بن عمير في خلافة معاوية بن أبي سفيان. انظر: ابن الأثير؛ علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص ٣١١.

(٥) ثعلبة بن عمير: والصحيح ثعلبة بن زيد: قال أبو موسى: ذكره عبدان وقال: سمعت أحمد بن يسار يقول: ثعلبة بن زيد من أصحاب النبي ﷺ، أحد بني حرام، وهو أحد البكائين، الذين أنزل الله تعالى فيهم: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا﴾. انظر: ابن الأثير؛ علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص ٢٨٥.

وجاء ناس من المنافقين، وهم بضعة وثمانون رجلاً، يستأذنون النبي في القعود، فأذن لهم.

وجاء المعذرون من الأعراب، وهم (رهط)[١] عامر بن الطفيل، فقالوا: يا رسول الله، إن نحن غزونا معك، تركنا أموالنا وحلائلنا وأبناءنا، فقال: «قد نبّأني الله من أخباركم، وسيغني الله عنكم». وصحبه أناس من المنافقين رجاء الغنيمة.

وسار النبي من المدينة، فصبح بذات خشب، ونزل تحت الدومة، وراح منها ممسّياً حتى أبرد، وكان في حرّ شديد، وتخلفت عنه رجال، فقال: «إن كان علم الله منهم خيراً فسيلحقهم بنا، وتخلف أبو ذر»[٢]، أبْطَأ به بعيره، فأخذ متاعه على ظهره، وترك البعير، وخرج يتبع رسول الله ماشياً.

ونزل النبي ﷺ في بعض المنازل، ونظر رجل من المسلمين، فقال: يا رسول الله، رجل على الطريق يمشي وحده، فقال ﷺ: كن أبا ذر، يعني الماشي، فتأمله القوم، فقالوا: يا رسول الله، هذا أبو ذر، فقال ﷺ: «رحم الله أبا ذر، يعيش وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده».

وكان المنافقون يرهبون المؤمنين، ويعظّمون عندهم أمر الروم، ويقولون في النبي ما لا ينبغي، فيزل فيهم القرآن، فيعتذرون إلى النبي ﷺ.

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص١٨٦.

(٢) أبو ذر: أبو ذر الغفاري، جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد من بني غفار، من كنانة بن خزيمة، أبو ذر: صحابي، من كبارهم. قديم الإسلام، يقال: أسلم بعد أربعة وكان خامساً. يُضرب به المثل في الصدق، وهو أول من حيّا رسول الله ﷺ بتحية الإسلام. هاجر بعد وفاة النبي ﷺ إلى بادية الشام، فأقام إلى أن توفي أبو بكر وعمر وولي عثمان، فسكن دمشق، وجعل ديدنه تحريض الفقراء على مشاركة الأغنياء في أموالهم، فاضطرب هؤلاء، فشكاه معاوية إلى عثمان، فاستقدمه عثمان إلى المدينة، فقدمها، واستأنف نشر رأيه، فأمره عثمان بالرحلة إلى الربذة (من قرى المدينة) فسكنها إلى أن مات سنة ٣٢هـ. ولما مات لم يكن في داره ما يكفّن به. روى عنه البخاري ومسلم ٢٨١حديثاً. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٢، ص١٤٠. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص ٥٦٢ ـ ٥٦٥.

ولمّا نزل النبي ديار ثمود[١]، نزلوا على بئر حجر[٢]، فقال لأصحابه: لا تشربوا من مائها، ولا تتوضأوا منها، وما كان من عجين عجنتموه من مائها، فأطعموه الإبل، ولا تأكلوا منه شيئاً.

ولمّا سار منها، أصبح على غير ماء، فشكا المسلمون إليه العطش، فقام واستقبل القبلة، ودعا الله تعالى، ولم يكن في السماء سحابة، فما زال يدعو الله، حتى اجتمع السحاب من كل مكان، وجاء الغيث من حواليهم، وارتووا عن آخرهم، وملأوا الأسقية، وتوضأوا، فقال بعض الصحابة لرجل من المنافقين: (١٨٨) ويحك، أبعد هذه شيء؟ فقال المنافق: هذه سحابة مارّة.

ولما وصل وادي القرى، قال: ستهب الليلة ريح شديدة، فلا يقومَنَّ أحدكم، إلّا معه صاحبه، ومن كان معه بعير، فيوثقه بعقاله. فهاجت ريح شديدة، أفزعت الناس، ولم يقم أحد منهم إلّا رجلين من بني ساعدة، خرج أحدهما لحاجته، والآخر في طلب بعيره، فالذي خرج لحاجته، خفق لمذهبه، والآخر احتملته الريح، وطرحته في جبل طي[٣]، فأهدته طي إلى المدينة، وأما

(١) ديار ثمود: ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام، وهي الحجر. قال الأصطخري: الحجر قرية صغيرة قليلة السكان، وهو من وادي القرى بين الجبال، وبها كانت منازل ثمود، منحوتة بالجبال، وتسمى تلك الجبال الأثالث. انظر: الحموي؛ ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٢، ص ٢٢٠ - ٢٢١.

(٢) بئر الحجر: ويعرف باسم بئر ثمود، وهو في قرية الحجر من ديار ثمود بوادي القرى، وهي البئر التي قال الله تعالى فيها: ﴿لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾. وقال جميل:

أقول لداعي الحب والحجر بيننا	ووادي القرى لبّيك لما دعانيا
فما أحدث النأيُ المفرّق بيننا	سلوّا ولا طول اجتماع تقاليا

انظر: الحموي؛ ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٢، ص ٢٢١.

(٣) جبل طي: والصحيح جبلا طيء، وهما جبل أجأ وجبل سلمى، وهما جبلان شاهقان على طريق مكة، وقال أبو عبيد السكوني: أجأ أحد جبلي طيء، وهو غربي فيد، وبينهما مسيرة ليلتين، وفيه قرى كثيرة، قال: ومنازل طيء في الجبلين عشر ليال من دون فيد إلى أقصى أجأ إلى قريات بناحية الشام. وبين المدينة والجبلين على غير الجادّة ثلاث مراحل، وبين الجبلين وفدك ليلة، وبينهما وبين خيبر خمس ليالٍ. نزلت طيء بالجبلين لما خرجت من أرضهم بالشحر، ولم يكن بهما أحد، وكان التمر قد غطى كرانيف النخيل. انظر: الحموي؛ ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج١، ص ٩٤ - ٩٦.

الآخر، فدعا له النبي، فعاد إليهم، وسار حتى أصبح في منزل ضلت ناقته، فقال زيد بن اللصيب[(١)]، من بني قينقاع، أسلم ونافق: يزعم محمد أنه نبي، ويخبركم بخبر السماء، وهو لا يدري أين ناقته.

فخرج النبي، وقال: «يزعم منافق أن محمداً يزعم أنه نبي، ويخبر بخبر السماء، وهو لا يدري أين ناقته، فوالله لا أعلم إلّا ما علمني ربي، وقد دلّني عليها الآن، فهي في الوادي، في شعبة كذا، وأشار بيده إلى الشعبة، وقد حبستها شجرة بزمامها». فذهبوا إليها، فجاؤوا بها.

وكان المنافقون يستهزئون بالنبي والقرآن، ويضحكون، فإذا قال لهم النبي: قلتم كذا وكذا، قالوا: كنا نخوض ونلعب، كما يفعل الركب، لقطع الطريق بالحديث واللعب، فأنزل الله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ [التوبة: ٦٥] الآية.

ولمّا وصل النبي تبوك، قال: إن شاء الله غداً تأتونها، فلا يمسس أحد منكم ماءه حتى آتي. وكان فيها عين مثل شراك النعال، ينض الماء قليلاً، فأمرهم أن يغرفوا منها، فغرفوا منها قليلاً، قليلاً، حتى اجتمع مويه قليل، فغسل النبي يديه ووجهه، وأمر به فَرُدَّ فيها، فجاءت العين بماء كثير، فقال النبي: ليستمتعنّ بهذا الماء، ومن جاء بعدكم، وأخصب ما بين يدي ذلك المكان، وما خلفه، وذلك الماء خوارة تبوك، وكان النبي يدعو بالطعام، فيأتيه بلال بطعام قليل، فيدخل فيه يده، فيأكل منه جميع العسكر، فيشبعوا، ويفضل الطعام.

(١) زيد بن اللصيب: زيد بن اللصيب القينقاعي، وهو من المنافقين، وهو الذي سخر من النبي ﷺ عندما ضاعت ناقته، فضربه عمارة بن حزم الأنصاري على عنقه وقال له: اخرج عني يا عدو الله لا تصحبني. قال ابن إسحاق: قال بعض الناس: إن زيد بن نصيب تاب. وقال بعضهم: ما زال مصرّاً على نفاقه حتى مات. وقال ابن هشام: يقال في نصيب، يعني بالنون في أوله وبالباء في آخره. انظر: ابن الأثير؛ علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٢٩٨ - ٢٩٩.

وهاجت بتبوك ريح عظيمة، فقال ﷺ: هذا لموت منافق عظيم النفاق، فلما قدموا المدينة، وجدوا منافقاً قد مات.

ومات بتبوك عبد الله ذو البجادين، وكان رجلاً صيتاً يقوم في المسجد، ويرفع صوته بالقرآن، وهو حافظ (١٨٩) للقرآن، فقال للنبي: ادعِ لي بالشهادة، فقال النبي: اللهم حرِّم دمه على الكفار، فقال: يا رسول الله، ليس هذا أردت. قال: «إنك إذا خرجت غازياً، أخذتك الحمّى حتى تقتلك، فأنت شهيد، ولا تبالِ بأية كانت». فلما نزلوا تبوك، أقاموا بها أياماً، وتوفي، فنزّله النبي في قبره، وقال لعمر وأبي بكر: أدليا لي أخاكما، فلما نزل بلحده، قال: «اللهم إني أمسيت عنه راضياً، فارضَ عنه».

وبعث النبي خالد بن الوليد في أربعمائة وعشرين فارساً إلى أكيدر بن عبد الملك الكندي[1]، الملك، وهو في دومة الجندل، وكان نصرانياً، فقال خالد: يا رسول الله، كيف لي به، وهو بوسط كلب، وأنا في أُناس يسيرة، فقال له النبي: «ستجده يصيد البقر، فتأخذه». فخرج خالد من تبوك، ولم يجد النبي بتبوك ما كان أخبر من ترهيب هرقل.

وبعث هرقل إلى النبي رجلاً من غسان ليأتيه بصفة النبي وعلاماته، فأتى الغسّاني النبي ﷺ، فعرف جميع صفاته، ورأى خاتم النبوّة، ورجع إلى هرقل، فأخبره بما رأى، فعرف هرقل النبي بالصفة التي وجدها في كتابهم، ودعا قومه

(١) وردت في الأصل: أكيدر بن عبد الله الكندي، والصحيح ما أثبتناه في النص، وهو ملك دومة الجندل (الجوف) في الجاهلية. كان شجاعاً مولعاً باقتناص الوحش. له حصن وثيق، وجّه إليه النبي خالد بن الوليد في ٤٢٠ فارساً، فلما قارب حصنه رآه نفر من رجاله يطاردون بقر الوحش، فأحاط به، فاستأسره، فأوثقه خالد وأقبل به على الحصن، فافتتحه صلحاً، وعاد خالد بالأكيدر إلى المدينة، فقيل: أسلم، وردّه رسول الله إلى بلاده بعد أن كتب له كتاباً يمنع المسلمين من التعرض لقومه ما داموا يؤدون الجزية. ولما قبض رسول الله نقض أكيدر العهد، فأمر أبو بكر خالداً أن يسير إليه، فقصده خالد وقتله، وفتح دومة الجندل. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٢، ص٦.

إلى الإسلام، فأبوا عليه، وأكثر عليهم حتى خافهم على ملكه، فقيل: إنه أسلم سرّاً، وامتنع عن قتال النبي ﷺ. وشاور النبي أصحابه في المسير إلى هرقل، فقال عمر: إن كنت أمرت بالمسير، فسر، فقال النبي: «لو أُمرت بالمسير لما استشرتكم»، فقال عمر: يا رسول الله، للروم جموع كثيرة، وأنت قد دنوت منهم، وأرهبهم دنوّك، فلو رجعت هذه السنة حتى ترى، أو يحدث الله لك أمراً، فعزم النبي على الانصراف، ولبث في تبوك شهرين، وقفل راجعاً إلى المدينة، وكمن له إثنا عشر رجلاً من المنافقين في رأس العقبة[١]، ليفتكوا به، إذا صعد، وكان معهم مؤمن يكتم أمره، وتنكروا، وكانت تلك الليلة، ليلة مظلمة، وكان عمار بن ياسر[٢]، يقود بالنبي، وحذيفة[٣] يسوق به، فأخبره جبريل بما قدّر له المنافقون، وأمره أن يبعث إليهم من يصرف وجوه رواحلهم، فقال

---

(١) رأس العقبة: العقبة بالتحريك، هو الجبل الطويل، يعرض للطريق فيأخذ فيه، وهو طويل صعب إلى صعود الجبل، والعقبة منزل في طريق مكة، بعد واقعة وقبل القاع لمن يريد مكة، وهو ماء لبني عكرمة بن بكر بن وائل. انظر: الحموي؛ ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٤، ص ١٣٤.

(٢) عمار بن ياسر: عمار بن ياسر بن عامر الكناني المذحجي العنسي القحطاني، أبو اليقظان، صحابي من الولاة الشجعان ذوي الرأي، وهو أحد السباقين إلى الإسلام والجهرية. هاجر إلى المدينة، وشهد بدراً وأحداً والخندق وبيعة الرضوان، وكان النبي ﷺ يلقبه «الطيّب المطيّب» وفي الحديث: ما خُيّر عمار بين أمرين إلّا اختار أرشدهما. وهو أول من بنى مسجداً في الإسلام (بناه في المدينة وسماه قباء)، ولّاه عمر الكوفة، فأقام زمناً وعزله عنها. وشهد الجمل وصفين مع علي، وقتل في الثانية، وعمره ثلاث وتسعون سنة، له ٦٢ حديثاً. ولعبد الله السبيني النجفي كتاب: «عمار بن ياسر». انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٥، ص٣٦. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ١٢٢ ـ ١٢٧.

(٣) حذيفة: حذيفة بن حسل بن جابر العبسي، أبو عبد الله، واليمان لقب حسل: صحابي، من الولاة الشجعان الفاتحين، كان صاحب سر النبي ﷺ في المنافقين، لم يعلمهم أحد غيره. ولما ولي عمر سأله: أفي عمالي أحد من المنافقين؟ فقال: نعم واحد. قال: من هو؟ قال: لا أذكره. ولاه عمر على المدائن، وكانت عادته إذا استعمل عاملاً كتب في عهده «وقد بعثت فلاناً وأمرت بكذا» فلما استعمل حذيفة كتب في عهده: «اسمعوا له وأطيعوه، وأعطوه ما سألكم»، فلما قدم المدائن استقبله الدهاقين، فقرأ عهده، فقالوا: سلنا ما شئت، فطلب ما يكفيه من القوت، وأقام بينهم، فأصلح بلادهم. وهاجم نهاوند سنة ٢٢هـ، فصالحه صاحبها على مال يؤديه في كل سنة. توفي بالمدائن سنة ٣٦هـ، له في كتب الحديث ٢٢٥ حديثاً. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٢، ص ١٧١. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ٧٠٦ ـ ٧٠٨.

النبـي لحذيفـة: «أضرب وجوه رواحـل هؤلاء». فمضى إليهـم، وصرف وجوه رواحلهـم، فانتحـت بهم عـن الطريق، ورجع حذيفة إلى النبـي، فقال له: «هل عرفت منهم أحداً»؟ قال: لا، قال النبي: «هم فلان وفلان» (١٩٠) حتى عدّدهم كلهـم، فقـال حذيفة: ألا تبعث إليهم من يقتلهم؟ قال بـل يكفيهم الله بالدُّبيلة. قال وما الدُّبيلة يا رسول الله؟! قال: شهاب من جهنم، يضعه الله على نياط فؤاد أحدهم، حتى تزهق نفسه، فكان ذلك. ودخل النبي المدينة بمن معه سالماً.

وأمـا خالد بـن الوليـد، فإنه لمّـا كان قريباً من حصـن أكيدر بمـرأ العين، وكانت ليلة مقمرة، والوقت صيفاً، وكان أُكيدر فوق سطح الحصن ومعه امرأته الرباب الكندية، وأقبلت البقر تحك بقرونها باب الحصن، فأشرفت الرباب من الحصـن، فإذا هي بالبقر تحكّ بقرونها بـاب الحصن، فقالت: ما رأيت كالليلة بقراً، فشـرف أكيدر، وبصرها، فنزل من الحصن، وأمر بالخروج، وسـرج على الخيـل، فخرج، وخرج معه قومه، فركـب، وركب معه نفر من أهل بيته، ومعه أخوه حسان، فخرجوا من حصنهم، فلحقهم خالد بخيله، فاستيسر أكيدر، وقتل حسـان، وكان عليـه قباء مـن الديباج مخوص بالذهب، فاسـتلبه خالد، وهرب أصحابهـم، ودخلـوا الحصـن، فقـال لـه خالد: هل لـك أن أجيرك مـن القتل، وآتي بك رسـول الله؟ على أن تفتح لي دومة الجندل، فقبل ذلك، ومضوا إلى الحصـن، وفيـه أخوه مصال، فسـأله فتـح الحصن، فطلب أكيدر مـن خالد أن يصالـح مصـال على شـيء، حتى يفتح له باب الحصن، وينطلـق به إلى النبي، ويحكـم بينهم بما شـاء، فرضي خالد، وصالحهما على مائتـي بعير، وثمانمائة فـرس، فخلّى خالد سـبيله، ففتح له الحصـن، وحقن به دمه ودم أخيه، فانطلق بهم خالد إلى النبي ﷺ، فوجد النبي قد وصل المدينة، فصالحهما النبي على تأدية الجزية، وخلّى سبيلهما، وكتب لهما كتاب الأمان.

وأمّـا المتخلفون عـن النبي في غزوة تبوك، فكان منهم عشـرة، ندموا على

ما فعلوا، وأوثقوا أنفسهم في سواري المسجد، وحلفوا أن لا يطلقوا أنفسهم، حتى يطلقهم رسول الله ﷺ، وحلف النبي لا يطلقهم، حتى يؤمر بإطلاقهم، فأنزل الله: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٢] الآية. فأطلقهم، وقالوا: يا رسول الله، هذه أموالنا التي خلّفتنا عنك، فخذها، واستغفر لنا، فقال: ما أُمرت بأخذ أموالكم، فأنزل الله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم﴾ [التوبة: ١٠٣] الآية. فأخذ رسول الله ثلث أموالهم، فكانت كفّارة لهم.

ومنهم: كعب بن مالك[١]، وهلال بن أمية[٢]، ومرارة بن زيد بن الربيع[٣]، تخلفوا عن غير عذر، ولم يبالغوا في الاعتذار، كما فعل العشرة الذين ربطوا أنفسهم، وتصدقوا بأموالهم، فوقف النبي أمرهم، وأمر المسلمين أن يهجروهم، ولا يكلموهم، ولا يجالسوهم، فلبثوا على ذلك خمسين يوماً، وضاقت عليهم أنفسهم، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وعلموا أن لا ملجأ من الله إلّا

(١) كعب بن مالك: كعب بن مالك بن أبي كعب، واسم أبي كعب: عمر بن القين بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي الأنصاري الخزرجي السلمي، يكنى أبا عبد الله. شهد العقبة، واختُلف في شهوده بدراً، والصحيح أنه لم يشهدها. ولما قدم الرسول إلى المدينة آخى بينه وبين طلحة بن عبد الله حين آخى بين المهاجرين والأنصار. ولم يتخلف عن رسول الله إلّا في غزوة تبوك لشدّة الحرّ. وجرح في أُحد إحدى عشرة جراحة، وكان من شعراء رسول الله ﷺ، قال ابن سيرين: كان شعراء النبي ﷺ ثلاثة: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة. انظر: ابن الأثير؛ علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص ٤٨٧ - ٤٨٨.

(٢) هلال بن أمية: هلال بن أمية بن عامر بن قيس بن عبد الأعلم بن عامر بن كعب بن واقف، واسمه مالك بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس الأنصاري الواقفي. شهد بدراً وأحداً، وكان قديم الإسلام، كان يكسر أصنام بني واقف، وكانت معه رايتهم يوم الفتح، وهو الذي لاعن امرأته ورماها بشريك بن سحماء، وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك. انظر: ابن الأثير؛ علي بن محمد: أسد الغابة في عرفة الصحابة، ج٥، ص ٤٠٦ - ٤٠٧.

(٣) مرارة بن زيد بن الربيع: والصحيح مرارة بن الربيع بن عدي بن زيد بن عمرو بن زيد بن جشم بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس، شهد بدراً، وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فنزل فيهم القرآن: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ...﴾ الآية. والثلاثة هم: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، كلهم من الأنصار. انظر: ابن الأثير؛ علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٥، ص ١٣٤.

إليه، وقال بعض المسلمين: إنهم هلكوا، وقال بعض: سيغفر الله لهم، فأنزل الله: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ١٠٦] الآية. إلى قوله: ﴿ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٠٦].

وفي هذه السنة، قدم كتاب ملوك حمير من تبوك مقرّين بالإسلام، في شهر رمضان، فكتب النبي إليهم جواب كتابهم، وكتب لهم شرائع الإسلام، وبعث به عمرو بن حزم[(١)].

وفي هذه السنة، كان هدم مسجد الضرار، وذلك أنه لمّا اتخذ عمرو بن عوف مسجد قباء، وبعثوا إلى النبي ليأتيهم، فأتاهم وصلى فيه، فحسدهم أخوتهم، وكانوا من المنافقين، وقالوا: لنبني مسجداً، ونرسل إلى النبي ليصلي فيه، كما صلى في مسجد قباء، ليصلي فيه أبو عامر الراهب، إذا قدم من الشام، وكان أبو عامر منهم، وهو أبو حنظلة غسيل الملائكة، وكان قد ترهب في الجاهلية، وتنصّر، ولبس المسوح، فلما قدم النبي المدينة أتاه أبو عامر، وقال: ما الذي جئت به؟ قال: «جئت بالحنيفية السهلة دين إبراهيم». قال أبو عامر: فأنا عليها، قال النبي: «لست عليها»، قال أبو عامر: أمات الله الكافرين منّا وحيداً طريداً حزيناً، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: آمين، وسماه رسول الله أبو عامر الفاسق، وهرب إلى الشام، وأرسل إلى المنافقين، أن ابنوا لي مسجداً، واستعدّوا ما استطعتم من قوة وسلاح، فإني ذاهب إلى قيصر الملك، استنجده، فأُخرِج محمداً وأصحابه. فبنوا مسجداً إلى جنب مسجد قباء، وكان الذي بنوه إثنا

(١) عمرو بن حزم: عمرو بن حزم بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري. أول مشاهده الخندق، واستعمله رسول الله ﷺ على أهل نجران في اليمن، وهو ابن سبع عشرة سنة، بعد أن بعث إليهم خالد بن الوليد فأسلموا، وكتب لهم كتاباً فيه الفرائض والسنن والصدقات والديّات. توفي سنة إحدى وخمسين. وقيل: سنة أربع وخمسين. وقيل: إنه توفي في خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة. والصحيح أنه توفي بعد سنة خمسين، لأن محمد بن سيرين، روى أنه كلّم معاوية بكلام شديد لمّا أراد البيعة لابنه يزيد بن معاوية. انظر: ابن الأثير؛ علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص ٢١٤ - ٢١٥.

عشر رجلاً، فلما فرغوا من بنيانه، أتوا النبي، وهو يتجهز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله، إنّا بنينا مسجداً، وإنّا نحب أن تأتينا، وتصلّي فيه، وتدعو لنا بالبركة. فقال: «إنا على جناح سفر، وإذا قدمنا إن شاء الله أتيناكم».

فلما انصرف من تبوك، أتوه وسألوه إتيان مسجدهم، فدعا قميصه ليأتيهم، فأنزل الله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٩٢) وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [التوبة: ١٠٧] فقال النبي: «انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله، فاهدموه واحرقوه». فمضوا إليه، وهدموه، وأحرقوه، وتفرّق أهله، ومات أبو عامر بالشام طريداً وحيداً. فلهذا لا يجوز عندنا بناء مسجد قرب مسجد، وذلك بقدر ما يمضي يتوضأ الرجل، فيلحق بالجماعة في المسجد.

وفي هذه السنة، لاعن رسول الله ﷺ بين عويمر بن الحارث العجلاني، وبين زوجته خولة، بعد العصر في مسجده، فقال لعويمر: قم، فقام، وقال: أشهد بالله، إن خولة زانية، وإني لمن الصادقين. وقال في الثانية: أشهد إني رأيت شريكاً على بطنها، وإني لمن الصادقين، وقال في الثالثة: أشهد بالله، إنها لحبلى من غيري، وإني لمن الصادقين. وقال في الرابعة: أشهد بالله، إني ما قرّبتها منذ أربعة اشهر، وإني لمن الصادقين. ثم قال في الخامسة: إن لعنة الله عليه، إن كان من الكاذبين فيما قال. ثم أمره النبي بالقعود، فقعد. وأمر خولة، فقامت، فقالت: أشهد بالله، إني لست بزانية، وأن عويمر لمن الكاذبين. وقالت في الثانية: أشهد بالله، أنه ما رأى شريكاً على بطني، وإنه لمن الكاذبين. ثم قالت في الثالثة: أشهد بالله، أني حبلى منه، وإنه لمن الكاذبين. ثم قالت[1] في الرابعة: أشهد بالله، أنه ما رآني على فاحشة، وإنه لمن الكاذبين. ثم قالت (في الخامسة)[2]:

(١) «وقالت» انظر: النسخة الأصلية ب، ص ١٩١.
(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ١٩١.

إن غضب الله عليها، إن كان من الصادقين. وفرّق رسول الله ﷺ بينهما.

وفي هذه السنة، مات عبد الله بن أبي سلول رأس المنافقين، وهو عبد الله بن الحارث بن عبيد، وهو سيّد الخزرج في آخر جاهليتهم، وسلول من خزاعة، حسد رسول الله، فنافق واتضع شرفه، وهو ابن خال أبو عامر الراهب، فلما مرض، أرسل إلى النبي، فلما دخل عليه، قال: أهلكك حب اليهود، فقال: يا رسول الله، أسألك أن تكفنني بقميصك[1]، وتصلّي عليَّ.

فلما مات، انطلق ابنه إلى النبي عليه السلام، يدعوه إلى جنازة أبيه. فلما قدم النبي، قال له عمر: أتصلّي على عدو الله الذي قال كذا وكذا، والنبي يتبسَّم، فلما أكثر، قال: «أخّر عنّي يا عمر، إني أخبرت لو استغفرت (١٩٣) لهم (سبعين مرّة)[2]، لن يغفر الله لهم، وعلمت أني إذا زدت على السبعين لرددت»[3].

ثم شهد النبي جنازته، وكفنه في قميصه، وصلى عليه، ونفث في جلده.

قال عمر: عجبت من جرأتي على رسول الله ﷺ. فلم يلبث إلّا يسيراً، حتى نزلت: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾ [التوبة: ٨٤] الآية. فما صلى على منافق بعدها، ولا قام على قبره، حتى قبض، وكلّم فيما فعل بعبد الله بن أبي سلول: فقال: «وما تغني عنه قميصي، ولا صلاتي عليه من الله، إني كنت أرجو أن يسلم بما صنعت، وله ألف من قومه». فكان كما رجا، فإن الخزرج لمّا رأوا سيدهم يُكفّن عند وفاته بثوب رسول الله، أسلم ألف رجل منهم.

---

(١) «في قميصي» انظر النسخة الأصلية ب، ص ١٩١. والصحيح ما أثبتناه في المتن من نسخة دار الكتب الظاهرية.

(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ١٩١.

(٣) وفي النسخة الأصلية ب، ص ١٩١. «لزدت» وما أثبتناه في المتن هو الصحيح.

وفي هذه السنة، حج أبو بكر رضي الله عنه، وذلك أن النبي ﷺ، أراد الحج، فقال: «إنه يحضر المشركون فيطوفون عراة، فلا أحب أن أحج معهم». فبعث في تلك السنة أبا بكر أميراً على الحج، وبعث علياً بأربعين آية من صدر براءة، ليؤذن بها في الناس، فسارا حتى قدما مكة، فلما كان قبل يوم التروية بيوم، قام أبو بكر خطيباً، وخطب الناس، ودلَّهم على مناسكهم، وأقام لهم الحج، فلما كان يوم النحر، قام علي، وأذن في الناس ببراءة، ونادى أن لا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عهد عند رسول الله، فعهده إلى مدته، ولا تدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يحج بعد عامنا هذا مشرك، فقال المشركون: نحن نبرأ من عهدك، وعهد ابن عمك. وحج النبي العام القابل، والله أعلم.



الباب التاسع عشر

في ذكر الأمور الحادثة
في السنة العاشرة من الهجرة

وفي أول هذه السنة، قدم وفد عبد القيس والأشعث بن قيس[١]، في وفد كندة، فلما دنوا من المدينة، نزلوا عن رواحلهم، وبادروا إلى النبي ﷺ، مشاة، فلما أتوا النبي، قال: «من القوم أو من الوفد؟ قالوا: مركب، قال: مرحباً بالوفد غير خزايا ولا نداما». فقالوا: يا رسول الله، إنا لا نستطيع أن نقيم إلّا الشهر الحرام، وبينا وبينك هذا الحي من كفار مضر، فأمرنا بأمر فصلٍ نخبر به من وراءنا، وندخل الجنة، وسألوه عن الأشربة، فأمرهم بأربع، ونهاهم عن أربع: أمرهم بالإيمان وحده، وقال: (١٩٤) «أتدرون ما هو؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله[٢]، وإقام الصلاة، وإتاء الزكاة، وصيام رمضان، وإعطاء الخمس من الغنيمة والركاز»، ونهاهم عن أربع: عن الحنتم، وهو نبيذ الجرة، والمزفت، والدُّباء، والنقار، وهو أن ينقروا جذوع النخل، ويتخذوا فيها النبيذ، وقال: «احفظوهنّ».

---

(١) الأشعث بن قيس: الأشعث بن قيس بن معد يكرب الكندي، أبو محمد: أمير كنده في الجاهلية والإسلام. كانت إقامته في حضرموت، ووفد على النبي بعد ظهور الإسلام في جمع من قومه، فأسلم، وشهد اليرموك، فأصيبت عينه. ولما ولي أبو بكر الخلافة امتنع الأشعث وبعض بطون كندة من تأدية الزكاة، فتنحى والي حضرموت بمن بقي على الطاعة من كندة، وجاءته النجدة، فحاصر حضرموت. فاستسلم الأشعث، وفتحت حضرموت عنوة، وأُرسل الأشعث موثوقاً إلى أبي بكر في المدينة ليرى فيه رأيه، فأطلقه، وزوجه وأخته أم فروة، فأقام في المدينة، وشهد الوقائع، وأبلى البلاء الحسن. كان مع علي يوم صفين على راية كندة. وحضر معه النهروان. وورد المدائن، ثم عاد إلى الكوفة، فتوفي فيها على أثر اتفاق الحسن ومعاوية. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج١، ص٣٣٢. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص ٢٤٩ ـ ٢٥١.

(٢) شهادة أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله. انظر: النسخة الأصلية ب، ص١٩٢.

وقدم وفد حنيفة ومسيلمة الكذاب، فقال يا محمد، إن جعلت لي الأمر من بعدك صدقت، قال له النبي ﷺ: «لو سألتني هذه الخريدة، لخريدة[1] كانت بيده، ما أعطيتكها، ولن تعدو أمر الله، ولئن أدبرت ليعقرنك الله، وإني لأرى الذي رأيت».

وذلك أن النبي رأى في المنام كان بيده سواران من ذهب، فأهمه شأنهما، فاوحى إليه في المنام أن أنفخهما، فنفخهما، فأولهما الكذابين: أحدهما العنسي[2]، والآخر مسيلمة صاحب اليمامة، وستأتي قصته إن شاء الله في الباب الآتي.

وفي هذه السنة مات إبراهيم ابن النبي ﷺ، فبكى النبي عند موته، فقيل له: أتبكي، وتنهى عن البكاء؟ فقال: «إنما نهيت عن النوح، وعن الصوتين، صوت نغمة عند نعمةٍ، وصوت مرنه عند مصيبة»، ومات وهو ابن ستة عشر شهراً، وخسفت الشمس يومئذ، فقال الناس: خسفت الشمس لموت إبراهيم، فقال النبي ﷺ: «الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا يخسفان لموت أحد، وإذا رأيتم ذلك، فعليكم بالدعاء والتضرع إلى الله».

وفي هذه السنة، بعث النبي ﷺ، خالد بن الوليد في ربيع الآخر، أو

---

(١) «الجهرة لخرايدة» في النسخة الأصلية ب، ص١٩٢. والصحيح ما أثبتناه في المتن من نسخة دار الكتب الظاهرية.

(٢) العنسي: الأسود العنسي، هو عيهلة بن كعب بن عوف العنسي المذحجي، ذو الخمار، متنبئ من أهل اليمن. كان بطّاشاً جباراً، أسلم لمّا أسلمت اليمن، وارتدّ أيام النبي ﷺ، فكان أول من ارتدّ عن الإسلام، وادّعى النبوّة، ورأى قومه أعاجيب استهواهم بها، فاتبعته مذحج، وتغلّب على نجران وصنعاء، واتسع سلطانه حتى غلب على ما بين مغازة وحضرموت إلى الطائف إلى البحرين والإحساء إلى عدن، وجاءت كتب رسول الله ﷺ إلى من بقي على الإسلام في اليمن بالتحريض على قتله، وكان مقتله على يد فيروز قبل وفاة النبي بشهر واحد. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٥، ص١١١.

جمادى الأولى إلى بني الحارث بن كعب[١] بنجران، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم، وقال له: «إن استجابوا فاقبل منهم، وأقم فيهم، وعلمهم كتاب الله وسنة رسوله، ومعالم الإسلام، وإن لم يفعلوا فقاتلهم»، فخرج خالد إليهم، فلما قدم عليهم، بعث الركبان في كل وجهة، يدعون الناس إلى الإسلام، فأسلموا، ودخلوا فيما دعاهم إليه، فأقام فيهم يعلمهم كتاب الله، وسنة رسوله، وشرائع الإسلام، وكتب إلى رسول الله ﷺ، يعلمه بإسلامهم، (١٩٥) وكتب إليه النبي ﷺ: «إن قد وصل كتابك، فتكون تجيء إليّ ومعك الوفد منهم»، فأتى خالد ومعه الوفد من بني الحارث، فسلموا على النبي، وقالوا: نشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله. وأمر عليهم قيساً[٢]، وبعث إليهم عمرو بن حزم الأنصاري[٣] ليفقههم، ويأخذ صدقاتهم، فلبث فيهم حتى توفي النبي ﷺ، وقيل: بعث إليهم أبا عبيدة (عامر)[٤] بن الجراح.

وفي هذه السنة، قدم وفد الأزد، ورأسهم صرد بن عبد الله الأزدي في بضعة عشر رجلاً.

---

(١) الحارث بن كعب: الحارث بن كعب بن عمرو بن علّة، من مذحج، من كهلان، جدّ جاهلي، من نسله بنو الديان (رؤساء نجران) وشُريح بن هانئ (من أصحاب علي) ومطرف بن طريف، وآخرون، كلهم حارثيون كهلانيون من قحطان. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٢، ص١٥٧.

(٢) قيس: هو قيس بن مالك بن سعد الأرحبي الهمذاني، أمير يماني، من الصحابة، وفد على رسول الله ﷺ وهو بمكة، فأسلم وانصرف إلى قومه، ثم عاد إليه، فأخبره بأن قومه أسلموا: فقال: «نعم وافد القوم قيس» وولّاه إمرة «همذان» وكتب إليه عهده: «سلام عليكم، أما بعد، فإني استعملتك على قومك...». انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٥، ص٢٠٨. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٤٢١.

(٣) عمرو بن حزم: عمرو بن حزم بن زيد بن لوذان الأنصاري، أبو الضحاك، من الصحابة، شهد الخندق وما بعدها، واستعمله النبي ﷺ على نجران، وكتب له عهداً مطولاً، فيه توجيه وتشريع. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٥، ص٧٦.

(٤) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص١٩٣.

وفيها قدم وفد زبيد، وفيهم عمرو بن معد يكرب[1]، فأسلم، فلما مات النبي، ارتد، ثم أسلم.

وفيها قدم وفد بجيلة، فيهم جرير بن عبد الله البجلي[2]، ومعه مائة وخمسون من قومه، فأسلموا وبايعوا، وسأل النبي جريراً عما وراءه، قال: يا نبي الله، قد أظهر الله الإسلام، وهدمت القبائل أصنامها، قال: «فما فعل ذو الخلصة؟». قال: هو على حاله، فبعثه النبي إلى هدم ذي الخلصة[3]، وعقد له لواء، فقال جرير: إنيّ لا أثبت على الخيل، فمسح النبي صدره، وقال: اللهم اجعله هادياً مهدياً، فخرج من يومه، وخرج معه من قومه، زهاء مائتين، فما أطال الغيبة حتى رجع، فقال له النبي: أهدمته؟ قال: نعم، والذي بعثك بالحق، وأحرقته بالنار، وتركته كما يسوء أهله.

وفي هذه السنة، قدم وفد الزهاريين[4]، ووفد بني ثعلب[5]، ووفد بني

(١) عمرو بن معد يكرب: عمرو بن معد يكرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي: فارس اليمن، وصاحب الغارات المذكورة. وفد على النبي سنة ٩هـ في عشرة من بني زبيد، فأسلم وأسلموا، وعادوا، ولما توفي النبي ﷺ ارتدّ عمرو في اليمن، ثم رجع إلى الإسلام، فبعثه أبو بكر إلى الشام، فشهد اليرموك، وذهبت فيها إحدى عينيه، وبعثه عمر إلى العراق، فشهد القادسية، وكان عصي النفس أبيّها، فيه قسوة الجاهلية، يكنى أبا ثور. وأخبار شجاعته كثيرة. له شعر جيد. توفي على مقربة من الري. وقيل: قتل عطشاً يوم القادسية. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٥، ص٨٦. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٢٦١ ـ ٢٦٢.

(٢) جرير بن عبد الله البجلي: هو جرير بن عبد الله بن جابر، أبو عمر، وقيل: أبو عبد الله البجلي. أسلم قبل وفاة النبي ﷺ بأربعين يوماً، وكان حسن الصورة، كما قال عنه عمر: جرير يوسف هذه الأمة، وهو سيد قومه، وكان له في حروب العراق القادسية وغيرها أثر عظيم، وكانت بجيلة متفرقة فجمعهم عمر بن الخطاب، وجعل عليهم جريراً، وأقام جرير بالكوفة، ثم سار عنها إلى قدقيسياء، فمات بها، وقيل: مات بالسراة. انظر: ابن الأثير؛ أبي الحسن علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص٥٢٩ ـ ٥٣١.

(٣) ذو الخلصة: صنم كانت تعبده بجيلة.

(٤) والصحيح الرهاويون: وفي الطبري: «وفيها قدم وفد الرّهاويين». انظر: الطبري؛ محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، المجلد الثاني، ص١٦٢.

(٥) بنو ثعلب: والصحيح بنو ثعلبة، وثعلبة ستة جدودها جاهليين، لا يعرف أيهم أراد المؤلف.

عبس[١]، ووفد مراد[٢]، ورأسهم فروة بن مسيك[٣]، المرادي، فاستعمله النبي على مراد ومذحج[٤]، وقدم وفد غسان، ووفد خولان[٥]، وهم عشرة.

وكان رسول الله ﷺ، إذا قدم إليه الوفد، لبس أحسن ثيابه، وأمر أصحابه بذلك.

وقدم وفد عامر بن صعصعة[٦]، وفيهم عامر بن الطفيل، وأزيد بن ربيعة،

---

(١) عبس: عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان من عدنان، جدّ جاهلي، بنوه العبسيّون، ومنهم عنترة بن شداد في الجاهلية، منازلهم قبل الإسلام بنجد، وتفرقوا بعد ذلك، فلم يبقَ في الدار النجدية منهم أحد. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٤، ص١٨٧.

(٢) مراد: واسمه يحابر بن مالك (وهو مذحج) بن أدد بن زيد، من كهلان، من القحطانية، جدّ جاهلي يماني، بنوه قبيلة كبيرة وبطون. قيل لعمرو بن معد يكرب: ما قولك في مراد؟ فقال: «أولئك الأتقياء البررة، والمساعير الفخرة، أكرمنا قراراً، وأبعدنا آثاراً». من نسله فروة بن مسيك الصحابي، وشريك بن عمرو بن عبد يغوث من فرسان القادسية. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٧، ص١٩٩.

(٣) فروة بن مسيك: فروة بن مسيك (أو مسيكة) بن الحارث بن سلمة الغطيفي المرادي، أبو عمر: صحابي، من الولاة، له شعر، وهو من اليمن. كان موالياً لملوك كندة في الجاهلية، ووقعت حرب بين قبيلته مراد وهمذان، وأثخنت همذان في قبيلته، فرحل إلى مكة وافداً على النبي ﷺ سنة تسع وأسلم. ونزل على سعد بن عبادة، وتعلم القرآن وفرائض الإسلام وشرائعه، وأجازه النبي ﷺ بمبلغ من المال، وأعطاه حلّة من نسيج عُمان، واستعمله على مراد، ومذحج، وزبيد، وكتب له كتاباً فيه فرائض الصدقة، فعاد إلى بلاده. قاتل أهل الردّة، وبقي إلى خلافة عمر، وأقرّه عمر. وسكن الكوفة في أواخر أعوامه. توفي سنة ٣٠هـ. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٥، ص١٤٣ وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص ٤٤٣ ـ ٤٤٤.

(٤) مذحج: واسمه مالك بن أدد بن زيد، من كهلان، جدّ جاهلي، يماني قديم، من القحطانية من نسله «سعد العشيرة» و«عنس» و«مراد» و«النخع» وبنو «عبد المدان» و«زبيد» والحارثيون ملوك نجران بنو الحارث بن كعب، وبنو الديان، وبنو سنان، وكان بحضرموت منهم خلق كثير. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٧، ص١٩٨.

(٥) خولان: خولان بن عمرو الحاف بن قضاعة، جدّ جاهلي يماني، من بني كهلان، من القحطانية، تُنسب إليه بلاد خولان شرقي اليمن. وكان منهم كثيرون في جبال السراة. وفي خولان كانت النار التي عبدتها اليمن أيام انتشار المجوسية فيها. ومن قبائلهم «الربيعة» و«العقارب» و«بنو بحر» و«بنو عوف» و«بنو مالك» و«بنو حرب» و«بنو منبه» و«بنو غالب» و«العبدليون» و«الزبيديون» و«مران» و«الكرب» و«رازح». انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٢، ص٣٢٥.

(٦) عامر بن صعصعة: عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر، من قيس عيلان، من العدنانية، جدّ جاهلي، بنوه بطون كثيرة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٢٥١.

فأقبلا يريدان النبي ﷺ، وهو جالس في نفر من أصحابه، فدخلا المسجد، فاستشرف الناس بجمال عامر، وكان أجمل الناس، فقال رجل: يا رسول الله، هذا عامر بن الطفيل، قد أقبل نحوك، فقال النبي: «دعه، فإنه دخل بوجه غادر وعقبى كافر»، فأقبل إلى النبي، وقام له النبي، ثم قال: يا محمد، ما لي إن أسلمت؟ قال: «لك ما للمسلمين، وعليك ما عليهم».

قال: أتجعل لي الأمر بعدك؟ (١٩٦) قال: «ليس ذلك إليّ، إنما ذلك إلى الله، يجعله حيث يشاء». قال: أتجعلني على الوبر، وأنت على المدر؟ قال: لا، قال: فماذا تجعل لي؟ قال: «أجعل لك أعنّة الخيل تقاتل عليها في سبيل الله»، قال: أَوَلَيس ذلك لي اليوم؟ ثم قال: يا محمد، قم معي (أكلمك)[1]، فقام إليه النبي، وقال عامر لأزيد: إذا رأيتني أكلمه، فدر من خلفه، واضربه بالسيف، فجعل عامر يخاصم النبي ويراجعه، فدار أزيد خلف النبي ليضربه بالسيف، فاشترط من سيفه قدر شبر، فأمسكه الله، ويبست يده، فلم يقدر على سلّه، وجعل عامر يومي إليه، فالتفت النبي إليه، فرآه وما صنع بسيفه، فقال: اللهم اكفيهما بما شئت، ومضى عنهما.

فخرجا من عنده، فأرسل على أزيد صاعقة في يوم ضحو قائظ فأحرقته، وولى عامر هارباً، وقال: يا محمد، دعوت ربك يقتل أزيد، والله لأملأنها عليك خيلاً جرداً، وفتياناً مرداً. قال النبي: «يمنعك الله من ذلك».

ومضى عامر، فنزل بيت امرأة سلوليّة، فلما أصبح، لبس سلاحه، وخرج إلى الصحراء، وجعل يركض فرسه، ويقول: إبرز يا ملك الموت، وينشد الأشعار، ويرتجز، ويقول: لئن أصحر إليّ محمد بصاحبه، يعني ملك الموت لشككتهما برمحي (قوله أصحر: معناه برز إليه محمد وملك الموت بالصحراء)، فأرسل

---

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ١٩٤.

الله إليه ملكاً، فلطمه بجناحه، فأرداه عن فرسه في التراب، وخرجت على ركبته في ذلك الوقت غدّة عظيمة، وعاد إلى بيت السلولية غدّة كغدّة البعير، وموت في بيت السلولية. ثم ركب فرسه، وجعل يجريه، حتى مات على ظهره، فأنزل الله: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾ [الرعد: ١٣].

وفي هذه السنة، بعث النبي ﷺ، جرير بن عبد الله البجلي إلى ذي الكلاع باكور بن حبيب بن مالك بن حسان بن تبع، وهو ملك من ملوك الطوائف[١]، وكان قد استعلى، وادعى الربوبية (وأُطيع)[٢]، فأرسل إليه النبي جريراً، فأسلم، وأسلمت امرأته خزينة[٣] بنت أبرهة بن الصباح، ووفد على عمر بن الخطاب، من بعد موت النبي، في ثمانية عشر ألفاً من الأعنّة، وعتق من عبيده أربعة آلاف عبد، ثم قال: يا أمير المؤمنين، لي ذنب ما أظن الله (١٩٧) يغفره، قال عمر: ما هو؟ قال: تواريت (يوماً)[٤] عمنّ تعبّد لي، ثم أشرفت من مكان عالٍ، فسجد لي حينئذ زهاء مائة ألف إنسان. قال عمر: التوبة بإخلاص، والإنابة بإقلاع، يرجى بها مع رأفة الله والغفران.

وفي هذه السنة، أسلم فروة الجذامي[٥]، وكان عاملاً للروم، فكتب إلى

---

(١) وردت في المخطوطة «ملك من ملوك الطائف» والصحيح: «ملك من ملوك الطوائف» فهو أحد ملوك اليمن المعروفين بالأذواء.

(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ١٩٥.

(٣) وردت في نسخة دار الكتب الظاهرية «صريمة» والصحيح ما أثبتناه في المتن من النسخة الأصلية ب، ص ١٩٥.

(٤) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ١٩٥.

(٥) فروة الجذامي: فروة بن عمرو بن النافرة، من بني نفاثة، من جذام: أمير. كان قبيل الإسلام وفي عهد النبوة، عاملاً للروم على قومه بني النافرة (بين خليج العقبة وينبع) وعلى من كان حوالى معان من العرب. ولما انتشر الإسلام بمكة والمدينة، وحدثت وقعة تبوك، بعث إلى رسول الله ﷺ يعلن إسلامه، وأهدى إليه بغلة بيضاء. وعلمت حكومة «قيصر» باتصاله هذا، فسلطت عليه الحارث بن أبي شمر الغساني «ملك الغساسنة» فاعتقله وصلبه بفلسطين. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٥، ص ١٤٣. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٣٤١ ـ ٣٤٢.

رسول الله، (صلى الله عليه وسلم)[١]، بإسلامه، وبعث به مع رجل من قومه، يقال له مسعود، وبعث معه للنبي بغلةً بيضاء، وفرساً، وحماراً، وأثواباً، وقباءً من سندس مخوّص بالذهب. فلما وصل رسوله إلى النبي، فكتب إليه النبي: «من محمد رسول الله، إلى فروة بن عمرو، أما بعد، فقد قدم إلينا رسولك، وبلغ ما أرسلت، وأخبر عمّا قبلك، وأتانا بإسلامك، فإن الله قد هداك بهداه». وأمر بلالاً، فأعطى رسوله اثنتي عشرة أوقية من الذهب.

وبلغ إسلام فروة إلى ملك الروم، فدعاه، وقال له: أرجع عن دينك، نملكك، قال: لا أفارق دين محمد، فإنك قد تعلم أن محمداً بشَّرَ به عيسى، ولكن تظن بملكك، فحبسه، ثم أخرجه وصلبه وقتله.

وفي هذه السنة، بعث النبي معاذ بن جبل إلى أهل اليمن في شهر رمضان، وقال له: «لا تقاتلهم حتى يقاتلوك، وأمرهم بوظائف الإسلام، فإنه إن يُهدى على يديك رجلٌ واحدٌ، خير لك مما طلعت عليه الشمس»، فأسلم عامة أهل اليمن ملوكهم وعوامّهم.

وفي هذه السنة، قدم وفد السليمانيين[٢] في شوال، وهم سبعة نفر، رأسهم حبيب السليماني[٣].

وفي هذه السنة، خرج بديل بن ورقاء[٤]، أبو مارية، في تجارة إلى الشام،

(١) سقطت من النسخة الأصلية ب، ص١٩٥.
(٢) السليمانيين: والصحيح السلامانيين.
(٣) حبيب السليماني: والصحيح حبيب بن عمرو السلاماني.
(٤) بديل بن ورقاء: بديل بن ورقاء بن عبدالعزى بن ربيعة الخزاعي، أسلم هو وابنه عبدالله بن بديل وحكيم بن حزام يوم فتح مكة بمر الظهران. وذكر ابن اسحاق أن قريشاً يوم فتح مكة لجأ إلى دار بديل بن ورقاء الخزامي، ودار مولاه رافع، وشهد بديل وابنه عبدالله حنيناً، والطائف، وتبوك، وكان بديل من كبار مسلمة الفتح، وقد قيل: إنه أسلم قبل الفتح، وروت عنه حبيبة بنت شريق، وابنه سلمة بن بديل. انظر: ابن عبدالبر؛ يوسف بن عبدالله: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج١، ص٣٧٧ - ٣٧٨.

وصحبه تميم الداري[١]، وعدي بن زيد، وهما على النصرانية، ومرض بديل، وكتب وصية، وجعلها في متاعه، وكتب بها جميع ما عنده، ومات.

فقدما تميم وعدي بمتاعه إلى أهله، فلم يجدوا جاماً من فضة منقوشاً بالذهب، فيه ثلاثمائة مثقال فضة، وكانا قد أخذاه، وطلبه ورثة بديل منهما، فانكراه، وترافعا إلى النبي ﷺ، فأنزل الله: ﴿شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ [المائدة: ١٠٦] تمام (الآيات)[٢].

فلما صلى النبي صلاة العصر، دعا عديّاً وتميماً، فاستحلفهما عند المنبر بالله الذي لا إله إلّا هو، أنهما لم يخفيا شيئاً مما دفع إليهما (١٩٨) بديل، فحلفا على ذلك، فخلّى سبيلهما. ثم ظهر الإناء في مكة، فقال الذي بيده: إنا اشتريناه من تميم وعدي، فقام اثنان من ورثة الميّت، وقالا: يا رسول الله (قد)[٣] ظهر الإناء، فاستحلفهما النبي بالله أن تميماً وعديّاً خانا وكذبا، فحلفا على ذلك، فدفع الإناء إليهما. ثم أسلم تميم، فقال: صدق رسول الله، قد كنّا أخذناه، وبعناه بألف درهم، فاستغفر الله من ذلك، وتائب إليه.

وفي هذه السنة، مات باذان والي اليمن، ففرّق النبي عملها بين شهر بن باذان، وعامر بن شهر الهذاني، وأبي موسى الأشعري[٤]، وخالد بن سعيد،

---

(١) تميم الداري: وهو تميم بن أوس بن خارجة بن سواد بن جذيمة بن دراع بن عدي بن الدار بن هانئ بن حبيب بن لمازة بن لخم بن عدي، ينسب إلى الدار، وهو بطن من لخم، يكنّى أبا رقية بابنةٍ له تسمى رقية، ولم يولد له غيرها، كان نصرانياً، وكان أسلم في سنة تسع من الهجرة، وكان يسكن المدينة، ثم انتقل منها إلى الشام بعد مقتل عثمان، وروى عنه عبد الله بن وهب، وسليم بن عامر، وشرحبيل بن مسلم، وقبيصة بن ذؤيب، وعطاء بن زيد الليثي. انظر: ابن عبد البر؛ يوسف بن عبد الله: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج١، ص٢٣٦.

(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص١٩٥.

(٣) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص١٩٦.

(٤) أبو موسى الأشعري: عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب، أبو موسى من بني الأشعر، من قحطان، صحابي، من الولاة الفاتحين، وأحد الحكمين اللذين رضي بهما علي =

ويعلى بن أمية[١]، وعمرو بن حزم، وزياد بن لبيد[٢]، على حضرموت، وعكاشة بن ثور[٣]، على السكاسك[٤].

وفي هذه السنة، حج رسول الله حجة الوداع، وأخرج نساءه في الهوادج، وذلك يوم السبت لخمس ليال بقين من ذي القعدة، وصلى الظهر بذي

= ومعاوية بعد حرب صفين. ولد في زبيد في اليمن، وقدم مكة عند ظهور الإسلام، فأسلم، استعمله رسول الله ﷺ على زبيد وعدن، وولاه عمر بن الخطاب البصرة سنة ١٧هـ، ولما ولي عثمان أقرّه عليها، ثم عزله، فانتقل إلى الكوفة، فطلب أهلها من عثمان توليته عليهم، فولّاه، فأقام بها إلى أن قتل عثمان، فأقرّه علي. ثم كانت وقعة الجمل، وأرسل علي يدعو أهل الكوفة لينصروه، فأمرهم أبو موسى بالقعود، فعزله علي، فأقام إلى أن كان التحكيم وخدعة عمرو بن العاص، فارتدّ أبو موسى إلى الكوفة، وتوفي بها سنة ٤٤هـ. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٤، ص١١٤. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص ٣٦٤، ٣٦٦.

(١) يعلى بن أمية: يعلى بن أمية بن أبي عبيدة (واسمه عبيد، ويقال زيد) بن همام التميمي الحنظلي: أول من أرّخ الكتب. وهو صحابي، من الولاة، ومن الأغنياء الأسخياء من سكان مكة، كان حليفاً لقريش، وأسلم بعد الفتح، وشهد الطائف وحنيناً وتبوك مع النبي ﷺ، واستعمله أبو بكر على حلوان في الردّة، ثم استعمله عمر على نجران، واستعمله عثمان على اليمن، فأقام بصنعاء. ولما قتل عثمان انضم يعلى إلى الزبير وعائشة، ويروى عن علي: أسرع الناس إلى الفتنة يعلى بن أمية. قتل في صفين سنة ٣٧هـ. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٨، ص٢٠٤. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٥، ص ٤٨٦.

(٢) زياد بن لبيد: زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدي بن أمية بن بياضة بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي البياضي، يكنى أبا عبدالله. خرج إلى رسول الله ﷺ، وأقام معه بمكة حتى هاجر، فعاد معه إلى المدينة، فكان يقال له: مهاجري أنصاري. شهد العقبة، وبدراً، وأُحداً، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، واستعمله رسول الله على حضرموت. توفي في أول أيام معاوية. انظر: ابن الأثير؛ علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص١٧٣ - ١٧٤.

(٣) عكاشة بن ثور: عكاشة بن ثور بن أصغر الغوثي. كان عاملًا لرسول الله ﷺ على السكاسك والسكون وبني معاوية من كندة. انظر: ابن الأثير؛ علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص٦٧.

(٤) السكاسك: سكسك بن أشرس بن كندة، جدّ جاهلي يماني. يقال لبنيه «السكاسك» والواحد سكسكي، كان منهم في الشام واليمامة. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٣، ص١٠٥.

الحليفة، فولدت أسماء بنت عميس بمحمد بن أبي بكر[١]، فأرسلت إلى النبي، كيف أصنع؟ قال: اغتسلي، واستشعري بثوب، وأحرمي. وأحرم بالحج في ذي الحليفة.

فلما قدم مكة، طاف، وسعى، فلما كان يوم منى ركب إلى منى، وصلى بها الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء الآخرة، والفجر، وركب ناقته، ووقف بمحسر، حتى طلعت الشمس على رؤوس الجبال، وسار إلى عرفات، وضربت له بها قبّة.

فلما زالت الشمس عن الرأس، قام، واغتسل، وصلى، وخطب الناس، فقال: «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلا بحقها وفي حقها، ألا كل شيء من أمر الجاهلية، فهو موضوع تحت قدمي، ألا واتقوا الله في النساء، فإنكم إن أخذتموهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطين فرشكم أحداً تكرهونه، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم شيئاً لن تضلوا بعده، كتاب الله وسنتي، فما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله، فما وافق، فهو عني، فاقبلوه، وما خالف، فليس عني، فدعوه».

ولم يزل ﷺ، إلى أن غربت الشمس، ثم نزل إلى جمع، فصلى بها المغرب والعشاء، ولمّا طلع الفجر، صلى بغلس، حتى أتى المشعر الحرام، فاستقبل (١٩٩) القبلة، فحمد الله، وهلله، وكبره، ووحده، ودفع قبل أن تطلع

(١) محمد بن أبي بكر: محمد بن عبد الله (أبي بكر) بن عثمان بن عامر التميمي القرشي: أمير مصر، وابن الخليفة الأول أبي بكر الصديق، كان يدعى «عابد قريش» ولد بين المدينة ومكة في حجة الوداع، ونشأ بالمدينة في حجر علي بن أبي طالب، وشهد مع علي وقعتي الجمل وصفين. وولّاه علي إمارة مصر بعد موت الأشتر سنة ٣٧هـ، فبعث معاوية عمرو بن العاص بجيش من أهل الشام إلى مصر فدخلها حرباً بعد معارك شديدة، فقبض معاوية بن حديج على محمد بن أبي بكر وقتله وأحرقه. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٦، ص٢١٩ - ٢٢٠. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٥، ص ٩٧ ـ ٩٨.

الشمس، ورمى جمرة العقبة، وذبح نسكة، وحلق، ثم مضى إلى مكة، وطاف طواف الزيارة، وسعى بين الصفا والمروة، ورجع إلى منى، فأقام بها أيام منى، ثم ودّع البيت، وخرج إلى المدينة.

وفي هذه السنة قدم وفد محارب، وهم عشرة نفر، فأسلموا، وكان فيهم رجل عرف النبي، فقال الرجل: الحمد لله الذي أبقاني حتى صدقت بك، قال النبي: «إن هذه القلوب بيد الله، ومسح وجه خزيمة، فصارت له غرّة بيضاء، وأجازهم كما يجيز الوفود، وانصرفوا.

وفي هذه السنة، جيء إلى النبي بغلام صغير، فقال له (النبي)[1]: من أنا؟ قال: أنت رسول الله، فقال النبي: صدقت، بارك الله فيك. ثم إن الغلام لم يتكلم بعدها حتى شبّ، وكان كهيئة من يتكلم من الصبيان، وكان يسمى مبارك اليمامة.

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص١٩٧.

فصل: (أعرابي يحاول قتل النبي ﷺ)

قيل: نزل النبي ﷺ، تحت شجرة، وعلّق سيفه بها، ونام، فجاء أعرابي، وأخذ سيف النبي، واخترطه، فقال: يا محمد، من يمنعك مني؟ قال: الله تعالى، فرعبت يد الأعرابي، حتى سقط السيف من يده، وضرب برأسه الشجرة، حتى انتثر دماغه.

(وقيل: خرج النبي ﷺ، ذات يوم)[1] إلى وادي إضم، وكان بذلك الوادي رجل مشرك، يقال له «ركانة»، وكان من أفتك الناس وأشدهم، يرعى غنماً له. فلما رأى النبي، وليس معه أحد، قام إليه، وقال: يا محمد، أنت الذي تشتم آلهتنا اللات والعزى؟ فلولا رحم بيني وبينك، ما كلمتك حتى أقتلك، ثم قال: هل تصارعني؟ وتدعو إلهك العزيز الحكيم يعينك عليّ؟ وأنا أدعو اللات والعزى، فإن أنت صرعتني، فلك عشر من غنمي، تختارها أنت، قال النبي: «نعم، إن شئت تصارعنا»، فأخذه، فصرعه، وجلس على صدره، فقال ركانة: قم، فلست أنت الذي فعلت بي هذا، إنما فعله العزيز الحكيم، وخذلتني اللات والعزى، فما وضع أحد جنبي قبلك، قال ركانة: نتصارع ثانية، فإن صرعتني، فلك عشرة أخرى من غنمي، من خيارها، (فتصارعا)[2] فصرعه النبي، وجلس على صدره، ثم تصارعا ثالثة، فصرعه النبي، فقال ركانة للنبي: دونك ثلاثين من غنمي، فاخترها. فقال النبي: لا أريدها، ولكني أدعوك إلى الإسلام، فقال: ألا تريني آية؟ وكان بقربهما شجرة ذات فروع وأغصان، (٢٠٠) فدعا إليها النبي، وقال لها: تعالي بإذن الله، فانشقت اثنتين، وأقبل منها شق (بفروعه وقضبانه)[3]، حتى

---

(١) وفي نسخة دار الكتب الظاهرية (وقيل: إن النبي ﷺ خرج ذات يوم) وما أثبتناه في المتن من النسخة الأصلية ب، ص١٩٧.

(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص١٩٧.

(٣) وفي النسخة الأصلية ب، «بفروعها وقضبانها».

كانت بين أيدي النبي، وبين أيدي ركانة، فقال: أريتني عظيماً، فمرها فلترجع، فقال له: «الله عليك شهيد، إن أنا أمرتها، فرجعت، أن تجيبني إلى الإسلام»، قال: نعم، فأمرها النبي، فرجعت إلى مكانها، والتأمت بشقها كما كانت. فقال له النبي: «أسلم تسلم». فقال: لقد أريتني عظيماً، ولكن علمت نساء المدينة وصبيانهم، فأنا أكره أن يتحدثوا بي، إنما أجبتك لرعب دخل قلبي، ولم يدخل قلبي رعب قط، وما وضع جنبي أحد قبلك، فاختر غنمك. قال النبي: «ليس لي به حاجة»، وانطلق راجعاً.

وأقبل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، يلتمسانه من بيت عائشة، فأخبرتهما أنه قد توجه قبل وادي إضم، فخرجا في طلبه، وأشفقا عليه أن يلقاه ركانة، فيقتله، فجعلا يصعدان على كل شرف، إذ نظرا إليه مقبلاً، فقالا: يا نبي الله، كيف تخرج إلى هذا الوادي وحدك، وقد عرفت أنه جهة ركانة؟ وأنه من أفتك الناس؟ فضحك، وقال: أليس يقول الله: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، ثم أنشأ يحدثهما بما جرى بينهما، فعجبا، وقالا: أصرعت ركانة؟ فَوَالذي بعثك بالحق، ما نعلم أحداً وضع جنبه قط. قال النبي: «أعانني عليه الله ببضع عشرة ملكاً».

فصل: قصة ثعلبة بن حاطب الأنصاري

قيل: أتى ثعلبة (إلى)[1] النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، ادعِ لي الله أن يرزقني مالاً، فقال له: «ويحك يا ثعلبة، قليل تؤدي شكره خير، من كثير لا تطيقه». ثم أتاه ثانية، فقال: أدعِ الله أن يرزقني مالاً. فقال له: «أما لك في رسول الله أسوة حسنة؟ فوالذي نفسي بيده، لو أردت أن تصير لي الجبال ذهباً لصارت». ثم أتاه ثالثة، وقال: أدعِ الله أن يرزقني مالاً، فوالله الذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالاً، لأعطينّ كل ذي حق حقه. فقال النبي: «اللهم ارزق ثعلبة مالاً».

وسار ثعلبة، فأتخذ غنماً، فنمت كما ينمو الدود، فضاقت عليه المدينة، فتنحّى عنها بوادٍ من أوديتها، وهي تنمو، وكان يصلي مع النبي الظهر، والعصر، ويصلي في غنمه سائر الصلوات. ثم كثرت ونمت، وتباعدت عن المدينة، فصار لا (٢٠١) يشهد إلّا الجمعة، ثم كثرت، ونمت وتباعدت، حتى صار لا يشهد الجمعة ولا جماعة. فذكر النبي ذات يوم، فقال: «ما فعل ثعلبة؟»، فقيل له: يا رسول الله، اتخذ غنماً ما وسعها وادٍ، قال: «يا ويح ثعلبة»، قالها ثلاثاً، وأنزل الله آية الصدقة.

فبعث إليه رجلاً من بني سليم، ورجلاً من جهينة، وكتب لهما سنن الصدقة، وكيف تؤخذ، وقال لهما: «مرّا بثعلبة، وبرجل من بني سليم، فخذا صدقاتهما».

فخرجا حتى أتيا ثعلبة، فسألا الصدقة، وقرأ عليه كتاب رسول الله، فقال: ما هذه الأجزية؟ انطلقا حتى تفرغا، ثم عودا إليّ فانطلقا.

وسمع بهما السلمي، فنظر إلى خيار أسنان إبله، فعزل لهما الصدقة، واستقبلهما، فلما رأياه، قالا: هذا ما عليك؟. قال: خذاه، فنفسي بذلك طيّبة،

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص١٩٨.

فمـرا علـى الناس، فأخذا الصدقات، ورجعا إلى ثعلبـة، فلما أتياه، قال: أروني كتابكما، فأرياه، وقرأه، فقال: ما هذه الأجزية؟ ما هذه إلّا أخت الجزية؟ إذهبا حتى أرى رأياً.

فمضيا من عنده، حتى أتيا رسـول الله، فلما رآهما، قال: «يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة»، ودعا للسـلمي بخير، فأخبراه بما صنع ثعلبة، فأنزل الله: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَـئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ﴾ [التوبـة: ٧٥] إلـى ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُـيُوبِ﴾ [التوبة: ٧٨].

وكان عنـد رسـول الله رجـل من أقارب ثعلبة، فسـمع ذلـك، فخرج حتى أتـاه، قـال: يا ثعلبة، قد أنـزل الله فيك كذا وكذا، فخرج ثعلبـة إلى النبي (عليه السـلام)[1]، وسـأله أن يقبل منه صدقة، فقال: «إن الله منعني من أن أقبل منك صدقتـك»، فجعـل يحثو على رأسـه التراب، فقـال له النبي: «هـذا عملك، قد أمرتـك فلـم تطعني»، ثـم أتى أبا بكـر، فأبى أن يقبـل منه، ورجع إلـى منزله، وقبض رسول الله، ولم يقبض منه شيئاً.

ثم أتى أبا بكر حين استخلف، فقال: قد علمت منزلتي من رسول الله ﷺ، وموضعي من الأنصار، فاقبل صدقتي. فقال أبو بكر: لم يقبلها منك رسول الله، فأنا لا أقبلها. ثم قبض أبو بكر، ولم يقبضها منه.

ثـم أتى عمر بن الخطـاب رضي الله عنه، فلم يقبلها منه. ثم أتـى عثمان بن عفان، بعدما استخلف، فلم يقبلها منه. ومات ثعلبة في خلافة عثمان بن عفان، وذلك جـزاء مـن أخلف وعده مـع الله. وثعلبة قال: لئن أتانـا الله من فضله لنصدقن، ولنكونـنّ مـن الصالحيـن، فلما أتاه الله مـن فضله بخل به، فكانـت عاقبة أمره حرمان التوبة، ومات جزاءً لإخلافه الوعد.

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص١٩٩.

وعـن ابن عمر، قال: قال رسـول الله ﷺ: (٢٠٢) «أربع مـن كُنّ فيه، فهو منافـق، ومـن كانت فيه خصلة منهنّ، كانت فيه خصلة من النفاق، حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا وعد خلف، وإذا اؤتمن خان، وإذا خاصم فجر». أعاذنا الله من النفاق، فالمنافق شرّ من المشرك، لأن المشرك يتميز من حيّز المسلمين، ولـم يغتر به أحد، وهذا داخل في حيّز المسـلمين، وربما غرّ بما يظهر منه من الموافقـة بالقول، وفعله خـلاف ذلك، فطهّروا أيها النـاس قلوبكم من النفاق، فإن المنافق في الدرك الأسفل من النار، ولن تجد له نصيراً.

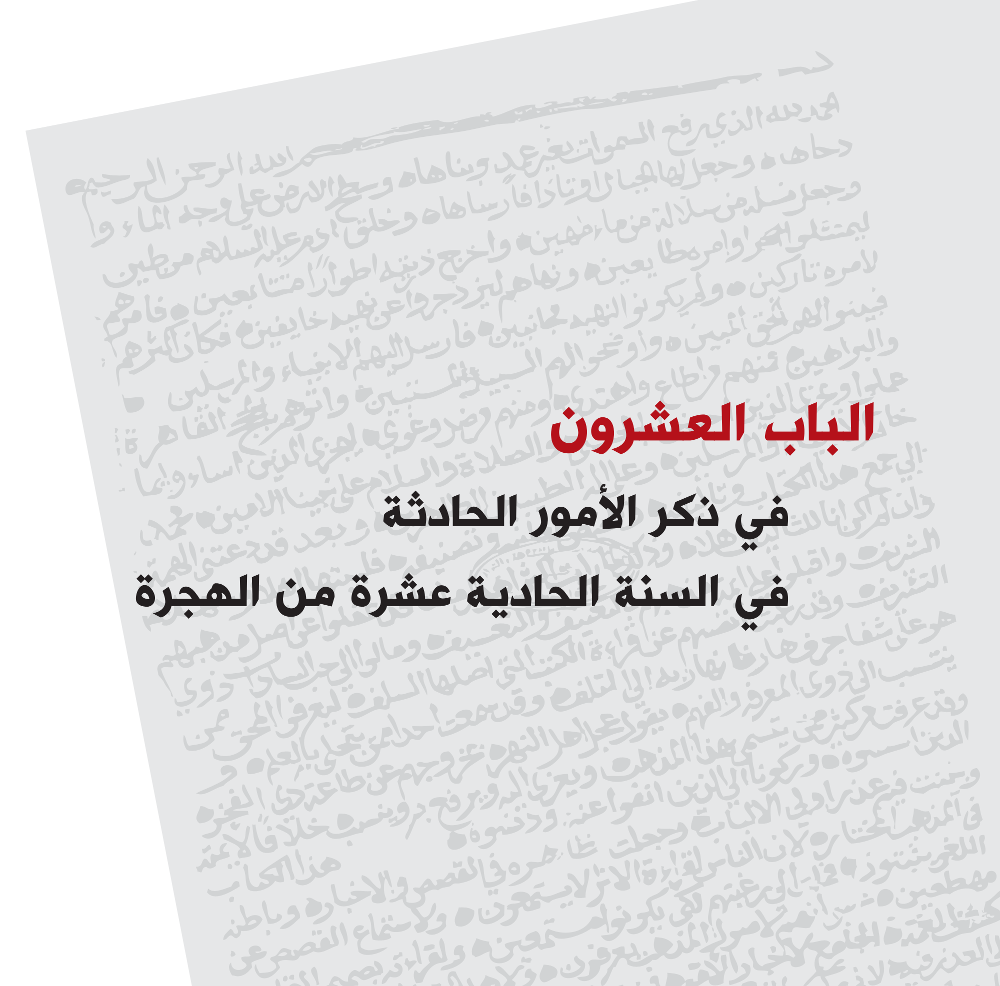
فصل: قصة النباش

قيل: دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، على النبي ﷺ، وهو يبكي، فقال له النبي: «ما يبكيك يا عمر؟» فقال: إن بالباب شاب يبكي، قد أحرق فؤادي ببكائه. فقال (النبي)[1]: «أدخله»، فأدخله وهو يبكي، فقال النبي: «ما شأنك يا شاب؟» قال: يا رسول الله أبكتني كثرة زنوبي، وخفت من جبار السماوات غضبان عليّ. قال له: «أشركت بالله يا شاب؟»، قال: لا، قال: «أقتلت نفساً بغير حق؟»، قال: لا، قال: «فإن الله يغفر لك ذنبك، ولو كان مثل السماوات السبع والأرضين السبع، والجبال الرواسي». قال: يا رسول الله، ذنب من ذنوبي أعظم من السماوات والأرض والجبال، قال: «ذنبك أعظم أم العرش؟»، قال: بل ذنبي. قال: «ذنبك أعظم أم الكرسي؟»، قال: ذنبي، قال: «ذنبك أعظم أم إلهك؟»، قال: بل الله عز وجل وعظم. قال: «ربنا العظيم، ولا يغفر الذنب العظيم إلّا الله العظيم». قال: «أخبرني عن ذنبك». قال: أستحي من وجهك يا رسول الله، قال: أخبرني عن ذنبك، قال: كنت رجلاً شاباً منذ سبع سنين، حتى ماتت جارية من الأنصار، فنبشت قبرها، وأخرجتها من كفنها، ومضيت غير بعيد، فغلبني الشيطان على نفسي، فرجعت فجامعتها، ومضيت غير بعيد، فرأيت الجارية، وقالت: لك الويل يا شاب من ديّان يوم الدين، يوم يضع كرسيه للقضاء بين الظالم والمظلوم من الظلم، (لِمَ الظلم؟)[2] تركتني عريانة في عسكر الموتى، وأوقفتني جنباً بين يدي الله، فطرده رسول الله ﷺ، وهو يضرب على قفاه ويقول: «يا فاسق، إخرج عني، فما أقربك من النار».

(١) سقطت من النسخة الأصلية ب، ص١٩٩.
(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٢٠٠.

فخـرج باكيـاً حزينـاً، وهو يتضرع إلـى الله، حتى أتى عليه ما شـاء الله، ثم قال: إله محمد وآدم وحواء، إن كنت غفرت لي، فاعلم محمداً وأصحابه، وإلا فارسل ناراً من السماء، فاحرقني (٢٠٣) بها، ونجنّي من عذاب الآخرة.

فجـاء جبريـل إلى النبي، ولـه جناحان: جناح بالمشـرق وجناح بالمغرب، وقال: السلام يقرئك السلام. قال النبي: «هو السلام، وإليه يعود السلام»، قال: يقول: أنت خلقت خلقي؟ قال: «لا، بل هو خلقني». قال: يقول: أنت ترزقهم؟ قال: «لا، بل هو يرزقني». قال: يقول: أنت تتوب عليهم؟ قال: «لا بل هو يتوب عليّ». قال: فتب على عبدي. قال النبي: «الشاب؟» فأخبره أن الله قد تاب عليه، وقرأ عليه: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].



الباب العشرون

في ذكر الأمور الحادثة

في السنة الحادية عشرة من الهجرة

ففي هذه السنة، قدم وفد النخع[١] للنصف من المحرّم، وهم مائتا رجل، مقرّين بالإسلام، وقد بايعوا معاذ باليمن، وهم آخر من قدم على رسول الله ﷺ.

وفي هذه السنة، كانت سريّة أسامة بن زيد، وذلك أن النبي ﷺ، أمر الناس بالتهيؤ إلى غزوة الروم، في يوم الاثنين، لأربع ليال بقين من شهر صفر، ودعا أسامة بن زيد، وقال: سر إلى مقتل أبيك، فأوطئهم بالخيل، فقد وليتك هذا الجيش، فاغزِ صباحاً على بني الأصفر، وأحرق عليهم الأزمة، فإن أظفرك الله بهم، فأقلل اللبث فيهم، وخذ معك الأدلاء، وقدّم العيون والطلائع أمامك، وعقد له لواءً بيده، وقال: «اغزِ في سبيل الله، باسم الله، فقاتل من كفر بالله».

فخرج أسامة بن زيد، وعسكر بالجرف[٢]، فلم يبقَ أحد من المهاجرين والأنصار إلّا انتدب لتلك الغزوة، وتكلم ناسٌ، فقالوا: يستعمل على

---

(١) النخع: واسمه «جَسْر» بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك بن أدد، جدّ جاهلي يماني، بنوه قبيلة كبيرة من مذحج. نزل بيشة باليمن، ونزل بعض نسله في الإسلام الكوفة، قال عبدالله بن مسعود: شهدت رسول الله ﷺ يدعو لحيّ من النخع، حتى تمنيّت أني رجل منهم. بنوه بطون كثيرة، منها: صبهان، وهبيل، وجسر، وجذيمة، وحارثة، وسعد بن مالك. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٨، ص ١٤.

(٢) الجرف: موضع على بُعد ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام، به كانت أموال لعمر بن الخطاب ولأهل المدينة، وفيه بئر خشم وبئر جمل، قالوا: سمي الجرف لأن تُبّعاً مرّ به فقال: هذا جرف الأرض، وكان يسمى العرض. وقد ذكره كعب ابن الأشرف اليهودي النضري، فقال:

ولنا بئر رواء جمّة ... من يردها بإناء يغترفْ
تدلج الجون على أكنافها ... بدلاء ذات أمراس صُدُفْ
كل حاجاتي بها قضيتها ... غير حاجاتي على بطن الجرفْ

انظر: الحموي؛ ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٢، ١٢٨.

المهاجرين والأنصار هذا الغلام، فغضب رسول الله ﷺ، فخرج وقد عصب على رأسه عصابة، فصعد المنبر، وأثنى على الله وحمده، ثم قال: «أيها الناس، فما مقالة بلغتني عنكم في تأميري أُسامة، ولئن طعنتم في تأميري أسامة، فقد طعنتم في تأميري أباه من قبله، وأيم الله، إن كان بالإمارة لخليقاً فإن ابنه لخليق بالإمارة، وإن كان من أحب الناس إليَّ، فاستوصوا به خيراً، فإنه من خيّاركم».

ثم نزل، ودخل بيته، وذلك يوم السبت، ولم يخرج أسامة إلى الروم، لأن النبي قبض (٢٠٤) قبل خروجه، حتى نُصّب أبو بكر رضي الله عنه، فخرج أسامة إليهم، وشنّ عليهم الغارة، وقتل من قتل، وأسر من أسر، ورجع إلى المدينة. وخرج أبو بكر رضي الله عنه وأهل المدينة يتلقونه، مسرورين بسلامتهم ونصر الله لهم.

فصل: في ذكر مسيلمة الكذاب وعيهلة العنسي لعنهما اللّٰه:

(قيل إن النبي ﷺ لما بلغه أن مسيلمة والعنسي يستغويان، وبلغت الحال بالأسود، واسمه عيهلة، كان كاهناً يُري النار أن ادّعى النبوّة، وكان يريهم الأعاجيب، ويسبي قلوب من سمع لمنطقه، وعلت من سمعه، فسار إلى صنعاء[١] فأخذها، وكان عامل النبي بها فروة بن مسيك المرادي، فكتب فروة إلى النبي يخبره خبر الأسود، وجعل أمر الأسود يستطير استطارة الحريق، وقتل شهر بن باذان وتزوج امرأته، وكانت ابنة عم فيروز[٢]، فأرسل النبي إلى نفر من الأنبار رسولاً[٣]، وكتب إليهم أن يحاولوا الأسود، إما مصادمة وإما غيلة، وأمرهم أن يستنجدوا رجلاً ممن حولهم من حمير وهمذان، وأرسل إليهم أن يتخذونهم.

فساروا إليه، ودخلوا على زوجته، فقالوا: هذا قد قتل أباكِ وزوجك،

---

(١) صنعاء: صنعاء قصبة اليمن وأحسن بلادها، تشبه بدمشق لكثرة فواكهها وتدفق مياهها. وقيل: سميت بصنعاء بن أزال بن يقطن بن عامر بن شالخ، وهو الذي بناها، وكانت تعرف بأزال وتارة بصنعاء. وكان سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ يستعمل الشياطين باصطخر، ويعرضهم بالري، ويعطيهم أدولهم بصنعاء. قال أبو محمد الزبيدي يمدح صنعاء:

قلت ونفسي جمٌّ تأوهها ... تصبو إلى أهلها وأندهها
سقياً لصنعاء لا أرى بلداً ... أوطنه الموطنون يشبهها

انظر: الحموي؛ ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٢، ٤٢٦ - ٤٢٧.

(٢) فيروز: فيروز الديلمي، يكنّى أبا عبد الله، وقيل: أبو عبد الرحمٰن. وهو ابن أخت النجاشي. وهو قاتل الأسود العنسي الذي ادعى النبوة باليمن. وقال أبو عمر: يقال له «الحميري» لأنه نزل في حمير، وهو من أبناء فارس، من فرس صنعاء. وفد على النبي ﷺ. ولمّا أراد قتل الأسود اتفق هو وواذويه وقيس بن المكشوح على ذلك، فدخل فيروز عليه فقتله، وكان قتله قبل وفاة النبي ﷺ، حيث أتاه الوحي بقتله وهو مريض قبل موته ﷺ، فأخبر بقتله، فقال: قتله العبد الصالح فيروز الديلمي. توفي فيروز في خلافة عثمان بن عفان. انظر: ابن الأثير؛ علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص ٣٧١ - ٣٧٢.

(٣) الرسول هو بر بن يحنس.

فما عندك؟ قالت: هو أبغض خلق الله إليّ، وهو مجرّد، والحرس محيطون بقصره، فثقبوا الجدار، ودخلوا عليه. قيل: دخل فيروز، وقيل عبيد الله[1]، وقيل أبو عبد الرحمٰن الديلمي[2]، فخالطه وأخذ برأسه، فقتله، فخار كخوار الثور، فابتدر الحرس الباب، وقالوا: ما هذا؟ قالت لهم امرأته: هذا النبي يوحى إليه فإليكم عنه، ثم حُمل.

فلما طلع الفجر، نادى أصحاب النبي ﷺ بشعارهم، ثم أذّنوا، وقالوا: نشهد أن محمداً رسول الله، وأن عيهلة كذاب، وشنّوها غارة.

فلما تراجعوا إلى أعمالهم، كتبوا بالخبر إلى النبي ﷺ، فأتاه الخبر من السماء قبل كتابهم، فخرج ﷺ قبل موته بيوم، فقال: «قتل الأسود البارحة، قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركة». قيل: من قتله يا رسول الله؟ قال: «فيروز». ووصل كتابهم إلى أبي بكر بعد موت النبي ﷺ، وكانت مدّة خروج الأسود إلى أن قتل أربعة أشهر.

فأما مسيلمة الكذاب، فهو ابن حبيب، ويقال له «رحمن اليمامة»، لأنه كان يقول: إن الذي يأتيني اسمه الرحمٰن. وكان قدم إلى النبي، فأسلم، وارتدّ عن الإسلام، ورجع إلى بلده، وكتب إلى رسول الله ﷺ: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، سلام عليك، أما بعد، فإني قد أشركت معك في الأمر، فلك المدر، ولي الوبر. ويروى: فلكم نصف الأرض، ولنا نصفها، ولكن قريشاً قوم يعتدون.

فكتب إليه رسول الله ﷺ: «بسم الله الرحمٰن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى مسيلمة الكذاب، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإن الأرض لله يورثها

(١) ورد في الأصل عبد الله: والصحيح ما أثبتناه في النص، وهو أحد الذين قتلوا الأسود العنسي في اليمن.
(٢) أبو عبد الرحمٰن الديلمي: هو جشيش بن الديلمي.

من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين». وكان ذلك آخر سنة عشر، وكان مسيلمة يدعـي أنه أُشـرك مـع النبي ﷺ بالأمر، فقال لـه أتباعه: لقد جفّـت آبارنا، وإن محمـداً دعا لأصحابه، فجاشـت آبارهم، بعد ما جاء إلى أحد آبارهم وشـرب وتمضمض منه، ثم مجّ مجّة منه، فأفرغوه في تلك الآبار، ففعل مسيلمة كذلك، فغاصت تلك الآبار حين طرح فيها الماء الذي تمضمض به.

وجاءه رجل، فقال له: يا مسـيلمة أبرك على ولدي، فإن محمداً يبرّك على أولاد أصحابـه، فلم يمسـح مسـيلمة رأس صبي وحنكه إلّا لتغ وأقرع رأسـه، ولم يتوضأ على أرض إلّا وسخت، ولم وينبت فيها شيء.

ووضـع عن أتباعه الصلاة، وأحلّ لهم الخمر والزنا، واتبعته بنو حنيفة إلّا قليـل منهـم، وغلب على هجر اليمامة. وقيل: أتته امـرأة من بني تميم من ولد يربوع بـن حنظلـة[١] يقال لها سـجاع[٢]، كانـت تعبّر الرؤيا، ثم تنبّـأت، واتبعها ناسٌ من قومها، فلما سـمعت بمسـيلمة ركبت إليه في نفـر من قومها لتناظره، فلمـا وصلـت إليه، قال لقومه: اضربـوا لها قبّة لعلها تذكر البـاءة، فضربت لها قبة، فلما دخل عليها مسيلمة، قالت له: اعرض عليَّ ما عندك وما أُنزل عليك،

(١) يربوع بن حنظلة: يربوع بن حنظلة بن مالك من تميم، من عدنان: جدّ جاهلي، بنوه عدّة بطون، منهم بنـو كلـب (رهط جرير الشـاعر) بنـو العنبر (منهم (سـجاع المتنبّئة) وبنو رياح (منهم سـحيم بن وثيل الشـاعر) وبنو ثعلبة (منهم متمم بن نويرة الشـاعر وأخوه مالك بن نويرة) وبنو غدانة، وآخرون. ولبني يربوع هؤلاء أخبار في الجاهلية، أشار إليها «معجم قبائل العرب». وفي «المحبر» أن يربوع بن حنظلة كان أبرص، من الأشراف. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٨، ص١٧٨.

(٢) سـجاع: سـجاع بنت الحارث بن سويد بن عقفان، التميمية، من بني يربوع، أم صادر، متنبّئة مشهورة. شـاعرة أديبـة، عارفـة بالأخبار، رفيعة الشـأن فـي قومها. نبغت في عهـد الردّة أيام أبـي بكر، وادعت النبـوة بعـد وفاة النبـي ﷺ، وكان لها علم بالكتاب، أخذته عن نصارى تغلب، فتبعها جمعُ عشـيرتها بينهم بعض كبار تميم: كالزبرقان بن بدر، وعطارد بن حاجب، وشـبث بن ربعي الرياحي، وعمرو بن الأهتم، فأقبلت بهم من الجزيرة تريد غزو أبي بكر، فنزلت اليمامة، فتبلغ خبرها مسيلمة المتنبئ أيضاً، وقيـل: إن معهـا أربعيـن ألفـاً، فخافها، وأقبل عليها في جماعـة من قومه، وتزوج بهـا، فأقامت قليلاً، وانصرفت راجعة إلى أخوالها بالجزيرة. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٧٨.

قال: إني أريد أن أخلو معك حتى نتدارس. قالت: نعم، فخرج من كان معهما، وخليا بأنفسهما، قالت له: إقرأ ما أُنزل عليك فقرأ: إنكن معشر النساء خلقتن لنا أفواجا، وخلقن لكم أزواجاً، نولجه فيكن إيلاجاً، ثم نخرجه منكن إخراجاً، فيكون لنا أولاد أثجاجا. فقالت له: اسمعني أقرب شيء أُنزل عليك، قال نعم، فقرأ هذه الأبيات:

ألا قومي إلى المخدع فقد هيّأ لك المضجع
وإن شئت سلقناك وإن شئت على أربع
فإن شئت بثلثيهِ وإن شئت به أجمع[1]

فقالت: بل به أجمع يا نبي الله، لعنة الله عليهما، ثم قال لها: هل لك أن أتزوج بك؟ فيقال نبي تزوج نبيّة، قالت: نعم، فدخل بها المخدع، وقضى منها حاجته، فخرجت إلى قومها، وقالت: إني ساءلته فوجدته نبياً حقاً، وإنما آمنت به، ورضيت بالوقوف معه، فقال قومها: قبح علينا نهدي امرأة لناكح، فقال لهم مسيلمة: أي الصلوات أثقل عليكم؟ فقالوا: الصبح والعتمة، قال: قد رفعتهما عنكم، وجعلتهما مهرهاً، فرضوا بذلك، وتركوها عنده.

ولم يزل أمر مسيلمة حتى سيطر على اليمامة، وقتل ثمامة بن أثال عامل النبي على اليمامة، وكتب إلى النبي ﷺ، ولم يوصل الكتاب إلّا وقد قبض رسول الله ﷺ)[2].

---

(١) انظر الأبيات في: ابن الأثير؛ علي بن محمد: الكامل في التاريخ، ج٢، ص٣٥٦.
(٢) تم استدراك فصل مسيلمة الكذاب كاملًا من النسخة الأصلية، ب، ص ٢٠١ - ٢٠٢ - ٢٠٣.

فصل: في ذكر مرض النبي ﷺ ووفاته:

فلما أكمل الله دينه وتمت (كلمته، ووضعت)[١] على خلقه نِعَمُهُ، واختار لنبيه ما عنده، أنزل قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وكان بين نزول هذه الآية وبين وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم)[٢] اثنان وثلاثون ليلة، وقيل إحدى وثمانون[٣] ليلة، ولم ينزل بعدها حلال ولا حرام.

قال ابن عباس: نزلت هذه الآية يوم الجمعة، وعرفة بعد العصر، والنبي واقف على ناقته العضباء، واجتمعت في هذا اليوم خمسة أعياد: الجمعة، وعرفة، وعيد اليهود، وعيد النصارى، وعيد المجوس. ولم تجتمع (هذه الأعياد)[٤] قبل ذلك ولا بعده. ولمّا نزلت هذه الآية بكى عمر رضي الله عنه، فقال له النبي عليه السلام: «ما يبكيك يا عمر؟». فقال: أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا وقد أكمل، وما أكمل شيء إلّا ونقص. قال: «صدقت». ثم نزلت هذه الآية: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]، ثم بكى ﷺ، فقيل له: أومن الموت تبكي يا رسول الله؟ وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «فأين هو المطلع؟ فأين ضيق القبر؟ فأين ظلمة اللحد؟ فأين سكرات الموت؟ فأين أهوال يوم القيامة»؟ وكان ابتداء مرضه في أواخر صفر لليلتين بقيتا من يوم الأربعاء، وابتدأ به صداع في رأسه.

(١) إضافة من نسخة دار الكتب الظاهرية، ص ٢٠٤.
(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٢٠٣.
(٣) وفي نسخة دار الكتب الظاهرية: إحدى وثلاثون ليلة.
(٤) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٢٠٣.

رُوي عن الفضل (بن العباس)[١] قال: جاءني رسول الله، فخرجت إليه، فإذا هو معصوب الرأس، قال: «خذ بيدي». فأخذت بيده، فانطلقنا حتى جلس على المنبر، ثم قال: «نادِ في الناس». فناديت، فلما اجتمعوا إليه، حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد، فإنه قد دنا منّي اللحوق بربي، فمن كان قبلي له حق فليقل به، ومن جلدت له ظهراً فهذي ظهري، فليقتصّ مني، ولا يقولنَّ أحد إني أخشى الشحناء من رسول الله، ألا وإن الشحناء ليست من طبيعتي (٢٠٥) ولا من شأني، ألا وإن أحبكم إليَّ من كان له قبلي حق فأخذه، أو أحلّني منه، فلقيت الله طيب النفس».

ثم نزل المنبر، فصلى الظهر، ثم جلس على المنبر، وأعاد المقالة الأولى، فقام رجل، وقال: إذاً والله عليك لي ثلاثة دراهم. فقال النبي: «فإني لا أكذب». فقال الرجل: تذكر يوم مرّ بك المسكين فأمرتني، فأعطيته ثلاثة دراهم؟ قال النبي: «اعطيه يا فضل».

ثم قال النبي: «من كان عليه شيء فيلؤدّه، ولا يقولن فضوح الدنيا، فإن فضوح الدنيا أيسر من فضوح الآخرة». فقام رجل، وقال: يا رسول الله، عندي ثلاثة دراهم غللتها في سبيل الله. قال: ولما غللتها؟ قال: كنت محتاجاً. فقال: «خذها منه يا فضل».

ثم قال النبي: «من كان له قبلي حق فليتكلم»، فقام رجل يقال له عكاشة[٢]، وقال: يا رسول الله، كنت واقفاً ذات يوم (من الأيام)[٣] بجنب الطريق، فمررت بي وأنت راكب على ناقتك، فجلدت ظهري بسوط كان في يدك. فقال له النبي: «هذا ظهري، فاقتصّ منه». فقال: يا رسول الله، جلدتني وكنت مكشوف

---

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٢٠٤.

(٢) عكاشة: عكاشة بن محصن بن حرثان الأسدي من بني غنم: صحابي من أمراء السرايا، يعدّ من أهل المدينة. شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ، وقتل في حرب الردّة ببزاخة (بأرض نجد) قتله طليحة بن خويلد الأسدي. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٤، ص ٢٤٤. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٦٤.

(٣) إضافة من نسخة دار الكتب الظاهرية، ص ٢٠٥.

الظهر، فكشف النبي ظهره، فدنا منه عكاشة، فانتهره المسلمون، وقالوا: أما تستحي؟ تقتصّ من رسول الله! فقال النبي: «مه، دعوه، فإن قصاص الدنيا أهون من القصاص في الآخرة». فقرب عكاشة من النبي، وقد كشف النبي ثوبه عن جسده، وبطنه يتلألأ نوراً، فمسح عكاشة بطن النبي بيده، وقال: يا رسول الله، أنت في حلّ مما أصبت منّي، وإنما أردت هذا لأني سمعتك تقول: من مسّ جسدي لم تمسه نار. فقال النبي: «فاز بها عكاشة، من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة، فلينظر إلى عكاشة».

ثم إن النبي اشتد به المرض، فكان يُطاف به محمولاً على سريره على نسائه، حتى رضين كلّهن، على أن يكون في بيت عائشة رضي الله عنها.

قال أبو سعيد الخدري: جئت إلى رسول الله ﷺ، وإذا عليه صالب من الحمى، فما تكاد تقرّ يد أحدنا على جسده من شدّة الحمى، فجعلنا نسبّح الله، فقال النبي: ليس أحد أشد بلاءً من الأنبياء، فكما يشتدُّ علينا البلاء، فكذلك يضاعف لنا الأجر.

ولمّا رأت الأنصار أن النبي يزداد ثقلاً، طافوا بالمسجد، فدخل العباس على النبي وأعلمه بإشفاق الأنصار، ثم دخل الفضل، فأعلمه بمثل ذلك، ثم دخل علي، فأعلمه بمثل ذلك، (٢٠٦) فقال لهم: «ما يقولون؟». قالوا: يقولون نخشى أن تموت». فثار النبي، متوكأً على الفضل، وعلي والعباس، قدامهم وهو يخط برجليه، حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «يا أيها الناس، بلغني عنكم تخافون عليَّ الموت، كأنه استنكار منكم للموت، وما تذكرون من موت نبيكم، ألم أنعِ إليكم وتنعى إليكم أنفسكم؟ هل أخلّد[1] نبيّ قبلي فيمن بُعث إليهم، فأخلّدَ فيكم؟ ألا إني لاحق

(١) وفي نسخة دار الكتب الظاهرية (أُخلّد).

بربي، وأنتم لاحقون بربكم، وإني أوصيكم بالمهاجرين الأولين خيراً، وأوصي المهاجرين فيما بينهم خيراً»، فإن الله قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١][(١)]، ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [العصر: ٢، ٣]، إلى تمام السورة. وإن الأمر يدري بأمر الله، فلا يحملنكم على استعجاله، فإن الله لا يعجل لعجلة امرئٍ، ومن غالب الله غلبه، ومن خادع الله خدعه، جهل عسيّتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض، وتقطعوا أرحامكم، وأُوصيكم بالأنصار خيراً، فإنهم الذين تبوّأوا الدار والإيمان من قبلكم، وأن تحسنوا إليهم، ألم يشاطروكم (الغار)[(٢)]؟ ألم يوسعوا عليكم؟ ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم خصاصة؟ ألا فمن ولّي أن يحكم بين رجلين، فليقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم، ألا ولا تستأثروا عليهم، ألا وإنّي فرط لكم، وأنتم لاحقون، ألا وإن موعدكم الحوض، حوض أعرض فيما بين بصرى الشام، وصنعاء اليمن، يصب فيه ميزاب الكعبة ماء أشد بياضاً من اللبن، وألين من الزبد، وأحلى من الشهد، من شرب منه لم يظمأ أبداً، حصاؤه اللؤلؤ، وبطحاؤه المسك، من حرمه في الموقف غداً، حُرم الخير كله، ألا من أحبَّ أن يرده غداً، فليكفف يده ولسانه عمّا لا يحل له. يا أيها الناس، إن الذنوب تغير النعم، وتبدل القسم، فإذا برّ الناس برّوهم، وإذا فجر الناس عقّوهم، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩].

ولما دنا الفراق، جمع المسلمين في بيت عائشة رضي الله عنها، فقال: «مرحباً بكم، وحياكم الله، السلام عليكم، جمعكم الله، حفظكم الله، جبركم الله، رزقكم

---

(١) أضاف الناسخ الآيتين في نسخة دار الكتب الظاهرية، ص٢٠٦.
(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٢٠٥.

الله، رفعكم الله، آواكم الله، وقاكم الله، أوصيكم بتقوى الله، وأوصي الله بكم، وأستخلفه عليكم، وأحذركم الله إني عنكم نذير مبين، ألا تعلوا على الله في عباده (٢٠٧) وبلاده، فإنه قال لي ولكم: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣]. وقال: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠].

قالوا: يا رسول الله، متى أجلك؟ فقال: «دنا الفراق والمنقلب إلى الله وإلى جنة المأوى، وإلى سدرة المنتهى، وإلى الرفيق الأعلى، والكأس الأوفى، والحوض والعيش الأهنى». قالوا: يا رسول الله، من يغسلك؟ قال: «أهلي الأدنى فالأدنى». قالوا: فيمَ نكفنك؟ قال: «في ثيابي هذه إن شئتم». قالوا: من يصلي عليك؟ وبكوا وبكى ﷺ، وقال: «فهلّا رحمكم الله وجزاكم عن نبيكم خيراً، إذا أنتم غسلتموني وكفنتموني، فضعوني على سريري هذا، على شفير قبري في بيتي، ثم اخرجوا عنيّ ساعة، فإن أول من يصلي عليّ حبيبي وخليلي جبرائيل، ثم ميكائيل، ثم إسرافيل، (ثم عزرائيل)[1] ملك الموت ومعهم جنود من الملائكة، ثم ادخلوا عليَّ أنتم فوجاً فوجاً، فصلّوا عليَّ وسلّموا تسليماً، ولا تؤذوني بتزكية ولا رقّة، وليبتدي عليّ بالصلاة أهل بيتي، (من شاء)[2]، ثم أنتم، ثم اقرأوا، السلام على من غاب عني من أصحابي، واقرأوا السلام على من تبعني على ديني من يومي هذا إلى يوم القيامة». قالوا: يا رسول الله، من يدخلك قبرك؟ قال: «أهلي مع ملائكة كثيرة، يرونكم من حيث لا ترونهم».

ثم اشتدّ به الوجع، وكان يتقلّب على فراشه، ويقول: «إن المؤمنين يشتد عليهم، لأنه لا يصيب المؤمن نكثة من شوكة، فما فوقها إلا كتب له بها حسنة، ورفع له بها درجة، وحطّ بها عنه خطيئة».

---

(١) سقطت من النسخة الأصلية ب، وتم استدراكها من نسخة دار الكتب الظاهرية، ص٢٠٧.

(٢) وفي نسخة دار الكتب الظاهرية «ثم نسائي».

قالت عائشة ﵂: ما رأيت أحدًا اشتد عليه الوجع أكثر من رسول الله ﷺ.

وكانت عائشة تقول: كنت إذا رأيت أحداً في النزع استيسر ما أراه لشدّة ما رأيته أصاب النبي ﷺ، وكان يصلي بالناس في مدّة مرضه، وإنما انقطع ثلاثة أيام، وقيل: سبع عشرة صلاة، فلما أذن للصلاة، وهي أول ما امتنع عن الصلاة فيها بالناس، قال: «امروا أبا بكر يصلي بالناس»، فخرج بلال ويده على أم رأسه وهو ينادي: واغوثاه، وانقطاع رجاه، وانكسار ظهراه، يا ليتني لم تلدني أمي، وإذا ولدتني، لم أشهد من رسول الله ﷺ هذا، ودخل المسجد، وقال: (٢٠٨) يا أبا بكر، إن رسول الله يأمرك أن تتقدمه تصلي بالناس. فتقدم أبو بكر ﵁، وكان رجلاً رقيق القلب، فلما نظر إلى خلو المكان من رسول الله ﷺ، لم يتمالك، وخرّ مغشياً عليه، فضجّ المسلمون بالبكاء والنحيب، فسمع النبي أصواتهم، قال: «يا فاطمة ما هذا البكاء»؟ قالت: يا رسول الله ضجّ المسلمون لفقدك.

فدعا بعلي وابن عباس، واتكأ عليهما، وخرج، فصلى بالناس، ثم قال: «يا معشر المسلمين، أنتم في وداع الله (وكنفه)[1]، والله خليفتي عليكم، أوصيكم بتقوى الله وحفظ طاعته، فإني مفارق الدنيا».

وروي أن النبي كان إذا أصابه مرض، دعا الله بالشفاء فشفي، ولمّا مرض المرض الذي مات فيه، لم يدعِ الله لنفسه الشفاء، وكان يعاقب نفسه على كراهية الموت، ويقول: «ما لك يا نفس تلوذين عن الموت كل ملاذ».

وقيل: لمّا اشتد المرض بالنبي، خلا علي والعباس، فقال علي للعباس: إني يخيل إليَّ أني أعرف وجوه بني عبد المطلب، وإني أخاف أن لا يقوم رسول الله من مرضه، فاذهب بنا إليه، فلنسأله عن هذا الأمر إن كان إلينا علمنا ذلك، وإن لم يكن إلينا أمرنا أبرّ الناس يعطوناها. قال: فلا نسأله أبداً أبداً.

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٢٠٧.

وكان جبريـل يتخلـف على النبي في مرضه كل حيـن، ويقول له: إن ربك يقرؤك السـلام، ويقول لك: كيف تجدك؟ قال: «أجدني حزيناً، مكروباً، وجعاً يا أمين الله».

ثـم جـاء جبريـل ومعه ملـك المـوت، فقال: يـا أحمد، هذا ملـك الموت يسـتأذن عليك، ولا اسـتأذن على آدمي قبلك، ولا يسـتأذن علـى آدمي بعدك. قـال: «أذن له». فدخل ملك الموت، حتـى وقف بين يدي النبي ﷺ، وقال: يا أحمد، إن الله أرسلني إليك، وأمرني أن أطيعك في كل شيء تأمرني، إن أمرتني أن أقبـض روحـك قبضتها، وإن أمرتني أن أتركها تركتها. قال النبي: «وتفعل يا ملك الموت»؟ قال: بذلك أمرت أن أطيعك في كل ما أمرني به. فقال جبريل: يا أحمد، إن الله قد اشـتاق إليك. فقال النبي: «يا حبيبي جبريل: بشـرني». فقال جبريـل: يا محمد، إن الجنة قـد تزخرفت لقدومك، والحور العين تزينت تنظر لـك. قال: «ليس عن هذا أسـألك». قال: إن الجنـة محرّمة على جميع الأنبياء، حتى تدخلها أنت. قال: «ليس عن هذا أسألك». قال: (٢٠٩) إن الجنّة محرّمة على جميع الأمم، حتى تدخلها أُمتك. قال: «الآن طابت نفسي». قال: «يا ملك الموت، اقبض لما أُمرت به، فما أبالي بعد هذا ما كان». فقال جبريل: السـلام عليك يا رسول الله، هذه آخر وطيتي في الأرض.

فأخذت النبي سكرات الموت، فكان يدخل يده في قدح فيه ماء، ويبلّ به وجهـه، ويقـول: «اللهم أعنّي على سـكرات الموت، لا إلـه إلّا الله، إن الموت لسـكرات». وكان يمـدّ يداً، ويقبـض الأخرى، وكان آخـر كلامه ﷺ: «الصلاة وما ملكت أيمانكم»، حتى جعل يغرغر بها صدره، ولا يقبض بها لسانه.

ومـات ﷺ، وهـو فـي حجـر عائشـة رضي الله عنها بيـن صدرهـا ونحرها، وذلـك يوم الاثنين، وقت الضحى، وقيل في نصف النهار، وكانت مدّة مرضه اثنتا عشرة ليلة، وقيل: أربعة عشر يوماً، وقيل ثمانية عشر يوماً. قيل: يوم مات، أظلم كل شيء.

وعـن أنـس[١] قـال: ما نفضنـا أيدينا من التـراب يوم دفنا رسـول الله ﷺ حتـى أنكرنـا قلوبنا. فقبض ﷺ، بعد أن بلغ الرسـالة، وأظهـر الدعوة، برغم المشـركين وأهل النفاق، وبلغ جميع أهل الدنيا ويأجوج ومأجوج، والدعوة عند أهل المحاربة.

قيل: لا تجوز محاربة المشركين إلّا بعد الدعوة وعرض الإسلام (عليهم)[٢]، وقيـل: جائز محاربتهم بغير دعوة، لأن الدعوة بلغت جميع الأقطار، ولا حجة لأحد بعد دعوة النبي ﷺ. فجزاه الله عنّا أفضل ما جزى نبيّاً عن أمته.

قـال: عـزّ من قائـل: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [العنكبـوت: ٥٧]، ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

ولما قبض ﷺ، قال عمر: (والله)[٣] لا أسـمع أحداً يقول إن رسول الله قد قبض إلّا ضربته بالسـيف، فأمسـك الناس، وقال لسـالـم[٤]: انطلق إلى صاحب رسـول الله ﷺ، فادعه (فمضى إليه)[٥]، قال سـالـم: فأتيت أبا بكر وهو جالس

---

(١) أنـس: أنس بـن مالك بن النضر بن ضمضـم النجاري الخزرجي الأنصـاري، أبو ثمامة، أو أبو حمزة، صاحـب رسـول الله ﷺ وخادمـه، روى عنه رجـال الحديث ٢٢٨٦ حديثـاً. مولده بالمدينة، وأسـلم صغيراً، وخدم النبي ﷺ إلى أن قبض، ثم رحل إلى دمشق، ومنها إلى البصرة، فمات فيها. وهو آخر مـن مـات بالبصرة من الصحابة. انظر: الزركلي؛ خير الديـن: الأعلام، ج٢، ص ٢٤ - ٢٥. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ٢٩٤ ـ ٢٩٧.

(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٢٠٨.

(٣) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٢٠٨.

(٤) سـالـم: سـالـم بن معقل، أبو عبد الله، مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شـمس، صحابي، من كبارهم وكبار قرائهم، فارسي الأصل، أعتقته ثبيتة زوجة أبي حذيفة صغيراً، وتبنّاه أبو حذيفة، وزوجه ابنة أخ له. وهو من السـابقين إلى الإسـلام. كان يؤم المهاجرين الأولين قبل الهجرة في مسـجد قباء وفيهـم أبو بكـر وعمر. شـهد يوم اليمامة، وكان معه لـواء المهاجرين، فقطعت يمينه، فأخذه بيسـاره، فقطعت، فاعتنقه إلى أن صرع، وقد سـبقه مولاه أبو حذيفة، فأوصى أن يدفن بجانبه. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٧٣. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٣٨٢ ـ ٣٨٣.

(٥) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٢٠٨.

في المشهد، وأنا أبكي، فلمّا رآني، قال: أقبض رسول الله؟ قلت: إن عمر يقول: لا أسمع أحداً يقول قبض رسول الله إلّا ضربته بسيفي، (٢١٠) فقام معي، وسعى حتى أكبّ على النبي وقبله ثلاثًا، وهو يقول: وانبيّاه، وامحمداه، واحبيباه، ثم خطب الناس، فقال: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيّ لا يموت. ثم تلا عليهم الآيات.

فلما خطبهم، وتحققوا موت النبي ﷺ، قالوا: يا صاحب رسول الله، أيغسل النبي؟ قال: نعم. قالوا: أيكفّن؟ قال: نعم. قالوا: أيدفن؟ قال: نعم. قالوا: أين يدفن؟ قال: في المكان الذي قُبض فيه روحه، فإنه لم تقبض روحه إلّا في مكان طيب. ثم أمرهم فغسلوه، فغسله علي، والعباس، والفضل، وقثم بن العباس[1]، وأسامة بن زيد، وصالح مولاه، ولم يروا منه ما يروا من الأموات، وغسلوه ثلاث غسلات: الأولى بالماء القراح، والثانية بالماء والسدر والأشنان، والثالثة بالماء والكافور، ثم جففوه، وكفنوه في ثلاثة أثواب ﷺ، ثم صلى عليه علي والعباس وبنو هاشم أولاً، ثم المهاجرون والأنصار، ثم سائر الناس يصلون عليه أفواجاً، لم يؤمهم أحد، ثم النساء، وكان كلما صلى فوج، نادى عمر أن خلّوا بين الجنازة وأهلها، وصلى عليه جبريل وسائر الملائكة.

(١) ورد في الأصل قثم بن أرقم: والصحيح ما أثبتناه في الأصل قثم بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ابن عم رسول الله ﷺ، وأمه أم الفضل لبابة بنت الحارث بن حزن الهلالية، وكانت أول امرأة أسلمت بمكة بعد خديجة رضي الله عنها. سأله عبد الرحمٰن بن خالد كيف ورث علي رسول الله ﷺ؟ فقال: ما شأن علي؟ كان له من رسول الله ﷺ منزلة لم تكن للعباس. وكان قثم يشبه النبي ﷺ، لأنه كان وأخيه الفضل ابن العباس، وكان آخر الناس عهداً برسول الله ﷺ، لأنه كان آخر من خرج من قبره ممن نزل فيه. ولمّا ولي علي الخلافة استعمل قثم بن العباس على مكة، فلم يزل عليها حتى قتل علي. وقال الزبير: استعمله علي على المدينة. ثم إن قثم سار أيام معاوية إلى سمرقند، فمات بها شهيداً، ولا عقب له. انظر: ابن الأثير؛ علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص ٣٩٢ - ٣٩٣.

ثم أُلحد له. قيل: ألحد له أبو طلحة[١]، وكان يلحد لأهل المدينة. ودفنوه في الموضع الذي قبض فيه، وذلك ليلة الأربعاء، وقيل: ليلة الجمعة، وقيل: ليلة الثلاثاء، حينما زاغت الشمس.

فلما رجعوا من دفنه خرجت فاطمة ﵂، فقالت: يا أبا الحسن، دفنتم رسول الله؟ قال: نعم. قالت: كيف طابت قلوبكم أن تحثوا عليه التراب؟ أليس كان نبي الرحمة؟ قال: نعم، ولكن لا مردّ لأمر الله تعالى. فجعلت تندب وتقول: واأبتاه، ويا رسول الله، وانبي الرحمة، الآن لا يأتينا الوحي، الآن ينقطع عنّا جبريل، اللهم ألحق روحي بروحه، اللهم اشفعني بالنظر إلى وجهه، ولا تحرمني أجره وشفاعته، ثم إنها أنشأت تقول:

ماذا على من شمّ تربة أحمد ... أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت عليّ مصائب لو أنها ... صبت على الأيام صرن لياليا[٢]

وقالت أيضاً شعراً: (٢١١)

إذا اشتد شوقي زرت قبرك باكيا ... أنوح وأشكو لا أراك مجاوبي
فيا ساكن الصحراء علّمني البكا ... وذكرك أنساني جميع المصائبِ
فإن كنت عني في التراب مغيّبا ... فما كنت عن قلبي الحزين بغائبِ

---

(١) أبو طلحة: زيد بن سهل بن الأسود بن حَرَام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار، أبو طلحة الأنصاري الخزرجي النجاري، عقبي، بدري، نقيب، وهو الذي حفر قبر رسول الله ﷺ ولحّده، وكان يسرد الصوم (يواليه ويتابعه) بعد رسول الله ﷺ، وآخى رسول الله بينه وبين أبي عبيدة عامر بن الجرّاح. توفي أبو طلحة سنة أربع وثلاثين. انظر: ابن الأثير؛ علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٢٨٩ - ٢٩٠.

(٢) انظر البيتين في: الأمين؛ محسن: أعيان الشيعة، ج١، ص٣٢٣.

فصل: (قصة الأعرابي الذي وقف على قبر الرسول ﷺ):

عن علي، قال: جاء أعرابي بعد ما دفن رسول الله ﷺ بثلاثة أيام، فرمى بنفسه على قبر النبي، وحثا على رأسه من ترابه، وقال: يا رسول الله، قُلْتَ فسمعنا قولك، ووعيتَ عن الله، فوعينا عنك، وكان فيما أنزل عليك، ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]، وها أنا قد ظلمت نفسي، فاستغفر لي الله تعالى، ثم إنه أنشأ يقول:

يا خير من دفنت في الترب أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكمُ
نفسي الفداء لقبرٍ أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرمُ
أنت النبي الذي ترجى شفاعته يوم الحساب إذا ما زلّت القدم

ولغيره:

أنت النبي الذي ترجى وسيلته عند الإله إذا ما مسّنا العدم

قيل: فنودي الأعرابي من القبر: إن الله قد غفر لك.

وقيل: رأى العتبي في المنام النبي ﷺ يقول: يا عتبي أدرك الأعرابي وبشره، إن الله قد غفر له. قال العتبي: فأدركته وبشرته.

فصل: في قصة بلال رضي الله عنه:

روي أن أبا بكر لمّا عتق بلالاً اتخذه النبي مؤذناً، وجعل بيده أرزاق الرسل والوفود، فلما توفي النبي تفرقت الصحابة في القبائل والأمصار، وقالوا: كنا مجتمعين هنا لحرمة رسول الله ﷺ وبركته، تركنا ديارنا لله ورسوله، وكنّا إذا رأينا وجهه زال عنّا كل همّ ووحشة، فالآن لمّا مات، لم يزدنا فراقه إلّا وحشة، فنرجع إلى أوطاننا، فهمّ بلال بالخروج إلى الشام، فقال له أبو بكر: كنت مملوكي فأعتقتك، وكنت مؤذناً لرسول الله وبيدك أرزاق رسله ووفوده، فكن مؤذنا لي كما كنت مؤذناً، له وخازناً لي كما كنت خازناً له.

قال: صدقت، فإن كنت أعتقتني لتأخذ منفعتي في الدنيا خدمتك، وإن كنت عتقتني لتأخذ (٢١٢) الثواب من الله فخلني.

فخرج بلال إلى الشام، فمكث بها زماناً، ثم إنه رأى النبي في منامه يقول له: «يا بلال، جفوتنا، وخرجت من ديارنا، فاقصد إلى ديارنا». فانتبه بلال، وقصد المدينة، فلما انتهى إليها تلقاه الناس، وقال بعضهم لبعض: لا تذكروا له موت فاطمة، فلما لقي بلال الناس، سلم عليهم، فسألهم عن بيت رسول الله ﷺ، قالوا له: علي وولداه في عافية، وأزواج النبي في عافية، وسكتوا عن ذكر فاطمة، فلما رأى الحسن والحسين سألهما عن فاطمة، فقالا له: أجرك على الله، إنها توفيت، (فصاح)[1] وقال: إنها بضعة النبي، ما أسرع ما لحقت به.

(ثم قال له الناس)[2]: اصعد فأذّن لنا، قال: لا أفعل بعدما أذنت للنبي،

---

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٢١١.

(٢) وفي نسخة دار الكتب الظاهرية «ثم قالوا له». والصحيح ما أثبتناه في المتن من النسخة الأصلية ب، ص ٢١١.

فألحوا عليه، واجتمع أهل المدينة رجالهم ونساؤهم وصغارهم وكبارهم، وقالوا: هذا بلال مؤذن رسول الله يريد أن يؤذن لنا، لنسمع إلى آذانه، فلما قال: الله أكبر الله أكبر، هاجوا جميعاً وبكوا: فلما قال أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، لم يبق في المدينة روح إلا صاح وبكى، وخرجت العذارى والأبكار من خدورهن، وبكين كأن رسول الله مات ذلك اليوم، حتى فرغ من أذانه، وقال: أُبشركم لا تمس النار عيناً بكت شوقاً إلى رسول الله ﷺ. ثم انصرف إلى الشام، وكان يرجع كل سنة مرّة، إلى أن مات رضي الله عنه.

وبلال هذا هو ابن أبي رباح، وكنيته أبو عبدالله، وكان مملوكاً لرجل من بني هج، فاشتراه أبو بكر بخمس أواق، فأعتقه، وكان أحب الناس إلى الإسلام، وشهد بدراً والمشاهد كلها. مات بدمشق سنة عشرين من الهجرة، وهو ابن بضع وستين سنة.

الباب الحادي والعشرون

في ذكر آداب النبي ﷺ

وكان النبي ﷺ، إذا مشى، يمشي هوناً، حافظ الطرف، نظره إلى الأرض، أكثر من نظره إلى السماء، متواصل الأحزان يبدأ من لقيه بالسلام، دائم الذكر، ليست له راحة، طويل السكن، لا يتكلم في غير حاجة، يفتح الكلام ويختمه بأشداقه، يتكلم بجوامع الكلمة فضل لا فضول فيه، ولا (٢١٣) تقصير، دمث ليس بالجافي ولا المهين، يعظم النعمة وإن رقّت، لا يذم طعاماً، ولا يمدحه، لا تغضبه الدنيا، ولا ما كان لها، فإذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شيء، حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لها، إذا أشار، أشار بكفه كلها، وإذا تعجب (من شيء)[1] قلبها، وإن تحدث، اتصل بها، فيضرب براحة كفه اليمنى باطن إبهامه، جلُّ ضحكه التبسّم، يفتر عن مثل حب الغمام.

وكان إذا دخل منزله، جزّأ دخوله له ثلاثة أجزاء: جزء لله، وجزء لأهله، وجزء لنفسه. ثم يجزئُ جزءًا بين الناس.

وكان من سيرته، إيثار أهل الفضل على قدر فضلهم في الدين، وكان يقول: أبلغوني حاجة ذي الحاجة، فإنه من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها، ثبت الله قدمه يوم القيامة، ولا يفرق أصحابه ولا ينفرهم، ويكرم كريم كل قوم، ويوليه عليهم، ويحذر الناس، ويحترس منهم، من غير أن يطوي عن أحد بشره ولا خلقه، وليتفقد أصحابه، ويسأل الناس عمّا في الناس، ويحسن الحسن ويقويه، ويقبّحُ القبح ويوهيه، معتدل الأمر، (حسن الخلق)[2] لكل

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٢١١.
(٢) استدراك من النسخة د، ص ٢٢٤.

أحـد، واعتـاد لا يقصر عن الحق، ولا يجـاوزه إلى غيره، أفضـل الناس غنىً، وأعمَّهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة، أحسنهم مواساة ومؤازرة.

وكان لا يجلـس ويقـوم إلّا على ذكر الله، ولا يوطـن الأماكن، وينهي عن إيطانها، وإذا أتى المجلس، جلس حيث ينتهي به ويأمر بذلك، يعطي كل واحد من جلسـائه نصيبه، ولا يحسـب أحد من جلسائه أن أحداً أكرم عليه منه، وإذا جالـس أحـداً أو قاومه صابـره، حتى يكون الرجل هـو المنصرف، وإذا صافح أحـداً، لـم ينزع يده، حتى ينزع الآخر يده، ومن يسـأله حاجـة لم يردّه إلّا بها، صار للناس كالوالد من القول، أوسع الناس بخلقه وبسطه، فصار لهم كالوالد، وصاروا عنده في الحق سـواء، مجلسـه حلمٌ وحياء وصبر وأمانة، لا ترفع فيه الأصـوات، (ولا يؤثـر فيه أهل النفـاق، وترى أصحابـه متآلفيـن)[١] متعادلين، يتواصـون فيـه بالبر والتقوى، متواضعيـن، يوقّرون الكبيـر، ويرحمون الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة، (٢١٤) ويحفظون الغريب، دائم البشر، ليّن الجانب، ليس بفظّ ولا غليظ، ولا صخّاب في الأسواق، ولا فحاش، ولا معتاب، ولا مدّاح، يتغافل عمّا لا يشـتهي، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء، والإكثار، وما لا يعنيه. وترك غيره من ثلاث: لا يذمّ أحداً، ولا يعيّره، ولا يطلب عورته.

ولا يتكلـم إلّا فيمـا يرجـو ثوابـه، وإذا تكلم أطرق جلسـاؤه، فإذا سـكت تكلمـوا، فينصـت لاسـتماع كلامهـم، لا يتنازعـون معـه الحديـث، إذا تكلـم أحدهـم، أنصـت الباقون حتـى يفرغ، يضحك ممـا يضحكـون، ويتعجّب مما يتعجبـون، ويقـول: إذا رأيتـم طالـب الحاجة فأرشـدوه، لا يقبل الثنـاء إلا من مكافٍ، ولا يقطع على أحد حديثه، صمته على الحذر والتدبّر والتفكير، فتدبّره في تسـوية النظر بين الناس والاسـتماع منهم، وتفكّره فيمـا يفنى، وفيما يبقى، جمع له الحلم والصبر، فكان لا يغضبه شيء ولا يستفزه، وجمع له الحذر في

(١) استدراك من النسخة د، ص ٢٢٤.

أربع: أخذه بالحسن، ليُقتدى به، وتركه للقبيح، لينتهي عنه، واجتهاده في الرأي فيما هو أصلح لأمته، والقيام فيما جمع خير الدنيا والآخرة.

وكان كثير الذكر، قليل اللغو، طويل الصلاة، ويقصر الخطبة، لا يستنكف عن المشي مع العبد والأرملة، حتى يفرغ من حاجتهما.

وكان كثير الحياء، واسع الصدر، عظيم الرجاء، قليل المنّ، كريم الوفاء، كاتم السرّ، جليل العطاء، ليّن الجانب، قليل الأذى، زين العالم، سراج الهدى، حليماً، رحيماً، ودوداً، كريماً، مضيافاً، حكيماً، قائماً بأمر الله، وافياً بعهد الله، مشمّراً في عبادة الله، ملتمساً رضى الله، قاطعاً للشهوات، غافراً للعثرات، كاتماً للمصيبات، صوّام النهار، قوّام الليل، خاشعاً منيباً، خاضعاً، قريباً، راغباً في الخير، زاهداً في الشر، غريباً بين أهله، شريف الأمة، حبيب الفقراء، لطيف الفطنة، جميل العشرة، تقيُّ الأتقياء، دليل الأدلاء، لبيب الألباء.

كان يعظم الكبير لوقاره، ويقرّب الصغير لشدّة افتقاره، ويشكر اليسير لقلة اغتراره، ويرحم الفقير لرؤية اضطراره، سهل المصاحبة، عدلاً في المقاسمة، (٢١٥) سبّاقاً عند المعاملة، شجاعاً عند المقاتلة، عظيم الخطر، هيوب المنظر، قليل الضحك، كثير التبسم، مليح القول، قليل النعم، سخي النفس، بطيء الغيظ، سريع الرضى، ليّن الكلام، قليل الملام، عفيف النفس، بذول السلام.

ولم يكن عيّاباً، ولا فحّاشاً، ولا سبّاباً، ولا طيّاشاً، ولا حريصاً، ولا جمّاعاً، ولا بخيلاً، ولا منّاعاً، ولا مكّاراً، ولا خدّاعاً، لا مكثاراً، ولا ثرثاراً، ولا طماعاً، ولا خبوباً، ولا منّاناً، ولا أكولاً، ولا كسلاناً، ولا ملولاً، ولا طعاناً، ولا عجولاً، ولا ضراراً، ولا حسوداً، ولا ختاراً، ولا عذاراً، ولا مهذاراً، ولا جزوعاً، ولا طيّاراً، ولا همّازاً، ولا متجبراً، ولا متكبراً، ولا كبّاراً، ولا متحكراً، ولا ذماماً، ولا مفتخراً، ولا مختالاً.

وكان يعـود المريـض، ويشـيّع الجنـازة، ويجيب الدعـوة، ويركب الحمار العـري، وينـام على الأرض، ويجلـس عليها، ويأكل عليهـا، ويقول: لو دعيت إلى كراع لأجبت، ولو أهدي إلي كراع لقبلت.

وكان يفلّي ثوبه، ويخصف نعله، ويخدم نفسه، ويقمّ البيت، ويعقل البعير، ويعلف الدابّة، ويأكل مع خادمه، ويعجن الطحين، ويحمل بضاعته من السوق، ويحلب شـاته، ويمازح أصحابه ويخالطهم، ويلاعب صبيانهم، ويجلسـهم في حجره، ويقبل عذر المعتذرين.

ولـم يُرقَّـط مـادّاً رجليـه بين جلسـائه، وكان يمشـي قدام من دخـل عليه، ويبسـط لـه ثوبه ويؤثره بالوسـادة، ويعزم عليه بالجلوس عليهـا إن أتى، ويلبّي أصحابـه، ويدعوهم بأحب الأسـماء إليهم، وإذا جلـس إليه أحد، وهو يصلي، خفف صلاته، حتى يسأله عن حاجته، فإذا فرغ، عاد إليها.

ويروى أنه أمر أصحابه بذبح شـاة في سـفر، فقال رجل منهم: عليَّ ذبحها، وقـال الآخـر: عليَّ سـلخها، وقال آخر: علـيَّ قطعها، وقال آخـر: عليَّ طبخها، فقال النبي: «أنا ألقط لكم الحطب»، فقالوا: نحن نكفيك يا رسول الله، قال: «قد عرفت أنكم تكفوني، ولكن الله يكره إذا كان العبد بين أصحابه، فينفرد عنهم».

وقيل: إنه استسـلف من رجل نصف وسـقٍ حبّاً، فلما جاء الرجل يتقاضاه، أعطاه وسقاً تماماً، وقال: «النصف لك وفاء، والنصف مكافأة».

وكان إذا بلغـه عـن أحـد ما يكره، لـم يقل: ما بال فلان يقـول: كذا وكذا، ولكن يقول ما بال القوم يقولون كذا وكذا، يكنّي عنه، ولا يسمّي فاعله.

وعن عائشـة، (٢١٦) رضي الله عنها، قالت: ما شـبع آل رسـول الله من خبز الشـعير يومين متتابعين. وقالت: كانت تمضي الأهلّة، ولم توقد في بيت رسول الله ﷺ،

نار، قيل لها: وما كنتم تعيشون؟ قالت: الأسودان الماء والتمر، وما أمسى عند رسول الله صاع من حب، أو صاع من تمر، وعنده تسع نسوة.

ودخل عمر ﵁، على النبي ﷺ، فرآه مضطجعاً على سُمَّة، وقد أثّرت حبالها في ظهره، ومتوسد على وسادة من جلد وحشوها ليف، فبكى عمر ﵁، فقال له النبي: ما يبكيك يا عمر؟ قال: يا رسول الله، إن كسرى وقيصر ينامون على الحرير والديباج، وأنت تنام يا رسول الله على هذا؟! قال: «أما ترضى يا عمر أن تكون لهم الدنيا، ولنا الآخرة»؟ قال: بلى، قال: «لا تعجل يا عمر، هؤلاء قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا».

وكان النبي يربط على بطنه الحجر من الجوع، وكان يجوع حتى يعرف في وجهه من الجوع، وقد خيّره الله تعالى أن تسير معه مثل جبال تهامة ذهباً وفضة، ولا ينقص من ثوابه في الآخرة، وبين أن يجوع يوماً، ويشبع يوماً، فقال: أجوع يوماً، وأشبع يوماً، فإذا جعت، تضرعت إليك، وإذا شبعت شكرتك.

وقال ﷺ: «ما هذه الدنيا إلا كراكب استظلّ تحت شجرة، ثم راح وتركها». وقال ﷺ: «الدنيا دار من (لا)[1] دار له، (ومال)[2] من لا مال له، ويجمعها من لا عقل له».

وكان يبيت هو وأهله طوايا لا يجدون ما يأكلون، وكان ﷺ، يبيت جوعاناً، ولا يبثُّ شكوى إلى أحد، وكانت الفاقة أحب إليه من الغنى.

وقالت عائشة ﵂: كان بطن النبي يلتوي جوعاً طوال ليلته، فلا يمنعه صيام يومه، ولقد كنت أبكي له رحمةً مما به، وأمسح بيدي على بطنه مما به

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٢١٤.
(٢) تصحيح من النسخة الأصلية ب، ص ٢١٤.

من الجوع، وأقول: نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر قوتك. فيقول: يا عائشة، ما لي وللدنيا، إخواني أولو العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا، فمضوا على حالهم، فقدموا على ربهم، فأكرم مآبهم، وأجزل ثوابهم، فأجدني أستحي إن ترفهت في معيشتي أن يقصر بي دونهم، وما أحب إليَّ من اللحوق بإخواني وأخلّائي.

وكان (٢١٧) ﷺ، إذا تكلم بكلمة يعيدها ثلاثاً لتفهم عنه، قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ، يتكلم بكلام بينه فصل، يحفظه، ويفهمه، من جلس إليه. وكان إذا صلى بجماعة خفف عليهم كصلاة أضعفهم.

وعن عائشة ﵂، كان النبي يصلي من بعد العشاء الآخرة إلى الفجر إحدى عشرة ركعة، يسلم بين الركعتين، ويوتر بواحدة، وطول السجدة من هذه الأحدى عشرة ركعة قدر ما يقرأُ أحدكم خمسين آية. وإذا سكت المؤذن للفجر، قام، فصلى ركعتين خفيفتين، ثم اضطجع على شقه الأيمن، حتى يأتيه المؤذن، فيخرج.

وكان يصلي حتى تورمت قدماه، فيقال له: لِما تصنع هذا، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟».

وكان ﷺ، يصلي الضحى، حتى يقال: إنه لا يدعها، ويدعها حتى يقال: إنه لا يصليها. وكان يدمن على أربع ركعات عند زوال الشمس، ويقول: إن أبواب السماء تفتح هذا الوقت، فلا ترتجِ حتى تصلي الظهر، فأحب أن يرفع لي عمل صالح في هذه الساعة، وكان لا يفصل بينهن بتسليم.

وعن ابن عباس، كان النبي إذا قرأ القرآن في بيته، يسمعه من في الحجرة. وقال أبو هريرة: كانت قراءته بالليل، يخفض طوراً، ويرفع طوراً. وقالت عائشة: ربما سرَّ، وربما أجهر، وكانت قراءته مدّاً.

وعن عائشة، قالت: كان رسول الله ﷺ، يصوم حتى نقول: إنه لا يفطر، ويفطر حتى نقول: إنه لا يصوم. وما رأيته استكمل صيام شهر، إلّا رمضان، وما رأيته أفطر شهراً، حتى يصوم، حتى مضى لسبيله.

وعن كعب بن مالك، كان رسول الله يأكل بثلاث أصابع، ويلعق يده قبل أن يغسلها، ولا يأكل متكئاً، ويأكل من الجوانب، ولا يأكل من الوسط، ويسمّي الله، ويأكل بيمينه، وإذا شبع، قال: الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين. وإذا شرب، يتنفس ثلاث مرات، وكان إذا تنفس أبعد الإناء، وقال: الحمد لله، وإذا شرب، قال: بسم الله، فذلك ثلاث تحميدات، وثلاث (تسميات)[١]، وثلاث تنفيسات، وكان يشرب قائماً وقاعداً.

وعن أم سلمة، قالت: (٢١٨) كان أحب الثياب إلى النبي ﷺ، القميص، وكان كمه إلى الرسغ، وكان يلبس عمامة سوداء، ويلبس قلنسوة تحت العمامة، وكان يقول: عليكم بالثياب البيض.

وكان يرجل شعر رأسه، ويكثر دهنه، ويسرّح لحيته، ويقص شاربه، وكان شعر رأسه إلى شحمة أذنيه لعله، وكان له أربع غدائر، وكان يلبس النعال التي فيها شعر.

وكان له خاتم من فضة، منقوش فيه ثلاثة أسطر، الأول: محمد، والثاني: رسول، والثالث: الله.

وكان يتطيّب بالمسك والغوالي، وكان له مرآة ينظر فيها وجهه، وربما نظر في الماء، وسوى جمته، ويقول: «إن الله يحب من عبده إذا خرج إلى إخوانه أن يتهيأ لهم، ويتجمّل»، وكان يبتدئ في جميع أفعاله بميامنه، وإذا خلع، يبدأُ بيساره.

وكان كتابه الذين يكتبون له: أبو بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وعثمان بن

(١) وفي النسخة الأصلية ب، «ثلاث تسبيحات».

عفـان، وعلي بـن أبي طالب، وزيد بن ثابـت[١]، وأُبيّ بن كعـب، وعامر بن فهيرة، وعبدالله بـن أرقـم الزهـري[٢]، ومعاوية بـن أبي سـفيان، وشـرحبيل بن حسـنة[٣]، وخدامـه: أنس بن مالك الأنصاري وعبدالله بن مسـعود[٤]، صاحب نعليه، إذا قام، ناوله إياهما، وإذا جلس خلعهما في ذراعيه، حتى يقوم، وعقبة بن عامر الجهني[٥]،

(١) زيد بـن ثابت: زيد بن ثابت بـن الضحاك الأنصاري الخزرجي، أبو خارجـة: صحابي، من أكابرهم. كان كاتب الوحي في المدينة ونشأ بمكة، وقتل أبوه وهو ابن ست سنين. وهاجر مع النبي ﷺ وهو ابن ١١ سنة، وتعلم وتفقّه في الدين، فكان رأساً بالمدينة في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض. كان أحد الذين جمعـوا القـرآن في عهـد النبي ﷺ، وعرضه عليه، وهـو الذي كتبه في المصحف لأبـي بكر، ثم لعثمان حين جهز المصاحف إلى الأمصار. توفي سنة ٤٥هـ. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٥٧. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص ٣٤٦ ـ ٣٤٧.

(٢) عبدالله بن أرقم الزهري: عبدالله بن الأرقم بن يغوث القرشي الزهري: صحابي، من الكتاب الرؤساء، وهـو خال النبي ﷺ. أسـلم يوم فتـح مكة، وأصبح من كتّابه. ثم اسـتكتبه أبو بكر وعمر. وكان على بيت المال أيام عمر كلها، وسنتين من خلافة عثمان. واستقال. وأجازه عثمان بثلاثين ألف درهم، فلم يقبلهـا. مات سـنة ٤٤هـ. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعـلام، ج٤، ص ٧١. وانظر: ابن الأثير، علي ابن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص ١٧١ ـ ١٧٢.

(٣) شـرحبيل بن حسـنة: شـرحبيل بن عبدالله بن المطاع بن الغطريف الكندي، حليف بني زهرة، صحابي، من القادة. يعرف بشرحبيل بن حسنة، (وهي أمه)، أسلم بمكة، وهاجر إلى الحبشة، وغزا مع النبي ﷺ، فأوفده رسولاً إلى مصر، وتوفي ﷺ وشرحبيل في مصر. ثم جعله أبو بكر أحد الأمراء الذين وجههم لفتح الشام، فافتتـح الأردن كلهـا عنـوة، ما خلا طبرية، فإن أهلهـا صالحوه، وذلك بأمر من أبي عبيـدة، ولما قدم عمر الجابية عزله، واستعمل معاوية مكانه، فقال شرحبيل: أعن سخط عزلتني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، ولكني أردت رجلاً أقوى من رجل. توفي بطاعون عمواس سنة ١٨هـ. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٣، ص١٥٩. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص ٦١٩ ـ ٦٢٠.

(٤) عبدالله بـن مسـعود: عبدالله بـن مسـعود بـن غافل بن حبيب بن شـمخ بن فاز بـن مخزوم بـن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم، حليف بني زهرة. كان إسلامه قديماً في أول الإسلام، وضمه إليه رسول الله ﷺ فكان يلج عليه، ويلبسـه نعليه، ويمشـي أمامه ويسـتره إذا اغتسـل، ويوقظه إذا نام. شـهد بدراً والحديبية، وهاجر الهجرتين الأولى إلى الحبشـة والثانية إلى المدينة، وشـهد له رسول الله ﷺ بالجنّة، وقال: استقرئوا القرآن من أربعة. فبدأ بعبدالله بن مسعود. وكان من كتّاب الوحي، توفي بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين، ودفن بالبقيع. انظر: ابن عبدالبر؛ يوسف بن عبدالله: الاستعياب في معرفة الأصحاب، ج٣، ص٩٨٧ - ٩٩٤.

(٥) عقبة بـن عامر: عقبة بـن عامر بن عبس بن مالك الجهني: أمير، مـن الصحابة، كان رديف النبي ﷺ، وشـهد صفيـن مع معاوية، وحضـر فتح مصر مع عمرو بـن العاص، وولي مصر سـنة ٤٤هـ، وعُزل عنها سـنة ٤٧هـ، وولي غزو البحر. مات بمصر. كان شـجاعاً شاعراً، من الرماة، وفي القاهرة مسجد =

وكان يقود به إذا ركب في الأسفار، وبلال بن أبي رباح المؤذن، كان يخدمه، ويؤذن في مسجده.

ومن خدمه سعد[١] مولى أبي بكر الصديق، وذو بحر ابن أخ النجاشي وابن أخته، وأبو ذر الغفاري، وبكر بن شداخ الليثي[٢]، وهند[٣]، وأسماء[٤]، ابنا حارثة، وربيعة بن كعب الأسلمي[٥]، وعتق ﷺ أربعين مملوكاً، والله أعلم.

= عقبة بن عامر بجوار قبره. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٤، ص ٢٤٠. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٥١.

(١) سعد مولى أبي بكر: كان يخدم النبي ﷺ، كان مملوكاً لأبي بكر الصديق، وكان رسول الله ﷺ يعجبه خدمته، فقال له رسول الله ﷺ: أعتق سعداً، فقال أبو بكر: ما لنا هاهنا غيره، فقال له رسول الله: أعتق سعداً، أبتك الرجال، أبتك الرجال. انظر: ابن الأثير؛ علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص ٣٤٠.

(٢) بكر بن شداخ الليثي: وقيل بكير، كان يخدم النبي ﷺ وهو غلام، فلما احتلم جاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني كنت أدخل على أهلك، وقد بلغت مبلغ الرجال، فقال النبي ﷺ: «اللهم صدق قوله ولقيه الظفر». وفي خلافة عمر بن الخطاب قتل بكير يهودياً، فأبطل عمر دمه بدعاء النبي ﷺ. انظر: ابن الأثير؛ علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص ٢٤٢ - ٢٤٣.

(٣) هند بن حارثة: هند بن حارثة بن هند. وقيل: هند بن حارثة بن سعيد بن عبدالله بن غياث بن سعد بن عمرو بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفضى. أخو أسماء بن حارثة، وهو الذي أمره رسول الله ﷺ أن يأمر قومه أن يصوموا يوم عاشوراء. لزم هند رسول الله ﷺ، وكان يخدمه، هو وأخوه أسماء، وكانا من أهل الصَّفَّة. قال أبو هريرة: ما كنت أرى أسماء وهنداً ابني حارثة إلّا خادمين لرسول الله ﷺ، من طول لزومهما به، وخدمتهما إياه. انظر: ابن الأثير؛ علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٥، ص ٤١٥ - ٤١٦.

(٤) أسماء بن حارثة: أسماء بن حارثة بن هند بن سعيد بن عبدالله بن غياث بن سعد بن عمرو بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفضى. وقيل في نسبه غير ذلك، يُكنى أبا هند، له صحبة، وكان هو وأخوه هند من أهل الصَّفَّة. وأسماء هو الذي بعثه رسول الله ﷺ إلى قومه يأمرهم بصوم يوم عاشوراء. توفي سنة ست وستين بالبصرة، وهو ابن ثمانين سنة، وقيل: توفي بالبصرة أيام معاوية، في إمارة زياد بن أبيه. انظر: ابن الأثير؛ علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص ١٠٣.

(٥) ربيعة بن كعب الأسلمي: ربيعة بن كعب بن مالك بن يعمر، أبو فراس الأسلمي. يُعدُّ من أهل الحجاز، كان يخدم النبي ﷺ. وهو الذي سأل النبي ﷺ أن يرافقه إلى الجنّة، فقال: أعنّي على نفسك بكثرة السجود. وكان من أهل الصَّفّة، يلزم النبي ﷺ في السفر والحضر، وصحبه قديماً، وعمّر بعده حتى توفي بعد الحرّة، وكانت وفاته سنة ثلاث وستين هجرية. انظر: ابن الأثير؛ علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج، ص ٢١٦ - ٢١٧.



الباب الثاني والعشرون

في شيء من الأحاديث النبوية

قال النبي، صلى الله عليه وآله: الأعمال بالنيّات[١]. المجالس بالأمانة[٢]. المستشار مؤتمن[٣]. العدّة عطية[٤]. العدّة دين[٥]. الحرب خدعة[٦]. الندم توبة[٧]. الجماعة رحمة، والفرقة عذاب[٨]. الأمانة غنى[٩]. الدين النصيحة[١٠]. الحسب المال، والكرم التقوى[١١].

الخير عادة، والشر لحاجة[١٢]. السمّاح ربّاح، والعسر شؤم[١٣]. والحزم سوء الظن[١٤]. الولد مبخلة مجبنة[١٥]. البذاء من الجفاء[١٦]. القرآن هو الدواء[١٧]. الدعاء هو العبادة[١٨]. الدَّينُ يشين الدين، (٢١٩) التدبير نصف العيش، التودد

(١) انظر: صحيح مسلم (١٩٠٧) وصحيح البخاري (١، ٥٤) وسنن الترمذي (١٦٤٧).
(٢) انظر: مسند أحمد (١٤٧٣٤) وسنن أبي داود (٤٨٦٩).
(٣) انظر: مسند أحمد (٢٢٤١٤) وسنن أبي داود (٥١٢٨).
(٤) انظر: حلية الأولياء لأبي نعيم (٢٥٩٨).
(٥) انظر: المعجم الأوسط للطبري (٣٥١٣).
(٦) انظر: صحيح مسلم (١٧٣٩) وصحيح البخاري (٣٠٢٨) ومسند أحمد (١٠٣٤).
(٧) انظر: مسند أحمد (٣٥٨٦) وسنن ابن ماجه (٤٢٥٢).
(٨) انظر: مسند أحمد (١٨٤٧٢).
(٩) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (١٦).
(١٠) انظر: صحيح مسلم (٥٥) وسنن الترمذي (١٩٢٦).
(١١) انظر: مسند أحمد (٢٠١١٤) وسنن ابن ماجه (٤٢١٩) وسنن الترمذي (٣٢٧١).
(١٢) انظر: سنن ابن ماجه (٢٢١).
(١٣) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢٣).
(١٤) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢٤).
(١٥) انظر: مسند أحمد (١٧٥٩٨) ومسند الشهاب للقضاعي (٢٥).
(١٦) انظر: مسند أحمد (١٠٥١٩) ومسند ابن ماجه (٤١٨٤).
(١٧) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢٨).
(١٨) انظر: مسند أحمد (١٨٤١٠) وسنن أبي داود (١٤٧٩).

نصف العقل، الهم نصف الهرم، قلّة العيال أحدى اليسارين[١]. حسن السؤال نصف العلم[٢]. السلام قبل الكلام[٣]. الرضاع يغير الطباع[٤]. البركة مع أكابركم[٥]. ملاك العمل خواتمه[٦]. كرم الكتاب ختمه[٧]. خشية الله رأس كل حكمة، والورع سيد العمل[٨]. مطل الغنّي ظلم[٩]. ومسألة الغني نار[١٠]. التحدث بالنعم شكر[١١]. انتظار الفرج بالصبر عبادة[١٢]. الصوم جنة[١٣]. الزعيم غارم[١٤]. الرفق رأس الحكمة[١٥].كلمة الحكمة ضالّة كل حكيم متى وجدها فاز[١٦]. البر حسن الخلق[١٧]. الشباب شعبة من الجنون، النساء حبائل الشيطان[١٨]. الخمر جماع الإثم[١٩]. الخمر أمُّ الخبائث[٢٠]. الغلول من جمر جهنّم[٢١]. النياحة من عمل الجاهلية[٢٢]. الزنا

(١) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢٠).
(٢) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٣٣) والمعجم الأوسط للطبراني (٦٧٤٤).
(٣) انظر: سنن الترمذي (٢٦٩٩) ومسند الشهاب للقضاعي (٣٤).
(٤) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٣٥).
(٥) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٣٦) وصحيح ابن حيان (٥٥٩).
(٦) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢٥) وحلية الأولياء لأبي نعيم (١/ ١٣٩).
(٧) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٣٩).
(٨) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٤١) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٢/ ٣٨٦).
(٩) انظر: مسند أحمد (٥٣٩٥) والمعجم الأوسط للطبراني (٤٦٥٩).
(١٠) انظر: الدرّ المنثور للسيوطي (١/ ٣٥٩).
(١١) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٤٤)،
(١٢) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٤٦) وسنن الترمذي (٣٥٧١).
(١٣) انظر: سنن الترمذي (٦١٤) ومسند أحمد (١٦٩٠).
(١٤) انظر: مسند أحمد (٢٢٥٦٠) وسنن الترمذي (١٢٦٥).
(١٥) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٣٤).
(١٦) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٥٢).
(١٧) انظر: مسند أحمد (١٧٦٦٨) وصحيح مسلم (٢٥٥٣).
(١٨) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٣٧) وحلية الأولياء لأبي نعيم (١/ ١٣٨).
(١٩) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٣٧).
(٢٠) انظر: الأوسط للطبراني (٣٦٦٧) ومسند الشهاب للقضاعي (٥٧).
(٢١) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٣٧)،
(٢٢) انظر: مسند أحمد (٧٥٠٦) وحلية الأولياء لأبي نعيم (١/ ١٣٨).



يورث الفقر[١]. زنا العيون النظر[٢]. الحمّى رائد الموت[٣]. الحمّى من فيح جهنّم[٤]. الحمّى حظ (كل)[٥]. مؤمن من النار[٦]. القناعة مال لا ينفد[٧]. الأمانة تجرّ الرزق[٨]. (الخيانة تجرّ الفقر، الضجة تمنع الرزق)[٩] العمائم تيجان العرب[١٠]. الحياء خير كلّه[١١]. الحياء لا يأتي إلّا بخير[١٢]. المسجد بيت كل تقي[١٣]. آفة الحديث الكذب، وآفة العلم النسيان، وآفة الحلم السفه، وآفة العبادة الفترة، وآفة الشجاعة البغي، وآفة السماحة المنّ، وآفة الجمال الخيلاء، وآفة الحسب الفخر، وآفة الظرف الصلف، وآفة الجود السرف، وآفة الدين الهوى[١٤]. السعيد من وُعظ بغيره[١٥]. الشقي من شقي في بطن أمه[١٦]. كفّارة الذنب الندامة[١٧]. الجمعة حج المساكين[١٨]. الحج جهاد كل ضعيف[١٩] جهاد المرأة حسن التبعّل[٢٠]. طلب الحلال

(١) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦٦)،
(٢) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦٧)،
(٣) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٥٨)،
(٤) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٢١٧.
(٥) انظر: مسند أحمد (٥٥٧٦) وصحيح مسلم (٢٢٠٩).
(٦) انظر: المعجم الأوسط للطبراني (٧٥٤٠) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٢/ ١٨٢).
(٧) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦٣) والمعجم الأوسط للطبراني (٦٩٢٢).
(٨) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٤٢)،
(٩) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٢١٧.
(١٠) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦٨)،
(١١) انظر: مسند أحمد (١٨٩٧٧) وسنن داود (٤١٦٣).
(١٢) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧١) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٢/ ٢٥١).
(١٣) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٢) وحلية الأولياء لأبي نعيم (١/ ٢١٤).
(١٤) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٣) والمعجم الكبير للطبراني (٢٦٨٨).
(١٥) انظر: المعجم الكبير للطبراني (٦١٧٧) وصحيح مسلم (٢٦٤٥).
(١٦) انظر: مسند أحمد (٦٦٤٤) وصحيح مسلم (٢٦٥٤).
(١٧) انظر: مسند أحمد (٢٦٢٣) ومسند الشهاب للقضاعي (٧٧).
(١٨) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٨).
(١٩) انظر: مسند أحمد (٢٦٥٦٣) ومسند الشهاب للقضاعي (٨٠).
(٢٠) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٨٢).

جهاد[١]. موت الغريب شهادة[٢]. العمل لا يحل منعه[٣]. الشاهد يرى ما لا يرى الغائب[٤]. الدال على الخير كفاعله[٥]. ساقي القوم آخرهم شرباً[٦]. كل معروف صدقة[٧]. مداراة الناس صدقة[٨]. الكلمة الطيبة صدقة[٩]. ما وقي المرء به عرضه كتب له به صدقة، الصدقة على القرابة صدقة، وصلة[١٠]. الصدقة تمنع ميتة السوء[١١]. صدقة السرّ تطفئُ غضب الرب[١٢]. صلة الرحم تزيد في العمر[١٣]. فعل المعروف يقي مصارع السوء[١٤]. الرجل في ظل صدقته حتى يقضي بين الناس[١٥]. الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار[١٦]. المعتدي في الصدقة كمانعها[١٧]. التائب من الذنب كمن لا ذنب له[١٨]. الظلم ظلمات يوم القيامة[١٩]. كثرة الضحك تميت القلب[٢٠]. في كل كبد جرى أجر[٢١]. (٢٢٠) العلماء أمناء الله على

(١) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٨٢).
(٢) انظر: حلية الأولياء لأبي نعيم (٥/ ٢١٩) ومسند الشهاب للقضاعي (٨٣).
(٣) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٨٤).
(٤) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٨٥) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٣/ ١٧٨).
(٥) انظر: مسند أحمد (٢٢٤١٤) ومسند الشهاب للقضاعي (٨٦).
(٦) انظر: صحيح مسلم (٦٨١) ومسند أحمد (١٦١٤٤).
(٧) انظر: مسند أحمد (١٤٧٥١) وصحيح مسلم (١٠٠٥).
(٨) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٩١) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٨/ ٢٤٦).
(٩) انظر: مسند أحمد (٨١٦٨) وصحيح مسلم (١٠٠٩).
(١٠) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٩٤).
(١١) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٩٧) والمعجم الكبير للطبراني (٣١).
(١٢) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٩٩) والمعجم الكبير للطبراني (١٠١٨).
(١٣) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (١٠٠) والمعجم الكبير للطبراني (٨٠١٤).
(١٤) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (١٠١).
(١٥) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (١٠٣).
(١٦) انظر: سنن ابن ماجه (٣٩٧٣) وسنن الترمذي (٦١٤).
(١٧) انظر: سنن أبي داود (١٥٨٥) وسنن الترمذي (٦٤٦).
(١٨) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (١٠٨) والمعجم الكبير للطبراني (١٠٢٨١).
(١٩) انظر: سنن الترمذي (٢٠٣٠) وصحيح مسلم (٢٥٧٨).
(٢٠) انظر: سنن الترمذي (٢٣٠٥) وسنن ابن ماجه (٤١٩٣).
(٢١) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (١١٤) وسنن ابن ماجه (٣٦٨٦).

خلقه[١]. رأس الحكمة مخافة الله[٢]. الجنة دار الأسخياء[٣]. الجنة تحت ظلال السيوف[٤]. الجنة تحت أقدام الأمهات[٥]. الدعاء بين الأذان والإقامة لا يُردُّ[٦]. طلب كسب الحلال فريضة[٧]. أعظم النساء بركة أقلّهن مؤونة[٨]. المؤمن مرآة المؤمن[٩]. المؤمن أخو المؤمن، المؤمن يسير المؤونة[١٠]. المؤمن كيّس فطن حذر[١١]. المؤمن ألف مألوف[١٢]. المؤمن من أمنه الناس على أنفسهم وأموالهم[١٣]. المؤمن عزّ كريم، والفاجر خبّ لئيم[١٤]. المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً[١٥]. المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد[١٦]. المؤمن يوم القيامة في ظلّ صدقته[١٧]. المؤمن يأكل في أمعاءٍ واحد والكافر في سبعة أمعاء[١٨]. المؤمنون هيّنون ليّنون[١٩]. الشتاء ربيع المؤمن[٢٠]. الدنيا سجن

---

(١) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (١١٥).
(٢) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٩).
(٣) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (١١٧).
(٤) انظر: سنن الترمذي (١٦٥٩) وسنن أبي داود (٢٦٣١).
(٥) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (١١٩).
(٦) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (١٢٠).
(٧) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (١٢١).
(٨) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (١٢٣) ومسند أحمد (٢٥١٦٢).
(٩) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (١٢٤) وسنن أبي داود (٤٩١٨).
(١٠) انظر: حلية الأولياء لأبي نعيم (٨/ ٤٦).
(١١) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (١٢٨).
(١٢) انظر: شعب الإيمان للبيهقي (٨١١٩).
(١٣) انظر: سنن ابن ماجه (٣٩٣٤) وسنن الترمذي (٢٦٢٧).
(١٤) انظر: مسند أحمد (٩١٠٧) وسنن الترمذي (١٩٦٤).
(١٥) انظر: مسند أحمد (١٩٦٤٠) وسنن الترمذي (١٩٢٨).
(١٦) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (١٣٦) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٨/ ١٩٠).
(١٧) انظر: مسند أحمد (١٧٣٧١) ومسند الشهاب للقضاعي (١٣٧).
(١٨) انظر: سنن ابن ماجه (٣٢٥٦).
(١٩) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (١٣٩) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٥/ ١٨٠).
(٢٠) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (١٤١) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٨/ ٣٢٥).

المؤمن وجنة الكافر[١]. الدعاء سلاح المؤمن[٢]. الصلاة نور المؤمن[٣]. الحكمة ضالّة المؤمن[٤]. نيّة المؤمن أبلغ من عمله[٥]. هدية الله إلى المؤمن السائل على بابه[٦]. تحفة المؤمن الموت[٧]. شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزّه استغناؤه عن الناس[٨]. العلم خليل المؤمن، والحلم وزيره، والعقل دليله، والعمل قائده، والرفق والده، والبرّ أخوه، والصبر أمين جنوده[٩]. الغيرة من الإيمان[١٠]. الحياء من الإيمان[١١]. والبذاءة من النفاق[١٢]. الصبر نصف الإيمان واليقين الإيمان كله[١٣]. الإيمان نصفان: نصف شكر، ونصف صبر[١٤]. والإيمان يمانٌ والحكمة يمانيّة[١٥]. الإيمان قيد الفتك، والفتك فجأة وهو غافل[١٦]. علم الإيمان الصلاة[١٧]. المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده[١٨]. المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، المسلمون يد واحدة على من سبق لهم[١٩]. الموت كفارة

(١) انظر: مسند أحمد (٨٢٧٢) وسنن الترمذي (٢٣٢٤).
(٢) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (١٤٣).
(٣) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (١٤٤) وسنن ابن ماجه (٤٢١٠).
(٤) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (١٤٦) وسنن ابن ماجه (٤١٦٩).
(٥) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (١٤٧) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٢/ ٣٢٦).
(٦) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (١٤٩).
(٧) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (١٥٠) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٨/ ١٨٥).
(٨) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (١٥١) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٣/ ٢٥٣).
(٩) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (١٥٢) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٨/ ٥١).
(١٠) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (١٥٤).
(١١) انظر: سنن الترمذي (٢٠٠٩) وسنن ابن ماجه (٤١٨٤).
(١٢) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (١٥٤).
(١٣) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (١٥٨) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٥٨/ ٣٤).
(١٤) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (١٥٩).
(١٥) انظر: صحيح مسلم (٥٢) وسنن الترمذي (٣٩٣٥).
(١٦) انظر: مسند أحمد (١٤٢٦) ومسند الشهاب للقضاعي (١٦٤).
(١٧) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (١٦٥).
(١٨) انظر: مسند أحمد (٦٥١٥) وسنن الترمذي (٢٦٢٧).
(١٩) انظر: مسند أحمد (٥٣٥٧) وسنن الترمذي (١٤٢٦).

لكل مسلم[١]. وطلب العلم فريضة على كل مسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وعرضه، وماله[٢]. حرمة مال المسلم كحرمة دمه[٣]. المهاجر من هجر ما نهى الله عنه[٤]. المجتهد من جاهد نفسه في طاعة الله[٥]. الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والفاجر من اتبع نفسه هواها، وتمنى على الله المغفرة[٦]. المرء كثير بأخيه[٧]. المرء على دين خليله[٨] المرء مع من أحب[٩] كرم المرء دينه، ومروءته عقله، وحسن خلقه[١٠]. من حسن إسلام المرء ترك ما لا يعنيه[١١]. الناس كأسنان المشط، ومعادن كمعادن الذهب والفضة[١٢]. الناس كإبل مئة لا تجد فيها راحلة واحدة[١٣]. الغنى والإياس مما في أيدي الناس[١٤]. رأس العقل بعد الإيمان (٢٢١) التودد إلى الناس[١٥]. كل امرئ حسيب نفسه[١٦]. كل ما هو آتٍ قريب[١٧]. كل عين زانية[١٨]. وكل شيء بقضاء وقدر حتى العجز

(١) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (١٧١) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٣/ ١٢١).
(٢) انظر: سنن ابن ماجه (٢٢٤).
(٣) انظر: سنن الترمذي (١٩٢٧) وسنن ابن ماجه (٣٩٣٣).
(٤) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (١٧٧) وحلية الأولياء لأبي نعيم (١/ ١٣٨).
(٥) انظر: سنن الترمذي (١٤٢٦) وسنن أبي داود (٤٨٩٣).
(٦) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (١٨٣).
(٧) انظر: مسند أحمد (١٧١٦٤) ومسند الشهاب للقضاعي (١٨٥).
(٨) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (١٨٦).
(٩) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (١٨٧) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٣/ ١٦٥).
(١٠) انظر: سنن الترمذي (٢٣٨٥) وسنن أبي داود (٥١٢٧).
(١١) انظر: صحيح مسلم (٢٦٤١) ومسند الترمذي (٢٣٨٥).
(١٢) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (١٩٠).
(١٣) انظر: سنن الترمذي (٢٣١٧) ومسند أحمد (١٧٣٢).
(١٤) انظر: سنن الترمذي (٢٨٧٢) ومسند أحمد (٥٨٨٢).
(١٥) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (١٩٩) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٤/ ١٨٨).
(١٦) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢٠٠) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٣/ ٢٠٣).
(١٧) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢٠١) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٦/ ٦٤).
(١٨) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢٠٢) وحلية الأولياء لأبي نعيم (١/ ٢٩٢).

والكيس[١]. كل صاحب علم غرثان إلى علم آخر[٢]. ولكل شيء عماد، وعماد هذا الدين العفّة[٣]. كل مشكل حرام، وليس في الدين إشكال[٤]. كل مسكر حرام[٥]. كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته[٦]. لكل غادر لواء يوم القيامة بقدر غدرته (يُعرف به)[٧]. أول ما يُقضى بين الناس في الدماء[٨]. أول ما يحاسب به العبد الصلاة[٩]. أول ما يوضع في الميزان الخلق الحسن[١٠]. أول ما يرفع الحياء والأمانة[١١]. أول ما تفقدون من دينكم الأمانة، وآخر ما تفقدون الصلاة[١٢]. الودّ يتوارث، والبغض يتوارث[١٣]. حبك للشيء يعمي ويصم[١٤]. الهدية تذهب بالسمع والبصر[١٥]. الخير معقود في نواصي الخيل إلى يوم القيامة[١٦]. يمن الخيل في شعرها[١٧]. السفر قطعة من العذاب[١٨]. طاعة النساء ندامة[١٩]. البلاء موكل

(١) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢٠٣) ومسند الترمذي (٢٧٨٦).
(٢) انظر: مسند أحمد (٥٨٩٣) ومسند الشهاب للقضاعي (٢٠٤).
(٣) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢٠٥).
(٤) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢٠٦).
(٥) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢٠٨).
(٦) انظر: صحيح مسلم (٩٧٧) وسنن الترمذي (١٨٦١).
(٧) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٢١٩. وانظر: سنن الترمذي (١٧٠٥) وسنن أبي داود (٢٩٢٨).
(٨) انظر: مسند أحمد (٩٠٩٣) وسنن الترمذي (٢١٩١).
(٩) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢١٣) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٧/ ١٢٧).
(١٠) انظر: سنن النسائي (٤٦٥).
(١١) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢١٤) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٥/ ٧٥).
(١٢) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢١٥).
(١٣) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢١٦).
(١٤) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢١٨).
(١٥) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢١٩).
(١٦) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢٢٠).
(١٧) انظر: سنن الترمذي (١٦١٧) وسنن ابن ماجه (٢٢٩٦).
(١٨) انظر: سنن الترمذي (١٦١٨) ومسند الشهاب للقضاعي (٢١٥).
(١٩) انظر: صحيح مسلم (٣٥٥٤) وسنن ابن ماجه (٢٨٧٣).

بالقول[١]. الصيام نصف الصبر، على كل شيء زكاة، وزكاة الجسد الصيام[٢]. الصائم لا تردّ دعوته[٣]. الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة[٤]. السؤال يزيد الرجل فصاحة[٥]. جمال الرجل فصاحة لسانه[٦]. الإمام ضامن، والمؤذّن مؤتمن[٧]. المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة[٨]. شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي[٩]. الأنصار كرشي وعيبتي[١٠]. يد الله مع الجماعة[١١]. الصمت حكم وقليل فاعله[١٢]. الرزق أشدّ طلباً للعبد من أجله[١٣]. الرفق في المعيشة خير من بعض التجارة[١٤]. التاجر الجبان محروم، والتاجر الجسور مرزوق[١٥]. حسنى الملكة نماء، وسوء الملكة شؤم[١٦]. فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة[١٧]. والقبر أول منزل من منازل الآخرة[١٨]. الصبر عند الصدمة الأولى[١٩]. دفن البنات من المكرمات[٢٠].

(١) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢١٧).
(٢) انظر: شعب الإيمان للبيهقي (٤٧٤٢).
(٣) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢٢٠).
(٤) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢٢١).
(٥) انظر: مسند أحمد (١٨٩٧٩) ومسند الشهاب للقضاعي (٢٢٢).
(٦) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢٢٣).
(٧) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢٢٤).
(٨) انظر: مسند أحمد (٧١٦٩) ومسند الشهاب للقضاعي (٢٢٥).
(٩) سنن ابن ماجه (٧١٧) ومسند الشهاب للقضاعي (٢٣٥).
(١٠) انظر: مسند أحمد (١٣٢٤٥) ومسند الشهاب للقضاعي (٢٣٦)
(١١) انظر: سنن الترمذي (٣٨٤٢).
(١٢) انظر: سنن الترمذي (٢٠٩٢).
(١٣) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢٤٠).
(١٤) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢٤١).
(١٥) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢٤٢).
(١٦) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢٤٣).
(١٧) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢٤٤).
(١٨) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢٤٦).
(١٩) انظر: مسند أحمد (٤٥٤) ومسند الشهاب للقضاعي (٢٤٨).
(٢٠) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢٤١) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٥/٢٠٩).

معترك المنايا بين الستين إلى السبعين[١]. أعمار أمتي بين الستين والسبعين[٢]. المكر والخديعة في النار[٣]. اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع[٤]. اليمين الكاذبة منفقة للسلعة منفقة للكسب[٥]. اليمين على نيّة المستحلف[٦]. الحلف حنث أو ندم[٧]. السلام تحية للثناء وأمان لذمتنا[٨]. علم لا ينفع ككنز لا ينفق منه[٩]. الطاعم الشاكر له مثل أجر الصائم الصابر[١٠]. الصلاة قربان كل تقي[١١]. بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة[١٢]. (٢٢٢) موضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد[١٣]. صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم[١٤]. الزكاة قنطرة الإسلام[١٥]. طيّب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه، وطيّب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه[١٦]. التراب ربيع الصبيان[١٧]. الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر اختلف[١٨]. الصدق اطمئنانية[١٩]. والكذب ريبة[٢٠]. والإيمان

---

(١) انظر: شعب الإيمان للبيهقي (١٠٢٥٣).
(٢) انظر: سنن الترمذي (٣٤٧٣) ومسند الشهاب للقضاعي (٢٥٠).
(٣) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢٥٤).
(٤) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢٥٥).
(٥) انظر: مسند أحمد (٧٢٠٦) ومسند الشهاب للقضاعي (٢٥٦).
(٦) انظر: سنن ابن ماجه (٢١١١) ومسند الشهاب للقضاعي (٢٥٩).
(٧) انظر: سنن ابن ماجه (٢٠٩٤) ومسند الشهاب للقضاعي (٢٦٠).
(٨) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢٦٢).
(٩) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢٦٣).
(١٠) انظر: مسند الترمذي (٢٤١٠) ومسند الشهاب للقضاعي (٢٦٤).
(١١) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢٦٥).
(١٢) انظر: سنن الترمذي (٢٥٥٤) وسنن ابن ماجه (١٠٦٨).
(١٣) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢٦٨).
(١٤) انظر: سنن أبي داود (٨١٤) وسنن ابن ماجه (١٢٢٠).
(١٥) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢٧٠).
(١٦) انظر: سنن الترمذي (٢٧١١) وسنن أبي داود (١٨٥٩).
(١٧) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢٧٣).
(١٨) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢٧٤).
(١٩) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢٧٥).
(٢٠) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢٧٥).

بالقرآن غنى لا فقر بعده، ولا غنى دونه[١]. الإيمان بالقدر يذهب الهمّ والحزن[٢]. والزهد في الدنيا يريح القلب والبدن، والرغبة في الدنيا تكثر الهمّ والحزن، والبطالة تقسي القلب[٣]. العالم والمتعلم شريكان في الخير[٤]. على اليد ما أخذت حتى تؤدي[٥]. الولد للفراش، وللعاهر الحجر[٦]. الضيافة على أهل الوبر، وليست من أهل المدر[٧]. للسائل حق، وإن جاء على فرس[٨]. أي داء أدوى من البخل[٩]. العائد في هبته كالكلب يعود في قيئه[١٠]. النظر إلى الخضرة يزيد في البصر، المرأة الحسناء نعمة فليشكرها، ومن لم يشكر القليل، لم يشكر الكثير[١١]. من عزّى مصاباً فله مثل أجره[١٢]. من فطّر صائماً فله مثل أجره[١٣]. من رفق بأمتي رفق الله به[١٤]. من عاد مريضاً لم يزل في خرفة الجنة[١٥]. من دعا على من ظلمه انتصر[١٦]. من مشى مع ظالم فقد أجرم[١٧]. من تشبه بقوم فهو منهم[١٨]. من طلب

---

(١) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢٧٦).
(٢) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢٧٧).
(٣) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢٧٨) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٦/ ٢٨٨).
(٤) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢٧٩).
(٥) انظر: سنن الترمذي (١١٨٧) وسنن أبي داود (٣٠٩١).
(٦) انظر: سنن الترمذي (١٠٧٧) وسنن أبي داود (١٩٣٥).
(٧) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢٨٤).
(٨) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢٨٥) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٨/ ٣٧٩).
(٩) انظر: صحيح البخاري (٢٩٠٤) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٧/ ٣١٧).
(١٠) انظر: سنن الترمذي (١٢١٩) وسنن أبي داود (٣٠٧١).
(١١) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢٨٩) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٣/ ٢٠٢).
(١٢) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٣٧٨) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٥/ ٩).
(١٣) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٣٨٢) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٣/ ٣٢٥).
(١٤) انظر: مسند أحمد (٢٤٣٨٢) ومسند الشهاب للقضاعي (٣٨٣).
(١٥) انظر: مسند أحمد (١١٦٦) ومسند الشهاب للقضاعي (٣٨٤).
(١٦) انظر: سنن الترمذي (٣٤٧٥) ومسند الشهاب للقضاعي (٢٨٦).
(١٧) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٣٨٩).
(١٨) انظر: مسند أحمد (٥١١٤) ومسند الشهاب للقضاعي (٣٩٠).

العلـم تكفـل الله برزقه[١]. من لم ينفعه علمه ضرّه جهلـه[٢]. من أبطأ به عمله، لم يسـرع به نسـبه[٣]. من جعل قاضياً فقد ذُبح بغير سـكين[٤]. من حمل سلعته، فقد برئ من الكبر[٥]. من سـاد هذا الدين يغلبه[٦]. من كذب بالشـفاعة لم ينلها[٧]. من سرّته حسنته، وساءته سيّئته فهو مؤمن[٨]. من صام الأبد فلا صام ولا أفطر[٩]. من خـاف أدلـج، ومـن أدلـج بلـغ المنـزل[١٠]. من يشـتهي كرامـة الآخرة، يـدع زينة الدنيـا[١١]. مـن كثرت صلاته بالليل حسـن وجهه بالنهار[١٢]. مـن أحب دنياه أضرّ بآخرته، ومن أحب آخرته أضرّ بدنياه[١٣]. من أهان سلطان الله أهانه الله، ومن أكرم سلطان الله أكرمه الله[١٤]. ومن أحب عمل قوم خيراً كان أو شراً كان كمن عمله[١٥]. من استعاذكم بالله فأعيذوه، من سألكم بالله فأعطوه، من دعاكم بالله فأجيبوه، ومن أتـى (٢٢٣) إليكـم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجـدوا، فادعوا له، حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه[١٦]. من مشـي منكم إلى طمع فليمش رويداً[١٧]. من عمّره الله سـتين

(١) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٣٩١)
(٢) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٣٩٢) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٥/ ١٧٧).
(٣) انظر: سنن الترمذي (٢٨٦٩) وسنن أبي داود (٣١٥٨).
(٤) انظر: سنن الترمذي (١٢٤٧) وسنن أبي داود (٣١٠٠).
(٥) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٣٩٧).
(٦) انظر: مسند أحمد (١٩٨٠١) ومسند الشهاب للقضاعي (٣٩٨).
(٧) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٣٩٩).
(٨) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٤٠٠) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٤/ ١٨٤).
(٩) انظر: سنن ابن ماجه (١٧٠٥) وسنن النسائي (٢٣٧٤).
(١٠) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٢٥٠) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٨/ ٣٧٧).
(١١) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (١/ ٢٥١).
(١٢) انظر: سنن ابن ماجه (١٣٣٣) ومسند الشهاب للقضاعي (٤٠٨).
(١٣) انظر: مسند أحمد (١٩٧١٢) ومسند الشهاب للقضاعي (٤١٨).
(١٤) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٤١٩).
(١٥) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٤٢٠).
(١٦) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٤٢١).
(١٧) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٤٢٢).

سنة، فقد أعذر الله في العمر[١]. من أصبح لا ينوي ظلم أحد، غفر له ما جنى، وإن لم يستغفر[٢]. من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له[٣]. ومن ساءته خطيئته غُفر له، وإن لم يستغفر[٤]. من خاف الله، خوّف الله كل شيء منه، ومن لم يخف الله، خوّفه الله كل شيء[٥]. من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله، كره الله لقاءه[٦]. من سُئل عن علم يعلمه، فكتمه، أُلجم بلجام من نار يوم القيامة[٧] من استطاع منكم أن يكون له خِبْءٌ من عمل صالح، فليعمل طاعة مخفيّة[٨]. من فتح له باب خير، فليبتدر إليه، فإنه لا يدري متى يغلق عليه. من كظم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه، ملأ الله قلبه منّاً وإيماناً[٩]. من سرّه أن يجد طعم الإيمان فليحب، المرء المسلم لا يحبه إلّا الله تعالى[١٠]. من أصاب مالاً من تهاوش، أذهبه الله في تهابر[١١]. من أعطى حظه من الرفق، فقد أُعطيَ من حظه خير الدنيا والآخرة[١٢]. من آثر محبة الله على محبة الناس كفّاه الله مؤونة الناس[١٣]. من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقه الإسلام من عنقه[١٤]. ومن فارق الجماعة، واستذل الإمارة،

(١) انظر: حلية الأولياء لأبي نعيم (٦/ ٢٦٥).
(٢) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٤٢٥).
(٣) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٤٢٦).
(٤) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٤٢٨).
(٥) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٤٢٩).
(٦) انظر: سنن الترمذي (١٠٦٦) وسنن ابن ماجه (٤٢٦٤).
(٧) انظر: سنن الترمذي (٢٦٤٩) وسنن ابن ماجه (٢٦٤).
(٨) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٤٣٤).
(٩) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٤٣٧).
(١٠) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٤٤٠) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٧/ ٢٠٤).
(١١) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٤٤١).
(١٢) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٤٤٤) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٩/ ١٥٩).
(١٣) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٤٤٧).
(١٤) انظر: مسند أحمد (٢١٦٠١) ومسند الشهاب للقضاعي (٤٤٨).

لقي الله ولا راحة له عنده[١]. من نزع يده من الطاعة، لم تكن له حجّة يوم القيامة[٢]. من فارق الجماعة، مات ميتة جاهلية[٣]. من سرّه أن يسكن بحبوحة الجنّة فليلزم الجماعة[٤]. من أقال نادماً بيعته، أقال الله عثرته يوم القيامة[٥]. من فرّق بين والدة وولدها، فرّق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة[٦]. من كفّ لسانه عن أعراض الناس، أقال الله عثرته يوم القيامة[٧]. من شاب شيبة في الإسلام، كانت له نوراً يوم القيامة[٨]. من أنظر معسراً، أو وضع عنه، أظله الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلّا ظله[٩]. من يسّر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة[١٠]. من كان ذا لسانين في الدنيا، جعل الله له لسانين من نار[١١]. من نظر في كتاب أخيه بغير إذنه، فكأنما ينظر في النار[١٢]. من أخلص لعبادة الله، أظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على (٢٢٤) لسانه[١٣]. من كان آمراً بالمعروف، فليكن أمره ذلك بمعروف[١٤]. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه. من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت[١٥]. من

(١) انظر: مسند أحمد (٢٣٣٣١) ومسند الشهاب للقضاعي (٤٤٩).
(٢) انظر: مسند أحمد (٥٦٧٦) ومسند الشهاب للقضاعي (٤٥٠).
(٣) انظر: مسند أحمد (٦١٦٦) وسنن النسائي (٤١١٤).
(٤) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٤٥١).
(٥) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٤٥٣).
(٦) انظر: مسند أحمد (٢٣٥٤٦) ومسند الشهاب للقضاعي (٤٥٦).
(٧) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٤٥٥).
(٨) انظر: سنن الترمذي (١٦٣٤) ومسند الشهاب للقضاعي (٤٥٧).
(٩) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٤٦٠) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٢/ ٢٠).
(١٠) انظر: سنن الترمذي (١٩٣٠) وسنن ابن ماجه (٢٢٥).
(١١) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٤٦٣) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٢/ ١٦٠).
(١٢) انظر: سنن أبي داود (١٤٨٥) ومسند الشهاب للقضاعي (٤٦٤).
(١٣) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٤٦٦) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٥/ ١٨٥).
(١٤) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٤٦٥).
(١٥) انظر: سنن الترمذي (١٩٦٧).

أسلم على يديه رجل وجبت له الجنة[١]. من نصر أخاه بظهر الغيب، نصره الله في الدنيا والآخرة[٢]. والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه[٣]. من فرج عن أخيه كربة من كرب الدنيا، فرّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة[٤]. ومن كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته[٥]. من ستر على أخيه، ستره الله في الدنيا والآخرة[٦]. من بنى مسجداً ولو كان مثل مفحص قطاة، بنى الله له بيتاً في الجنة[٧]. من طلب علماً فأدركه، كتب الله له كفلين من الأجر، ومن طلب علماً ولم يدركه، كتب له كفل الأجر[٨]. ومن سمع الناس، سمع الله به مسامع خلقه يوم القيامة، وحقّره، وصغّره[٩]. من طلب الدنيا بعمل الآخرة، فما له في الآخرة من نصيب[١٠]. من أولي معروفاً فلم يجد جزاء إلّا الثناء عليه فقد شكره، ومن كتمه فقد كفره[١١]. ومن أولي معرفاً فليكافئه، فإن لم يستطع فليذكره، فإن ذكره فقد شكره[١٢]. من أولي رجلاً معروفاً في الدنيا، فلم يقدر على أن يكافئه، كافأه الله عنه يوم القيامة[١٣]. من رأى عورة فسترها، كان كمن أحيا موؤودة من قبرها[١٤]. من انقطع إلى الله بالعبادة والطاعة كفّاه الله كل مؤونته ورزقه من حيث لا يحتسب، ومن انقطع إلى الدنيا،

(١) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٤٧٢).
(٢) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٤٧٣).
(٣) انظر: سنن الترمذي (١٤٢٥) وسنن ابن ماجه (٢٢٥).
(٤) انظر: سنن الترمذي (١٤٢٥) وسنن أبي داود (٤٩٤٦).
(٥) انظر: مسند أحمد (٥٦٤٦) وسنن الترمذي (١٤٢٦).
(٦) انظر: سنن الترمذي (٢٩٤٥) وسنن ابن ماجه (٢٢٥).
(٧) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٤٧٩ - ٤٨٠) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٤/ ٢١٧).
(٨) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٤٨١).
(٩) انظر: حلية الأولياء لأبي نعيم (٤/ ١٢٤).
(١٠) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٤٨٤).
(١١) انظر: سنن الترمذي (٢٠٣٤) ومسند الشهاب للقضاعي (٤٨٥).
(١٢) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٤٨٧) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٣/ ٣٨١).
(١٣) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٤٨٨).
(١٤) انظر: مسند أحمد (١٧٣٧٠) ومسند الشهاب للقضاعي (٤٨٩ - ٤٩٠).

وكّله الله إليها[١]. ومن طلب محامد الناس بمعاصي الله، عاد حامده من الناس ذمّاً له[٢]. من التمس رضى الله بسخط الناس رضي الله عنه، وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله، سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس[٣]. من مات على خير عمله، فارجو له خيراً، ومن مات على سيئ عمله، فخافوا عليه، ولا تبايسوا[٤]. من أذنب في الدنيا فعوقب به، فالله أعدل من أن يثني عقوبته على عبده.. ومن أذنب ذنباً فستره الله عليه، فالله أكرم من أن يعود في شيء قد عفا عنه[٥]. من لم يكن له ورع يصدّه عن معصية (٢٢٥) الله، إذا خلا لم يعبأ الله بشيء[٦]. ومن أحسن صلاته حين يراه الناس، ثم أساءها حين يخلو، فتلك استهانة استهان بها ربّه ﷻ[٧]. من لم تنهه صلاته عن الفحشاء المنكر، لم تزده من الله إلّا بعدا[٨]. ومن حاول أمراً بمعصية، كان أفوت لما رجا، وأقرب (مجيء) ما اتقى[٩]. ومن كانت له سريرة صالحة أو سيئة، نشر الله عليه منها رداءً يُعرف به[١٠]. من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها، فليكفر عن يمينه، ثم ليفعل الذي هو خير[١١]. من ابتلى من هذه البنات بشيء، فأحسن إليهن، كُنّ له ستراً من النار[١٢]. من قتل عصفوراً عبثاً، جاء يوم القيامة وله صراخ عند العرش، فيقول: ربّ سل هذا فيما قتلني من غير

(١) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٤٩٣).
(٢) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٤٩٨).
(٣) انظر: سنن الترمذي (٢٤١٤) ومسند الشهاب للقضاعي (٤٩٩).
(٤) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٥٠٢).
(٥) انظر: سنن ابن ماجه (٢٦٠٤) ومسند الشهاب للقضاعي (٥٠٣).
(٦) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٥٠٤).
(٧) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٥٠٥ - ٥٠٦).
(٨) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٥٠٨ - ٥٠٩) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٥/٢٢٨). و(مجيء) استدراك من المصدر نفسه.
(٩) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٥١٢ - ٥١٣) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٦/٣٣٩).
(١٠) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٥١٠ - ٥١١) وحلية الأولياء لأبي نعيم (١٠/٢١٥).
(١١) انظر: سنن الترمذي (١٥٣٠) وسنن ابن ماجه (٢١١١).
(١٢) انظر: مسند أحمد (٢٤١٠١).

منفعـة[١]. مـن سـأل النـاس أموالهم تكثـر، فإنما يسـأل جمرة، فليغتسـل منه، أو يستكثر[٢]. من سأل الناس عن ظهر غنى، فصداع في الرأس، وداء في البطن[٣]. من مشى إلى طعام لم يُدعَ إليه، فقد دخل سارقاً، وخرج متغيّراً معيّراً[٤]. من كان وصله لأخيه المسـلم إلى ذي سـلطان في منهج من أو تيسـير عسـير، أعانه الله إلى جادة الصـراط يـوم تُدحض فيه الأقدام[٥]. من لعب بالنردشـير، فهـو كمن غمس يده في لحم الخنزير ودمه[٦]. من نزل على قوم، فلا يصومنّ تطوعاً إلّا بإذنهم[٧]. من انتهر صاحـب بدعة، ملأ الله قلبـه مناً وإيماناً، من أهان صاحب بدعة، أمنه الله يوم الفزع الأكبر[٨]. من أصبح معافاً في بدنه أمناً في سـربه عنده قوت يوم، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها[٩]. من ولي شـيئاً من أمر المسـلمين، فأراد الله به خيراً، جعل معه وزيـراً صالحـاً، فـإن نسـي ذكّـره، وإن ذكّـره، أعانـه الله[١٠]. من عامل النـاس، فلم يظلمهـم، وحدثهم، فلم يكذبهم، ووعدهم، فلم يخلفهم، فهو ممن كملت مروءته، وظهرت عدالته، ووجبت أخوته، وحرمت غيبته[١١]. من حفظ ما بين لحيته وما بين رجليه، ضمنت له بالجنة[١٢]. من وقي شـرّ لقلقه، وشـرّ قبقبه، وشرّ ذبذبه، فقد وقي شـرّاً عظيمـاً[١٣]. من نزلت به فاقـة فأنزلها (بالناس لـم يكسـب)[١٤]. من كذب عليّ

(١) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٥٢٤).
(٢) انظر: مسند أحمد (٧١٦٣) وسنن ابن ماجه (١٨٣٨).
(٣) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٥٢٦).
(٤) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٥٢٧).
(٥) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٥٣٠ - ٥٣١ - ٥٣٢).
(٦) انظر: سنن ابن ماجه (٣٧٦٣) وسنن أبي داود (٤٩٣٩).
(٧) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٥٣٦).
(٨) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٥٣٧).
(٩) انظر: سنن الترمذي (٢٣٤٦) ومسند الشهاب للقضاعي (٥٣٩).
(١٠) انظر: مسند أحمد (٢٤٤٥٩) وسنن أبي داود (٢٩٣٢).
(١١) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٥٤٣).
(١٢) انظر: مسند أحمد (٢٢٨٧٤).
(١٣) انظر: شعب الإيمان للبيهقي (٥٤٠٩).
(١٤) استدراك من النسخة الأصلية ب / ص ٢٢٤.

متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار[١]. حفت الجنة بالمكاره، (٢٢٦) وحفت النار بالشهوات[٢]. وجبت محبة الله على من أغضب فحلم[٣]. بُعثتُ بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وبصرت بالصمت (غادياً له نور[٤] يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة عمّا لمن به)، كما تكونون يولّى عليكم[٥]. يُبعث الناس يوم القيامة على نيّاتهم[٦]. يشهد شاهد الزور يوم القيامة مدلعاً لسانه في النار[٧]. رحم الله امرءًا أصلح من لسانه[٨]. رحم الله عبداً قال خيراً فغنم، أو سكت فسلم[٩]. رحم الله المتخللين من أمتي في الوضوء والطعام[١٠]. أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلّا من حيث لا يعلم[١١]. وكاد الفقر أن يكون كفراً، وكاد الحسد أن يغلب القدر[١٢]. خصّ البلاد بمن عرف الناس، وعاش فيهم من لم يعرفهم[١٣]. يطبع المؤمن على كل خلق، ليس الخيانة والكذب[١٤]. يا أيها الناس تبنون ما لا تسكنون، وتجمعون مالا تأكلون، وتأكلون ما لا تدركون[١٥]. كم من مستقبلِ يوماً لا يستكمله، ومنتظر غداً لا يبلغه[١٦]. عجبت من غافل ولا يغفل عنه،

(١) انظر: سنن أبي داود (٣٦٥١) وسنن ابن ماجه (٣٠).
(٢) انظر: صحيح مسلم (٢٨٢٣) وسنن الترمذي (٢٥٥٩).
(٣) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٥٦٩).
(٤) انظر: صحيح مسلم (٥٢٣). استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٢٢٤.
(٥) انظر: شعب الإيمان للبيهقي (٧٣٩١).
(٦) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٥٧٨).
(٧) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٥٧٩).
(٨) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٥٨٠).
(٩) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٥٨١ - ٥٨٢).
(١٠) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٥٨٣).
(١١) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٥٨٥).
(١٢) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٥٨٦) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٣/ ٥٣).
(١٣) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٥٨٨).
(١٤) انظر: مسند أحمد (٢٢٢٢٤) ومسند الشهاب للقضاعي (٥٨٩ - ٥٩٠ - ٥٩١).
(١٥) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٥٩٢) وحلية الأولياء لأبي نعيم (١/ ٣٥٨).
(١٦) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٥٩٣) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٤/ ٢٤٣).

وعجبت لمؤمل دنيا والموت يطلبه، وعجبت لضاحك ملء فيه، ولا يدري أرضى الله أم أسخطه[١]. يا عجباً كل العجب للمصدق بدار الخلود، وهو يسعى لدار الغرور[٢]. عجباً للمؤمن، فوالله لا يقضي الله للمؤمن قضاءً إلّا كان خيراً له[٣] اقتربت الساعة، فلا يزداد الناس على الدنيا إلّا حرصاً، ولا تزداد منهم إلّا بعداً[٤]. يهرم ابن آدم، وتشب منه اثنتان: الحرص على الدنيا والمال، والحرص على العمر[٥]. جبلت القلوب على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها[٦]. جف القلم بالشقي، والسعيد[٧]. فرغ الله من أربع: من الخلق، والخُلق، والأجل، والرزق[٨]. فرغ الله إلى كل عبد من خمس: من عمله، وأجله، وأثره، ومضجعه، ورزقه، لا يتعداهن[٩]. جف القلم بما أنت لاقٍ[١٠]. تجدون من شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه[١١]. يذهب الصالحون أسلافاً، الأول فالأول، حتى لا يبقى إلّا حثالة كحثالة التمر والشعير، لايبالي الله بهم[١٢]. يبصر أحدكم القذى في عين أخيه، ويدع الجذع في عينه[١٣]. كبرت خيانة أن تحدث (٢٢٧) أخاك حديثاً هو لك مصدق، وأنت له كاذب[١٤]. كأن الحق فيها

(١) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٥٩٤).
(٢) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٥٩٥). وحلية الأولياء لأبي نعيم (٣/ ١٢٩).
(٣) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٥٩٦).
(٤) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٥٩٧). وحلية الأولياء لأبي نعيم (٧/ ٢٤٢).
(٥) انظر: سنن الترمذي (٢٣٣٩) وسنن ابن ماجه (٤٢٣٤).
(٦) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٥٩٩).
(٧) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦٠١).
(٨) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦٠١).
(٩) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦٠٢).
(١٠) انظر: سنن النسائي (٣٢١٥) ومسند الشهاب للقضاعي (٦٠٣ - ٦٠٤).
(١١) انظر: صحيح مسلم (٢٥٢٦) وسنن أبي داود (٤٨٧٢).
(١٢) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦٠٧ - ٦٠٨).
(١٣) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦١٠).
(١٤) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦١١ - ٦١٢ - ٦١٣). وحلية الأولياء لأبي نعيم (٦/ ٩٩).

على غيرنا وجب، وكأن الموت فيها على غيرنا كُتب، وكأن الذي نشيّع من الأموات سفر عمّا قليل إلينا عائدون نبوؤهم أجداثهم، ونأكل تراثهم، كأنا مخلدون بعدهم، وقد نسينا كل موعظة، وأمنا كل حائجة[١]. طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وأنفق من مال اكتسبه من غير معصية، وخالط أهل الفقه والحكمة، وجانب أهل الذلّ والمعصية، طوبى لمن ذّل في نفسه، وحسنت خليقته، وأنفق على أهل الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله، ووسعته السنة، ولم يعدها إلى بدعة. طوبى لمن طاب كسبه، وصلحت سريرته، وكرمت علانيته، وعزل عن الناس شرّه. طوبى لمن عمل بعلمه[٢]. ابن آدم، لا بقليل تقنع، ولا من كثير تشبع. ابن آدم، عندك ما يكفيك، وأنت تطلب ما يطغيك[٣]. طوبى لمن اهتدى إلى الإسلام، وكان عيشه كفافاً، وقنع به[٤]. اشفعوا تُؤجروا[٥]. سافروا تصحوا وتغنموا[٦]. يسروا ولا تعسروا[٧]. وصوموا تصحوا[٨]. وسكنوا ولا تنفروا[٩]. اعملوا وقاربوا وسددوا[١٠]. قيّدها وتوكل على الله[١١]. زر غبّاً تزدد حبّاً[١٢]. ابدأ بنفسك، ثم بمن تعول[١٣]. أَخْبُرْ تَقْلَهُ،

(١) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦١٤) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٣/ ٢٠٣).
(٢) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦١٤) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٣/ ٢٠٣).
(٣) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦١٨) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٣/ ١٢٩).
(٤) انظر: سنن الترمذي (٢٣٤٩) ومسند الشهاب للقضاعي (٦١٦).
(٥) انظر: سنن الترمذي (٢٥٥٧) وسنن أبي داود (٥١٣٢).
(٦) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦٢٢).
(٧) انظر: صحيح مسلم (١٧٣٢) وسنن أبي داود (٤٨٣٥).
(٨) انظر: المعجم الأوسط (٨٣١٢).
(٩) انظر: مسند أحمد (١٢٣٥٥).
(١٠) انظر: سنن الترمذي (٣٠٣٨-٣١٦٨) وسنن ابن ماجه (٤٢٠١).
(١١) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦٣٣).
(١٢) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦٢٩ - ٦٣٢) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٣/ ٣٢٢).
(١٣) انظر: صحيح مسلم (٩٩٧) وسنن النسائي (٢٥٤٦ - ٤٦٥٢).

وثـق بالنـاس رويـداً[١]. قيّدوا العلـم بالكتابـة[٢]. أقلل مـن الدَّين تعش حـرّاً[٣]. أقلـل مـن الذنوب يهن عليك المـوت[٤]. انظر في أي موضـع تضع ولدك، فإن العـرق دسـاس[٥]. كـن ورعاً، تكن أعبـد الناس، وكـن قنعاً تكن أشـكر الناس، واحبـب للنـاس مـا تحب لنفسـك تكن مؤمنـاً. يا أبـا هريرة، أحسـن جوار من جاورك تكن مسلماً، وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمناً، واعمل بفرائض الله تكن عابداً، وارضَ بقسـم الله تكن زاهداً[٦]. إزهد في الدنيا بحبك للناس[٧]. كـن فـي الدنيـا كأنك غريـب، أو كأنك عابر سـبيل، وعدّ نفسـك مـن أصحاب القبـور، دع مـا يريبك إلى مـا لا يريبك[٨]. انصـر أخاك ظالمـاً أو مظلوماً، قيل: وكيـف أنصـره ظالماً؟ قال: تمنعه عن الظلـم[٩]. ارحم من في الأرض، يرحمك من في السـماء[١٠]. إسـمح يسـمح لك[١١]. اسـبغ الوضوء يزد في عمرك. سـلّم على أهل بيتك، يكثر خير بيتك. اسـتعفف عن السـؤال ما اسـتطعت. قل الحق وإن كان مرّاً[١٢]. اتقِ الله حيث كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها (٢٢٨) وخالق النـاس بخلق حسـن[١٣]. صلـوا أرحامكم ولو بالسـلام[١٤]. تهادوا تـزدادوا حبّاً.

(١) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦٣٦).
(٢) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦٣٧) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٥/ ٤٣٠).
(٣) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦٣٨).
(٤) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦٣٨).
(٥) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦٣٨).
(٦) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦٣٩).
(٧) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦٤٣) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٣/ ٢٥٣).
(٨) انظر: مسند أحمد (٤٧٦٧) وسنن الترمذي (٢٣٣٣).
(٩) انظر: سنن الترمذي (٢٥١٨) ومسند أحمد (١٧٢٣).
(١٠) انظر: سنن الترمذي (٢٢٥) ومسند أحمد (١١٩٦٧).
(١١) انظر: سنن الترمذي (١٩٢٤).
(١٢) انظر: مسند أحمد (٢٢٣٣) ومسند الشهاب للقضاعي (٦٤٨).
(١٣) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦٤٩).
(١٤) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦٥٢) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٤/ ٣٧٨).

هاجروا تورّثوا أبناءكم مجداً، وأقيلوا الكرام عثراتهم[١]. تهادوا فإن الهدية تذهب الضغائن بالسخيمة[٢]. تهادوا فيما بينكم، فإن الهدية تذهب حرّ الصدر[٣]. تهادوا تحابوا[٤]. تهادوا فإنه يضاعف الحب، ويذهب بغوائل الصدر[٥]. تهادوا فإن الهدية تذهب بالضغائن[٦]. إطلبوا الخير عند حسان الوجوه[٧]. بلغوا عنّي ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج[٨]. اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله[٩]. اتقوا الحرام في البنيان، فإنه أساس الخراب[١٠]. أكرموا أولادكم، وأحسنوا آدابهم[١١]. قولوا خيراً تغنموا، واسكتوا عن الشرّ تسلموا[١٢]. تخيّروا لنطفكم[١٣]. أكثروا من ذكر هادم اللذات[١٤]. روحوا القلب ساعة فساعة[١٥]. اغنموا تزدادوا حلماً[١٦]. إعملوا فكل ميسر لما خلق له[١٧]. تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأنبياء[١٨]. تسحّروا فإن في السحور بركة[١٩]. اتقوا

(١) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦٥٣).
(٢) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦٥٥).
(٣) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦٦٠).
(٤) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦٥٦).
(٥) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦٥٧).
(٦) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦٥٩).
(٧) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦٦٠).
(٨) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦٦١) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٣/ ١٥٣).
(٩) انظر: سنن الترمذي (٢٦٦٩) ومسند أحمد (٦٤٨٦).
(١٠) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦٦٣) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٤/ ٩٤).
(١١) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦٦٤).
(١٢) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦٦٥).
(١٣) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦٦٦).
(١٤) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦٦٧) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٣/ ٣٧٧).
(١٥) انظر: سنن الترمذي (٢٣٠٧) وسنن ابن ماجه (٤٢٥٨)
(١٦) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦٧٢).
(١٧) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦٧٣).
(١٨) انظر: سنن الترمذي (٢١٣٦) وسنن أبي داود (٤٧٠٩).
(١٩) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦٧٥) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٤/ ٢١٩).

النار ولو بشق تمرة[١]. اتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم[٢]. استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك[٣]. أعروا النساء يلزمن الحجاب[٤]. استوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عوان عندكم[٥]. حصنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة، وأعدّوا للبلاء الدعاء[٦]. اغتنموا الدعاء عند الرقّة فإنها رحمة[٧]. الظّوا بيا ذا الجلال والإكرام[٨]. التمسوا الرزق في خبايا الأرض[٩]. تفرغوا من هموم الدنيا ما استطعتم[١٠]. كيلوا طعامكم، يبارك الله لكم فيه[١١]. اطلبوا الفضل من الرحماء من أمتي، تعيشوا في أكنافكم[١٢]. اطلبوا الخير دهركم، وتعرضوا لنفحات الله، فإن لله نفحات من رحمته، يصيب بها من يشاء من عباده[١٣]. إجمعوا وضوءكم جمع الله شملكم[١٤]. نوّروا بالفجر، فإنه أعظم للأجر[١٥]. تمسحوا بالأرض فإنها بكم برّة[١٦]. دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض[١٧]. استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود[١٨]. استعينوا

(١) انظر: صحيح مسلم (١٠٩٥) وسنن الترمذي (٧٠٨).
(٢) انظر: صحيح مسلم (١٠١٦) وسنن الترمذي (٢٣٥٢).
(٣) انظر: صحيح مسلم (٢٥٧٨) ومسند أحمد (١٤٠٥١).
(٤) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦٨٧).
(٥) انظر: المعجم الكبير للطبراني (١٠٦٣).
(٦) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦٩٠).
(٧) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦٩١) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٢/ ١٠٤).
(٨) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦٩٢).
(٩) انظر: سنن الترمذي (٣٥٢٤) ومسند الشهاب للقضاعي (٩٦٣).
(١٠) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦٩٤).
(١١) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٦٩٦) وحلية الأولياء لأبي نعيم (١/ ٢٢٧).
(١٢) انظر: سنن ابن ماجه (٢٢٣١) ومسند أحمد (١٧٢١٦).
(١٣) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٠٠).
(١٤) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٠١) وحلية الأولياء لأبي نعيم (١/ ٢٢١).
(١٥) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٠٢).
(١٦) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٠٣).
(١٧) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٠٤).
(١٨) انظر: سنن الترمذي (١٢٢٣) وسنن ابن ماجه (٢١٧٦).

على قضاء الحوائج بالكتمان[١]. التمسوا الجار قبل شراء الدار، والرفيق قبل الطريق[٢]. تداووا فإن الذي أنزل الداء أنزل الدواء[٣]. احثوا التراب في وجوه المدَّاحين[٤]. أحسنوا إذا وليتم، واعفوا عمّا ملكتم[٥]. اطعموا طعامكم للأتقياء، وأولوا معروفكم المؤمنين[٦]. (٢٢٩) استعيذوا بالله من طمع يؤدي إلى طبع[٧]. اجملوا في طلب الدنيا، فإن كلاً ميسر لما خلق له منها[٨]. أصلحوا دنياكم، واعملوا لآخرتكم[٩]. افشوا السلام تسلموا[١٠]. افشوا السلام، واطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام[١١]. احفظوني في عترتي، فإنهم خيّار عشيرتي[١٢]. احفظوني في أصحابي، فإنهم خيّار أمتي[١٣]. استشيروا ذوي العقول ترشدوا، ولا تعصوهم فتندموا[١٤]. توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الزاكية قبل أن تشغلوا، وصلوا الذي بينكم وبينه بكثرة ذكركم إياه[١٥]. تجافوا عن ذنب السخي، فإن الله آخذ بيده كلما عثر[١٦].

---

(١) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٠٨).
(٢) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٠٨).
(٣) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٠٩).
(٤) انظر: سنن الترمذي (٢٠٣٨) وسنن أبي داود (٣٨٥٥).
(٥) انظر: سنن الترمذي (٢٣٩٣) وسنن ابن ماجه (٣٧٤٢).
(٦) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧١٢).
(٧) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧١٣) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٨/ ١٧٩).
(٨) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧١٥) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٥/ ١٣٦).
(٩) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧١٦).
(١٠) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧١٧).
(١١) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧١٨).
(١٢) انظر: سنن الترمذي (٢٢٨٥) وسنن ابن ماجه (١٣٣٤).
(١٣) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٢١).
(١٤) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٢٠).
(١٥) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٢٢).
(١٦) انظر: سنن ابن ماجه (١٠٨١) ومسند الشهاب للقضاعي (٧٢٣ - ٧٢٤).

تجافـوا عـن عقوبة ذوي المـروءة، ما لم تكن حدّا[١]. عـودوا المريض، واتبعوا الجنائـز، تذكركـم بالآخـرة[٢]. ليكـن بلاغ أحدكم مـن الدنيا مثـل زاد الراكب. اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقـرك، وفراغـك قبـل شـغلك، وحياتك قبـل موتـك[٣]. ليأخذ العبد من نفسـه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الكبر، ومن الحياة قبل الممات، فما بعد الدنيا من دار إلّا الجنة والنار[٤]. كونوا في الدنيا أضيافاً، واتخذوا المساجد بيوتاً، وعوّدوا قلوبكم الرقة، وأكثروا التفكير والبكاء، لا تختلفنّ بكم الأهواء[٥]. أكرموا الشهود، فإن الله يستخرج بهم الحقوق، ويدفع بهم الظلم[٦]. اتقوا دعوة المظلـوم فإنها تحمل على الغمـام، ويقول الله: فوعزّتي وجلالي لأنصرنك ولو بعـد حيـن[٧]. ارحمـوا ثلاثة: غني قوم افتقـر، وعزيز قـوم ذل، وعالماً يلعب به الحمقى والجهال[٨]. تعشّـوا ولو بكف من خشـف، فإن ترك العشـاء مهرمة[٩]. انظـروا إلى من هو أسـفل منكم، ولا تنظروا إلـى من هو فوقكم، فإنه أجدر أن لا تـزدروا نعمـة الله عليكـم[١٠] أمـط الأذى عـن طريـق المسـلمين، تكثـر بـه حسـناتك[١١]. أحبب حبيبك هوناً ما عسـى أن يكون بغضـك يوماً[١٢]. أوصيك

(١) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٢٦) وحلية الأولياء لأبي نعيم (١٠٨/٤).
(٢) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٢٥).
(٣) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٢٧).
(٤) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٢٩) وحلية الأولياء لأبي نعيم (١٤٨/٤).
(٥) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٣٠).
(٦) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٣١) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٣٥٨/١).
(٧) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٣٢).
(٨) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٣٣).
(٩) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٣٤).
(١٠) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٣٥).
(١١) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٣٦) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٦٠/٥).
(١٢) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٣٨).

بتقوى الله، فإنه رأس أمرك، وعليك بالجهاد، فإنه رهبان أمتي، وليردّك عن الناس ما تعرف من نفسك، واخزن لسانك إلّا من خير، فإنك بذلك تغلب الشيطان[١]. (٢٣٠) اقرأ القرآن ما نهاك، فإن لم ينهك فلست تقرأوه[٢]. أدّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك[٣]. اعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه[٤]. إحفظ الله يحفظك، إحفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء، يعرفك في الشدّة، واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، واعلم أن الخلائق لو اجتمعوا على أن يعطوك شيئاً لم يرده الله أن يعطيك، لم يقدروا عليه، أو يصرفوا عنك شيئاً، أراد الله أن يصيبك، لم يقدروا على ذلك، فإذا سألت، فاسأل الله، وإذا استعنت، فاستعن بالله، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً، واعلم أن القلم قد جرى بما هو كائن[٥]. عش ما شئت، فإنك ميت، فاحبب من أحببت، فإنك مفارقه، واعمل ما شئت، فإنك مجزي به[٦]. إصنع المعروف إلى من هو أهله، وإلى من ليس أهله، فإن أصبت أهله فهو أهله، وإن لم تصب أهله فأنت من أهله[٧]. اشتدي يا أزمة تنفرجي[٨]. انفق يا بلال، ولا تخشى من ذي العرش إقلالاً[٩]. بشّر المشّائين في ظلم الليل إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة[١٠].

(١) انظر: سنن الترمذي (١٩٩٧) ومسند الشهاب للقضاعي (٧٣٩).
(٢) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٤٠).
(٣) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٤١) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٥/ ١٧٧).
(٤) انظر: سنن الترمذي (١٢٦٤) ومسند أحمد (١٥٤٦٢).
(٥) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٤٤) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٧/ ١٤٢).
(٦) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٤٥).
(٧) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٤٦) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٣/ ٢٠٢).
(٨) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٤٧).
(٩) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٤٨).
(١٠)انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٤٩) وحلية الأولياء لأبي نعيم (١/ ١٤٩).

عليك بذات الدين ترتب يداك[١]. عليكم من الأعمال بما تطيقون، فإن الله لا يملّ حتى تملّوا[٢]. إذا وزنتم فارجحوا[٣]. إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه[٤]. إذا جاءكم الزائر فأكرموه[٥]. إذا غضبت فاسكت[٦]. إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه[٧]. إذا بويع لخليفتين، فاقتلوا الأخير منهما[٨]. إذا تمنى أحدكم، فلينظر ما يتمنى، فإنه لا يدري ما كتب له من أمنيته[٩]. ما عال من اقتصد[١٠]. ما أعزّ الله بجهل قط، ولا أذلّ بعلم قط[١١]. ما نزعت الرحمة إلّا من شقي[١٢]. ما شقي عبد قط بمشورة، وما سعد باستغناء رأي[١٣]. ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار[١٤]. ما آمن بالقرآن من استحل محارمه[١٥]. ما رزق العبد رزقاً أوسع عليه من الصبر[١٦]. ما خالطت الصدقة مالاً إلّا أهلكته[١٧]. ما نقص مال من صدقة، فتصدقوا، ولا عفا أحد عن مظلمة إلّا زاده الله بها

(١) انظر: سنن الترمذي (٢٢٣) وسنن ابن ماجه (٧٨٠).
(٢) انظر: سنن الترمذي (١٠٨٦) وسنن ابن ماجه (١٨٥٨).
(٣) انظر: سنن الترمذي (١٣٦٨) وسنن ابن ماجه (٤٢٤١).
(٤) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٥٩).
(٥) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٦٠ - ٧٦٢).
(٦) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٦٣).
(٧) انظر: مسند أحمد (٢٥٥٦) ومسند الشهاب للقضاعي (٧٦٤).
(٨) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٦٥) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٦/ ٩٩).
(٩) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٦٧).
(١٠) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٦٨).
(١١) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٧٤) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٣/ ١٩٥).
(١٢) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٧١).
(١٣) انظر: سنن الترمذي (١٩٢٣) ومسند أحمد (٧٩٨٨).
(١٤) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٧٣).
(١٥) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٧٤).
(١٦) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٧٥).
(١٧) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٧٩).

عزّاً[١]. ما تركت بعدي فتنة أضرّ على الرجال من النساء[٢]. ما أضر من استغفر، ولو عاد في اليوم سبعين مرّة[٣]. ما أحسن عبد الصدقة إلّا حسن الخلافة (٢٣١) على تركته[٤]. ما رأيت مثل النار نام هاربها، ولا الجنة نام طالبها[٥]. ما كان الرفق في شيء قط إلّا زانه[٦]. ما كان الحياء في شيء إلّا زانه، وما كان الفحش في شيء إلّا شانه، وما كان الخرق في شيء إلّا شانه[٧]. ما أنزل الله من داء، إلّا أنزل له شفاء[٨]. ما زان الله عبداً زينة أفضل من عفاف في دينه وفرجه[٩]. ما عظمت نعمة الله على عبد إلّا عظمت مؤونة الناس عليه[١٠]. ما ستر الله على عبد في الدنيا ذنباً، فيعيّره به يوم القيامة[١١]. ما أكرم شاب شيخاً لسنّه إلّا قيض الله له عند كبره من يكرمه[١٢]. ما امتلأت دار حيرة إلّا امتلأت عبرة[١٣]. وما كان فرحة إلّا تبعتها ترحة[١٤]. ما استرعى الله عبداً رعيّة فلم يحطها بنصحه إلا حرّم الله عليه الجنة[١٥]. وما من عبد (يسترعيه الله رعيته)[١٦] يموت يوم يموت غاشاً

---

(١) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٨١).
(٢) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٨٣).
(٣) انظر: سنن الترمذي (٢٧٨٠) وسنن ابن ماجه (٣٩٩٨).
(٤) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٨٨).
(٥) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٨٩).
(٦) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٩١) وحلية الأولياء لأبي نعيم (١٧٨/٨).
(٧) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٩٣).
(٨) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٩٤).
(٩) انظر: سنن ابن ماجه (٣٤٣٩) ومسند حمد (١٨٤٧٩).
(١٠) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٩٧).
(١١) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٧٩٨).
(١٢) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٨٠٠).
(١٣) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٨٠٢).
(١٤) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٨٠٣) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٣٣٠/٥).
(١٥) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٨٠٣).
(١٦) التصحيح من النسخة الأصلية ب، ص ٢٣٠.

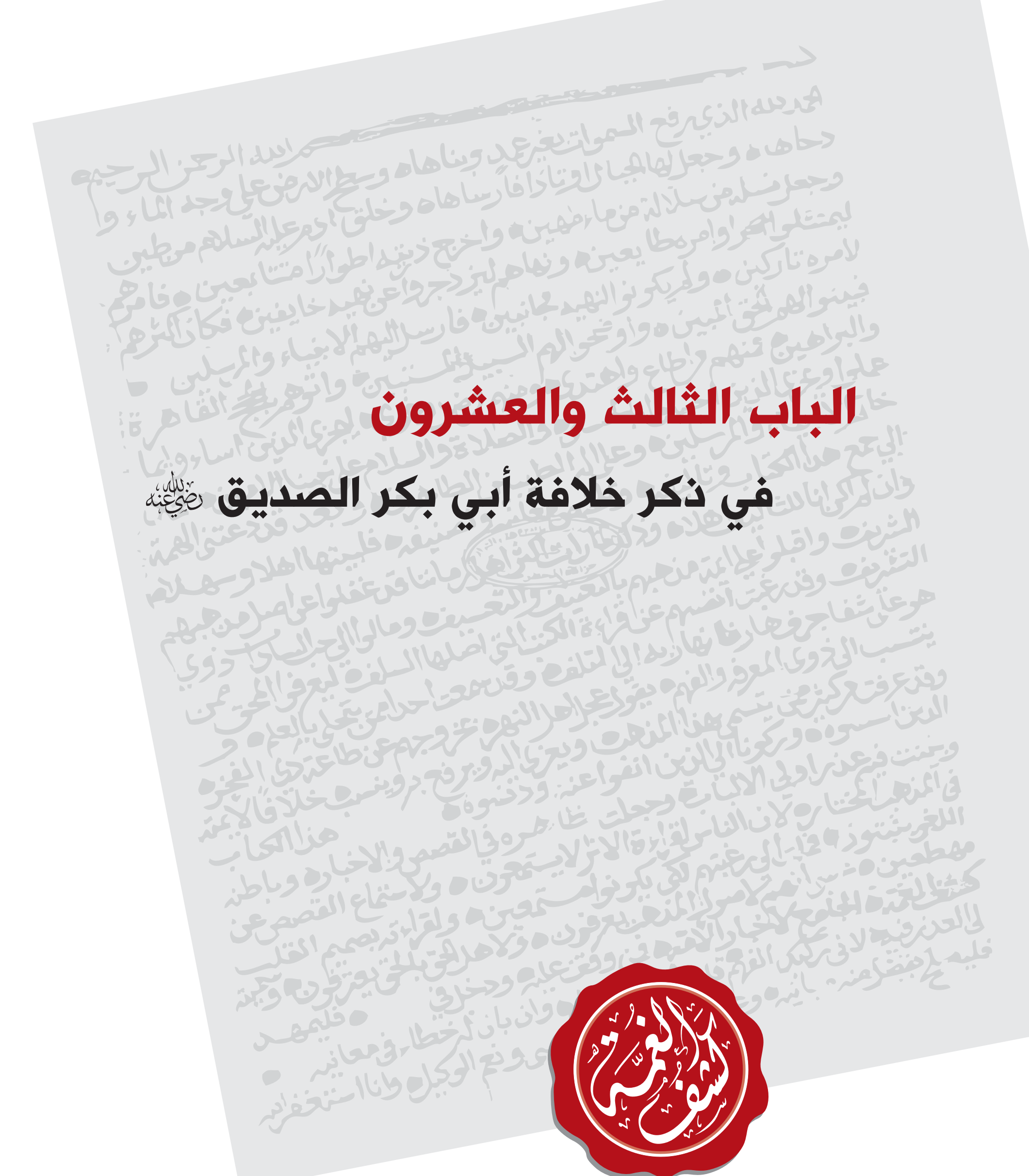
لرعيتـه، إلّا حـرم الله عليه الجنة[١]. ما من رجل من المسـلمين أعظم أجراً من وزير صالح مع إمام يطيعه ويأمره بذات الله تعالى[٢]. ما من مؤمن إلّا وله ذنب يصبه الفينة بعد الفينة، لا يفارقه حتى يفارق الدنيا[٣]. ما طلعت شمس قط إلّا بجنبيهـا ملـكان يقولان: اللهم عجّـل لمنفق خلفاً، وعجّل لممسـك تلفا[٤]. ما ذئبان ضاريان في زريبة غنم بأفسد فيها من حب الشرف والمال في دين المرء المسـلم[٥]. ما عند الله شـيء أفضل من فقه في الدين[٦]. ما من شيء أطيع الله فيـه بأعجـل ثواباً من صلة الرحم[٧]. ما من عمـل يُعصى الله فيه بأعجل عقوبة من البغي[٨]. ما فتح رجل على نفسـه باب مسـألة إلّا فتح الله عليه باب فقر[٩]. ما ينتظر أحدكم من الدنيا إلّا غنى مطغياً، أو فقراً منسـياً، أو مرضاً مفسـداً، أو هرماً مقيداً، أو موتاً مجهزاً[١٠]. ما يصيب المؤمن وصب، ولا نصب، ولا سقم، ولا أذى، ولا حزن، حادث، أو شـوكة يشـاكها، إلّا كفّر الله به من خطاياه[١١]. مـا تـزال المسـألة بالعبـد حتى يلقـى الله، وما في وجهـه مرغة مـن اللحم[١٢]. لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين[١٣]. لا يشكر الله من لم يشكر الناس[١٤]. لا يرد

(١) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٨٠٤).
(٢) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٨٠٥).
(٣) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٨٠٧).
(٤) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٨٠٩).
(٥) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٨١٠).
(٦) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٨١١) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٣/ ٢٢٠).
(٧) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٨١٤).
(٨) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٨١٥).
(٩) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٨١٥).
(١٠) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٨١٦).
(١١) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٨٢٣).
(١٢) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٨٢٥).
(١٣) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٨٢٦) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٣/ ١٦٤).
(١٤) انظر: سنن أبي داود (٤٨٦٢) وسنن ابن ماجه (٣٩٨٢).

القضاء إلّا الدعاء، لا يطيل العمر إلّا البر[١]. لا حليم إلّا ذو عثرة، ولا حكيم إلّا ذو تجربة[٢]. لا فقر أشد من الجهل (٢٣٢) ولا مال أنفع من العقل، ولا مظاهرة أوثق من المشاورة، ولا عقل كالتدبير، ولا حسن كحسن الخلق، ولا ورع كالكف عن محارم الله، ولا عبادة كالتفكير، ولا إيمان كالحياء والصبر[٣]. لا يُتْمَ إلّا بعد حلم[٤]. لا عقر في الإسلام[٥]. لا ضرورة في الإسلام. لا هجرة بعد الفتح[٦]. لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له[٧]. ولا هجرة فوق ثلاث[٨]. لا كبيرة مع استغفار، ولا صغيرة مع إصرار[٩]. لا همّ إلّا همّ الدين، ولا وجع إلا وجع العين[١٠]. لا فاقة لعبد يقرأ القرآن، ولا غنى به بعده[١١]. لا ينتطح فيها عنزان[١٢]. لا يغني حذر عن قدر[١٣].

---

(١) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٣٧٧).
(٢) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٨٣٢).
(٣) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٨٣٤) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٨/ ٣٢٤).
(٤) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٨٣٦).
(٥) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٨٣٩).
(٦) انظر: مسند أحمد (١٣٠٥٥) وسنن أبي داود (٣٢٢٢).
(٧) انظر: صحيح مسلم (١٨٦٤) وسنن الترمذي (١٥٩٠).
(٨) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٨٤٨) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٣/ ٢٢٠).
(٩) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٨٥٢) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٨/ ١٢٦).
(١٠) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٨٥٣).
(١١) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٨٥٤).
(١٢) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٨٥٥).
(١٣) انظر: مسند الشهاب للقضاعي (٨٥٦).



الباب الثالث والعشرون

في ذكر خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

هـو عبد الله بـن أبـي قحافة عثمان بـن عامر بن كعب بن سـعد بن مرّة بن لؤي بـن غالب بـن فهـر، تيم قريش، يلتقـي هو ورسـول الله ﷺ، عند مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب، وهما في التعدد إليه سواء، وبينهما ستة آباء.

ولقبـه عتيق، لقب به لجمال وجهه. وقيل: إن النبي ﷺ قال له: أنت عتيق من النار. وسمُي صدّيقاً، لأنه أول من صدّق بالنبي ﷺ، وهو أول من لُقِّب في الإسـلام، وكان في الجاهلية يسـمى عبد الكعبة، فسماه رسول الله ﷺ عبد الله. وأمـه سـلمى[1]، وتكنـى أم الخير بنت صخر، وهي بنت عـم أبيه. وكان رجلاً عظيماً طويلاً أدم، خفيف العوارض.

بويع له يوم الاثنين، وهو اليوم الذي توفي فيه رسـول الله ﷺ، وذلك أنه لما مات رسـول الله ﷺ، ولم يسـتخلف علـى أمته أحداً، علم المسـلمون أنه لا يسـعهم إلّا أن يقيموا دين الله، وعلموا أنهم لا يقدرون على إقامته إلّا بإمام يعمل بكتاب الله وسنة نبيه، فاجتمعوا في سقيفة بني ساعدة، وتشاوروا، فقالت الأنصار: منكم أمير ومنا أمير. فقال عمر رضي الله عنه: إن أبا بكر قدمه رسول الله ﷺ للصـلاة، وهي ركن الإسـلام، واختاره لهـا من بيننا، فمـن (٢٣٣) منكم يزيله ويؤخـره؟ ثم قال: هل تعلمون أن رسـول الله ﷺ، أمر أبا بكر يصلي بالناس؟ قالـوا: اللهـم نعـم. قـال: فمن منكم تطيـب نفسـه أن يزيله من مقـام أقامه فيه رسول الله ﷺ؟.

(١) سلمى: والصحيح سلمة.

ثم نظروا في أصحاب رسول الله ﷺ، فلم يروا أفضل من أبي بكر (رضي الله عنه)[1]، وقالوا: من أمّنه نبينا على ديننا فنحن أحق وأجدر أن نأمنه على ديننا ودمائنا. ولم يفعلوا ذلك إلّا اجتهاداً، فوفقهم الله، وجمع كلمتهم، وألّف شملهم، فقدّموه إماماً على طاعة الله وطاعة رسوله، ولم يخالفه أحد، وكان لذلك أهلاً.

وحدّث أبو النتاج مولى أبي عبيدة عامر بن الجراح، قال: سمعت أبا عبيدة يقول: لمّا استقامت الخلافة لأبي بكر (الصدّيق)[2] رضي الله عنه، ولحظ بعين الهيبة والوقار بين المهاجرين والأنصار وإن كان لم يزل كذلك، بلغه عن علي بن أبي طالب تلكؤ وشماس وتهمهم ونفاس. فكره أن يتمادى الحال، فأرسلني إليه بهذه الرسالة على لسان عمر بن الخطاب، وهي هذه: «لقد خرج رسول الله ﷺ، والأمر بعيد محبس، ليس لأحد فيه ملمس ولا مغمس، ولم يستنزل لك قراباً، ولم تحرم حكيماً قولاً، ولسنا في كسروية كسرى، ولا قيصرية قيصر، بأنك الآخذ أن فارس وأبناء الأصفر قوم، جعلهم الله حرزاً لسيوفنا، وحرزاً لرماحنا، ومرعى لطعاننا، وتبعاً لسلطاننا، بل نحن قوم في نور نبوة وضياء رسالة، وثمر حكمة، وأثر رحمة، وعنوان نعمة، وظل عصمة وكرامة، ملّة بين أمة هادية مهدية بالحق والصدق، مأمونة على الفتق والرتق، لها من الله أب أبيّ، وساعد قوي، ويد ناصرة، وعين ناظرة ودعوة ظاهرة.

أتظن ظناً أن أبا بكر وثب على هذا الأمر متغلباً على الأمة، خادعاً لها، ومسلطاً عليها، ومفسداً لأحوالها؟ أتراه امتلح أحلامها، وأزاغ أبصارها، وأحل عقودها، وأحال عقولها، واستل من صدورها حميتها، وانتزع من أكبادها عصبيتها، (٢٣٤) وانتكب رشاها، وأنصب ماءها، وأضلّها عن هداها، وساقها

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٢٣١.

(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٢٣١.

إلى رداها، وجعل نهارها ليلاً، ووزنها كيلاً، ويقظتها رقاداً، وصلاحها فساداً، إن كان هذا الذي، إن سحره لمبين، وإن كيده لمتين، كلّا والله بأني خيل ورجل، وبأني سنان ونصل، وبأني قوة ومنعة، وبأني ذخيرة وعدة، وبأني أيدٍ ومنعه، وبأني عشيرة وأشيرة، وبأني تدرع وبسطة، لقد أصلح عندي بما وشمته، منيع الرهبة، رفيع العتبة، لا والله، ولكن سلا عنها، فولهت له، وتطامر لها، فلصقت به، ومال عنها، وشمّر عنها، فاشتملت عليه، حبوة حباه الله بها، وعاقبه بلغه إياها، (وبعداً)[1] سربله جمالها، ويداً أوجب عليه شكرها، وأمة نظر الله إليها، وطال ما حلقت فوقه أيام رسول الله ﷺ، وهو لا يلتفت (لفتها)[2] ولا يرتصد (وقتها)[3]، والله أعلم بخلقه، وألطف بعباده، ويختار ما كان لهم الخيرة. وأنت لا يجهل حقك وموضعك من بيت النبوة، ومنبع الرسالة، وكهف الحكمة، ولا يجحد فضلك فيما أتاك الله، كيف لك من تزاحم منكب أضخم من منكبك، وقرب أمسّ من قرابتك، وسن أعلى من سنك، وشيبة أروع من شيبتك، وسيادة لها في الجاهلية عرق، وفي الإسلام أصل، وفي الشريعة مواقف، ليس لك فيها جمل ولا ناقة، ولا تذكر منها في مقدمة ولا ساقة، ولا تضرب فيها بذراع ولا إصبع، ولا تخرج فيها ببازل ولا هنع، فإن عدوت نفسك فيما تهدر به شقشقتك من صاعيتك، فاعذرنا فيما تسمع منّا في لين وسكون، مما لا يتعد منه، ولا تناضله عليه، ولئن حدثت نفسك بهذا ليتخشن عليك ما ينسيك الأول، ويلهيك عن الثاني، ولو (علمت من)[4] ظننا بما في نفوسنا له وعليه ما سكنت، ولا اتخذت (أنت وليجة إلى بعض الأرب)[5].

---

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٢٣٣.

(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٢٣٣.

(٣) إضافة من النسخة د، ص٢١٤.

(٤) إضافة من النسخة د، ص٢١٤.

(٥) إضافة من النسخة د، ص٢١٤.

فأما الصديق رضي الله عنه، فلم يزل حبّة قلب رسول الله ﷺ، وعلاقة همه، وعيبة سـرّه، ومثـوى (حزنـه وراحة بالـه)[١] ومفرع رأيه ومشـورته، (وراحـة)[٢] كفه، ومرفق طرفه، وذلك بمحضر الصادر والوارد من المهاجرين (٢٣٥) والأنصار شـهرته مغنية عن الدلالة عليه، ولعمري إنك أقرب إلى رسـول الله ﷺ قرابة، ولكنـه أقرب منـك قربة، والقرابة لحـم ودم، والقربة روح ونفـس، وهذا فرق يعرفه المؤمنون، ولذلك صاروا عليه أجمعين، ومهما شـككت، فلا تشـك أن يـد الله فـوق الجماعة، ورضوانه أهـل الطاعة، فادخل فيما هـو اليوم أنفع لك غـداً، والفـظ من فيك ما تعلق بلهاتك، وانفث سـخيمة صدرك عن لغاتك من أن يكن في العمر طول، وفي الأجل فسحة، فلتأكلنه مرياً وغير مري، ولتشربنه هنيئـاً وغير هنـيء، ولا رادّ لقولك إلّا من كان لك ولا نهانك، ويغرك أديمك، هنالك تقرع السن من ندم، وتنسر حينئذٍ تأسى على ما مضى من عمرك، ودارج أنفاسـك سـقيت بالكأس التي أيقنتها، ورددت إلى حالتك التي والله فينا وفيك أمـره هـو بالغه، وغيب هو شـاهده، وعاقبة (هـو)[٣] المرجو لسـرّائها وضرائها وهو الغفور الودود الغني الحميد.

(١) إضافة من النسخة د، ص٢١٤.
(٢) إضافة من النسخة د، ص٢١٤،
(٣) إضافة من النسخة د، ص٢١٦،

جواب علي لأبي عبيدة

قال أبو عبيدة: فمشيت إليه (متثبطاً متباطئاً كأنما أخطو)[١] على أم رأسي فرقاً من الفرقة، وإشفاقاً على الأمة، حتى وصلت إليه في خلاء، فأبثثته بثي، وتبرأت (إليه منه)[٢]، فلما سمعها ووعاها، وسرت في نفسه حمياها، قال: حلّت مغلوطة، وولت مخروطة، حلى لا حليت (النفس أولى لها من)[٣] أن تقول:

لعا لياليك فلبسي كيسي ولا تنعم الليلة بالتعريس

يا أبا عبيدة أكل هذا في أنفس القوم يجتنبون به، ويضطغنون علية؟ قال أبو عبيدة: لا جواب عندي، إنما (أنا)[٤] قاضي حق الدين، وراتق فتق الإسلام، وساد ثلمة الأمة، يعلم الله ذلك من جلجلانة قلبي، وقرارة نفسي.

قال علي: والله إن قعودي في كسر هذا البيت لا قصداً للخلاف، ولا إنكاراً للمعروف، ولا (زراية على)[٥] مسلم، بل لما كان وقذني به رسول الله ﷺ، بفراقه، وأودعني من الجمر لفقده، وذلك أني لم أشهد مشهداً بعده، إلّا جدد عليّ حزناً، وذكرني شجناً، وإن الشوق إلى اللحاق به كاف عن الطمع في غيره، وقد عكفت على عهد رسول الله ﷺ، أجمع منه ما تبدد (٢٣٦) رجاء ثواب معد لمن أخلص عمله، واستسلم لمشهد الله وعلمه وأمره، غير أني ما علمت (أنّ)[٦] التظاهر واقع علي، وأني على الحق الذي

(١) إضافة من النسخة د، ص٢١٦،
(٢) إضافة من النسخة د، ص٢١٦، وفي النسخة الأصلية ب، «وتبزأت».
(٣) إضافة من النسخة د، ص٢١٦.
(٤) إضافة من النسخة د، ص٢١٦.
(٥) إضافة من النسخة د، ص٢١٦.
(٦) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٢٣٤.

يستولي علي دافع، فإذا قد أفعم الوادي، وحشد النادي من أجلي، فلا مرحباً بما ساء أحداً من المسلمين، وسرّني، وفي النفس كلام، لولا سابق علم، وسالف عهد، وشفيت غيظي بخنصري وبنصري، وخضت الجنة بأخمصي وقدمي، لكنني ملجم إلى أن ألقى ربي، وعنده أحتسب ما نزل بي وأنا غادٍ إلى جماعتكم، ومبايع لصاحبكم، وصابر على ما ساءني وسركم، فيقضي الله أمراً كان مفعولاً.

قال أبو عبيدة: فسرت إلى أبي بكر، فنصصت عليه القول على غرّه، ولم أختزل شيئاً من ذلك من حلوه ومرّه. وبكّر هو غدوة إلى المسجد، فلما كان صباح يومئذ، قام (علي)[1]، فخرق الجماعة إلى أبي بكر فبايعه، وقال خيراً، ووصف جميلاً، وجلس زمناً، واستأذن للقيام، فقال أبو بكر: إن أمة أنت فيها لمرحومة، وإن عصابة أنت فيها لمعصومة، ولقد أصبحت عزيزاً علينا، كريماً لدينا، نخاف إذا سخطت، ونرجو إذا رضيت، ولقد حطّ الله عن ظهرك ما أثقل به كاهلي، وما أسعد من نظر الله إليه بالكفاية، وإنّا إليك لمحتاجون، وبفضلك عالمون، وإلى الله في جميع الأمور راغبون.

ثم نهض، فشيّعه عمر رضي الله عنه تكرمة له، واستنثاراً لما عنده، فقال له علي: والله ما قعدت عن صاحبكم كارهاً، ولا أتيته فرقاً، فلا أقول ما أقول تعلة، وإني لأعرف مسمى طرفي، ومخطي قدمي، ومنزع قوسي، وموقع سهمي، ولكني أزمت على نفسي ثقة بالله عز وجل في الإدالة في الدنيا والآخرة. فقال عمر: كفكف غربك، واستوقف سربك، ودع برحاها، والدلو برشاها، فإننا من خلفها ووراها، إن قدمنا أورينا، وإن منحنا أروينا، وإن قرحنا أدمينا، وإن نضحنا أرنينا، فلقد سمعت أماثيلك التي لغوت بها من صدر قد تآكله الجوى، ولو

---

(١) إضافة من النسخة د، ورقة ١٠٩.

شئت لقلت على مقالتك ما إذا سمعته ندمت على ما قلته، زعمت أنك قعدت في كسر بيتك لما وقذك به رسول الله ﷺ بفراقة أفراق رسول الله ﷺ، وقذك وجدك، ولم يقذ سواك، بل مصابه أجلّ وأعظم من (٢٣٧) ذلك، وأنه من حق مصابه أن لا تصدع شمل الطاعة بكلمة الإعصام لها، ولا تزري على اختيارها بما لا يؤمن من كيد الشيطان في عقباها، هذه العرب حولنا، وأنه لو قد تداعت علينا في مصبح يوم لم تلتقِ في ممساه، وزعمت أن الشوق إلى اللحاق به كافٍ عن سواه، والطمع في غيره، فمن غير الشوق إلى اللحاق به نصرة دينه، ومؤازرة أولياء الله عز وجل ومعاونتهم فيه، وزعمت أنك عكفت على عهد رسول الله ﷺ، تجمع ما تبدد منه، فمن العكوف على عهده النصيحة لعباد الله، والرقة على خلقه، وبذل ما يصلحون به، ويرشدون عليه، وزعمت أنك لم تعلم أن التظاهر واقع عليك، وأي تظاهر وقع عليك، وأي حقّ لُطّ دونك؟ قد علمت ما قالت الأنصار بالأمس سرّاً وجهراً، وما تقلّبت عليه بطناً وظهراً، فهل ذكرتك؟ أو أشارت بك؟ أو وجدت رضاها عندك؟ وهؤلاء المهاجرون من الذي قال بلسانه: إنك تصلح لهذا الأمر؟ أو أومى بعينه؟ أو همهم؟ أتظن أن الناس قد صاروا من أجلك ضلالاً؟ أو عادوا كفّاراً؟ زهدًا فيك؟ فباعوا الله ورسوله تجاهلًا، لا والله، ولكنك تنتظر الوحي، وتتوكف مناجاة الملك، ذلك أمر قد طواه الله بعد محمد ﷺ، كأن الأمر معقودٌ بأنشوطة، أو مشدودٌ بأطراف ليطه، كلا والله إن الغاية لمحلقة، وإن الشجرة لمورقة، ولا عجماء بحمد الله إلا وقد أفصحت، ولا شوكاء، إلّا وقد تنفحت. ومن أعجب شأنك قولك، ولو لا سابق علم لشفيت غيظي، وهل ترك الحق الدين لأحد شيئاً على أهله أن يشفي غيظه بيده ولسانه، تلك جاهلية قد استأصل الله ساقتها، واقتلع جرثومتها، وهور ليلها، وغور سيلها، وزعمت أنك ملجم، فلعمري إن من اتقى الله عز وجل، وآثر رضاه، وطلب ما عنده، وأمسك يده، وأطبق فاه، وجعل سعيه لما وراءه.

قال علي: والله ما بدلت ما بذلت، أريد نكثة، ولا أقررت بما أقررت، وأنا أريد حولاً عنه، وإن أخسر الناس صفقة عند الله من أثر النفاق، واحتضن الشقاق، وبالله سلوي من (كل)[1] كارث، وعليه التوكل في جميع الحوادث، (٢٣٨) إرجع أبا حفص إلى منزلك ناقع القلب، مبرود الغليل، فسح اللباب، فليس وراء ما سمعت وقلت إلّا ما يشد الأزر، ويضع الإصر، ويرفع الكلفة، ويوقع الزلفة بمعونة الله وحسن توفيقه.

فمضى عمر، وانصرف علي إلى منزله.

وقيل: إن أبا بكر لمّا ولّي الأمر، صعد في اليوم الثاني إلى المنبر، وقام على الدرجة الثانية منه، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر النبي ﷺ، فصلى عليه، ثم قال:

أيها الناس، إني وليتكم، ولست بخير منكم، فإن زغت فقوموني، وإن أحسنت فأعينوني، أطيعوني ما أطعت الله، فإذا عصيت فلا طاعة لي عليكم، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وأول ما بدأ به أبو بكر رضي الله عنه، أنه أنفذ جيش أسامة، وأمره بالانتهاء إلى ما أمره به رسول الله ﷺ، وشيّعه ماشياً وأسامة راكباً، لأنه أقسم عليه لا ينزل، وسأله أسامة أن يأذن لعمر في الرجوع، لأنه كان في الجيش، فأذن له، ومضى أسامة، ونشر الخيل في قبائل قضاعة، وعاد سالماً غانماً، وكان فراغه في أربعين يوماً.

وقاتل أهل الردّة، حتى دخلوا فيما خرجوا منه.

وقاتل الذين منعوا الزكاة حتى أدّوها، وقال: والله لو منعوني عقالاً مما كانوا أعطوه رسول الله ﷺ، لقاتلتهم حتى يؤدّوه إليَّ، أو ألحق بالله. فجاهدهم حتى كره الصحابة القتال، وجبنوا عن الحرب، وقالوا: كيف نقاتلهم وقد قال

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٢٣٧.

رسـول الله ﷺ: «أُمـرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إلـه إلا الله، فإذا قالوا، فقـد عصمـوا منـي دماءهم وأموالهـم، إلّا بحقها». قـال: إن الـزكاة من حقها، فغفلـوا جميعهـم عنهـا، ونبّههـم للحق، ولـم يفهموا معنـاه، حتـى عرَّفهم به، واسـتنبط بثاقـب رأيه، ووفور عقله وكمال علمه، وحسـن نظـره، قياس الزكاة علـى الصـلاة. وقال: والله لأقاتلـن من فرّق بين الصلاة والـزكاة، وقد قرن الله بينهمـا فـي عدة مواضـع من كتابـه، فالصلاة حق البـدن، والزكاة حـق المال. وقال: لأمضينّ لقتالهم ولو وحدي. (٢٣٩) وقام في قتال أهل الردّة مقام نبي.

ولمّـا طلب أزواج النبـي ﷺ والعباس وفاطمة ﵂ ميراثهـم من النبي ﷺ، قال أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنا معشر الأنبياء لا نورث، وما تركت بعد نفقة نسائي ومؤونة عاملي، فهو صدقة». فرجعوا إلى قوله، ورضوا بحكمه.

ولقـد أسـلم على يديه أكثر ممن أسـلم بالسـيف. ورتب أمور المسـلمين أحسـن ترتيب، وهذّبها أفضل تهذيب، وجمع شـمل الدين بعد تشـتته، ورأب صدع الإسلام بعد تشعبه.

وكتب إليه ثمامة عامل اليمامة بخبر مسـيلمة، فبعث إليه خالد بن الوليد فـي جيش من المهاجرين والأنصار، فلما وصلوا، اجتمع أصحاب مسـيلمة إليـه، وكانوا أربعين ألفـاً، فحرّضهم على القتال، ووعدهـم بالنصر، فقاتلهم المسـلمون قتالاً شديداً، فقتلوا منهم عشـرين ألفاً، وقتل من المسلمين ألف ومائتـان، وقتـل (زيد)[1] بن ثابت بن شـماس، ضُرب في رجلـه، فانقطعت،

(١) فـي جميـع النسـخ «زيـد» والصحيـح: ثابت بـن قيس بـن شـماس: وهـو ثابت بن قيس بن شـماس الخزرجـي الأنصـاري، صحابي، كان خطيب رسـول الله ﷺ، وشـهد أُحداً وما بعدها من المشـاهد. وفـي الحديـث نعـم الرجل ثابـت، دخل عليـه النبي ﷺ وهو عليـل، فقال: أذهب البـاس رب الناس عن ثابت بن قيس بن شـماس. قتل يوم اليمامة شـهيداً في خلافة أبي بكر الصدّيق سـنة ١٢هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج١، ص٩٨. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص ٤٥١ ـ ٤٥٢.

فضـرب بها ضاربة، فقتله. وقتل زيد بن الخطـاب[1] أخو عمر بن الخطاب. فلما رأى قوم مسيلمة الخذلان، قالوا له: أين ما كنت تعدنا من النصر؟ قال: قاتلوا عن أحسابكم. ثم ولّت بنو حنيفة الأدبار، وقتل مسيلمة، قتله وحشي قاتل حمزة.

فلمـا فرغ خالد من قتال مسـيلمة، كتب إليه أبو بكر بالمسـير إلى العراق، فسـار إليهـا، وصالح أهل الجزيرة على جزية حملهـا إلى المدينة، وكانت أول جزية حُملت إليها. وفتح الأنبار[2] وعين التمر[3]، وسار إلى دومة الجندل وقتل أكيدر وسبا.

---

(١) زيد بـن الخطـاب: زيد بـن الخطاب بـن نفيل بن عبد العـزى القرشـي العـدوي. أبو عبد الرحمٰن. صحابي، من شـجعان العرب في الجاهلية والإسـلام، وهو أخو عمر بن الخطاب، وكان أسـنّ من عمر، وأسلم قبله. شهد المشاهد كلها، ثم كانت راية المسلمين بيده يوم اليمامة، فثبت إلى أن قُتل. وحـزن عليـه عمر حزناً شـديداً. وكان الجهلة في نجد قبل قيام محمد بـن عبد الوهاب يغالون في تعظيم قبره باليمامة، ويزعمون أنه يقضي لهم حاجاتهم. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٥٨. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٣٥٦ - ٣٥٧.

(٢) الأنبار: مدينة على الفرات في غربي بغداد، بينهما عشرة فراسخ، وكانت الفرس تسميها فيروز سابور، وكان أول من عمرها سابور بن هرمز ذو الأكتاف، ثم جدّدها أبو العباس السفاح، وبنى قصوراً، وأقام بهـا إلـى أن مـات. وقال أبو القاسـم: الأنبار حدّ بابل، سـميت بـه، لأنه كان يجمع بهـا أنابير الحنطة والشـعير والقـت والتين، وكانت الأكاسـرة ترزق أصحابها منها، وكان يقال لهـا الأهراء، فلما دخلت العرب عربتها، فقالت: الأنبار. وقال الأزهري: الأنبار أهراء الطعام. فتحت الأنبار سنة ١٢هـ على يد خالد بن الوليد. وينسب إليها خلق كثير من أهل العلم والكتابة وغيرهم. وانظر: الحموي؛ ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج١، ص٢٥٧ - ٢٥٨.

(٣) عيـن التمـر: بلدة قريبة من الأنبار، غربي الكوفة، بقربها موضع يقال له شـفاثا، منهما يُجلب القسـب والتمر إلى سـائر البلاد، وهو بها كثير جداً، وهي على طرف البرية، وهي قديمة. افتتحها المسـلمون في أيام أبي بكر على يد خالد بن الوليد سنة ١٢هـ، وكان فتحها عنوة، فسبى نساءها، وقتل رجالها. فمن ذلك السبي والدة محمد بن سيرين، وسيرين اسم أمه، وفيه يقول عبيد الله بن الحرّ الجعفي في وقعة كانت بينه وبين أصحاب مصعب:

ألا هـل أتـى الفتيـان بالمصـر أنني ... أُسـرت بعيـن التمـر أروع ماجـدا
وفرقـت بيـن الخيـل لمـا توافقت ... بطعـن امرئ قـد قام مـن كان قاعدا

انظر: الحموي؛ ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٤، ص١٧٦ - ١٧٧.

ثم وجه أبو بكر الجيوش إلى الشام، وأمر خالد بن الوليد بالمسير إليها. وفتحت بصرى في خلافته، وهي أول مدينة فتحت بالشام. وقاتل ملوك كندة حتى فاؤوا إلى الإسلام.

وحج بالناس في السنة الثانية من خلافته، واستخلف على المدينة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وهو أول من جمع القرآن بين اللوحين، وذلك أن المسلمين لمّا أصيبوا باليمامة، خاف أبو بكر أن تهلك من حملة القرآن طائفة، ولم يكن القرآن إلّا في صدور الرجال (٢٤٠) فجمعه بين اللوحين، وسماه مصحفاً، ولم يزل عنده إلى أن مات، فبقي عند ابنته.

وكان موته بالسل ليلة الثلاثاء، وقيل الجمعة لتسع ليال بقين من جمادى الآخرة وسنّه ثلاثًا وستين سنة، وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وتسعة أيام، وغسلته زوجته أسماء بنت عميس، وصلى عليه عمر بن الخطاب، وحُمل على سرير النبي صلى الله عليه وسلم، وهو سرير عائشة، وكان من خشب الساج منسوجاً بالليف، وبيع ميراث عائشة، اشتراه مولى لمعاوية، وجعله للمسلمين، ودفن في حجرة عائشة، رأسه عند كتفي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكان يأخذ من بيت المال ثلاثة دراهم كل يوم أجره، وقال لعائشة: انظري يا بنيّة ماذا في مال أبيك مذ ولّي هذا الأمر، فرديه على المسلمين، فنظرت، فإذا بكرز وقطيفة ومحبسة لا تساوي خمسة دراهم. فلما جاء بذلك الرسول إلى عمر، قال: رحم الله أبا بكر، لقد كلّف من بعده تعباً.

ومات أبوه بعده بسنة، وقيل بسبعة أشهر، وسنّه سبع وسبعون سنة، وكان إسلامه يوم فتوح مكة، وكان يوم توفي أبو بكر بمكة، لم يشاهده، ولم يلِ الخلافة أحد أبوه حي غير أبي بكر رضي الله عنه.

ولم يعب أحد على أبي بكر في حكم حكمه، ولا قسم قسمه، وجاهد في ذات ربه، وشمّر ومات، وجميع الأمة عنه راضون، وله موالون. وفيه يقول أبو محجن الثقفي[(١)]:

وسميت صدّيقاً وكل مهاجر سواك يسمى باسمه غير منكرِ
سبقت إلى الإسلام والله شاهد وكنت جليساً في العريش المشهرِ
وبالغار إذ سميّت بالغار صاحباً وكنت رفيقاً للنبي المطهّرِ[(٢)]

وفيه يقول ابن التيهان[(٣)]:

وإني لأرجو أن يقوم بأمرنا ويحفظنا الصدّيق والبرّ من عدي
أولاك خيار الحي فهر بن مالك وأنصار هذا الدين من كل معتدي[(٤)]

---

(١) أبو محجن الثقفي: عمرو بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف، أحد الأبطال الشعراء الكرماء في الجاهلية والإسلام. أسلم سنة ٩هـ، وكان منهكاً في شرب النبيذ، فحدّه عمر مراراً، ثم نفاه إلى جزيرة بالبحر، فهرب، ولحق بسعد بن أبي وقاص وهو بالقادسية، فكتب إليه عمر أن يحبسه، فحبسه سعد عنده، واشتد القتال في أحد أيام القادسية، فالتمس أبو محجن من امرأة سعد (سلمى) أن تحل قيده، وعاهدها أن يعود إلى القيد إن سلم، فخلت سبيله، فقاتل قتالاً عجيباً، ورجع بعد المعركة إلى قيده وسجنه، فحدثت سلمى سعداً بخبره، فأطلقه، وقال له: لن أحدّك أبداً، فترك النبيذ، وقال: كنت آنف أن أتركه من أجل الحد توفي بأذربيجان أو بجرجان. شعره مطبوع في ديوان صغير. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٥، ص٧٦. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص١٩٩.

(٢) انظر الأبيات في: القلهاتي؛ أبو عبدالله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج٢، ص١٩٥.

(٣) ابن التيهان: مالك بن التيهان الأنصاري الأوسي، أبو الهيثم، صحابي. كان يكره الأصنام في الجاهلية، ويقول بالتوحيد، هو وأسعد زرارة. وكان أول من أسلم من الأنصار بمكة، وهو أحد النقباء الاثني عشر. شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها. توفي في خلافة عمر، وقيل: شهد صفين مع علي وقتل بها سنة ٣٧هـ. وكان شاعراً، له قصيدة في رثاء النبي ﷺ، يقول فيها:

لقد جُدعت آذاننا وأنوفنا غداة فجعنا بالنبي محمد

انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٥، ص٢٥٨. انظر: ابن الأثير؛ علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٥، ص١٢ ـ ١٣..

(٤) انظر البيتين في: القلهاتي؛ أبو عبدالله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج٢، ص١٩٥.

وفيه يقول حسان بن ثابت: (٢٤١)

إذا تذكرت شجوًا من أخي ثقة — فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

خير البريّة أزكاها وأعدلها — بعد النبي وأوفاها بما حملا

والثاني التالي المحمود مشهده — وأول الناس طراً صدَّقّ الرُّسلا[1]

(١) انظر الأبيات في شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، ضبط وتصحيح عبدالرحمٰن البرقوقي، ص ٣٥٥ - ٣٥٦. وفي القلهاتي؛ أبو عبدالله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج٢، ص ١٩٥ - ١٩٦.

الباب الرابع والعشرون

في ذكر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

هو أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل، من ولد عدي كعب بن غالب بن لؤي بن غالب، بينه وبين كعب ثمانية آباء، وأمه جيثمة بنت هشام المخزومي.

كان رجلًا طويلًا، ولقب بالفاروق لأنه أعلن بالإسلام والناس يومئذ يخفونه، وفرّق بين الحق والباطل، واختلف فيمن سماه الفاروق، فقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: سماه رسول الله ﷺ. وقال ابن شهاب[1]: سماه به أهل الكتاب.

بويع له يوم مات أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقيل: إنه لمّا حضر أبا بكر الموت، اجتمع إليه المسلمون، فقال لهم: إني مستخلف عليكم عمر بن الخطاب لفضله وقوّة دينه، فهل أنتم راضون؟ فقالوا: رضينا بمن رضيته لنا.

فقام عمر بالحق، وجاهد، وشمّر، وما قصر، وفتح الفتوح، ومصرّ الأمصار، ودوّن الدواوين، وأمات الكفر، وأظهر الدين، وسدّ فاقة المسلمين، وأعلى منار المؤمنين، وفتح العراقين وبلاد فارس، وخراسان، وكرمان وسجستان، وجميع مكران وبلاد الشام ومصر وأذربيجان، حتى علت كلمة الإيمان والإسلام، وخمدت عبدة الأوثان والأصنام، وهدمت بيوت النيران، واشتد على الكفرة الفسّاق، وغلظ أهل الشقاق والنفاق.

وهو أول من دُعي بأمير المؤمنين، هو أول من ضرب بالدرّة وحملها،

---

(١) ابن شهاب: هو علي بن شيخ بن محمد بن علي بن شهاب الدين السقاف العلوي، باحث في الأنساب، من أهل حضرموت، مولده بها في «تريم» ووفاته في «الشحر» كان كثير العناية بتدوين أنساب العلويين، رجالاً، ونساءً، مستقصياً الحواضر والبوادي، وصنف بها «الشجرة العليّة» في أربعة عشر جزءًا. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٤، ص ٢٩٤.

وهـو الـذي سـنّ القيام في شـهر رمضان، وجلد فـي الخمر ثمانيـن، وقام في المنبر في الدرجة الأولى.

ومن عدله وتسويته بين الخصماء، قيل: إنه أسلم في زمنه جبلة بن الأيهم بن الحـارث الأعرج بن جبلة بن الحارق الأكبر بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة، وكتب إلى عمر يسـتأذنه في الخروج إليه، فأذن له، فتحمل خيله بمن معه من آل جفنة وأشراف بني غسان، وسار من الشام قاصداً نحو المدينة، فلما بلغ بذي خشب[(١)] نـزل، وألبـس أصحابـه أقبية الديبـاج، وجعل على رؤوسـهم الأكاليـل، (٢٤٢) وتقلدوا السـيوف المحلاة بالذهب والفضة، وحملهم على عتاق الخيل المقلّدة بقلائد الذهب والجوهر، وعقدوا أذنابها، وعرضوا رماحهم على كواثب الخيل، ولبـس جبلة تاج الملك مكللاً باللؤلؤ والجوهـر والياقوت والزبرجد، وفي متن مفرقـه قرط مارية بنت الأرقم[(٢)] فتلقته الأنصـار بالطّرف والنزل، وأقبلوا يحفّون بـه، حتـى دخل المدينة، ولم يبـقَ أحد من أهل المدينة إلّا أقبـل ينظر إليه وإلى موكبته، ويفتخرون به، ودخل على عمر، فسُرَّ به، وأمر الأنصار بإنزاله وإكرامه.

---

(١) ذو خشب: وادٍ على مسيرة ليلة من المدينة، له ذكر في كثير في الحديث والمغازي. قال كثيّر:

وذا خشـب مـن آخر الليـل قبّلـت وتبغـي بـه ليلـى علـى غيـر موعـد

انظر: الحموي؛ ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٢، ص ٣٧٢.

(٢) مارية بنت الأرقم: مارية بنت الأرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة، من سلالة عمرو بن مزيقياء بن عامر ماء السـماء، وقيل: بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية، من بني كندة، وقالوا: هي أم الحارث الأعرج الجفني الذي عناه حسّان بقوله:

أولاد جفنـة حـول قبـر أبيهـم قبـر ابـن ماريـة الكريـم المفضـل

يُضـرب المثـل بقرطيها، يقال: خُذْهُ ولو بقرطي مارية، ولا تبعه ولو بقرطي مارية. وذكروا عن قرطيها أنه كان فيهما لؤلؤتان عجيبتان جلبهما الأمراء اليمانيون معهم في هجرتهم إلى الشام، وقوّما بأربعين ألف دينار. ويحكى أن الملك الأموي عبد الملك بن مروان وهبهما إلى ابنته فاطمة حين زوجها لعمر ابن عبد العزيز، فلما ولي الخلافة، قال لها: إن أحببتِ المقام عندي فضعي القرطين والحلي في بيت المـال، فأجابتـه على ما أراد، ولما مات وملك يزيد بن عبد الملك أرسـل إليها يقول: خذي القرطين والحلـي مـن بيت المال، فقالت: لا والله ما أوافقه في حال حياتـه وأخالفه في وفاته. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٥، ص ٢٤٥.

ثـم حضـر الحج، فخـرج عمر حاجـاً، فخرج معـه جبلة، فلما أتـوا مكة، دخلـوا للطـواف، فبينما جبلـة يطوف، إذ وطـئ على إحرامه رجـل من فزارة، فانحل حتى رفع جسـده، فرفع يده، ولطم الفزاري، فهشـم أنفه، وسـال دمه، فاستعدى عليه عمر، فغضب عمر من فعل جبلة، وأرسل إليه، فلما حضر، قال لـه: مـا حملك على ما صنعت؟ قال: يا أمير المؤمنين، تعمّد حلّ إزاري، بالله، ولولا حرمة البيت ودين الإسلام ما ضربته إلّا بالسيف.

قال عمر: أنت وهو في الإسلام سواء، أرضِهِ، وإلّا فانصفه من نفسك.

قال جبلة: فإن لم أفعل فمه؟

قال عمر: وإلّا أمرته أن يهشم أنفك كما فعلت به.

قـال: يا أمير المؤمنين، إني ظننت أن أكون في الإسـلام أعزّ مما كنت في الشرك.

قال عمر: نعم كذلك.

فلمـا رأى جبلة العزيمة من عمر، اسـتيقن أنه فاعـل ما يقول، قال: يا أمير المؤمنين، أنظر في ليلتي هذه إلى الغد، ثم أنصفه.

ثم بذل جبلة للفزاري عشرة آلاف درهم، فأبى إلّا أن يهشم أنفه، فاستعظم ذلـك من حضر في الموسـم مـن قبائل اليمـن، وتداعت القبائـل، حتى خافوا الفتنة، ثم حجز بينهم الليل.

فلمـا رأى جبلـة ذلك، تحمل من الليل في جميـع خيله ورواحله من غير علم عمر، وسـار إلى الشـام في مائة ألف من آل جفنة وأشـراف قبائل غسان، واقتحم بهم أرض الروم، فسرّ بذلك هرقل، ورأى ذلك فتوحاً عظيماً، إذ دخلوا فـي دينـه والتجأوا إليه، وأمر بطارقـة الروم بإكرامه وإنزالـه، وأقطعه وأصحابه حيث أحبوا من أرض الروم. ولجبلة شعر في المعنى:

تنصرت الأشراف من عار لطمة وما كان فيها لو صبرت لها ضررْ
تكلفني فيها لجاج ونخوة وبعت بها العين الصحيحة بالعور(٢٤٣)
فيا ليت أمي لم تلدني وليتني رجعت إلى القول الذي قاله عمرْ
ويا ليتني أرعى المخاض بقفرة وكنت أسيراً في ربيعة أو مضرْ
ويا ليت لي بالشام أدنى معيشة مجاور قومي ذاهب السمع والبصرْ
أُدين بما دانوا به من شريعة وقد يصبر العود الكبير إلى الدبرْ[1]

ولم يزل جبلة على ذلك، حتى مات بأرض الروم.

انظر إلى صنيع عمر رضي الله عنه لم يألُ أن ينصف الفزاري من جبلة، ولم يرَ أن الفزاري رجل واحد، وجبلة معه مائة ألف بالمال والعدّة، ولم يقل: إن هؤلاء يقوى بهم الإسلام، ولم يرَ أنهم يقوى بهم الكفر.

(ثم)[2] إن عمر رضي الله عنه وجه سعد بن أبي وقاص إلى القادسية لمحاربة العجم، فسار سعد بمن معه حتى وافى القادسية، فعسكر بها، وكان ملك الفرس يومئذ غلام صغير يقال له يزدجرد[3]، وهو آخر من ملك من العجم، فجمع إليه أطرافه، واستجاش إليه جنوده، فاجتمع إليه عالم عظيم، وقوّاهم بالسلاح والأموال، وولى عليهم عظيماً من عظماء مرازبته، له علم ومعرفة بالحرب، يقال له رستم، ووجّهه في زهاء خمسين ألف فارس وراجل من أبطال العجم وفرسانهم، فأقبل رستم حتى وافى دير الأعور[4]، ونزل هناك بعسكره.

(١) انظر القصيدة في: الأصفهاني؛ أبو الفرج: الأغاني، ج٥، ص١٦٧.
(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٢٤٢.
(٣) يزدجرد: اسم ثلاثة من ملوك الساسانيين، أشهرهم يزدجرد الأول (٣٣٩ - ٤٢٠م)، وهو ابن شاهبور الثالث، اشتهر بعدله وتسامحه، ومنهم يزدجرد الثالث (٦٣٢ - ٦٥١م)، وهو آخر ملوك الساسانيين (وهو الذي يعنينا هنا) هزمه العرب في القادسية سنة ٦٣٥م، ونهاوند سنة ٦٤٢م، مات غيلة، وانقرضت بموته دولة الساسانيين. انظر: المنجد في اللغة والأعلام، دار الشرق، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة والثلاثون، ١٩٩٦م، ص٦١٩.
(٤) دير الأعور: هو بظاهر الكوفة، بناه رجل من إياد يقال له الأعور من بني حذافة بن زهير بن إياد. انظر: الحموي؛ ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٢، ص٤٩٩.

وبلـغ الخبر إلى سـعد بن أبي وقاص، وهو بالقادسـية، وبلـغ الخبر أيضاً إلـى جرير بـن عبدالله البجلـي والمثنى بن حارثة الشـيباني[١] ومـن معهما من المسـلمين، وكان جرير بناحية الحيرة[٢]، فلما بلغه الخبر أن رستم توجه إليهم في زهاء خمسين ألفاً من أبطال العجم وفرسانها، فسارا بمن معهما إلى سعد، وكتـب سـعد إلـى عمر بن الخطـاب يطلبـه المـدد والنصرة، فأمـدّه عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بعمرو بـن معد يكرب الزبيدي، وقيس بن هبيرة المكشـوح المرادي، وهو ابن أخت عمرو بن معد يكرب، وطليحة بن خويلد الأسـدي[٣]، وكانوا من فرسان العرب المشهورين في الجاهلية والإسلام.

وكتب عمر بن الخطاب رحمه الله إلى سعد بن أبي وقاص: إني وجهت إليك رجليـن يقومان في الحرب مقام ألفين، فاعرف مقامهما، وقدّمهما، واستشـرهما

---

(١) المثنى بن حارثة الشيباني: المثنى بن حارثة بن سلمة الشيباني: صحابي فاتح، من كبار القادة. أسلم سنة ٩هـ، وغـزا بـلاد فارس أيام أبي بكر، فتناقل الناس أخباره، فسـأل أبو بكر: من هـذا الذي تأتينا وقائعه قبل معرفة نسـبه؟ فقال قيس بن عاصم: أما أنه غير خامل الذكر، ولا مجهول النسـب، ولا قليل العدد، ولا ذليل الغارة، ذلك المثنى بن حارثة الشيباني. ثم وفد على أبي بكر، فأكرمه، وأمره على قومه. شهد المثنى وقائع كثيرة مع الفرس، وتوفي سنة ١٤هـ. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٥، ص٢٧٦. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٥، ص٥٥.

(٢) الحيـرة: مدينـة كانت على ثلاثـة أميال من الكوفة، علـى موضع يقال له النجـف، وبالحيرة الخورنق بقرب منها مما يلي الشرق على نحو ميل. كانت مسكن ملوك العرب في الجاهلية. ويقال لها الحيرة الروحاء. قال عاصم بن عمرو:

صبحنا الحيـرة الروحـاء خيـلاً ورجـلاً فـوق أثبـاج الـركابِ

وقيل: سميت الحيرة لأن تبعاً الأكبر لما قصد خراسان خلف ضعفة جنده بذلك الموضع، وقال لهم: حيِّروا به، أي أقيموا به. انظر: الحموي؛ ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٢، ص٣٢٨ - ٣٢٩.

(٣) طليحة بن خويلد الأسدي: طليحة بن خويلد الأسدي، من أسد خزيمة، متنبئ، شجاع من الفصحاء، يقال له «طليحة الكذّاب» كان من أشـجع العرب. قدم على النبي ﷺ في وفد بني أسـد سـنة ٩هـ، وأسـلموا. ولما رجعوا ارتدّ طليحة، وادعى النبوة، في حياة رسول الله ﷺ، فوجه إليه ضرار بن الأزور، فضربه ضرار بسيفه يريد قتله، فنبا السيف، فشاع بين الناس أن السلاح لا يؤثر فيه، ومات النبي ﷺ، فكثر أتباع طليحة من أسد وغطفان وطيء. وكان يقول: إن جبريل يأتيه. أسلم بعد أن أسلمت أسد وغطفان كافة. ووفد على عمر، فبايعه في المدينة. وخرج إلى العراق، وقتل في نهاوند. Mانظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٢٣٠. انظر: ابن الأثير؛ علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص٩٤ - ٩٥.

فـي أمـورك، ولا أحسـب لهما كبير نيّـة في الجهـاد، ولقرب عهدهما بالشـرك، فأعلمهما أنك (٢٤٤) غير مستغن عنهما، فإنك تستخرج بذلك نصحهما.

فلما قدما على سـعد بالقادسية، فرح بذلك المسلمون فرحاً شديداً، لكثرة صيتهمـا وعظيـم ذكرهمـا، وأقام رسـتم يريد الأمر أربعة أشـهر كراهيـة لقتال العـرب، وخوفاً مـن أن يصيبه ما أصاب مهران، فصار يسـتريح إلى المطاولة، يُـري المسـلمين أنها مكيـدة، وكان العـرب يوجهون السـرايا للحيـرة، (ثم)[1] يرجعون نحو البر حتى يرجعون نحو البئر يرجعون معسكرهم.

وكان الذي حمل الأموال والأمر عمرو بن معد يكرب، وطليحة بن خويلد، وهما يومئذ شيخان كبيران في السن.

وكان للمثنى بن حارثة زوجة[2] من أجمل نساء بكر بن وائل، فمرض المثنى عند قدوم سعد بالحيرة، فأقام بها وعنده امرأته تمرضه، وكتب إلى سعد كتاباً:

«بسـم الله الرحمٰـن الرحيـم، أما بعد، فـإن الذي خلفني عن المسـير إليك مـع أصحابي شـكوة أصابتنـي، وقد خفت على نفسـي أن أهلك، فإني أشـهد أن لا إله إلا الله وحده لا شـريك له، وأن محمداً عبده ورسـوله، وأن السـاعة آتيـة لا ريـب فيها، وأن الله يبعث من فـي القبور، وإن يدفع الله عني فإني على إثر كتابي والسلام. ورأيت أن يقوم مقامك بالقادسية والعذيب[3] حتى توافيك

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٢٤٣.

(٢) هي سـلمة بنت خصفة، أقامت مع المثنى إلى أن مات، فتزوجها سـعد بن أبي وقاص، فشـهدت معه المعـارك في القادسـية وغيرهـا، وهي التي أطلقت أبا محجن الثقفي يوم القادسـية في خبر مشـهور. توفيت سنة ٦٠هـ / ٦٨٠م، انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٦١٤.

(٣) العذيـب: تصغيـر المـاء العذب، وهـو الماء الطيـب. والعذيب ماء بين القادسـية والمغيثـة، بينه وبين القادسـية أربعة أميال. وقيل هو وادٍ لبني تميم، وهو من منازل حجاج الكوفة، وقيل: هو حدّ السـواد. وقـال أبو عبـد الله السـكوني: العذيـب يخرج من قادسـية الكوفة إليه، وكانت مسـلحة للفـرس، بينها وبين القادسـية حائطان متصلان، بينهما نخل، وهي سـتة أميال، فإذا خرجت منه دخلت البادية. انظر: الحموي؛ ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٤، ص٩٢.

العـرب، فحاربهـم علـى أدنى حجر مـن المغرب، فإن نصـرك الله فتلك عادته في إحسـانه وامتنانـه، وإن كانت الأُخرى، كنت أنت ومن معك أعرف بسـبيل أرضكم ومسالك بلادكم».

فلم يلبث المثنى أياماً، وهلك بالحيرة، ودفن بالقادسية، فلما انقضت عدّة زوجته، تزوجها سعد، وحملها إلى رحله.

ووافى إليه جرير بن عبدالله البجلي في قومه، ومن كان معه من المسلمين، فعسكروا مع سعد بالقادسية.

ثم إن رستم أقبل في عسكره، حتى قرب من المسلمين، بعد مخاطبة ورسل وكلام يطـول شـرحه، وبـات كلا الفريقيـن يصفّـون الصفوف ويعبّئـون الخيل والرجـال، ويوقفون الرايات، وكان بسـعد علّة، لم تمكنـه الخروج إلى الحرب بنفسه، فولى خالد بن عرفطة[(١)]، وجعل على القلب قيس بن هبيرة المكشوح[(٢)]

(١) خالد بـن عرطفـة: خالد بـن عرطفة بن أبرهة بن سـنان الليثي، يقال: البكـري، من بني ليث بن بكر بن عبد مناف. اسـتخلفه سـعد بن أبي وقاص على الكوفة، ونزلها، وهو معدود من أهلها، ولمـا دخل معاوية الكوفة سـنة إحـدى وأربعين، خرج عليه عبدالله بن أبي الحوسـاء بالنخيلة، فبعث إليه معاوية خالداً ابن عرطفة العذري في جمع من أهل الكوفة، فقتل ابن أبي الحوساء. مات خالد بالكوفة سـنة سـتين هجرية، وقيل: سـنة إحدى وسـتين عام مقتل الحسـين بن علي ابـن أبـي طالـب. انظـر: ابن الأثيـر؛ علي بـن محمد: أسـد الغابـة في معرفـة الصحابـة، ج٢، ص ١٠٢ ـ ١٠٣.

(٢) قيس بن هبيرة المكشوح: قيس بن هبيرة بن هلال بن الحارث بن عمرو بن عامر بن علي بن أسلم بن الأحمس بن أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث البجلي، حليف مراد، وهو الذي أعان فيروز الديلمي على قتل الأسـود العنسـي. كان فارس مذحج، سـار إلى العراق على مقدمة سعد بن أبي وقاص، وله آثـار صالحـة فـي قتال الفرس بالقادسـية وغيرها، وشـهد مـع النعمان بن مقرن نهاونـد، وحارب في صفيـن إلـى جانـب علي ضدّ معاويـة، وقتل بصفين. كان فارسـاً بطلاً شـاعراً. ويقال: إنـه قبل مقتله حمل الراية، وظل يقاتل حتى وصل إلى صاحب الترس المذهّب على رأس مقدمة معاوية، فأشرعوا الرمـاح عليـه، وقتلوه. انظر: ابن الأثير؛ علي بن محمد: أسـد الغابة في معرفـة معرفة الصحابة، ج٤، ص ٤٤٧ ـ ٤٤٨.

وعلى الميمنة شرحبيل بن سمط الكندي[١]، وعلى الميسرة هشام (٢٤٥) بن عتبة المعروف بالمرقال، لأنه كان يرقل في الحرب إرقالاً، وهو الخبب، واستعمل على الرجالة قيساً. وبُسط لسعد في أعلى القصر في مكان مشرف على الفريقين ساعة قتالهم، ومعه امرأته والنساء والذرية، وأصبح الفريقان تحت راياتهم ومصافهم، وأقبلت المدد من (قبل)[٢] الملك يزدجرد تترى على رستم، حتى صاروا زهاء مائة ألف فارس وراجل.

وقام خالد بن عرفطة في العرب خطيباً، فقال: يا معشر العرب، إن هذه بلاد قد أذن الله لكم في أهلها، فأنتم تقتلونهم وتغيرون عليهم (منذ)[٣] حولين كاملين، وقد جاءتكم (منهم)[٤] هذه الجموع، وأنتم لهاميم العرب وفرسانهم وسادتهم، وخيّار كل حي، فإن صدقتموهم الطعن والضرب، كانت لكم أرضهم وذراريهم، وإن تولوا، لم تبقَ منكم باقية، ألا ترون (أنّ)[٥] الأرض وراءكم قاعاً صفصفاً قفراء ليس فيها حمر ولا وزر، فلتكن حصونكم سيوفكم، ورماحكم.

---

(١) شرحبيل بن سمط الكندي: شرحبيل بن السّمط بن الأسود بن جبلة، وقيل: السّمط بن الأعور بن جبلة بن عدي الكندي. أدرك النبي ﷺ، وكان يكنى أبا زيد، وكان أميراً على حمص لمعاوية، وكان له أثر عظيم في مخالفة علي وقتاله، وسبب ذلك أن علياً أرسل جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية، فاحتبسه شهراً، فقيل لمعاوية: إن شرحبيل عدو لجرير، لتحضره ليناظر جريراً، فاستدعاه معاوية، ووضع على طريقه من يشهد أن علي بن أبي طالب قتل عثمان بن عفان، منهم: بسر بن أبي أرطأة، ويزيد بن أسد، وأبو الأعور السلمي، وغيرهم. فلقي جريراً، وناظره أن علياً قتل عثمان، ثم خرج في مدائن الشام يخبر بذلك، ويندب للطلب بثأر عثمان، وفيه قال النجاشي:

شرحبيل ما للدين فارقت أمرنا ... ولكن لبغض المالكيّ جرير

توفي شرحبيل بن السمط سنة أربعين هجرية. انظر: ابن الأثير؛ علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٥١٣ - ٥١٤.

(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٢٤٤.

(٣) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٢٤٤.

(٤) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٢٤٤.

(٥) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٢٤٤.

ثـم زحـف الفريقان بعضهم إلـى بعض، واقتتلوا قتالاً شـديداً، لم يسـمع السـامعون بمثله، وتقدم عمرو بن معد يكرب وقيس بن هبيرة المكشـوح أمام المسلمين كأنهما أسدان، وجعل قيس يقول:

قـد علمـت واردة الوشـائح   وفاتح النقاب والجبين الواضح

أنـي سـمام البطـل المسـابح   وفاتـح الأمـر المهـم الفـادح(١)

ثـم حمـل هـو وعمـرو، واتبعهما العـرب وفرسـانهم حملة رجـل واحد، فتطاعنوا بالرماح، وتجالدوا بالسيوف، وصبرت لهم العجم صبراً صادقاً، وقتل من الفريقين مقتلة عظيمة، حتى خاضت الخيل في الدماء، واضطربوا اضطراباً شديداً وثار الغبار، وجال القوم جولة، حتى لحقوا برستم، وهو آخر الصفوف.

فلمـا نظر رسـتم ذلك، نـادى في العجم، وقـال: ما لكـم؟ ثكلتكم أمكم، تحتمون عن هؤلاء وأنتم إخوان الحرب، وأحلاس الطعن والضرب؟ ثم صار في أوائل أصحابه، فحمل، وحملوا معه حملة رجل واحد، وكانت من العرب جولة شـديدة، حتـى (٢٤٦) دنوا من القصر، وفيه سـعد بن أبي وقاص، ومعه النساء والذراري، فأمر سعد النساء أن يخرجن معهن الأولاد الصغار، فخرجن جميعـاً من القصر، واسـتقبلن المنهزمين من العـرب، فصحن، وأعولن، وقلن: ويحكـم، عار عليكم تدعونا وتهربوا، فأخذتهـم الحمية، فرجعوا إلى الحرب، ورجعت النساء والأولاد، وسعد ينظر إلى ذلك.

وحملـت العرب حملـة صادقة، وأمامهـم عمرو بن معـد يكرب، وقيس بن هبيرة، وطليحة بن خويلد، وصبرت لهم العجم، فتطاعنوا بالرماح حتى تحطمت، وبالسيوف حتى تكسرت، وبالسهام حتى نفذت، فعمدوا إلى عُمد الحديد.

---

(١) انظـر: ابـن كثير؛ أبو الفداء الحافـظ: البداية والنهايـة، ج٧، ص٤٣، مع اختلاف في الألفاظ، ونسـبة القصيدة إلى غالب بن عبدالأسدي.

وحملـت العجـم علـى بجيلـة[1]، وهـم الميمنـة، وفيهم جرير بـن عبد الله البجلي، فصبرت لهم بجيلة، واقتتلوا قتالاً شديداً، حتى كثر القتل والجراحات، وسعد ينظر إلى ذلك، فقال: وابجيلتاه، ولا بجيلة لي اليوم. فقالت امرأته التي كانـت عنـد المثنـى: وامثنّاه ولا مثناه لي اليـوم، فأخذته الغيـرة، فلطم وجهها، فقالت: يا ابن أبي وقاص، أغيرة وجبناً؟

ثم عطف عمرو بن معد يكرب وأبو محجن الثقفي حتى صاروا في أوائل بجيلـة، وقد زالـوا عن مصافهم، فأنفذوهم حتى ردوهم إلى مصافهم، وحملوا معهـم حملـة رجل واحد، فقتلوا من العجم مقتلة عظيمة، فقال سـعد لامرأته: لقد منّ الله على بجيلة.

ثم اشـتد القتال، فاقتتل الفريقان قتالاً شـديداً، لم يسمع السامعون بذكره، وتقدم أمام العجم رجل منهم يعد بألف رجل، يعمل عمل الأسد الباسل، يقتل مـن أدرك من المسـلمين، فحمل على عمرو بن معد يكـرب، فتعاركا ملياً، ثم اقتلعه عمرو من فرسه، وانصرف به حتى توسط العرب، فرماه وكسر عنقه، ثم وضع السـيف على عنقه، وقال: معاشـر العرب، افعلوا بهم هكذا، فقال بعض من حضر: يا أبا ثور، من يستطيع منا أن يفعل هكذا؟

ثـم اقتتل الفريقان ملياً من النهار بالسـيوف والعمـد، وأمام العرب عمرو، حتـى زالت العجم عن أمكنتها، وبلغ عمرو إلى رسـتم، وهو في آخر صفوف العجـم، فحمـل كل واحد منهمـا على صاحبه، فتضاربا بسـيوفهما، ولـم تعمل

(١) بجيلـة: بجيلة بنت صعب بن سـعد العشـيرة، من كهـلان، أم جاهلية يمانية، هي أخت باهلة، ينسـب إليها البجيليون، وهم بنوها من زوجها «أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث» من كهلان أيضاً. وقيل: من معد. اسـتوطنوا الحجاز والبحرين قبل الإسـلام. كان صنمهم «ذو الخصلة» يشـركون فيه خثعم. وتفرقـوا أيـام الفتح في الآفاق، فلم يبقَ منهم في موطنهم إلّا القليل. قال ابن خلدون: كان يُرى على حجاجهم بمكة أثر الشظف. وهم بطون كثيرة. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٢، ص٤٣.



(٢٤٧) شيئاً، وثاب إلى رستم قومه وجنوده، وحالوا بين عمرو وأصحابه، فوقف في وسط العجم يجالدهم بسيفه، وهو على متن فرس، حتى طعن الفرس، فسقط ووثب عمرو عنه كالأسد، وجعل يضارب القوم، لا يدنو إليه أحد إلّا جدله، وتحامى عنه القوم، ونادى قيس بن هبيرة المكشوح: يا معشر العرب، ما تنظرون إلى صاحبكم؟ أدركوه قبل أن يقتل. وحملوا معي حملة رجل واحد، فداكم أبي وأمي، لتخلصوه بإذن الله.

ثم حملوا، فزحزحوا من كان بين أيديهم من العجم، حتى انتهوا إلى عمرو، وهو يجالد بسيفه راجلاً، وقد اختضب بالدماء، فلما رأى أصحابه استبشر، وتناول رجل من العرب فرس فارس من العجم، فجعل الفارس يجرّه، فلم يستطع، فوثب عنه، فأتى به الرجل إلى عمرو، فركبه، وحمل، وحمل معه الناس، ودخل عمرو إلى القوم، حتى انتهى إلى فيل من تلك الفيلة، فضرب مشفره، فبراه، فولى الفيل وله صياح، فانهزم جميع الفيلة من العجم.

فلما رأى رستم ذلك نادى في أبطال العجم وفرسانهم، وحمل على المسلمين، وحملت العجم معه، وحمل عمرو بسيفه المعروف بالصمصامة، وحمل رستم على هلال بن عقبة[1]، وكان من أبطال العرب، فضربه على فخذه، فقطعها مع الدرع، فشدها هلال إلى قربوس فرسه، وجعل يقاتل، فلم يزالوا كذلك من أول النهار إلى العصر.

ثم نادت القبائل من كل ناحية، وزحف أصحاب الرايات من العرب، وقد ظنوا أنفسهم على الموت، وحملوا على العجم حملة رجل واحد، فأزالوهم عن مصافهم.

(١) هلال بن عقبة: والصحيح: هلال بن عُلَّفة التميمي، من تميم الرباب، من زعماء الإباضية، كان شجاعاً، من أبطال زمانه. وهو الذي قتل «رستم» يوم القادسية. خرج على عليّ بعد وقعة النهروان، وأتى ماسبذان، ومعه أكثر من مئتين، فوجه إليه علي معقل بن قيس الرياحي، فقتله معقل هو ومن معه. انظر: الرزكلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٨، ص ٩١.

فلما رأى رستم ذلك، ترجل، وترجل معه سائر العجم، وحمل الفريقان بعضهم على بعض، فتضاربوا بالسيوف والأعمدة، حتى تقصمت عامتها، وقتل من الفريقين خلق كثير.

ونادى قيس بن هبيرة في الناس: ألا معاشر العرب، روحوا بنا إلى الجنة، فاحملوا على القوم، فإنه لم يبق إلّا آخر نفس. ثم حمل قيس، وحمل معه الناس وأمامهم عمرو، فقتلوا من العجم مقتلة عظيمة، وولت العجم منهزمة، وثبت مع رستم أهل الحفاظ والوفاء من أصحابه، فشدّت العرب عليهم بأسيافهم وأمامهم عمرو، وقُتل رستم ومن ثبت معه من المرازبة والأبطال في ربضة واحدة، ومرَّت العرب في إثر العجم يقتلون ويأسرون، إلى أن حال بينهم الليل، فانصرفوا إلى القصر الذي (٢٤٨) فيه سعد، فخرج سعد من القصر فرحاً بهجاً حتى أتى المعركة، وأمر بطلب رستم من القتلى، (فوجدوا)[١] به نحوًا من عشرين ضربة، كلها في مقاديمه، لأنه باشر الحرب بنفسه، ويقال: إنه انهزم مع أصحابه، حتى انتهى إلى نهر القادسية، فأراد أن يجوزه، فغرق فيه، والله أعلم، فقال سعد شعراً:

لقد بليت بجيلة غير أني ... أُؤَمّل أجرهم يوم الحسابِ
لقد لقيت جموعهم أسوداً ... فما خافوا لمختلف الضرابِ[٢]

فلم تزل العجم تركض خيولها منهزمة طول ليلها والعرب في أثرها حتى إذا أصبحوا، أشرفوا على مدد، أقبلت من قبل الملك يزدجرد زهاء خمسة آلاف فارس، عليهم قائد يقال له جيلوش، فاستقبل المنهزمين، وقال لهم: قفوا، وموتوا إكراماً، ولا يراكم الملك منهزمين، فوقفوا بدير كعب، فأكلوا وشربوا، وأعلفوا دوابهم وأراحوها.

---

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٢٤٦.

(٢) وما أرجو بجيلة غير أني ... أُؤمل أجرهم يوم الحسابِ
فقد لقيت خيولهم خيولاً ... وقد وقع الفوارس في ضرابِ

انظر: الطبري؛ محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص١٤٠ - ١٤١.

ثم أقبل عظيم من عظماء الفرس، فقال لجيلوش: انجُ بنفسك وأنفسنا قبل أن تقتل، فإن هذا أوان زوال الملك عنّا، فأبى جيلوش أن ينصرف، أو يدع أحداً من الفرس أن يمضي، فقال الرجل لجيلوش: إذا أبيت فقف حتى أريك علامة زوال الملك عنّا. فوقفوا جميعاً، فقال الرجل: انظر إلى رميي، وأخذ كرة، ورمى بها في الهواء، ورماها بسهم، فكان كلما انحدرت ردها بسهم آخر، ولم تصب الأرض حتى صارت كالغربال من وقع السهام بها، فقال: أما نظرت إلى حسن رميي؟ فقال جيلوش، لم أرَ رمياً أحسن من رميك، فقال الرجل: هكذا أرمي في العرب، لم يغنِ فيهم شيئاً.

ثم أقبلت إليهم أوائل العرب، فلما رآهم جيلوش وأصحابه، زحفوا إليهم، فرشقهم ذلك الرجل وجيلوش بالسهام، فلم يصيبا أحداً، فقال الرجل لجيلوش: أما هذه علامة زوال الملك عنّا؟ ثم ولّوا منهزمين.

ومرت العرب في آثارهم وأمامهم عمرو، وقيس، وطليحة، وجرير، وانفرد جرير عن أصحابه، فلما رآه العجم منفرداً، عطفوا عليه وطعنوه برماحهم، فسقط عن فرسه، ولم تعمل فيه الرماح لحصانة درعه، وعاد فرسه راجعاً، وتلاحق بجرير أصحابه، فحالوا بينه وبين العجم، وانهزمت العجم، وأقبل إلى جرير رجل من أهل بيته ببرذون من (٢٤٩) برّاذين العجم مضروب بسيف على كفله، وقال: اركب يا أبا عمر، فقال: والله لا أركب، فتتحدث العرب أني ركبت برذوناً مضروب الكفل بسيف، فاقبل عليه ابن عمه ببرذون آخر مطوق بطوق ذهب، فقال: إركب يا أبا عمر، فقال: أهذا من براذين العجم؟ قال: نعم، فركبه، وطلب العجم، فقتل من أدرك منهم، حتى أمعنوا في الهرب، ومرّت العجم، حتى وافت المدائن[1] مع الملك.

(١) المدائن: مدينة قديمة في العراق، بناها الإسكندر المقدوني، وأقام بها راغباً عن بقاع الأرض جميعاً، وعن بلاده ووطنه، حتى مات. قال يزدجرد: «أما أنو شروان بن قباذ، وكان أجلّ ملوك الفرس حزماً =

ثم إن يزدجرد تحمل من المدائن بأهلة وحشـمه، وولي الحرب مرادشـاه أخا رستم المقتول، وسار حتى أتى مدينة نهاوند[(١)]، فأقام بها.

وجمع سعد بن أبي وقاص أصحابه وقواده، وسار من القادسية، حتى نزل بحذا المدائن بشـاطئ دجلة، فعسـكر هنالك، حتى اسـتعد، ونادى في العرب، فلبسـوا أسلحتهم، وركبوا خيولهم، فاقتحموا دجلة، وخرج مراد شاه في الماء هونـاً، والقى الله الرعب في قلوب العجـم، فانهزموا، وتركوا المدائن، ولحقوا الملـك بنهاونـد، فأمرهم بالمقام في جلـولاء[(٢)]، وكان يمدهم مـن نهاوند كل يوم، وولى الحرب رجلاً من عظماء المرازبة يُسمى جرزاد، ودخل المسلمون

= ورأيـاً وعقـلًا وأدبـاً، فإنـه بنى المدائن، وأقـام بها هو ومن كان بعـده من ملوك بني ساسـان إلى أيام عمر بن الخطاب. وقد ذكر في سـير الفرس أن أول من اختطّ مدينة في هذا الموضع أردشـير بابك، قالوا: لما ملك البلاد سار حتى نزل في هذا الموضع، فاستحسنه، فاختط به مدينة، قال: إنما سميت المدائـن لأن زاب الملـك الـذي بعد موسـى عليه السلام، ابتناها بعد ثلاثين سـنة من ملكـه، وحفر الزوابي كوّرها، وجعل المدينة العظيمة المدينة العتيقة. وكان فتح المدائن كلها على يد سـعد بن أبي وقاص في صفر سـنة ١٦هـ، أيام عمر بن الخطاب. انظر: الحموي؛ ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٥، ص ٧٤ - ٧٥.

(١) نهاوند: مدينة عظيمة في قبلة همذان بينهما ثلاثة أيام، ويقال: إنها من بناء نوح عليه السلام، وهي أعتق مدينة في الجبل (العراق)، فتحت سنة ١٩، وقيل ٢١هـ في خلافة عمر بن الخطاب. قال القعقاع بن عمرو المخزومي:

وسـائل نهاونـد بنـا كيـف وقْعُنـا ... وقـد أثختنها فـي الحـروب النوائبُ

وقال أيضاً:

ونحـن حبسـنا فـي نهاونـد خيلنـا ... لشـدّ ليـال أُنتجـت للأعاجـمِ

انظر: الحموي؛ ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٥، ص٣١٣ - ٣١٤.

(٢) جلولاء: طسـوج، من طساسـيج السواد في طريق خراسان، بينها وبين خانقين سبعة فراسخ، وهو نهر عظيـم، يمتـد إلى بعقوبـة، ويجري بين منـازل أهل بعقوبة، ويحمل السـفن إلى باجسـرا. وبها كانت الوقعة المشهورة على الفرس للمسلمين سنة ١٦هـ، فاستباحهم المسلمون، فسميت جلولاء الوقيعة، لما أوقع بهم المسلمون. قال القعقاع:

ونحـن قتلنـا فـي جلـولاء أثابـراً ... ومهـران إذ عـزّت عليـه المذاهـبُ
ويـوم جلـولاء الوقيعـة أُفنيـت ... بنـو فـارس لمّـا حوتهـا الكتائـبُ

انظر: الحموي؛ ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٢، ص١٥٦.

المدائـن، فغنموهـا، وكان فيهـا خزائـن الأكاسـرة مـن الأموال، وآنيـة الذهب والفضـة والأثاث، فكان الرجل منهم يقع يده على الصحيفة الحمراء، فينادي: مـن يأخذ حمـراء، ويعطي بيضاء، ووقعـوا على بيوت مملوءة كافـوراً وعوداً، فظنـوا الكافـور ملحـاً، فكانوا يلقونه فـي العجين، فيخرج الخبر مـرّاً كالعلقم، فيقولون ما أمرّ ملحهم، ووقعوا على تاج كسـرى، وهي ثمينة، فبعث بها سـعد إلـى عمـر، فأمر بها عمر، فحملت إلى مكة، وعلقـت في الكعبة، فهي بها إلى يومنا هذا.

ولمّـا نصر الله المؤمنين، وهزم العجم، كتب سـعد إلـى عمر بن الخطاب كتاباً، هذه نسخته:

«بسم الله الرحمٰن الرحيم، لعبد الله عمر أمير المؤمنين، من سعد بن مالك:

سـلام عليـك، فإني أحمـد الله الذي لا إله إلا هو، وأسـأله أن يصلي على النبي محمد وآله وصحبه، ويسلم عليهم، أما بعد.

فإنا لقينا جموع العجم بالقادسية، وهم في عدد وعدّة يقصر عنها الوصف، فقاتلناهم قتالاً شـديداً، لم يسـمع السـامعون بمثله من لدن طلوع الشمس إلى أن تـوارت بالحجـاب، فأنـزل الله علينا نصره، (٢٥٠) وثبـت أقدامنا، وضرب وجـوه أعدائـه العجم، ومنحنـا أكتافهم، وفتح لنـا أكنافهـم، فقاتلناهم في كل فج عميق، وعلى شـاطئ كل نهر، فأحمد الله يا أمير المؤمنين على إعزاز دينه وإظهار أوليائه. وقتل من المسلمين ناس كثير صالحون، لو رأيتهم قبل الوقعة لسـمعت لهم فـي صلاتهم دوياً كـدوي النحل من قراءة القرآن، فاحتسـبهم يا عمـر رحمـك الله، لقد حلّت فيهـم المصيبة، وعظمت، وقـد أصبنا ما كان في عسـكرهم من سـلاح، وكراع، وذهب، وفضـة، وأثاث، وآنيـة محظيّة، وكانت إليك بملبغ الخمس والسلام.

ثم وجه الكتاب مع رجل يسمى مجالد بن سعد[١]، وكان عمر حين أبطأ عليه خبر الناس من أرض القادسية يخرج كل يوم باكراً وحده ماشياً على طريق الخبر، فيمشي ميلاً أو ميلين طمعاً أن يرى أحدًا ينيله الخبر، فلا يرى أحداً.

فبينما هو يمشي كعادته إذ نظر إلى رجل راكب من بعيد، فاستقبله مجالد، وهو لا يعلم أنه عمر، فقال عمر: ما الخبر؟ قال: ظفر الله المسلمين، وقتل المشركين.

ثم جاء مجالد، وترك عمر، وجعل عمر يعدو معه يسأله، حتى دخلا المدينة، فاستقبل الناس عمر يسلمون عليه بالخلافة، ووقف عمر ومجالد، فقال مجالد سبحان الله، تعدو معي من نحو ميلين، ولم تعلمني أنك أمير المؤمنين، فقال عمر: سبحان الله، وما في ذلك؟

ثم نزل مجالد، وناوله الكتاب، فقرأه على الناس، فاستبشروا به.

وكتب عمر إلى سعد يأمره أن يبني في من قبله من العرب داراً، ولا يكون بينهم بحر، فأقبل سعد إلى نحو الكوفة، فبناها، وجعلها خططاً لمن كان معه من العرب، وجعل لكل حي خطة، وبنى مسجداً جامعاً، وبنى لنفسه قصراً، وهو قصر الإمارة، وأعطى الناس عطاءً جزلاً، وأمرهم بالبناء، فبنوا، وسكنوا فيها النساء والذرية، وخلف فيهم ثمانية آلاف من المسلمين يحفظونهم بإذن الله، وسار سعد بالناس حتى نزل المدائن، فعسكر بها، وأقام حولين.

(١) مجالد بن سعد: والصحيح سعد بن عميلة الفزاري.

وقعة جلولاء ونهاوند وقتل الملك يزدجرد

ثم إن سعد عقد لابن أخيه عمرو بن زيد بن مالك[١] في اثني عشر ألفاً من سادات العرب اليمنية والعدنانية، وفرسانهم، وصناديد رجالهم، وأمره بالمسير إلى جلولاء، ولا يحارب جرزاد إلّا أن يحاربه (٢٥١).

فسار عمرو بمن معه حتى وافى جلولاء، فخرج إليه جرزاد في جنوده وعساكره، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وصبر بعضهم لبعض من طلوع الشمس إلى أن مالت للغروب، ولم تكن صلاة المسلمين إلّا بالتكبير لكل صلاة في وقتها.

ثم تداعت العرب، وحضّ بعضهم بعضاً، وحملوا على القوم عند غروب الشمس حملة رجل واحد، فلم تثبت العجم لحملتهم، فانهزموا على وجوههم إلى نهاوند، وأفاء الله على العرب من عسكر العجم، فغنموا منه غنيمة لم يغنموا مثلها.

ولمّا دخلت العجم نهاوند، تحمّل الملك يزدجرد منها بأهله وحشمه، وما اجتباه من خزائنه، وسار حتى نزل قم[٢]، فأقام بها، وكتب إلى الآفاق

---

(١) عمرو بن زيد بن مالك: والصحيح هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، صحابي خطيب، من الفرسان، يلقب بالمرقال، وهو ابن أخي سعد بن أبي وقاص. أسلم يوم فتح مكة، ونزل الشام بعد فتحها، فأرسله عمر مع ستة عشر رجلاً من جند الشام مدداً لسعد بن أبي وقاص في العراق، وشهد القادسية مع سعد. وأصيبت عينه يوم اليرموك، فقيل له «الأعور» وفتح جلولاء، وكان مع علي بن أبي طالب في حروبه، وتولى قيادة الرجالة في صفين، وقتل في أواخر أيامها سنة ٣٧هـ/ ٦٥٧م. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٨، ص٦٦. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٥، ص ٣٥٣ ـ ٣٥٤.

(٢) قم: مدينة في بلاد فارس، بها آبار ليس في الأرض مثلها عذوبة وبرداً. وأبنيتها من الآجر، وفيها سراديب في نهاية الطيب. فتحها المسلمون سنة ٢٣هـ. وجلّ سكانها من الشيعة الإمامية. وبين قم وساوة اثنا عشر فرسخاً، ومثله بينها وبين قاشان، ولقاضي قم قال الصاحب بن عباد:

أيها القاضي بقُم قد عزلناك فقم

وينتسب إلى هذه المدينة عدد كبير من أهل العلم. انظر: الحموي؛ ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٤، ص ٣٩٧ ـ ٣٩٨.

وأقطار بلاده يستجيشهم، فعصبت له العجم، واجتمعت إليه من كل مكان، حتى اجتمع عنده زهاء ثلاثمائة ألف فارس وراجل، وتعاقدوا، وتعاهدوا، على الصبر في الحرب، وأن لا يولوا الأدبار، حتى يظفروا، أو يموتوا، وولى عليهم الملك مرادشاه وأمره بالمسير إلى نهاوند والإقامة بها إلى أن توافيه جميع العرب، فيحاربهم، وقام الملك ينظر إلى ما يؤول إليه الأمر.

وكان عمر رضي الله عنه عزل سعداً عن ثغر الكوفة، وولى عمار بن ياسر العبسي صاحب رسول الله ﷺ، فكتب عمار إلى عمر رضي الله عنه يعلمه بما اجتمع عند الملك من جنود العجم، وما تواثقوا عليه من العهود والصبر على الحرب، حتى يظفروا، أو يموتوا، فلما وصل كتاب عمار إلى عمر رضي الله عنه، أقبل حتى أتى مسجد رسول الله ﷺ، والكتاب بيده، وأمر منادياً، فنادى في الناس، حتى اجتمعوا إليه، فصعد المنبر، وحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إن الشيطان قد جمع لكم جموعاً من العجم، ليطفئ نور الله، والله متمم نوره، وهذا كتاب عمار بن ياسر، ذكر فيه أن (يزدجرد)[1] ملك العجم وجه رسله في أقطار الأرض وأطراف البلدان، فانجلت إليه العجم، حتى اجتمع إليه زهاء ثلاثمائة ألف راجل وفارس، وإنهم قد تعاهدوا وتواثقوا على الموت عن آخرهم، أو يظفروا، ولست آمن أن (يسيروا إلى إخوانكم)[2] أحدهم بالكوفة، فيقتلوهم، ويخرجوهم من أرضهم، ويسيروا إلى بلادكم، فيجتاحوكم، فأشيروا عليَّ، وأوجزوا، فإن هذا اليوم له ما بعده.

فتكلم طلحة بن عبيد الله، وقال: يا أمير المؤمنين، إن (٢٥٢) تجارب الأمور قد حنكتك وأحلمتك، وأنت الوالي، فما أمرتنا به لم نعصك، وما رأيت من شيء لم نخالفك، ومتى تدعنا نجبك، ومتى تأمرنا نطعك، فأمرنا بأمرك.

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٢٥٠.
(٢) في نسخة دار الكتب الظاهرية «يسير أحدهم» والصحيح ما أثبتناه في المتن من النسخة الأصلية ب، ص ٢٥٠.

فقال: يا أيها الناس، أشيروا عليَّ وأوجزوا.

فتلكم عثمان بن عفان، فقال: الرأي أن تكتب لأهل اليمن أن يسيروا من يمنهم، وإلى أهل الشام أن يسيروا من شامهم، ويجتمع عندك من الجنود من آفاق الأرض وأقطار البلاد، وسر بنفسك، حتى توافي الكوفة، وتضم إليك أهل المصرين، ثم تزلف نحو القوم، وقد اجتمع إليك من العرب كأعدادهم، وإن العرب إذا رأوك نصب أعينهم، وكان ذلك أعزّ لهم وأقوى وأصدق لجهاد عدوهم، فإنه لا بقاء بعد إخواننا بالمصرين[١]، فقال عمر لعلي: ما ترى يا أبا الحسن؟ قال: إنك إن شخصت العرب من أرضهم، زحفت إليهم الحبشة، فغلبوا على أرضهم، وإن أخليت الشام من جنودك، سارت إليهم الروم، فغلبوا عليها واجتاحوها، وإن سرت أنت من بلدك، انقطعت عليك الأرض، فتكون ما خلفت وراءك من النساء والذرية أهم إليك مما بين يديك، وإن العجم إن رأوك نصب أعينهم، قالوا: هذا ملك العرب وأصلها وفرعها، فيكون أشد لقتالهم، وأصعب لمزاولتهم. فما خوفك من مسيرهم إلى إخواننا من أهل المصرين حتى يجتاحوهم، ويسروا بجموعهم إليك، فإن الله لم يجعل لهم إلى ذلك سبيلا، لأن الله يقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [الفتح: ٢٨] وإنّا لم نقاتل الناس (فيما مضى)[٢] بكثرة، وإنما نقاتلهم بنصر النبوة. والرأي أن تكتب إلى عمالك باليمن أن يمدوكم بنصف ما عندهم من القوم، ويحبسون النصف ليكونوا حرساً للبلاد، وحياة للأرض، ومدداً لإخواننا بالعراق، وتقيم أنت بمكانك هذا، فتكون رداءً لأصحابك، وتستجيش من الأعراب ما أمكنك، وتوجه بهم إلى إخواننا بالكوفة أولاً أولًا، فانصرهم، فإن الله ناصرهم بمنّه وطوله، وتلك عادته في أوليائه وأهل طاعته.

---

(١) يقصد بالمصرين: الكوفة والبصرة.

(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٢٥٠.

قال عمر: هذا هو الرأي الصادق، ودعا بالسائب بن الأقرع[١] وكتب عهداً للنعمان بن مقرن[٢] بولاية الحرب، وكان النعمان ببلاد كشكر قد ولّاه عمر إياها، وكان له فضل في دينه، وسابقة في صحبة رسول الله ﷺ، (٢٥٣) ونجدة في الحرب. فلما كتب العهد، دفعه للسائب، وأمره أن يسير به إلى النعمان ببلاد كشكر.

وكتب إلى عمار بن ياسر أن يقيم بالكوفة في ستة آلاف من رجال المسلمين وفرسانهم، ويبعث الباقين مع النعمان إلى نهاوند.

وكتب إلى أبي موسى الأشعري بمثل ذلك، وكان أبو موسى بالبصرة.

وكتب إلى أبي عبيدة عامر بن الجراح، وكان على ثغر الشام، وإلى حذيفة وهو باليمن، أن يحبسوا نصف ما عندهم من القوم، ويبعثوا الباقين إلى النعمان بنهاوند.

وقال عمر للسائب: إن قتل النعمان فالأمير حذيفة بن اليمان، وإن قتل فالأمير جرير بن عبد الله البجلي، وإن قتل فالأمير المغيرة بن شعبة وإن قتل فالأمير الأشعث بن قيس الكندي.

---

(١) السائب بن الأقرع: السائب بن الأقرع بن عوف بن جابر بن سفيان بن عبد الله ياليل بن سالم بن مالك بن حطيط بن جشم بن ثقيف الثقفي. دخل مع أمه إلى رسول الله ﷺ، فمسح برأسه، ودعا له، وولي أصبهان، ومات بها، وعقبه بها، شهد فتح نهاوند مع النعمان بن مقرن، وكان عمر بن الخطاب بعثه بكتابه إلى النعمان، ثم استعمله عمر على المدائن. انظر: ابن الأثير؛ علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص ٣١١ - ٣١٢.

(٢) النعمان بن مقرن: النعمان بن مقرن، وقيل: النعمان بن عمرو بن مقرن بن عائذ بن ميجا بن حجير بن نصر بن حبيشة بن كعب بن عبد ثور بن هدمة بن لاطم بن عثمان بن عمرو بن أدّ بن طابخة المزني. هاجر إلى المدينة ومعه سبعة أخوة له. سكن البصرة، وتحوّل منها إلى الكوفة، قدم المدينة بفتح القادسية، وكلفه عمر بن الخطاب بقيادة الجيش إلى نهاوند، وقتل في المعركة. ولما جاء نعيه إلى عمر بن الخطاب، خرج إلى الناس، فنعاه إليهم على المنبر، ووضع يده على رأسه، وبكى. انظر: ابن الأثير؛ محمد بن علي: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٥، ص ٣٤٢ - ٣٤٣.

وكتب إلى النعمان: أنَّ قبلك رجلين فارسي العرب عمرو بن معد يكرب، وطليحة بن خويلد، فشاورهما في الحرب، ولا تولّهما شيئاً من الأمر، وأظهر لهما أنك غير مستغنٍ عنهما، لتستخرج بذلك نصحهما.

ثم سار السائب حتى ورد الكوفة، ووصل إلى عمار بن ياسر، ودفع إليه كتاب عمر رضي الله عنه، (فبعث)[1] ثم سار إلى كشكر، ودفع إلى النعمان كتاب العهد، ووجه إلى أبي موسى بالكتاب، فامتثل كل منهم ما أُمر به، ووصلت المدد إلى النعمان، فلما اجتمعت إليه الجنود، سار إلى نهاوند، فعسكر دونها بثلاثة فراسخ، برستاق تسمى اسفيدهار، وخندق على عسكره، وخرج أمير جيوش العجم مرادشاه حتى نزل قرية جباهشت، وبين العسكرين مقدار ثلاثة فراسخ، وأمر مرادشاه أن يحفر بين عسكره وعسكر العرب كهيئة الخندق مستطيلاً، فحفروا حفرة عرضها عشرون ذراعاً، وعمقها كذلك، ثم طمره بتراب السبخ، وأجرى عليه الماء، وكان طوله فرسخين، وجعله مكيدة للعرب، وظن أن الخيل إذا أرادت الخيل تهورت في الخندق.

فلما وافى النعمان بجيوش العرب، وكانوا زهاء ثلاثين ألفاً من فرسان العرب وشجعانهم، وكان جيش مرادشاه زهاء ثلاثمائة ألف فارس وراجل، والمدد تترى من قبل الملك يزدجرد، ومكثوا أياماً لا يخرجون.

فقال النعمان لعمرو وطلحة: إن هؤلاء العجم قد خندقوا على أنفسهم، وأمسكوا عن الحرب، وإمدادهم تترى عليهم كل يوم، وليس إلا معالجتهم بالحرب، فكيف الحيلة فيهم؟

فقال عمرو: الرأي أن تشيع أن عمر بن الخطاب قد مات، ثم ترتجل بجميع جنودك مولياً، فإذا فعلت ذلك، خرجوا من معسكرهم، وتبعونا، فإذا

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٢٥٢.

فعلوا ذلك، فاعطف (٢٥٤) عليهم، فإن رجعوا كانت هزيمة، وإن وقفوا حاربتهم. قال النعمان: هذا لعمري هو الرأي.

ثم بات يعبّئ أصحابه، ويعقد لهم الرايات والألوية، ويؤمّر عليهم الأمراء، وجعل لكل أمير شعاراً يعرفون به، فلما أصبح، سار على نعبتهم تحت راياتهم، وأمرهم أن يحملوا أثقالهم، ويقدموها أمامهم، وأشاعوا أن أمير المؤمنين قد مات، فبلغ الخبر مرادشاه أن أمير العرب عمر بن الخطاب قد مات، وأنهم قد رجعوا، فنادى في جيوشه، فلبسوا لامة حربهم، وركبوا خيولهم، وساروا تابعين جيش العرب حتى لحقوا بهم قريباً (لم يتباعدوا)[1]، فعند ذلك عطف عليهم النعمان بمن معه، فاقتتلوا قتالاً شديداً، حتى حجز بينهم الليل، وانصرف كل فريق إلى معسكره.

فلما أصبحوا يوم الخميس تزاحفوا، فاقتتلوا قتالاً شديداً، حتى حجز بينهم الليل.

فلما أصبحوا يوم الجمعة تواقفوا مليّاً، ولم ينزل أحد عن مصفه لشدة ما أصابهم من ألم الجراح، والعرب سكوت خبوت، إلّا من ذكر الله، والعجم على خيولهم، وتحت راياتهم، تدور عليهم السقاة بالخمور، وتغنيهم القيان، وتعزف بين كل صف منهم بالمعازف.

ثم ركب النعمان فرساً أشهب، ولبس فوق درعه ثياباً بيضاً، وفوق بيضته قلنسوة مسفولة، ثم حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا معاشر العرب، إنكم نظام الإسلام والباب بين المسلمين والمشركين، فالله في الإسلام وأهله، استعملوا الصبر تنالوا الأجر، فإنكم على إحدى الحسنين: إما الظفر والغنيمة، وإما الشهادة والحياة المقيمة.

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٢٥٠.

ثم حرك فرسه، وجعل يدور على الرايات والصفوف، ويقول: أيها الناس، إنما قوام الإسلام بالله، ثم بكم، فاصبروا وصابروا، فإن الله أعدّ للصابرين أجراً عظيماً، فإن هؤلاء العجم قد أحضروا عليكم أموالاً جزيلة، وخزائن عظيمة، ودنيا عريضة، فإن هربوا، تركوها لكم، وإن هربتم، أوهنتم الإسلام، وأضعتم الحرمة، فليشتغل كل منكم بقرنه، ولا يحل قرنه على أخيه، فإن في ذلك عار الدنيا، وعذاب الآخرة. أيها الناس، إن عاقبة الصبر محمودة، ومع الصبر النصر.

وجعل يدور في العسكر، ويحرضهم، والناس وقوف، فأتاه المغيرة بن شعبة، وقال: أيها الأمير، إن الناس قد تشوقوا إلى لقاء القوم. فقال النعمان: رويداً، فإني منتظر الساعة التي كان يقاتل فيها رسول الله، وهي زوال الشمس، ساعة تهب (٢٥٥)، الرياح، وإني إذا قرب الوقت، هززت الراية ثلاثاً، فإذا هززتها الأولى، فشدّوا على خيولكم، وفي الثانية فقوّموا أسنتكم، وهزوا سيوفكم، وفي الثالثة، فكبروا الله، واحملوا على القوم، فإني حامل أولكم، ولا قوّة إلّا بالله، فجعل الناس ينظرون إلى الراية.

فلما زالت الشمس، وهبت الريح، هزّ النعمان الراية، فنزل الناس عن خيولهم، واستوثقوا من ألبابها وأنثارها، ثم هزّها الثانية، فقوّم القوم رماحهم نحو العجم، وهزوا سيوفهم، ثم هزّها الثالثة، وكبر، وحمل، فكبر القوم، وحملوا، وفي أوائلهم عمرو بن معد يكرب وفرسان المسلمين حملة رجل واحد، وأسندوا رؤوسهم إلى قرابيس سروحهم، فلم يكن للعجم ثبات عند حملتهم، فانهزموا مدبرين.

وكان النعمان أول من قتل من المسلمين، فحمله أخوه سويد، وأدخله معسكر العرب، وأخذ ثيابه، ولبسها، وركب فرسه متشبهاً بها، لئلا يظن المسلمون أن النعمان قتل، فينكسروا، ثم صار إلى المسلمين، وولي الأمر حذيفة بن اليمان.

ثم إن العجم ثابوا، وتداعوا، وأقبلوا على الحرب بجدّ واجتهاد، فاشتد القتال، وسالت الدماء، ونادى عمرو بصوت جهر، وهو شيخ كبير: يا معاشر العرب، إنه لم يبقَ من القوم إلّا آخر نفس، فاحملوا معي، فداكم أبي وأمي حملة واحدة، ترضون بها الله، وتعزّون بها الدين، ونادى طليحة: إليّ، فركض إليه، فحملا أمام القوم، وحملت العرب في أثرهما، ووطّأوا أنفسهم على الموت، فقتلوا في حملتهم تلك من العجم خلقاً كثيراً، فولت العجم منهزمة، وقصدوا الجبل المسمى أبرآي ليعتصموا به، فوقعوا في الخندق الذي احتفروه مكيدة للعرب، فأهلكهم الله فيه، فكذلك من بحث حفرة سوء ألقاه الله فيها، فغرق منهم زهاء مائة ألف، وقتل منهم في المعركة زهاء أربعين ألفاً، وانهزم الباقون إلى مدينة قم التي بها الملك يزدجرد.

وأقبل دهاقين نهاوند مع من انضمّ إليهم من المرازبة والأشاوسة وأشرافهم وعظمائهم إلى المدينة، ولم يكن (عليها)[1] سور حصين، فجاوزوها، وساروا محثين، وفرسان العرب على أثرهم، حتى انتهوا إلى قرية تسمى دهمودين وكان فيها قصر حصين، عليه باب من حديد، فتحصنوا فيه، واستباح المسلمون كافة البلاد، وغنموا ما فيها.

ثم ساروا إلى القصر (٢٥٦) الذي تحصنت به العجم، فحاصروهم فيه، فكانت العرب محيطة بالقصر، والعجم تحاربهم من داخله.

ثم خرجوا ذات يوم مستعدين للحرب، فتناولوا العرب ساعة، فحملت عليهم العرب، فانهزموا، ودخلوا القصر، وانقطع نفر منهم وقتل ناس.

فلم يزالوا كذلك حتى طال عليهم الحصار، فنزلوا إلى الصلح، وطلبوا الأمان، فأجابهم حذيفة، وصالحهم على ما كانت ملوك العجم، تأخذ منهم، وكتب لهم كتاب الصلح، وأعطاهم الأمان، فخرجوا من الحصن.

---

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٢٥٤.

وانصـرف حذيفـة بالجمـوع، ومضى إلى نهاوند، فقسـم الغنائـم على من حضـر، وكتـب إلى عمر يخبـره بالفتح، وما أفاء الله على المسـلمين، وأنفذ به السـائب بن الأقـرع، فلما دخل على عمـر أعطاه الكتاب، فأمر بـه عمر، فقرأه على الناس، فاستبشـروا، وحدثه السائب بتلك الحروب، وعرفه بقتل النعمان، ومـن قتل من المسـلمين ممن يعرفهم عمر، وممـن لا يعرفهم، فقال: إن كنت لا أعرفهم، فالله يعرفهم.

فهذه وقعة نهاوند. وقال عروة بن زيد الخيل[1] في ذلك شعراً:

ألا طرقت سلمى وقد نام صحبتي	بإيوان شـيرين المزخرف حلّتِ
فلو شـهدت يوماً جلولا وحربنا	ويوم نهاوند الحروب اسـتهلّتِ
إذاً لَرَأت ضرب امرئ غير ناكل	ضروب بنصل السيف أروع مصلتِ
ولـما دعونـا عروة بـن مهلهـل	ضربت جميع الفرس حتى تولّتِ
حملت عليهم رحلتي وفوارسي	وجـردت سـيفي فيهـم فأقلّـتِ
فكـم مـن كمـيّ أشـوسٍ متمرّدٍ	أخي شـرش خيلي عليـه أظلّتِ
وحـرب عوان قد شـهدت وفتية	وطاعنتهم حتى ثـوت فأخزألّتِ
وكـم كربـة فرجتهـا وكريهـة	شـددت لها أزري فحتى تجلّتِ
وقـد أضحت الدنيا لـديّ ذميمةً	وسلّيت عنها النفس حتى تسلّتِ

(١) عروة بـن زيـد الخيل: عروة بن زيـد الخيل بن مهلهل الطائي، قائد، شـاعر، من رجال الفتوح في صدر الإسـلام. عاش مدّة في الجاهلية، وشـهد مع أبيه بعض حروبها، أسـلم، ويقال: إنه اجتمع بالنبي ﷺ. شـارك في وقعة القادسـية، وأرسـله عمار بن ياسـر عامل عمر على الكوفة وبأمر منه إلـى الري ودسـبتي فـي ثمانية آلاف، ففعل، وسـار عروة إلى هناك، فجمعت لـه الديلم، وأمدّهم أهل الرّي، فقاتلوه، فأظهره الله عليهم، واجتاحهم، وذهب إلى عمر، وأخبره بالفتح فسماه البشر. وعـاش إلـى خلافة علي بن أبي طالب، وشـهد معه صفين، انظر: الزركلـي؛ خير الدين: الأعلام، ج٤، ص٢٢٦.

فتح الأهواز[١]

قيل: كان موضع البصرة موضعاً فيه حجارة سوداء وحصى، فسميت البصرة بذلك، ولم يكن ثَمَّ بلد، وكان المسلمون أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إذا خرجوا لمحاربة العجم، جعلوا مضاربهم نصفين، وضربوا الخيام والفساطيط والقباب في ذلك الموضع، وهو موضع البصرة، وكانوا على ذلك، (٢٥٧) إلى أن ولّى عمر أبا موسى عبد الله بن قيس الأشعري أمر الناس في تلك البلاد، وكان ذلك قبل وقعة القادسية، فأمر عمر رضي الله عنه، أبا موسى أن يضرب بموضع البصرة خططاً لمن هناك من العرب، ويجعل كل قبيلة في محلة، وأمرهم أن يبنوا هناك منازل لأنفسهم، وبنى بها مسجداً (جامعاً)[٢] متوسطاً.

فلما أتى أبو موسى البصرة، أسكن فيها ذراري من كان معه من العرب، وخلف فيها ستة آلاف رجل، يحفظونها بإذن الله، وسار بمن بقي معه في كور الأهواز، فافتتحها كورة بعد كورة، إلّا مدينة تستر، كان بها الهرمزان عامل الملك يزدجرد، وكان قد حصنها، واجتمع إليه من كان بتلك الأرض من الأشاوسة والمرازبة، فلما كان حرب القادسية وجلولاء، وكان من أمرهما ما كان، سار أبو موسى الأشعري إلى تستر، فاستعدّ الهرمزان في جموعه، فالتقى الفريقان، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ووقعت بينهم مقتلة عظيمة، وقتل البراء بن

(١) الأهواز: مدينة قديمة في إقليم خوزستان ويقال: إن الملك سابور بنى بخوزستان مدينتين: إحداهما باسم الله عز وجل، والأخرى باسم نفسه، ثم جمعها باسم واحد، وهي هرمزدادسابور، ومعناه عطاء الله سابور، وسمتها العرب سوق الأهواز، يريدون سوق هذه الكورة المحوّزة، أو سوق الأخواز بالخاء المعجمة، لأن أهل هذه البلاد بأسرها يقال لهم الخوز. وقيل: إن أول من بنى الأهواز أردشير، وكانت تسمى هرمز أردشير. وقال صاحب كتاب العين: الأهواز أردشير سبع كور بين البصرة وفارس. انظر: الحموي؛ ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج١، ص ٢٨٤ - ٢٨٥ - ٢٨٦.

(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٢٥٥.

مالـك الأنصـاري[١] أخو أنس بن مالك، فلـم يزالوا يقتتلون ذلـك النهار، ولم تكن صلاة المسلمين إلّا بالتكبير.

ثـم أنـزل الله نصـره على عبـاده (المسـلمين)[٢]، وألقى الرعـب في قلوب المشـركين، فولّـوا على أدبارهـم منهزمين، حتى أتوا المدينـة، فأغلقوا أبوابها، فحاصرهم أبو موسى شهراً في حديث وحروب يطول شرحها، تركتها اختصاراً.

ثم سـأل الهرمزان أبا موسـى الأمان، فأجابه إلى ذلك، فأمّنه ومن معه في الحصـن مـن جنوده علـى حكم عمر بـن الخطاب رضي الله عنه، فخـرج الهرمزان من الحصن، فوجه به أبو موسـى إلى عمر رضي الله عنه في خمسـين رجلاً من المسلمين، فيهم أنس بن مالك.

(وحبـس أبو موسـى أصحاب الهرمزان في الحصـن، وحمل إليهم الطعام والشراب حتى ينظر ما يأمره به عمر رضي الله عنه)[٣].

وسار أنس بن مالك بالهرمزان حتى وافى به المدينة، فأتوا منزل عمر، فوجدوه قـد خـرج إلى حائـط له خـارج المدينة، فمضـوا منطلقيـن في أثره، حتـى دخلوا الحائط، فوجدوه نائماً وحده في إزاره قد جمع ثوبه، ووضعه تحت رأسـه، فقال الهرمـزان: مـن هذا؟ قالوا: هذا أميـر المؤمنين. قال: هذا ملـك العرب؟ وكل من بالعراق عماله؟ قالوا: نعم. قال: فما له حارس ولا شرطي؟ قالوا: لا، هو حارس نفسه وشرطيّها. قال: والله هذا الملك (٢٥٨) الهنيء، عدلت، فأمنت، فنمت.

---

(١) البراء بـن مالـك الأنصـاري: البراء بن مالك بـن النضر بن ضمضـم النجاري الخزرجـي: صحابي، من أشجع الناس. شهد أُحُداً وما بعدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكتب عمر إلى عماله: «لا تستعملوا البراء على جيش من جيوش المسلمين، فإنه مهلكه، يُعدم بهم». وكان في مظهره «ضعيفاً متضعفاً» قتل مئة شخص مبارزة عدا من قتل في المعارك. كان على ميمنة أبي موسـى الأشـعري يوم فتح «تسـتر» فاستشهد على بابهـا الشـرقي، وقبره بها، وهو أخو مالك بن أنس. انظـر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٢، ص٤٧. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص٣٦٣ ـ ٣٦٤.

(٢) في جميع النسخ «المؤمنين» وما أثبتناه في المتن من النسخة الأصلية ب، ص٢٥٦.

(٣) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٢٥٦.

فاستيقظ عمر بحسهم، فنظر إلى الهرمزان مع القوم، وقد وضعوا تاجه على رأسه، وقد شدوا عليه منطقته وسيفه، وهما مفصلان بالياقوت وأصناف الجواهر، وألبسوه قباه، وكان منسوجاً بالذهب، فلما نظر عمر إليه في تلك الحالة صرف وجهه عنه، وأقبل نحو منزله، والقوم يمشون خلفه، حتى دخل، ودخل القوم والهرمزان معهم، فقال عمر: والله لا أنظر إليه حتى يخلع عنه هذه البزّة، فخلعوها عنه، وأدنوه إلى عمر، فقال له عمر: تكلم. قال: أتكلم بكلام حي أم ميت؟ قال: بل بكلام حي. قال: الأمر لي بشربة ماء، فقد بلغ بي العطش. فقال عمر: اسقوه. فأتوه بقعب فيه ماء، وقد كان فيه لبن قبل ذلك، فلما وضعه في فيه، وجد زهومة اللبن، قال: لا أقدر أشرب بهذا القعب، فأتوه بماء في قدح زجاج، فلما أوتي بالماء، قال عمر: ما كنا لنجمع عليك العطش والقتل. قال: وكيف تقتلني وقد أمنتني؟ قال عمر: متى أمنتك؟ قال: قلت أتكلم بكلام حيّ أم ميت، فقلت لي بكلام حي، فهذا أمان منك لي. فقال الحاضرون: صدق يا أمير المؤمنين، هذا أمان. فقال عمر: ما أحب أن أدع قاتل البراء بن مالك حيّاً، فاصدقني عن نفسك، ودلني على مالك. فقال: عن أي الأموال تسألني؟ أمّا ما كان في يدي من أموال الملك يزدجرد، فقد استولى عليها عاملك أبو موسى، وأمّا أموالي خاصة، فقد أوصلتها إليك كلها. فقال عمر: ويحك هل لك في الإسلام حاجة؟ قال: نعم، فادعِ أقرب الناس إلى نبيكم، فدعا له العباس بن عبدالمطلب، فقال له عمر: هذا عمّ نبينا. فأسلم على يديه، وفرض له عمر ألفي درهم في كل عطاء، وكتب إلى أبي موسى بإطلاق أصحابه الذين كانوا معه في الحصن.

وبلغ الملك يزدجرد هزيمة أصحابه من نهاوند، وأخذ الهرمزان، فهرب على وجهه نحو فارس. وكان عثمان بن أبي العاص الثقفي[1] عامل عمر على

---

(١) عثمان بن أبي العاص الثقفي: عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد بن دهمان، من ثقيف، صحابي، من أهل الطائف، أسلم في وفد ثقيف، فاستعمله النبي على الطائف، فبقي في عمله إلى أيام عمر، ثم =

اليمامـة والبحريـن، فكتب إليه عمر يأمره بأن يتوجـه بمن معه من العرب نحو أرض فارس، يطلب الملك يزدجرد، فسار عثمان (٢٥٩) بمن معه من الجنود، حتـى وافى مدينـة فارس، فهرب يزدجرد نحو خراسـان حتى أتـى مدينة مرو، ووجد عامله على خراسان وكان اسمه ماهويه قد صار ملك الترك، فوجّه إليه يعلمه بذلك، فبعث إليه طرخاناً من طراخنته في ثلاثين ألف فارس، فمضى إلى ماهويه، وجاز النهر الأعظم، وسار في المفازة، حتى وافى مرو، فوافى المدينة بجنوده نصف الليل، ففتح لهم ماهويه المدينة، فدخلوها، وأمر يزدجرد، فدلي بحبل من سـور المدينة، ومضى هارباً، حتى انتهى إلى نهر يسـمى الزرق، وقد تعب تعباً شديداً، فانتهى إلى رحى، فخرج إليه الطحان، وأدخله الرحى، وبسط لـه كسـاءً، فنام، لمـا به من التعـب، فلما ثقل نومـه، قام إليه الطحـان، فضربه بمنقار الرحى حتى قتله، وأخذ ما كان عليه من البزّة، وألقاه في نهر الرحى.

فلمـا أصبـح أصحاب يزدجـرد، تداعـوا، وحاربوا التـرك، فأخرجوهم من البلد، وطلبوا يزدجرد، فأصابوا بزته مع الطحان، فقتلوه، وأخذوا البزّة، وهرب ماهويـه نحـو فارس، حتى انتهى إلى عثمان، فأخـذ منه الأمان. ويقال: بل قتل في مرو، والله أعلم.

فيومئـذ كان انقضـاء سـلطان العجـم، وظهـور أميـر المؤمنيـن عمر بـن الخطـاب ﵁، والحمـد لله رب العالميـن الـذي صدق وعـده، وأنجز عهده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده.

= ولاه عمر «عُمان» و«البحرين» سنة ١٥هـ، وكتب له أن يستخلف على الطائف من أحب، فاستخلف أخاه الحكم. واستمر في البحرين إلى أن آلت الخلافة لعثمان بن عفان، فعزله، فسكن البصرة إلى أن توفي. له فتوح وغزوات بالهند وفارس. وفي البصرة موضع يقال له «مشط عثمان» منسوب إليه. وهو الذي منع ثقيفاً عن الردّة: خطبهم فقال: كنتم آخر الناس إسلاماً، فلا تكونوا أولهم ارتداداً. توفي سنة ٥١هـ. انظـر: الزركلـي؛ خير الدين: الأعلام، ج٤، ص٢٠٧. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسـد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص٥٧٣ ـ ٥٧٤.

ولـم يـزل عمر بن الخطاب ﵁ يسـير بالحـق، ويعمل بـه، ويُوالى عليه، ويعـادي عليـه، حتـى أكرمـه الله بالشـهادة على يد عـدو الله أبي لؤلـؤة فيروز الفارسـي[١]، غـلام المغيرة بـن شـعبة الثقفـي، قيـل: إنـه كان نصرانيـاً، وقيل: مجوسياً، قيل: ضربه ثلاث ضربات، إحداهن تحت السرّة، وذلك يوم الأربعاء لسـبع من ذي الحجة سـنة ثلاث وعشرين من الهجرة، وتوفي لثلاث بقين من ذي الحجة، وقيل: لليلتين، وصلى عليه صهيب بن سـنان الرومي[٢]، ودفن في حجرة عائشة، ورأسه قبالة كتفي أبي بكر.

وقيـل: إن أبـا لؤلؤة ضرب مع عمر أحد عشـر رجلاً مـن الصحابة، مات بينهم خمسـة، وأن رجلين من أسـد لحقاه، فأخذ أحدهما برأسه، فإذا السكين بيده، فأجراها على حلقه، فقتل نفسه.

(١) أبـو لؤلـؤة فيروز الفارسـي: كان أبو لؤلـؤة عبداً للمغيرة بن شـعبة، وكان يصنـع الأرحاء (جمع رحـا وهـي الطاحون التي تطحـن) وكان المغيرة يسـتغله كل يوم بأربعة دراهـم، فلقي أبو لؤلؤة عمـر فقـال: يا أمير المؤمنين، إن المغيـرة قد أثقل عليّ غلّتي، فكلّمهُ يخفف عني، فقاله له عمر: اتق الله، وأحسـن إلى مولاك، فغضب العبد، وقال: وسـع الناس كلهم عدله غيري، فأضمر قتله. وقيـل: إن عمـر قال لأبـي لؤلؤة: ألا تصنع لنا رحـاً؟ قال: بلى أصنع لك رحـاً يتحدث بها أهل الأمصـار، ففـرغ عمر من كلمته، وعلي معـه، فقال علي: إنه يتوعدك يا أميـر المؤمنين. ثم دخل أبو لؤلـؤة المسـجد، وطعـن عمر بخنجره في بطنـه يوم الأربعاء لأربع ليال من ذي الحجة سـنة ثلاث وعشـرين. وقضى بعد ثلاثة أيام. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسـد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص ١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٩.

(٢) صهيب بن سنان الرومي: صهيب بن سنان بن مالك، من بني النمر بن قاسط: صحابي، من أرمى العرب سهماً، وله بأس، وهو أحد السباقين إلى الإسلام. كان أبوه من الأشراف الجاهليين. ولاه كسـرى علـى الأبلة «البصرة» وكانت منـازل قومه في أرض الموصل على شـط الفرات مما يلي الجزيـرة والموصـل، وبها ولد صهيب، فأغـارت الروم على ناحيتهم، فسـبوا صهيباً وهو صغير، فنشـأ بينهم، فكان ألكن. واشـتراه منهم أحد بني كلب. وقدم به مكة، فابتاعه عبد الله بن جدعان التميمي، ثم أعتقه. فأقام في مكة يحترف التجارة إلى أن ظهر الإسلام، فأسلم. شهد بدراً وأُحُداً والمشـاهد كلهـا. توفي في المدينـة، وكان يعرف بصهيـب الرومي. انظر: الزركلـي؛ خير الدين: الأعـلام، ج٣، ص ٢١٠. وانظـر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسـد الغابة في معرفـة الصحابة، ج٣، ص ٣٨ ـ ٤١.

وكانت ولاية عمر عشر سنين وستة أشهر وخمسة أيام (٢٦٠)، وسنّهُ يوم مات خمس وستون سنة، وقيل: ثلاث وستون سنة، وهو الأصح.

وقيل: إن أبا لؤلؤة أضمر العداوة لعمر من أجل أن سيّده رفع إلى عمر أن يجعل له من كسب فيروز، وكان يعمل بيده، ويكسب، فحكم عليه أن يعطي سيّده من كسبه، فأضمر له العداوة. وقيل: إنه حدّه على الخمر، والله أعلم.

وقيل: إنه لمّا طعنه، جعل المسلمون يبكون حوله، فقال: ما يبكيكم؟ قالوا: نخشى الفتنة بعدك. وكان رسول الله ﷺ، قد حذّرهم الفتنة، وكان يقول: ألا إن الفتنة من ها هنا، ويشير بإصبعه إلى المشرق، فقال أبو بكر: أين أنا يا رسول الله تلك اليوم؟ قال» في التراب. وقال عمر: أين أنا يا رسول الله؟ قال: في التراب. وقال علي: وأين أنا يا رسول الله؟ قال: أنت إمامها وزمامها. فقال لهم عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: دينكم واحد، وكتابكم واحد، وسنتكم واحدة، فمن أعطاكم الحق، فاسمعوا له وأطيعوه، ومن خالف الحق، فاضربوا أنفه بالسيف، ألا وإني تركت الإيمان من بعدي كالمحجة، فمن تركها فارغموا أنفه.

وطلب إليه الناس أن يستخلف عليهم، فقال: إن تركتكم فقد ترككم من هو خير مني، وإن أستخلف عليكم، فقد استخلف عليكم من هو خير مني، ولكني أجعل الأمر بينكم شورى.

وقيل إنه قال: لو كان سالم حيّاً لوليته عليكم، ولم تخالجني فيه الشكوك، يعني سالم مولى أبي حذيفة.

فاختار رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ستة نفر، وجعل الأمر إليهم، وهم: عبد الرحمٰن بن عوف، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله،

وسعد بن أبي وقاص. ووعظهم، وحذّرهم، وقال لكل واحد منهم: إن وُليت أمر أمّة محمد، فلا تحملن رهطك على رقاب الناس.

وأمر صهيب الرومي أن يصلي بالناس، حتى يجتمع رأي أهل الشورى. وقبض عمر رضي الله عنه وجميع الأمة عنه راضون، وله موالون، ولفراقه يبكون.



الباب الخامس والعشرون

في ذكر خلافة عثمان بن عفان، وذكر إحداثه وقتله



فلما قبض عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، اجتمع أهل الشورى، وتشاوروا بينهم، وأقبل المقداد بن الأسود الكندي فناشدهم، وقال: لا تولوا أمركم رجلاً لم (٢٦١) يشهد بيعة الرضوان، وفرَّ يوم أحد، يعني عثمان بن عفان.

فولى أهل الشورى أمرهم عبد الرحمٰن بن عوف، لحفظ رأيه، وحرصه على الخير، ومنزلته من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاختار في نفسه لما سبق من علم الله، وليكون ما هو كائن عثمان بن عفان لسنّه، وقدمه في الإسلام، ولما كان يرجو عنده من الخير، فولاه أمر المسلمين، وكان هو أول من بايعه على طاعة الله، وطاعة رسول الله، وعلى ما مضى عليه أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأخذ عليه العهد والميثاق، وأشهد الله وعليه كافة المسلمين.

وهو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وكنيته أبو عبد الله، وقيل أبو عمر، وقيل أبو ليلى، ولُقب ذو النورين، لأنه كان تزوج ابنتي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولقبه المسلمون نعثلاً، حين أحدث الأحداث. وكان رجلاً طويلاً، يشبك أسنانه بالذهب.

فقبل عثمان البيعة على ما شرطوا عليه، وأعطاهم العهود والمواثيق على ذلك، فسار بالحق ست سنين، وهو مع ذلك دون صاحبيه، وكان يخطب على المنبر في مقام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولم يزل المسلمون له مجامعين ومؤازرين، يعلمون أن طاعته عليهم واجبة، حتى فتحت له الخزائن، وبسطت عليه الدنيا، أحدث أحداثاً أنكرها المسلمون، ولم يعرفوها من سيرة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا من سيرة أبي بكر وعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، من تعطيل الحدود، وإدالة المال بين الأغنياء،

واستعمال السفهاء من قرابته، وتحريفه كتاب الله، وتوليته الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وهو من أفسد أهل زمانه على الكوفة، وارتقائه المنبر في موضع رسول الله ﷺ، ومنع القطر عن عباد الله، وحازه دونهم، ومنع البحر أن تجري فيه السفن، وحمى سوق المدينة، وردّ الحكم بن أمية[1]، الذي طرده رسول الله ﷺ، فأواه، وأكرمه، وأعطاه من بيت مال المسلمين مائة ألف، ووهب لمروان بن الحكم[2] إفريقية، وآثر قرابته وبناته ونساءه، وأنفق على صناعة دوره من مال الله ما لم يأذن الله له به، وتوليته عبد الله بن أبي سرح[3]، (٢٦٢) وهو عدو الله، وأهدر النبي دمه، لأنه ارتدّ عن الإسلام إلى الشرك، ونفى أبا ذر رحمه الله إلى أرض الربذة وضرب عمار بن ياسر إلى أن فتق بطنه، وضرب عبد الله بن مسعود إلى أن كسر أضلاعه، ومات من ضربه.

---

(١) ورد في جمع النسخ «وردّ مروان بن الحكم بن أمية» والصحيح ما أثبتناه في المتن من النسخة الأصلية ب، ص ٢٦٠. وترجمة الحكم: هو الحكم بن أمية بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي، أسلم يوم الفتح، وسكن المدينة، كان يفشي سرّ رسول الله ﷺ، فنفاه إلى الطائف، وأعيد إلى المدينة في عهد عثمان، فمات فيها سنة ٣٢هـ، وكنَّ بصره، وهو عمّ عثمان بن عفان، ووالد مروان بن الحكم، رأس الدولة المروانية. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٢، ص ٢٦٦.

(٢) مروان بن الحكم بن أمية: مروان بن الحكم بن أمية بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو عبد الملك: خليفة أموي، هو أول ملك من بني الحكم بن أبي العاص، وإليه ينسب «بنو مروان» ودولتهم «المروانية». ولد بمكة، ونشأ بالطائف، وسكن المدينة، فلما كانت أيام عثمان جعله من خاصته، واتخذه كاتباً له. ولما قتل عثمان خرج مروان إلى البصرة مع طلحة والزبير وعائشة يطالبون بدمه، وقاتل مروان في معركة الجمل قتالاً شديداً، وانهزم أصحابه، فتوارى، وشهد صفين مع معاوية، ولاه معاوية المدينة بين عامي (٤٢ - ٤٩هـ)، وأخرجه عبد الله بن الزبير منها، فسكن الشام. تولى الخلافة سنة ٦٤هـ وفي عام ٦٥هـ قتلته زوجته «أم خالد» وهو نائم. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٧، ص ٢٠٧. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ٤٧٦.

(٣) عبد الله بن أبي سرح: عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي العامري، من بني عامر بن لؤي، من قريش: فاتح إفريقية، وفارس بني عامر. أسلم قبل فتح مكة، وهو من أهلها، ولي بمصر بعد عمرو بن العاص سنة ٢٥هـ، واستمر فيها ١٢ عاماً، وعندما ولي علي بن أبي طالب والياً آخر على مصر (قيس بن سعد بن عبادة) اتجه ابن أبي السرح إلى الشام قاصداً معاوية، ومات بعسقلان فجأة سنة ٣٧هـ. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٤، ص ٨٨ - ٨٩. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ٣٣..

وتجبّر، وتكبّر، فقيل: إنه كان يمر بخيلائه وجنوده على بيت عائشة أم المؤمنين ﵂، فتخرج له قميص رسول الله ﷺ، فتقول: يا عثمان هذه بردة رسول الله ﷺ، ولم تبل، وسُنته قد بليت، فيقول لها: اسكتي يا حميراء، وإلّا سلطت عليك من لا يرحمكِ. وحرّم قراءة ابن مسعود وأُبي بن كعب، وأمر الناس أن يقرأوا على حرف واحد، وسبب ذلك أنه قيل له: إن أهل العراق يكفرون أهل الشام في قراءتهم، وأهل الشام يكفرون أهل العراق، فأدركهم قبل أن يختلفوا كما اختلفت اليهود والنصارى. فأمر أن يكتب مصحف، ويعارض (المصحف)[(١)] به الذي عند حفصة، فيكتب مصاحف على مثله، ويرسل إلى الأمصار، وأحرق سائر المصاحف، فقال له أبو ذر: لا تحرق المصاحف، فيحرق الله جلدك، ويهرق دمك، وقال في ذلك الحجاج بن عمرو الأنصاري[(٢)]:

أتيت بتحريق الكتاب عظيمة ... تعرضت فيها للردى والمهالكِ

أتحرقه من بعد ما قد أتى به ... على المصطفى جبريل خير الملائكِ[(٣)]

وقال عبد الرحمٰن[(٤)] يعدُّ عليه مساوئه:

---

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٢٦٠

(٢) الحجاج بن عمرو الأنصاري: الحجاج بن عمرو بن غزية الأنصاري المازني، يقال في نسبه: الحجاج بن عمرو بن غزية بن ثعلبة بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن النجار. والحجاج بن عمرو هذا هو الذي ضرب مروان بن الحكم يوم الدار، فأسقطه، وحمله أبو حفصة مولاه وهو لا يعقل. انظر: ابن عبد البر؛ يوسف بن عبد الله: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج١، ص ٣٨٧.

(٣) انظر البيتين في: القلهاتي؛ أبو عبد الله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج٢، ص ٢١٠. مع اختلاف في الشطر الثاني من البيت الثاني:

أتحرقه من بعد ما قد أتى به ... من الوحي جبرائيل خير الملائك

(٤) عبد الرحمٰن: هو عبد الرحمٰن بن حنبل الجمحي، صحابي، شاعر هجّاء، أصله من اليمن، ومولده بمكة، كان مولى لبني جُمَح، شهد فتح دمشق، وبعثه خالد بن الوليد إلى أبي بكر يبشره يوم أجنادين. وهجا عثمان بن عفان لمّا ولي الخلافة، فحبسه بخيبر، فكلمه علي بشأنه، فأطلقه عثمان. ثم شهد مع علي وقعة الجمل، وصفين، وقتل بصفين. ومن شعره وهو سجين بخيبر:

أإن قلت حقاً أو نشدت أمانة ... قُتلتُ؟ فمن للحق إن مات ناشده

انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٣، ص ٣٠٥. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص ٤٣٥.

أحلف بالله جهد اليمين ما خلق الله أمراً سُدى
ولكن جعلت لنا فتنة لكي يُبتلى بك من يُبتلى
دعوت الطريد فأدنيته خلافاً لما سنّه المصطفى
ووليت قرباك أمر العبا د خلافاً لسنة من قد مضى
وأعطيت مروان خمس الغنيمة آثرته وحميت الحمى
ومالاً أتاك به الأشعري من الفيء أعطيته من دنى
وإن الأمينين قد بيّنا منار الطريق عليه الهدى
فما أخذا درهماً غيلة[1] ولا قسّما درهماً في هوى[2]

(٢٦٣) وصلى عثمان في منى أربع ركعات، وكان النبي والخليفتان من بعده يصلون ركعتين.

وبلغنا أن عثمان دخل على عبد الله بن مسعود حينما حضره الموت، بعدما ضربه، فقال: أبعث إليك الطبيب؟ فقال ابن مسعود: الطبيب أمرضني. فقال: ألا آمر لك بعطائك؟ قال: منعتنيه وأنا إليه محتاج، وتعطينه وأنا عنه مستغنٍ؟ فقال: تدّخره لولدك. قال: لا أخاف عليهم الفاقة، والله حي لا يموت.

وبلغنا أن عبد الله قال له: أذكرك الله يا عثمان، هل سمعت رسول الله ﷺ، قال ذات يوم: «من رضي عنه ابن مسعود فأنا عنه راضٍ، ومن سخط عليه فأنا عليه ساخط؟».

قال: اللهم نعم. قال ابن مسعود: أشهد الله ومن حضرني أني عليك ساخط.

وبلغنا أنه ذكره حديثاً قاله النبي لقوم وفيهم عثمان وعبد الله، وكانوا يتذاكرون الدجال، فقال النبي: «فيكم من هو أشد على أمتي من الدجّال وأعظم فتنة». فقال

(١) وردت في النسخة الأصلية ب، ص ٢٦١ «غلّة» والصحيح غيلة
(٢) انظر القصيدة في: القلهاتي؛ أبو عبد الله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج٢، ص ٢٠٩.

ابن مسـعود: أفلان يا رسـول الله؟ قال: لا. قال: أفلان؟ قال: لا، حتى اسـتكملهم، ولـم يبقَ إلّا هو عثمان، وفـي كلهم يقول النبي: لا. قال ابن مسـعود لعثمان: أما أنا فهذا آخر أيامي من الدنيا، وأول يوم من الأيام في الآخرة، وأنت صاحبها يا عثمان.

وقالت عائشة ﵂: ما رأيت شيخاً أقرّ على نفسه بمثل ما أقرَّ به عثمان. وخرجت بمصحف كان معها، وقالت: أشهد بالله أن عثمان كفر بما في هذا المصحف.

ولمّا انصرف عثمان من عند ابن مسعود، مات ابن مسعود. وبلغنا أن عثمان قال: إن مات ابن مسـعود، فلا تسـتبقوني بجنازتـه. فلما مات، لم يعلمـوه، فلما علم، أتى ليصلي عليه، فوجدهم قد دفنوه، فهمّ بنبشه ليصلي عليه، فقال بعض الصحابة فيه:

تعاطى ابن مسـعود لينبش قبره ... ألا شـلّتا كفـاك من كـف نابشِ
تصلـي عليـه بعدمـا قـد قتلتـه ... فيـا شـرّ ذي نيلٍ ويا شـر رائشِ
رويـدك تلقى الله عـن ذات قتله ... وتلقى ابن مسعود غداة التناوشِ[١]

(٢٦٤) فجملة من نفى عثمان من المدينة: أبو ذر، ومسلم الجهني[٢]، ونافع ابن الحطام[٣]، ومن أهل الكوفة كعب بن أبي نجدة[٤]، وعمر بن زرارة[٥]، وزيد

(١) انظر القلهاتي؛ أبو عبدالله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج٢، ص ٢١٢

(٢) مسـلم الجهني: لم نعثر على ترجمة له، وقد ذكره القلهاتي مع من نفاهم عثمان بن عفان إلى الشـام. انظر: القلهاتي؛ أبو عبدالله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج٢، ص ٢١٢.

(٣) نافع بن الحطام: لم نعثر على ترجمة له، وقد ذكره القلهاتي مع من نفاهم عثمان بن عفان إلى الشام. انظر: القلهاتي؛ أبو عبدالله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج٢، ص ٢١٢.

(٤) كعب بـن أبـي نجدة: والصحيـح جندب بن كعب بن عبدالله بـن الحارث الأزدي. وفي الاسـتيعاب: جندب بـن كعـب العبدي، ويقـال: الغامدي، هو قاتل السـاحر بين يدي الوليد بـن عقبة، وله صحبة، وهو جندب الخير. كان ممن سيرهم سعيد بن العاص من الكوفة إلى الشام بأمر عثمان وهم: الأشتر، وثابت بن قيس الهمذاني، وكميل بن زياد، وزيد وصعصعة ابني صوحان، وجندب بن زهير الغامدي، وجندب بن كعب الأزدي، وعروة بن الجعد، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وابن الكوا «انتهى». انظر: الأمين؛ محسن: أعيان الشيعة، ج٤، ص ٢٤٥ - ٢٤٧.

(٥) عمر بـن زرارة: والصحيـح عمرو بن زرارة، ولم يكن ممن سـيرهم سـعيد بن العاص من الكوفة إلى الشـام، إنما هو الذي اسـتقبلهم في دمشـق، وتنزلوا عنده، وعندما حبس معاوية الأشـتر بعد قول ما =

ابن صوحان[(١)]، والأسود بن صوحان[(٢)]، والأسود بن ذريح، وزيد بن قيس[(٣)]، وكردوس بن الحضرمية[(٤)] وجندب بن زهير الأزدي[(٥)].

= جرى بينهما حتى تغالطا، قام عمرو بن زارة، وقال لمعاوية: لئن حبسته لتجدّن من عنقه، فحبس عمراً مع المسيّرين، إلى أن أطلقهم معاوية بفضل حكمة زيد بن صوحان وحسن تدبيره، فعادوا إلى الكوفة وبقي عمر بن زرارة في داره في دمشق. انظر: الأمين؛ محسن: أعيان الشيعة، ج٧، ص١٠٤.

(١) زيد بن صوحان: زيد بن صوحان بن حجر العبدي، من بني عبدالقيس، من ربيعة: تابعي، من أهل الكوفة، له رواية عن عمرو وعلي، كان أحد الشجعان الرؤساء، وشهد وقائع الفتح، فقطعت شماله يوم نهاوند. ولما كان يوم الجمل قاتل مع علي حتى قتل سنة ٣٦هـ، ومسجده باقٍ ومعروف في الكوفة إلى اليوم. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٥٩. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٥٢٥.

(٢) الأسود بن صوحان: والصحيح صعصعة بن صوحان العبدي، أسلم في عهد رسول الله ﷺ، ولم يره، كان خطيباً فصيحاً، وكان ممن سيرهم سعيد بن العاص من الكوفة إلى الشام بأمر عثمان، وله مع معاوية مواقف. كان صعصعة من أهل الخطط بالكوفة. وهو الذي قال لعثمان بن عفان: ملت فمالت أمتك، اعتدل تعتدل أمتك. وعندما وصل صعصعة مع رفاقه إلى الشام قال لهم معاوية: مرحباً بكم أهل العراق، قدمتم أرض الله المقدسة، منها المنشر، وإليها المحشر، قدمتم على خير أمير، يبرّ كبيركم، ويرحم صغيركم، ولو أن الناس كلهم ولد أبي سفيان لكانوا حلماء عقلاء. فأشار الناس إلى صعصعة بن صوحان، فحمد الله، وصلى على النبي ﷺ، ثم قال: أما قولك يا معاوية: إنا قد قدمنا الأرض المقدسة، فلعمري ما الأرض تقدس الناس، ولا يقدس الناس إلّا أعمالهم. وأما قولك: إن منها المنشر، وإليها المحشر، فلعمري ما ينفع قربها كافراً، ولا يضرّ بعدها مؤمناً. وأما قولك: لو أن الناس كلهم ولد لأبي سفيان لكانوا حلماء عقلاء، فقد ولدهم من هو خير من أبي سفيان آدم صلى الله عليه، فمنهم الحليم والسفيه والجاهل والعالم. انظر التفاصيل في: الأمين؛ محسن: أعيان الشيعة، ج٧، ص٣٨٧-٣٨٨.

(٣) زيد بن قيس: والصحيح يزيد بن قيس بن تمام بن حاجب الأرحبي، من بني صعب بن دومان من همذان، من رؤساء اليمانيين، أدرك النبي ﷺ، وسكن الكوفة. ولمّا ثار أهلها على سعيد بن العاص، أميرهم من قبل عثمان، وتوجه سعيد إلى المدينة، اجتمع قرّاء الكوفة، فأقاموا يزيد بن قيس أميراً عليها، ثم نفاه عثمان إلى الشام. وكان مع علي في حروبه، وولي شرطته، انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٨، ص١٨٦. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٣٧١.

(٤) كردوس بن الحضرمية: لم تذكره المصادر التاريخية بين من سُيّر من الكوفة إلى الشام وهم: الأشتر، وثابت بن قيس الهمذاني، وكميل بن زياد، وزيد وصعصعة ابني صوحان، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وجندب بن زهير الغامدي، وجندب بن كعب الأزدي، وعروة بن الجعد، وابن الكوا. انظر: الأمين؛ محسن: أعيان الشيعة، ج٤، ص٢٤٥. غير أن المؤرخ العُماني الشهير القلهاتي ذكره في كتابه: الكشف والبيان، ص٢١٢.

(٥) جندب بن زهير الأزدي: جندب بن زهير بن الحارث بن كثير بن جشم بن سبيع بن مالك بن ذهل بن مازن بن ذبيان بن ثعلبة بن الدائل بن سعد مناة بن غامد الأزدي الغامدي الكوفي. كان من خواص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، حضر معه حرب الجمل، وحرب صفين، وقتل =

ومن أهل البصرة عمار بن عبد الله العنبري[١] ومذعور العنبري[٢]، وجماعته لم أعرف أسماءهم.

وجعل الصدقة لنفسه ولأهل بيته، دون من جعلها الله لهم، ونقص أهل بدر أُعطياتهم كل واحد ألفاً ألفاً عمّا فرض لهم عمر رضي الله عنه، وكنز الذهب والفضة، ومنع أهل عُمان والبحرين أن يبيعوا طعامهم، حتى يباع طعام الإمارة، وخالف في جميع أموره ما أنزل الله، وسنّة رسول الله ﷺ، والخليفتين من بعده.

فلما رأى المسلمون ذلك، لم يعجلوا عليه، ولم يغتنموا عثرته وزلته، بل أعذروا إليه، واحتجوا عليه، والمسلمون ناظرون أعمال العباد، وشهود الله في أرضه، يعرضون أعمال العباد على كتاب الله، فما وافق (الكتاب)[٣] قبلوه، وما خالف نبذوه، وفارقوا أصحابه، وأمروه بالرجوع إلى الحق، فإن رجع، وإلّا قاتلوه عليه، حتى يرجع، أو تفنى روحه.

فلما علم المسلمون أن طاعة عثمان لا تجوز على إحداثه، لزمهم النكير عليه والتبيين له، فساروا إليه من أطراف الأرض، مع من كان بالمدينة من أزواج النبي ﷺ.

فلما اجتمعوا، دخلوا عليه، وذكروه بآيات الله، وعدّوا له صنيعه، وما ارتكب من المعاصي، فزعم أنه يعرف ما يقولون، وأنه يرجع إلى الحق، فرضوا بقوله

= يوم صفين سنة ٣٧هـ. وهو أحد الجنادب الأربعة: جندب الخير بن عبد الله، وجندب بن كعب قاتل الساحر، وجندب بن عفيف، وجندب بن زهير. وكان جندب بن زهير فيمن سيّره عثمان من الكوفة إلى الشام. انظر الترجمة الكاملة في: الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ج٤، ص٢٤٣ - ٢٤٥.

(١) عمار بن عبد الله العنبري: ذكره القلهاتي من بين من سيّره عثمان بن عفان من البصرة إلى معاوية في دمشق. انظر: القلهاتي، أبو عبد الله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج٢، ص٢١٢.

(٢) مذعور العنبري: ذكره القلهاتي من بين من سيّره عثمان بن عفان من البصرة إلى معاوية في دمشق. انظر: القلهاتي؛ أبو عبد الله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج٢، ص٢١٢.

(٣) في النسخ «الحق» والصحيح ما أثبتناه في المتن من النسخة الأصلية ب، ص٢٦٢.

واعترافه وتوبته، فقبلوا منه، وجامعوه، وكان حقاً عليهم أن يقبلوا منه إذا رجع إلى الحق، ثم تفرّق الناس من عنده على ما أعطاهم من الرجوع إلى الحق، والتوبة من الذنوب.

ثم (إنه)[1] كتب إلى عماله سرّاً: إن أتوكم ليلاً، فلا يصبحوا، وإن أتوكم نهاراً، فلا يمسوا.

فأظهرهم الله على كتابه بيد خادمه، مختوم بخاتمه، فرجعوا إليه، وقالوا له: إنه كان من جورك وفعلك (٢٦٥) وظلمك قبل اليوم ما قد عرفت وأقررت به على نفسك، وزعمت أنك تتوب منه، فقبلنا منك ذلك، وكنا نتهمك قبل ذلك في دين الله، فصار من أمرنا وأمرك أن صرنا نتهمك في دين الله ودمائنا. فاعتزل أمرنا، لنستعمل على أنفسنا من يعدل فينا، ونأمنه على ديننا ودمائنا.

فأبى عليهم، وزعم أنه لا يخلع سربالاً سربله الله إياه، يعني الملك. فلم تكن من المسلمين عليه عجله، وجعلوا يناشدونه بالله، ويذكرونه، فأبى إلّا عتوّاً ونفوراً وجوراً، فكرهوا أن يبدأوه بالقتال، حتى بدأ رجل من أصحابه، فرمى رجلاً من المسلمين يقال له دينار بن عياض[2]، فقتله، فطلبوا إليه أن يقيده لهم بقتيلهم، فأبى، وامتنع، وقال: لا أقيد لكم رجلاً ينصرني، وأنتم تريدون قتلي.

فلمّا بدأهم بالقتال، وامتنع ببغية، حملوا عليه، فخرج لهم من داره مروان بن الحكم في عصابة، وخرج عبدالله بن الزبير في عصابة، وكان قد بلغ عثمان أن مدده من البصرة أقبلوا، ونزلوا صرار، وهي عن المدينة ليلة،

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٢٦٢.
(٢) دينار بن عياض: لم نعثر على ترجمة له. إلاّ أن القلهاتي ذكره في الرواية كما وردت في المخطوطة أيضاً. انظر: القلهاتي؛ أبو عبدالله بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج٢، ص٢١٥.

وأن أهل الشام قد توجهوا مقبلين إليه، فقاتلهم المسلمون قتالاً شديداً على باب الدار، فجعل المغيرة بن الأخنس[١] يحمل على المسلمين ويرتجز:

قد علمت جارية عطبول[٢] لها وشاح ولها حجولُ

إني بنصل السيف خنشليل أحمي وأرمي ولا أزولُ

بصارم ليس له فلول[٣]

فحمل عليه ورقة بن بديل الخزاعي[٤] وهو يرتجز:

إن كنت بالسيف كما تقول أثبت لقرم ماجد يصول

وصارم في كفّه مصقول[٥]

وحمل رفاعة بن رافع بن رفاعة الأنصاري، فضربه، فصُرع، ورجع وهو يرى أنه قتله، وجُرح ابن الزبير جراحات، وانهزم القوم، فالتجأوا إلى القصر، فأقاموا على الباب، واقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل في المعركة زياد بن نعيم المهري[٦] في جماعة من أصحاب عثمان، (٢٦٦) وعلي بن أبي طالب في

---

(١) المغيرة بن الأخنس: المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفي، صحابي، من الشعراء، هجا الزبير بن العوام. وقتل يوم الدار مع عثمان بن عفان سنة ٣٥هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٧، ص٢٧٦. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٥، ص٢٣٦.

(٢) عطبول: العطبل والعطبول والعطبولة والعيطبول: المرأة الجميلة، والجمع عطابل وعطابيل.

(٣) قد عملت جارية عطبول لها وشاح ولها حجولُ

إني بنصل السيف خنشليل أحمي إذا حمّ بنا الرحيلُ

بصارم لي ما به فول وصارم في كفّه مصقولُ

(٤) ورقة بن بديل الخزاعي: لم نعثر على ترجمة له. وقد ذكره القلهاتي مع الذين شاركوا في حصار الدار وقتل عثمان بن عفان. انظر: القلهاتي؛ أبو عبد الله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج٢، ص٢١٦.

(٥) انظر الأبيات في: القلهاتي؛ أبو عبد الله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج٢، ص٢١٦

(٦) زياد بن نعيم المهري: والصحيح زياد بن نعيم الفهري. قال أبو عمر: مذكور في الصحابة، ولا أعلم له رواية، وإنه قتل يوم الدار مع عثمان بن عفان سنة ٣٥هـ. انظر: ابن الأثير؛ علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص١٧١.

مسجد رسول الله ﷺ، وعليه السلاح، وهو يحرّض الناس، وطلحة بن عبيد الله عليه السلاح، ومعه جماعة من الناس عند باب القصر، وهو يحث الناس على الدخول على عثمان.

ولم يزالوا يقتتلون، حتى فتح عمرو بن حزم باب داره، وهي بجانب دار عثمان، بعد أن حاصروه يزيد عن شهر، وقيل: أربعين يوماً، وقيل: ثمانين يوماً، ومنعوا عنهم الماء، حتى تصايح الأطفال والنساء من فوق القصر: إن كان الذنب على عثمان، وعلى من معه من الرجال، فما ذنب النساء والأطفال؟ فأطلقوه لهم، ثم دخلوا عليه من دار عمرو، وقاتلوهم في صحن الدار في القصر، حتى انهزموا، فخرجوا هاربين في سكك المدينة، فلم يغنموا لهم مالاً، ولا سبوا لهم ذرية.

والذين تولوا قتل عثمان: رفاعة بن رافع بن مالك الأنصاري من بني رزيق، وجبلة بن عمرو الأنصاري[1] من بني ساعدة، وعمرو بن حزم الأنصاري من بني مسلمة بن عوف، ومحمد بن أبي بكر الصديق، وعبد الله[2] ومحمد[3] ابنا بديل بن ورقاء الخزاعي، ومحمد بن أبي حذيفة بن عبد الله بن ربيعة،

(١) جبلة بن عمرو الأنصاري: جبلة بن عمرو الأنصاري، أخو أبي مسعود عقبة ابن عمرو الأنصاري، قال أبو عمر: هو ساعدي، يعدّ من أهل المدينة، روى عنه ثابت بن عبيد وسليمان بن يسار، وكان فيمن غزا إفريقيا مع معاوية بن حديج سنة خمسين، وشهد صفين مع علي، وسكن مصر، كان فاضلاً من فقهاء الصحابة. انظر: ابن الأثير؛ علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٣١٩.

(٢) عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي: عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، صحابي، كان من الدهاة الفصحاء، انتهت إليه سيادة خزاعة، أسلم يوم الفتح، وشهد حنيناً، والطائف، وتبوك، وقاتل مع علي بصفين، فكان قائد الرجالة، ولم يزل يضرب حتى انتهى إلى معاوية، فأزاله عن موقفه، فتكاثر عليه أصحاب معاوية، فقتل. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٤، ص٧٣. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص١٨٤.

(٣) محمد بن بديل بن ورقاء الخزاعي: لم نعثر على ترجمة له. وقد ذكره القلهاتي أيضاً بين الذين قتلوا عثمان بن عفان. انظر: القلهاتي؛ أبو عبد الله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج٢، ص٢١٧.

وعبد الرحمٰن بن عديس البلوي القضاعي[1] ونفر من أهل العراق، لم أعرف أسماءهم، وضربوه أكثر من عشر ضربات.

وقيل: إن محمد بن مسلمة قال يوم مقتل عثمان: ما رأيت يوماً أقر للعيون ولا أشبه بيوم بدر من اليوم الذي قتل فيه عثمان. وكان قتله يوم الاثنين، وقيل: يوم الأربعاء، وقيل: يوم الجمعة، وقيل يوم الأضحى، وقيل: لثماني عشرة ليلة خلت من شهر الحج، وقيل: لثماني ليالٍ بقين منه، وسنّه اثنتان وثمانون سنة. وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلّا اثني عشر يوماً، وقيل: إلّا ثمانية أيام، والله أعلم.

وقال محمد بن أبي حذيفة مرتجلاً:

لقيت رجالاً أنكروا الجور خشية ... ألا لا بحق الله ما أنت صانعُ
وقالوا كتاب الله غيَّرت بدعة ... وهذا كتاب الله والنور ساطعُ (٢٦٧)
وسنة مهدية مستبينة ... فرائضه فيها وفيها الشرائعُ
فأبطلتها كفراً وسرت بغيرها ... أشارت بها طراً إليك الأصابعُ
فجاؤوا إليه واستتابوا وأنّبوا ... وقالوا له عثمان ما ذي البدائعُ
ألست ترى الإسلام والعدل والهدى ... وتعلم أن الله راءٍ وسامعُ
فإن له فيها شفاء ورحمة ... وإنك مقبوض إليه وراجعُ
وأنك لاقيه ولاقٍ حسابه ... يقيناً وقاري كل ما أنت جامعُ
فما زال عن جورٍ ولا خاف ربه ... عتوّاً ومن لم يحفظ الله ضائعُ[2]

---

(١) عبد الرحمٰن بن عديس البلوي القضاعي: عبد الرحمٰن بن عمرو البلوي، صحابي، شجاع، ممن بايع تحت الشجرة. شهد فتح مصر. ثم كان قائد الجيش الذي بعثه ابن أبي حذيفة (والي مصر) إلى المدينة لخلع عثمان. ولما قتل عثمان، عاد إلى مصر، فطلبه معاوية بن أبي سفيان، وقبض عليه، وسجنه في اللد بفلسطين، ففرّ، فأدركه صاحب فلسطين، فقتله سنة ٣٦هـ. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٣١٦. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص٤٦٩.

(٢) انظر القصيدة في: القلهاتي؛ أبو عبد الله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج٢، ص٢١٨.

وقال محمد بن أبي سمرة القرشي[١]:

جرى الله شراً نعثلاً وفعاله ... واعقبه خزياً بما كان يصنعُ

رأينا ابن عفان أبا الله نصره ... وخذّل عنه كل من يتورّعُ

وأعوانه أهل البصائر والتقى ... وأرماحهم في وجه نعثل شُرَّعُ[٢]

وقال عمرو بن حزم الأنصاري:

ولمّا أبى عثمان إلّا تمادياً ... وجادلنا بالجور عين المخاتلِ

وفرّق مال المسلمين وفيئهم ... وضيّعه في كل غيّ وباطلِ

وحرّق للكفر المصاحف عادياً ... وأسقط منها محكمات الفواصلِ

دلفنا ليه حمية بجموعنا ... لندفعه عن جوره بالمناصلِ

فضلنا إلى ذي نخوة في حجابه ... مكب على السوءات للحقِ جاهلِ

فلم يعطنا للحق خطة تائب ... ولم يعطنا للحق خطة عادلِ

فلما تمادى في الغواية والهوى ... وزال إلى رأي من الرأي مائلِ

شددنا احتساباً والقلوب ضغينة ... على تارك للحق بادى المقاتلِ

فأسلمه أنصاره وتفرقوا ... فغودر مذبوحاً رقيب الحلائلِ[٣]

---

(١) ورد في جميع النسخ محمد بن أبي سمرة القرني: والصحيح محمد بن أبي سبرة بن أبي زهير القرشي، كما ورد في النسخة الأصلية ب، ص ٢٦٥. وله هذه الأبيات قالها يوم صفين:

نحن قتلنا عثمان بالسيرة ... إذ صدّ عن أعلامنا المنيرة

يحكم بالجور على العشيرة ... نحن قتلنا قبله المغيرة

نالته أرماح لنا موتورة ... إنا أناس ثابتو البصيرة

انظر: الأمين؛ محسن: أعيان الشيعة، ج٩، ص ٦٢.

(٢) انظر: القلهاتي؛ أبو عبد الله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج٢، ص ٢١٨.

(٣) انظر القصيدة في: المصدر السابق، ج٢، ص ٢١٩. وأضيفت «ذي» في الشطر الأول من البيت الخامس من المصدر السابق.

وقال الحجاج بن عمرو الأنصاري[١]:

إنـا اسـتتبنا نعثـلاً فلـم يتـبْ ودسّس السوءات في سر الكتب
فظلـت النسـا[٢] عليـه تنتحـب وظلـت الأوداج منه تنشـجب[٣]

ولمّـا قتـل عثمـان رمـوا بجثته على مزبلـة بالمدينـة ثلاثة أيام، لـم يدفن، (٢٦٨) ثـم إن حكيم بـن حـزام[٤] أحـد بنـي أسـد بن عبد العـزى[٥] وجبير بن

---

(١) الحجاج بـن عمـرو الأنصاري: حجاج بن عمرو بن غزية بن ثعلبة بن خنسـاء بن مبذول بن عمرو بن غنم بـن مازن بـن النجـار الأنصـاري الخزرجي، له صحبة، وهـو الذي ضرب مروان بـن الحكم يوم الـدار حتـى سـقط، وحمله أبو حفصة مـولاه، وهو لا يعقل، وشـهد صفين معه علي بـن أبي طالب، وهو الذي كان يقول عند القتال: يا معشر الأنصار، أتريدون أن نقول لربنا إذا لقيناه: «إنا أطعنا سادتنا وكبراءنـا فأضلونا السـبيلا». انظـر: ابن الأثير؛ علي بن محمد، أسـد الغابة في معرفـة الصحابة، ج١، ص ٤٥٣ - ٤٥٤.

(٢) في الأصل نسوان، وفي ذلك كسر عروضي في البيت، والصحيح ما أثبتناه.

(٣) انظر البيتين في: القلهاتي؛ أبو عبد الله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج٢، ص ٢١٩.

(٤) حكيم بن حزام: حكيم بن حزام بن خويلد بن أسـد بن عبد العزى بن قصي القرشـي الأسدي، وأمـه صفيـة، وقيـل فاختـة بنت زهير بـن الحارث بن أسـد بن عبد العـزى، وحكيـم ابن أخي خديجـة بنـت خويلـد، وابن عـمّ الزبير بن العـوام. ولد بالكعبـة، وذلك أن أمـه دخلت الكعبة في نسـوة من قريش، وهي حامل، فأخذها الطلق، فولدت حكيماً لها. وهو من مسـلمة الفتح، وكان مـن أشـراف قريش ووجوهها في الجاهلية والإسـلام، وكان من المؤلفـة قلوبهم، أعطاه رسـول الله ﷺ يـوم حنيـن مائة بعير، ثم حسـن إسـلامه، وكان مولده قبل الفيل بثلاث عشـرة سـنة. وعاش مئة وعشـرين سـنة، وتوفي سـنة أربع وخمسـين في عهد معاوية. وشهد بدراً مع الكفـار ونجـا منهزماً. وعمي قبل موته. انظر: ابن الأثير؛ علي بن محمد: أسـد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص ٤٥ - ٤٦.

(٥) أسـد بن عبد العزى: أسـد بن عبد العزى بن قصي، من أجداد العرب في الجاهلية، بنوه حيّ كبير من قريش، منهم حكيم بن حزام الصحابي، وخديجة (أم المؤمنين) وورقة بن نوفل، وكانت تلبية بني أسد في الجاهلية، إذ حجّوا: «لبيك اللهم لبيك، يا رب أقبلت بنو أسـد، أهل الوفاء والجلد إليك». ولابن السائب الكلبي النسابة كتاب «أخبار أسد بن عبد العزى». وقال ابن حزم: لا عقب لعبد العزى إلّا من أسد هذا. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج١، ٢٩٨.

مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف[١] كلّما علياً في دفنه، وطلبا إليه أن يأذن لأهله في ذلك، فأذن لهم على أن لا يدفنوه في مقابر المسلمين.

فلما سمع الناس ذلك، قعدوا في الطريق، فلما خرج به أهله يحملونه، يريدون به حائطاً بالمدينة يقال له حش كوكب، كانت اليهود تدفن فيه موتاهم، فلما مرّوا عليهم، رموهم بالحجارة، وهموا بطرحه من الجنازة، وهم يقولون: نعثل، نعثل.

فعلم علي بذلك، فأرسل إلى الناس، ومنعهم عنه، حتى دفن في حش كوكب.

ولما ولي معاوية، أمر الناس أن يدفنوا موتاهم حوله، حتى اتصل بمقابر المسلمين.

ودُفن بين المغرب والعتمة، ولم يحضر دفنه إلّا ثلاثة من مواليه، ومروان بن الحكم، وابنته، وكلما همّت ابنته أن تندبه، أخذ الناس الحجارة، وهمّوا برجمه، وقالوا: نعثل، نعثل.

(١) جبير بن مطعم بن عدي: جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي، أبو عدي، صحابي، كان من علماء قريش وسادتهم. توفي بالمدينة. وعدّه الجاحظ من كبار النسّابين. وفي الإصابة: كان أنسب قرشي لقريش والعرب قاطبة، له ٦٠ حديثاً. توفي سنة ٥٩هـ/ ٦٧٩م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص ١١٢. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص ٥١٥ ـ ٥١٧.

ذكر من قتل مع عثمان من قريش:

فمن بني أسد عبد العزى: عبد الله بن وهب بن زمعة[١] وشيبة بن عبد شمس بن عبد مناف[٢] وعبد الله بن عبد الرحمٰن بن العوّام بن خويلد[٣]، ومن بني عبد شمس[٤] قصي بن عبد الله بن هبيرة بن عوف بن شيبان[٥]، ومن بني زهرة: من حلفائهم المغيرة بن الأخنس بن شُريق الثقفي[٦] فهؤلاء من قريش، وقتل معه زياد.

فإن قال القائل: إن علياً لم يرضَ بقتل عثمان، وكذلك الصحابة، وأنهم غلبوا عليهم، وأنه قُتل مظلوماً، قيل له: لو كان عثمان قتل مظلوماً، ما وسع علياً ولا الصحابة، ولا أهل المدينة، إلّا أن يغضبوا على قتل خليفتهم، وهو بين أظهرهم، ولو شاؤوا لمنعوه بأطراف أرديتهم، لأنهم يغضبون للأمر اليسير من معصية الله، فكيف لا يغضبون على قتل خليفتهم؟ وكيف يسع علياً والمهاجرين والأنصار ذلك، وهم غير عاجزين؟

---

(١) عبد الله بن وهب بن زمعة: عبد الله بن وهب بن زمعة الأسدي القرشي، صحابي من الشعراء، يقال له: «ابن وهب الأكبر» لتميزه عن عبد الله بن وهب بن زمعة التابعي. أسلم يوم الفتح سنة ٨هـ، وقتل بالمدينة، يوم حصر عثمان في داره، ويسمى «يوم الدار». انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص ٢٢٠. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص ٤١٠.

(٢) شعبة بن عبد شمس بن عبد مناف: لم نعثر على ترجمة له. وقد ذكر القلهاتي اسمه شيبة بن عبد شمس بن عبد مناف. وشيبة هذا هو شيبة بن ربيعة بن عبد شمس شارك في وقعة بدر مع المشركين وقتل فيها سنة ٢هـ. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٣، ص ١٨١. وانظر: القلهاتي؛ أبو عبد الله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج٢، ص ٢٢٠.

(٣) عبد الله بن عبد الرحمٰن بن العوّام بن خويلد: لم نعثر على ترجمة له. وقد ذكره القلهاتي مع الذين قتلوا من قريش مع عثمان. انظر: القلهاتي، أبو عبد الله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج٢، ص ٢٢٠.

(٤) وفي القلهاتي: «ومن بني عبد الدار بن قصي: عبد الله بن هبيرة بن شيبان». انظر: القلهاتي؛ أبو عبد الله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج٢، ص ٢٢٠.

(٥) قصي بن عبد الله بن هبيرة بن عوف بن شيبان. لم نعثر على ترجمة له.

(٦) المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفي: صحابي، من الشعراء، هجا الزبير بن العوام، وقتل يوم الدار مع عثمان بن عفان سنة ٣٥هـ/ ٦٥٦م. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٧، ص ٢٧٦. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٥، ص ٢٣٦.

وقد بلغنا أن علياً مع ما أتاه الله من القوّة والشجاعة، كان يلقى الجموع (الكثيرة)[1] وحده، فكيف لا يمنع عن عثمان وهو بالمدينة؟ وإنما الخارجون على عثمان إلّا قدر ستمائة على ما وجدت، فلا حجة في ذلك لمحتج، فصحَّ أنهم أنفذوا (٢٦٩) الحق في قتله، وأنهم مجمعون على قتله، فهم ما بين فاعل وراضٍ، وقال النبي ﷺ: لا تجتمع أمتي على ضلال. ولبعض المسلمين شعر في المعنى:

عجباً للمهاجرين والأنصار ... في قتل قائد الأحزابِ
في ثلاثين راكباً أقبل القوم ... إليه من مصر فوق الركابِ
يتعاطونه ثلاثة أيام ... قتيلاً معرضاً للكلابِ
وهم بضعة وعشرون ألفا ... أو يزيدون من رواة الكتابِ
لو أرادوا أن يمنعوه حموه ... كلهم بالنعال أو بالثيابِ
فليتكم عنه توقفوا قاتليه ... للذي كان منهم للصّوابِ
إن للخاذلين منهم لحظاً ... علم الله من أليم العقابِ[2]

وقال الوليد بن عقبة يرثي عثمان، وكان أخوه لأمه، ويذكر إبلاً وسلاحاً قبضها علي، كان اتخذها من الصدقة:

بني هاشم ردوا سلاح ابن أختكم ... ولا تنهبوه لا تحلُّ مناهبه
بني هاشم لا تعجلونا فإننا ... سواء علينا قاتلوه وسالبه
فإنا وإياكم وما كان بيننا ... كصدع الصفا لا يرأب الدهر شاعبه
قتلتم أمير المؤمنين خيانةً ... كما غدرت يوماً بكسرى مرازبه
فقد يجبر العظم الكسير وينبري ... لدى الحق يوماً حقه فيطالبه
بني هاشم كيف التعاذر بيننا ... وعند عليّ درعه ونجائبه

(١) استدراك من النسخة الأصلية، ب ص٢٦٦.
(٢) انظر الأبيات في: القلهاتي؛ أبو عبدالله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج٢، ص ٢٢١ - ٢٢٢.

بني هاشم كيف الصلاح لديكم ... وعند عليّ سيفه وحرائبه
فإن لم تكونوا قاتليه فإننا ... سواء علينا ممسكوه وضاربه
لعمرك لا أنسى ابن أروى وقتله ... وهل ينسينّ الماء ما عاش شاربه
هم الأنف والعينان مني فليس لي ... سوى الوجه والعينين منّي أعاتبه
وإني لمجتاب إليكم بجحفل ... يصم السميع جرسه وجلائبه[١]

فأجابه عبد الله بن أبي سفيان بن حرب بن (الحرث)[٢] بن عبد المطلب[٣] شعراً:

بكت عين من يبكي ابن عفان بعدما ... تجنب عن قصد السبيل مجانبه[٤]
سعى جاهداً في نقض سنة أحمد ... وآثر بالمال الكثير أقاربه
(٢٧٠) أضاع الحدود في الوليد وغيبت ... شهود عن الحق المبيّن طالبه
فلا تسألونا عن سلاح ابن أختنا ... ولكن سلوا عنه الوليد وصاحبه
هما أفسدا عثمان ثم تغيّبا ... بشعبين من نعمان تعوي ثعالبه
فلا تسألونا سيفكم إن سيفكم ... أُضيع فألقاه لدى الباب صاحبه[٥]

---

(١) انظر: القلهاتي؛ أبو عبد الله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج٢، ص٢٢٢.

(٢) هكذا في النسخة الأصلية ب، ص٢٦٧. والصحيح «الحارث» بن نوفل بن عبد المطلب.

(٣) والصحيح: عبد الله بن أبي سفيان الحارث بن نوفل بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، من أشراف قريش، من أهل المدينة، كان ورعاً ظاهر الصلاح، ولاه ابن الزبير على البصرة ولما قامت فتنة ابن الأشعث خرج إلى عُمان هارباً من الحجاج. فتوفي فيها. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٤، ص٧٣. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١، ص١٩٩.

(٤) **بكت عين من يبكي ابن عفان بعد ما ... تنكّب عن قصد المحجة جانبه.**
انظر: القلهاتي؛ أبو عبد الله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج٢، ص٢٢٣.

(٥) انظر الأبيات في: القلهاتي، المصدر السابق، ج٢، ص٢٢٣.



الباب السادس والعشرون

في ذكر خلافة علي بن أبي طالب
وما جرى فيها من الفتن



فلما قتل عثمان، اجتمع المسلمون في مسجد رسول الله ﷺ، فبايعوا علياً على طاعة الله، وطاعة رسوله، وعلى أن يتبع سنة النبي ﷺ، وأن يسير بسيرة الخليفتين الرضيين (المرضيين)[١] أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، بعد أن ترددوا إليه أياماً، وهو يأبى عليهم.

فلما بايعوه، قام وصعد المنبر، وعمار بن ياسر عليه السلاح على يمينه، ومحمد بن أبي بكر عن يساره، فحمد الله، وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ، وطلب من الله الإعانة على ما ولّاه من أمور الناس، ودعا لنفسه بالعون، وأمر الناس بتقوى الله، وحثهم على الاجتماع على طاعة الله والمعاونة، ثم قال في آخر كلامه: «ألا إن كل قطيعة قطعها عثمان، ومال أعطاه من مال الله، فهو مردود على المسلمين في بيت مالهم، فإن الحق قديم، والحق لا يبطله شيء، والله لو قد وجدته تزوج علية النساء، وتفرق في البلدان لرددته، فإن لكم في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل، فالجور عليه أضيق».

فأمر بكل سلاح كان في دار عثمان، أو مال تقوّى به على قتال المسلمين من مال الله، فقبضه، وأمر بقبض نجائب اتخذها عثمان من الصدقة، وقبض سيف عثمان ودرعه، وترك لعثمان ما كان له من مال ورثة بين ولده على حكم كتاب الله، وقبض ما كان قبضه عثمان من الفيء، والعقد التي كان اشتراها من بيت مال الله، وقبض ما كان عثمان حازه من مال الله.

---

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٢٦٨.

وكان شرط المسلمين على عليّ أن يبايعوه على طاعة الله، وطاعة رسوله، والعمل بكتاب الله وسنة رسوله، والأخذ بسيرة (٢٧١) الخليفتين أبي بكر وعمر، وعلى قتال الفئة الباغية، وكل فرقة امتنعت عن الحق وطاعته، وكل من نقض عهد الله، وغيّر سنة رسوله، وحكم بغير ما أنزل الله، حتى يظهر نور الله، ويطفئ كلمة الجور، ويموت أهل البدع والفجور، أو تفنى على ذلك أرواحهم.

فأعطاهم على ذلك العهد والميثاق، وعلى أنه إن خالف شيئاً من ذلك، أو نقض شيئاً منه، فلا بيعة له عليهم. فرضي علي بذلك، وبايعه طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، فيمن بايعه من المهاجرين والأنصار.

فقام بأمر الله، وأمر المسلمين، وولي في الأمصار، والمسلمون له مؤازرون، ولحكمه طائعون، وحذّره بعض المسلمين إحداث عثمان، فقال:

خذها إليك واسمعنّ أبا الحسن إنـا[1] نُمرُّ الحق أمرار الرسـن[2]

فقام علي بالأمر جاهداً مجاهداً مشمراً، حتى خرج عليه طلحة والزبير مخالفين مشاقين مفارقين للمسلمين، بعد أن بايعاه، وأعطياه صفقة أيديهما، فأتيا عائشة أم المؤمنين، وهي بمكة، وقالا لها: إن علياً استأثر بهذا الأمر لنفسه من غير رأي المسلمين ولا مشورتهم، وإن عثمان قتل مظلوماً بعد أن تاب، وخدعاها عن رأيها وبصيرتها في عثمان، بعد أن كانت تخرج مصحفها من حجرها، وتقول: أشهد بالله أن عثمان كفر بما في هذا المصحف.

(١) وردت في الأصل «إنّما»، والصحيح «إنا» وهذا ما أثبتناه في النص.

(٢) ولما فرغ علي من خطبته وهو على المنبر قالت السبئية:

خذها إليك واحذرن أبا حسن إنا نمرّ الأمر إمرار الرسنْ
صولة أقوامٍ كأشداد السّفن بمشرقيّات كغدران اللبنْ
ونطعن الملك بلينٍ كالشّطن حتى يمرَّنّ على غير عننْ

انظر: ابن الأثير؛ علي بن محمد: الكامل في التاريخ، ج٣، ص١٩٥.

فلـم يزالا بها حتـى أخرجاها من بيتها، وقالا لهـا: يجب عليك أن تقومي وتـردي الأمر إلى عامة المسـلمين، فيختاروا لأنفسـهم من شـاؤوا، فنحب أن تسـيري معنا إلى العراق، وتصلحي بين المسلمين، وتكفّي بعضهم عن بعض، ويصلح الله أمر هذه الأمة على يديك، ويوفيك الله أجر ذلك.

فسـارا بهـا إلى البصـرة، يطلبان أمر الدنيا، وقد شـهدا قتل عثمـان، وبايعا عليـاً، ودخلا فيما دخل فيه المسـلمون، فلما دخلا البصـرة (ومعهم)[١] وغواة الناس والسـواد وأهل الفتنة، وهم قليلو الفقه والمعرفة بالدين، جاهلون بأمور المسلمين، وطالبون حطام الدنيا.

فلمـا قدمـوا البصـرة التقتهـم طائفة من المسـلمين، فناشـدوهم الله، فمال عليهـم طلحـة والزبيـر وأشـياعهما، فقتلوا منهـم جماعة فيهـم حكيم بن جبلة العبدي[٢]، ونتفوا لحية عثمان بن حنيف[٣]، وكان والياً على البصرة، فبلغ ذلك علي بن أبي طالب ومن معه من (٢٧٢) المسـلمين، فلم يسـعهم إلّا الخروج

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٢٦٩.

(٢) حكيم بن جبلة العبدي: حكيم بن جبلة العبدي، من بني عبد القيس: صحابي، كان شـريفاً مطاعاً، من أشـجع الناس. ولاه عثمان إمرة السـند، ولم يستطع دخولها، فعاد إلى البصرة. واشترك في الفتنة أيام عثمـان. ولمـا كان يوم الجمل أقبل في ثلاثمائـة من بني عبد القيس وربيعة، فقاتل مع أصحاب علي، وقطعت رجله، فأخذها وضرب الذي قطعها، فقتله بها، وبقي يقاتل على واحدة ويرجز:

يـــا ســـــاق لـــن تـــراعـــي إن مـــعـــي ذراعـــــي
أحـــمـــي بـــهـــا كـــراعـــي

ونـزف دمـه، فجلس متكئاً على المقتول الذي قطع رجله، فمرّ به فارس فقال: من قطع رجلك؟ قال: وسادي! وقتل في هذه الموقعة سنة ٣٦هـ. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج، ص ٢٦٨ - ٢٦٩. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص ٥٧.

(٣) عثمان بن حنيف: عثمان بن حنيف بن وهب الأنصاري الأوسـي، أبو عمرو: والٍ من الصحابة، شـهد أُحُداً وما بعدها، وولاه عمر السواد، ثم ولاه علي البصرة. ولما نشبت فتنة الجمل، دعاه أنصار عائشة للخروج معهم على علي، فامتنع، فنتفوا شـعر رأسـه ولحيته وحاجبيه، واستأذنوا به عائشة، فأمرتهم بإطلاقه، فلحق بعلي، وحضر معه الوقعة، ثم سكن الكوفة، وتوفي في عهد معاوية سنة ٤١هـ. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٤، ص ٢٠٥. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص ٥٧٠.

عليهم، والقيام لله بحقه، فخرج علي بمن معه من المسلمين حتى قدم الكوفة، فخرج معه منها من سأله الله حتى قدم البصرة، فزحف إليه طلحة والزبير بمن (اتبعهما)[(١)]، وبرزوا بأم المؤمنين على جمل، وحمل بعضهم على بعض، فاقتتلوا، ثم أنزل الله نصره على أهل طاعته، فقتل طلحة في المعركة، وتولى قتله مروان بن الحكم، وهرب الزبير، فقتله عمرو بن جرموز التميمي السعدي من بني مجاشع بوادي السباع، وعقر بأم المؤمنين جملها، وقطعت على جملها سبعون يداً من المسلمين المحقين، وعُرفت كل يد بخاتمها، وأمسك أم المؤمنين أخوها عبدالرحمٰن بن أبي بكر[(٢)]، فقالت: ما هذه اليد التي أمسكت جسداً، لم ينله بعد رسول الله أحد؟ فقيل لها: أخوك عبدالرحمٰن. فقالت: اللهم إن كان لا بد فبنار الدنيا، فقيل: إن يده احترقت، والله أعلم.

وقيل: عقر جملها رجل من بني تميم يقال له عُيين بن حكيم، وأعطى الله المسلمين الظفر، فنادى منادٍ علي: ألا من أغلق بابه فهو آمن، واستتيب الناس يومئذ من ولاية عثمان وطلحة والزبير.

ولمّا دخل عمار بن ياسر رحمه الله على عائشة رضي الله عنها، قال لها: يا أماه. قالت: لست لك بأم. قال: أمي ولو كرهتِ. ثم قال لها: أخبرينا عن القتال الذي تقاتلينا، أعهد عهده إليك رسول الله ﷺ؟ أم رأي رأيتيه؟ قالت: بل رأي رأيته. قال: الحمد لله.

---

(١) وردت في جميع النسخ «معهما» والصحيح ما أثبتناه في المتن من النسخة الأصلية ب، ص٢٦٩.

(٢) عبدالرحمٰن بن أبي بكر: عبدالرحمٰن بن أبي بكر الصديق ابن أبي قحافة القرشي التميمي، صحابي، اسمه في الجاهلية عبدالكعبة، فجعله رسول الله ﷺ عبدالرحمٰن، وكان من أشجع قريش وأرماهم بسهم، حضر وقعة الجمل مع شقيقته عائشة، ودخل مصر، ولما أراد معاوية أخذ البيعة لابنه يزيد. كان عبدالرحمٰن حاضراً، فقال: «أهرقلية كلما مات قيصر كان قيصر مكانه؟ لا نفعل والله أبداً». فبعث إليه معاوية بمئة ألف درهم، فردّها وخرج إلى مكة، فمات فيها سنة ٥٣هـ، قبل أن تتم البيعة ليزيد. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٣، ص ٣١١ ـ ٣١٢. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص ٤٦٢ ـ ٤٦٣.

ثـم بيّنوا لها الأمـر، وأوضحوا لها الحق، فبان لها خطأها، فندمت، وتابت إلـى الله ورجعت، فكبر المسـلمون، وقبلوا التوبة منهـا، وكذلك عليهم أن (لا يردوا)[١] توبة تائب، وأظهرت أم المؤمنين توبتها، فقبل المسـلمون منها توبتها وتولوها.

ولم يكن عليها غير التوبة، لأن خروجها كان باستحلال منها ودينونة، ترى أنهـا مصيبـة فيه، ثم بان لها أنهـا على غير صواب، فرجعت عمـا كانت عليه، وكل مـن ركـب شـيئاً باسـتحلال يظن أنه على حـق، فليس عليه سـوى التوبة والنـدم، وأما من ركب شـيئاً، وهو يدين بتحريمه، فـلا يجزيه إلّا الخروج مما ارتكبه، والضمان مما لزمه من ضمان مال ونفس.

ولم يغنم المسلمون في تلك اليوم مالاً، ولا سبوا ذرية، إلا أن ضعفاءهم أخذوا سلاحاً أصابوه في المعركة، (٢٧٣) فلما هزم الله عدوهم، واستقام أمر المسلمين، ردّوا إلى كل ذي حق حقه، وأصيب يومئذ زيد بن صوحان[٢]، الذي قال فيه رسول الله ﷺ: تقطع يده في سبيل الله، ثم يتبعها جسده. فقطعت يده يومئذ ثم استشـهد. ودخل أهل البصرة في طاعة علي بن أبي طالب، واجتمع الناس عليه.

وجملـة مـن قتـل من أصحـاب علي يـوم الجمل نحـو ألف رجـل، ومن أصحـاب طلحـة والزبيـر ثمانيـة آلاف رجل، وقيل: تسـعة عشـر ألفـاً على ما وجدته، والله أعلم.

---

(١) وردت في جميع النسخ «يقبلوا» والصحيح ما أثبتناه في المتن من النسخة الأصلية ب، ص ٢٧٠.

(٢) زيد بـن صوحـان: زيد بـن صوحان بن حجر العبدي، من بني عبد القيس، مـن ربيعة، تابعي، من أهل الكوفة، له رواية عن عمرو وعلي. كان أحد الشـجعان الرؤسـاء، وشـهد وقائع الفتح فقطعت شـماله يوم نهاوند. ولمّا كان يوم الجمل قاتل مع علي حتى قتل شهيداً، ومسجده باقٍ في الكوفة إلى اليوم. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٥٩. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ٥٢٥.

وكان مدّة منذ بويع علي، إلى أن خرج عليه طلحة والزبير أربعة أشهر.

ثم خرج عليه معاوية بن أبي سفيان بن حرب في أهل الشام، وكان عدّة جنوده مائة ألف وعشرين ألفاً، زعم أنه يطلب بدم عثمان، وأن عثمان قتل مظلوماً، وصحبه عمرو بن العاص، فالتقاه علي بالمهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، وعددهم سبعون ألفاً، فالتقوا بصفين[1] موضع بالشام، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وكثرت القتلى بينهم، وقيل: إنه بلغ (عدد)[2] القتلى سبعين ألفاً، وقتل في ليلة واحدة يقال لها ليلة الهرير ثلاثون ألفاً، فمن أصحاب علي خمسة وعشرون ألفاً، ومن أصحاب معاوية خمسة وأربعون ألفاً، وكانت إقامتهم بصفين مائة وعشرين يوماً، وكان بينهم سبعون وقعة.

فلما رأى معاوية كثرة القتل في أصحابه، خاف أن يستولي القتل عليهم، فاستشار عمرو بن العاص في أمره، وطلب الحيلة والخديعة، فقال عمرو بن العاص: علّق المصاحف في أسنة الرماح، وكاتب علياً سراً أن بيننا وبينكم حكماً كتاب الله.

فكتب معاوية إلى علي سراً، وطلب إليه أن يُحكِّما حكمين، فما حكما به رضياه كلاهما، فأنعم له عليه بذلك.

(١) صفين: اسم معركة وقعت بين علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، ومعاوية بن أبي سفيان سنة ٣٧هـ، في غرّة صفر، في موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي، بين الرقة وبالس، وقد اختلف المؤرخون في عدّة أصحاب كل واحد من الفريقين، فقيل كان معاوية في مائة وعشرين ألفاً، وكان علي في تسعين ألفاً وهذا أصح. وقتل في المعركة سبعون ألفاً، منهم خمسة وعشرون ألفاً من أصحاب علي، ومن أصحاب معاوية خمسة وأربعون ألفاً، وبقي مع علي خمسة وعشرون صحابياً بدرياً، وكانت مدّة المقام بصفين مائة وعشرة أيام، وكانت الوقائع تسعين وقعة. للمزيد من المعلومات عن معركة صفين. انظر: ابن الأثير؛ علي بن محمد: الكامل ي التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م، ج٣، ص١٩٦.

(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٢٧١.

وبلغ ذلك إلى عمار بن ياسر رحمه الله، فقال لأصحابه: ائتوا علياً، فعاتبوه، فأتوه، وعاتبوه، فقال: إني تارك ذلك. فاعلموا عماراً بذلك، فقال: جروا الخطام وما ينجر.

وبلغنا أن عمار قال لعلي: إن القوم سيقولون (لك)[1]: إن بيننا وبينك كتاب الله، فقل لهم على ترك كتاب الله قاتلناكم، وسيقولون: نجعل بيننا وبينك حكمين، فما حكما به، رضيناه، فقل: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، فإن قالوا: نجعل بيننا وبينك مدّة نصطلح عليها، فقل: إن الله (٢٧٤) قال: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩].

وروي أن النبي ﷺ كان يقول لعمار: «تقتلك الفئة الباغية، وقاتلك وسالبك في النار».

وبلغنا أنه يوم بناء مسجد رسول ﷺ، وكان المسلمون ينقلون حجراً حجراً، وعمار ينقل حجرين حجرين، فوقع مغشياً عليه، وهو ناقه من مرض أصابه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فأتاه، وجعل يمسح عن وجهه التراب، ويقول: «ويح ابن سمية تقتله الفئة الباغية، وقاتله وسالبه في النار».

وبلغنا أنه قال له: «آخر عهدك بالدنيا شربة من ضياح».

وبلغنا أن النبي ﷺ، مرّ بعمار والمشركون يعذبونه، فقال له: «أبشر يا ابن ياسر بالجنة».

وبلغنا أنه قال لهم: «ما لكم ولعمار، يدعوكم إلى الجنة، وتدعونه إلى النار».

---

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٢٧١.

وبلغنا أن حذيفة بن اليمان، صاحب رسول الله ﷺ، خرج يوماً ومعه بعض تلامذته، فقال له: «كيف أنت إذا اقتتل الشيطان والقرآن؟» قال: فما تأمرني، جعلني الله فداك؟ قال: «اتبع القرآن». ثم سكت. ثم قال (له)[١]: «أما تسألني إذا اقتتل أهل القرآن»؟ قال: فما تأمرني؟ جعلني الله فداك؟ قال: «آمرك أن تتبع ابن سمية»، فإني سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «حشى الله قلبه وسمعه وبصره إيماناً، فلا يعرض له حق إلّا أخذ به، ولا باطل إلّا تركه».

وبلغنا أن حذيفة كان يقول: اقتدوا بالدين للذين من بعدي، وعليكم بهدي عمار، وهدي ابن أم عبد الله، يعني عبد الله بن مسعود.

وبلغنا أن علياً بعث إلى عمار يقسم على ربه ليهرم عدوهم، وقد شرب الشربة التي وعده بها رسول الله ﷺ، أنها آخر عهده من الدنيا. فقال عمار: اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه، هذا اليوم الذي وعدني رسول الله ﷺ، أن ألقاه فيه.

وبلغنا أنه قال: اتقِ الله يا علي والحق بالله قبل تحكيم الحكمين.

وبلغنا أن عمار قال لأصحابه: أين الرائح إلى الجنة قبل تحكيم الحكمين، واليوم تزينت الحور العين، يا قوم ردوا الماء قبل الظمأ، فإني أرى الجنة تحت البارقة، لنضربنهم اليوم ضرباً يرتاب منه المبطلون، والذي نفس عمار بيده لو ضربونا حتى يبلغونا شعاب هجر لعلمنا أنهم على الباطل، ونحن على الحق، (ولو ضربونا حتى يبلغونا الغاف من عُمان لعلمنا أنهم على الباطل، ونحن على الحق)[٢] ثم قال: هل من رائح إلى الجنة قبل تحكيم الحكمين؟

---

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٢٧٢.
(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٢٧٢.

وبلغنا أنه عاتب علياً، وقال: شككنا في ديننا، وارتددنا عن بصائرنا لنحكم عدونا في ديننا ودمائنا، فهلا كان ذلك قبل وضع السيف، وقتل طلحة والزبير، وهما يدعوانك إلى ذلك، فأبيت، وقلت: إني على الحق دونهم، فإن كان القوم كفرة مشركين، فليس لنا أن نرفع السيف عنهم، حتى يسلموا، وإن كان القوم من أهل الكتاب، فليس لنا أن نرفع عنهم السيف، حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون، وإن كان القوم بغاة، فليس لنا أن نرفع السيف عنهم حتى يفيئوا إلى أمر الله.

ثم قال: والله ما أسلموا ولا أدّوا جزية، ولا فاؤوا إلى أمر الله، ولا وضعت الحرب أوزارها.

ثم إن عماراً خرج هو ومن معه من المسلمين إلى حرب معاوية، فقاتل هو وأصحابه حتى استشهدوا رحمة الله عليهم، واستشهد معه كما بلغنا خمسة وعشرون رجلاً من المهاجرين والأنصار فيهم بديل وخزيمة بن ثابت الأنصاري(١) ذو الشهادتين رحمهم الله وغفر لهم.

فلما أوتي معاوية برأس عمار (بن ياسر)(٢) عرف الناس أن قتال معاوية على الملك والدنيا، وأنه لا يقاتل على حق، فقال عمرو بن العاص: يا معاوية، أبعد رأس عمار نقاتل أهل الدين؟ لأفسدنّ عليك أمرك، أو تجعل لي مصر مأكلة.

---

(١) خزيمة بن ثابت الأنصاري: خزيمة بن ثابت الأنصاري بن الفاكة بن ثعلبة الأنصاري، أبو عمارة: صحابي، من أشراف الأوس في الجاهلية الإسلام، ومن شجعانهم المقدمين. كان من سكان المدينة، وحمل راية بني خطمة (من الأوس) يوم فتح مكة. عاش إلى خلافة علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، وشهد معه صفين، فقتل فيها. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٢، ص٣٠٥. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص١٧٠.

(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٢٧٣.

فبلغنا أن معاوية استشــار بعض خواصه، فأشار عليه أن يعطيه، وقال سعد يشير عليه:

اعـطـه مـصـر وزده مثلها إنـمـا مـصـر لـمـن عــزّ وبـزْ
إن مـصـر لـعـلـي أو لنا يغلـب الآن عليهـا مـن عجـزْ[1]

فقيـل: إن معاويـة جعلها له مأكلـة ليس له عليها سـلطان، ولا يملك منها شيئاً، ولا يجري له حكم فيها، ولا يقبض له درهماً، وأعطاه على ذلك العهد.

ولمـا أصيــب عمار ارتــاب المبطلـون، وأراد الله أن يمحـص الذين آمنوا، ويمحـق الكافرين، وتفرق الناس، وتراجعوا، فرجع معاوية إلى الشـام، ورجع علي إلى الكوفة.

ومـن كلام علـي: والله لقد تقمصها فـلان، وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطـب مـن الرحـى، ينحدر عني السـيل، ولا يرقى إلى الطير، فسـدلت دونها ستراً، وطويت عنها كشحاً، وطفقت إرثاً لي بين أن أصول بيد جذّاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشـيب فيها الصغير ويكدح فيها (٢٧٦) مؤمـن حتى يلقى ربه، فرأيت أن الصبر على هذا أحجى، فصبرت، وفي العين قذى، وفي الحلق شـجا، أرى تراثي نهباً، حتى مضى الأول لسـبيله، فأدلى بها إلى فلان من بعده ثم تمثل بقول الأعشى[2] شعراً:

شـتان يـا يومـي علـى كورهـا ويـــوم حـيــان أخـــو جـابـر

---

(١) انظر البيتين في: القلهاتي؛ أبو عبدالله بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج٢، ص٢٣٦.

(٢) الأعشى: ميمون بن قيس بن جندل البكري الملقب بالأعشى، ويقال له: أعشى بكر بن وائل، والأعشى الكبير. ولد باليمامة، وشـبّ ماجناً بشـرب الخمر، ويسـرف في اللهو، وقد أدى به ذلك إلى الإتلاف وطلـب المـال بإلحاح، وضرب في الأرض يسـتدرّ أكفّ الأمراء ذوي الأمر، حتى طارت وصارت له شهرة واسعة في الشعر، وعُدّ من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، أدرك الإسلام، ولم يسلم، وتوفي في قرية «منقوحة»، انظر حنا: الموجز في الأدب العربي وتاريخه، دار الجليل، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩١م، ج١، ص٢١٣ - ٢٣٢.

فيا عجباً بيّناً، يستقبلها في حياته، إذ عقدها الآخر بعد وفاته، لشد ما تشطر أضرعيها، فصيرها في حفرة خشناء، يغلظ كلمها، ويخشن مسّها، ويكثر العثار فيها، والاعتذار منها، فراكبها كراكب الصعبة، إن أشنق لها حزم، وإن أسلس لها تقحّم، فمني الناس، لعمري الله، تخبط وشماس، وتلون واعتراض، فصبرت على طول المدة وشدّة المحنة، حتى إذا مضى لسبيله، جعلها في جماعة، زعم أني أحدهم، فيالله وللشورى، متى اعترض الريب فيَّ، حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر، لكنني أسففت إذا أسفُّوا، وطرت إذا طاروا[1] فصغى رجل منهم لضغنه، ومال آخر لصهره مع وَهَنٍ وَهَنٍ، إلى أن قام ثالث القوم نافخاً حصنيه بين نثيلة ومعتلفه، وقام معه بنو أمية يخضمون مال الله تعالى خضم الإبل نبت الربيع، إلى أن انتكث عليه، فتلُهُ، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته.

فما راعني إلّا والناس إليَّ كعرق الضبع ينثالون عليّ من كل وجه، حتى لقد وطئ الحسنان، وشُقّ عطفاي، مجتمعين حولي كربيضة الغنم.

فلما نهضت بالأمر، نكثت طائفة، ومرقت أخرى، وفسق آخرون، كأنهم لم يسمعوا الله يقول: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣]، بلى والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم، وراقهم زبرجها.

أما والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء ألا تعادوا على كظمة ظالم، ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أهون من عفطة عنز.

---

(١) انظر النسخة الأصلية ب، ص ٢٧٣.

ثـم إن علياً جعل يكاتب معاوية سـراً، ومعاوية يكاتب علياً سـرّاً من دون المسلمين(٢٧٧)، فكتب علي إلى معاوية: من علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان. فكتب معاوية: لو علمت أنك أمير المؤمنين لم أقاتلك، فامح اسم الإمارة، ونتكاتب بالآباء. ففعل علي ذلك.

فلما بلغ المسلمين ذلك، قالوا لعلي: ما حملك على أن تخلع نفسك من اسـم سماك به المسلمون؟ ألست أمير المؤمنين، ومعاوية أمير الكافرين؟ فتب عما صنعت، فتاب من ذلك.

ثـم إن معاوية جعل يكاتبه سـراً في تحكيـم الحكمين، حتى رضي بذلك، فاختـار مـن جنـده أبا موسـى الأشـعري، واختـار معاويـة عمرو بـن العاص، شـانئ رسـول الله ﷺ، لأن عمراً هجا رسول الله ﷺ، بسـبعين بيتاً من الشعر. فقال ﷺ: «اللهم إني لا أحسـن الشـعر، ولا ينبغي لي، فالعنه بكل بيت لعنة». فرضـي علـي بحكومته، وترك حكم كتاب الله، وهـو لئن كانت الحكومة عدلاً وصوابـاً، لقـد هلك علي بسـفكه الدماء قبلها، وكان معاويـة أحق بالعدل منه، لأنـه الداعي إليها، ولئن كانت الحكومة خطأً وضلالاً، لقد هلك علي بدخوله فيها، فبأي الآمرين كان، فما لعلي مخرج.

وقـد روي عـن النبـي ﷺ، أنـه قال: «سـيكون فـي أمتي حكمـان ضالان مضلان، يضلان من اتبعهما».

فلمـا علـم بذلـك المسـلمون، وتحققـوا منه ذلـك، فارقـوه، وخرجوا منه محكميـن الله تعالى، وهم سـيارة الله في الأرض، يأمـرون بالمعروف، وينهون عـن المنكر، فخرجوا من عنده، ونزلوا أرضـاً من الكوفة، يقال لها حروراء[١]،

(١) حروراء: هي قرية بظاهر الكوفة، وقيل موضع على ميلين منها نزل به المحكمة الذين فارقوا علي بن أبي طالب، فنسبوا إليها. وسمّوا الحرورية. انظر: الحموي؛ ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج، ص ٢٤٥.

فاجتمع فيها منهم يومئذ عشرة آلاف من خيار الصحابة، ورؤساء المسلمين، وفقائهم، وقرائهم، وعلمائهم، فيهم عبد الله بن وهب الراسبي الأزدي[١]، وهو الذي عقدوا له الإمامة، وفيهم حرقوص بن زهير السعدي[٢]، وزيد بن حصين الطائي وحمزة بن سنان الأزدي، وشريح بن أوفى العبدي، وعبد الله بن سرح السلمي، وجماعة من المهاجرين والأنصار.

واجتمعوا في بيت عبد الله بن وهب الراسبي، فعرضوا الإمامة على حرقوص بن زهير، فأبى، فعرضوها على عبد الله بن وهب الراسبي، بعد أن تناجلوها بينهم، فقال: هاتوها، أما والله لا آخذها رغبة في الدنيا، ولا أدعها فراراً من الموت. فبايعوه، وجعل الموعد بينهم النهروان[٣].

---

(١) عبد الله بن وهب الراسبي: عبد الله بن وهب الراسبي من الأزد كان ذا علم ورأي وفصاحة وشجاعة، وكان عجيباً في العبادة. أدرك النبي ﷺ، وشهد فتوح العراق مع سعد بن أبي وقاص، ثم كان مع علي في حروبه، ولما وقع التحكيم أنكره جماعة، فيهم عبد الله بن وهب الراسبي، فاجتمعوا بالنهروان (بين بغداد وواسط) وأمروه عليهم، فقاتلوا علياً، وقتل الراسبي في هذه الموقعة سنة ٣٨هـ. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٤، ص١٤٣. وابن الأثير؛ أبو الحسن علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص ٤١٠ - ٤١١.

(٢) حرقوص بن زهير السعدي: حرقوص بن زهير السعدي، الملقب بذي الخويصرة: صحابي من بني تميم، خاصم الزبير، فأمر النبي ﷺ باستيفاء حقه منعه. وأمره عمر بن الخطاب بقتال الهرمزان، فاستولى على سوق الأهواز ونزل بها، ثم شهد صفين مع علي. وبعد الحكمين صار من أشد الخوارج على علي، فقتل فيمن قتل بالنهروان. وفي سيرته اضطراب. وإياه عنى أحد شعراء الخوارج بقوله من أبيات رواها المبرّد:

وأسأل الله بيع النفس محتسباً ... حتى ألاقي في الفردوس حرقوصا

انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٢، ص١٧٣. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص٧١٤.

(٣) النهروان: بلدة في العراق وقعت فيها مواجهة بين علي بن أبي طالب من جهة وفرقة المحكمة من جهة أخرى، حيث اعتزل المحكمة جيش علي بن أبي طالب بعد موافقته على التحكيم وعدّوه بحكم المخلوع من الخلافة، وبايعوا عبد الله بن وهب الراسبي بالإمامة، وقعت المعركة سنة ٣٧هـ، وكانت نتيجتها مقتل أعداد كبيرة من المحكمة وانتصار جيش علي، غير أن المعركة أضعفت جيش علي، ولم يعد قادراً على مواجهة جيش الشام، وانتهى الأمر بقتله على يد عبد الرحمٰن بن ملجم المرادي سنة ٤٠هـ. انظر لتوسعة المادة في: الطبري؛ محمد بن جرير: تاريخ الطبري، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة، ج٥، ص ٧٢ - ٩٣.

ولمّا علم علي نزولهم بذلك بعد اجتماع الحكمين بدومة الجندل بسبعة وأربعين يوماً، أرسل (٢٧٨) إليهم علي قوماً يطلبون منهم الرجوع إليه، وذلك أنه لمّا خرجوا من عسكره فقدهم، وقال: ما لي لا أسمع قراءة القرآن، كما كنت أسمعها من قبل؟ قيل له: قد خرج أصحابها من عسكرك.

فلما بلغ معاوية خروج أهل النهروان من عسكر علي، كتب إلى علي: إنه قد بلغني أن طائفة من أصحابك خالفوك، فخرجوا من عسكرك، وقد تعلم أن الأمر لا يتم بيننا إذا كان له منازع، فإن كان ذلك منهم من غير رأيك، وأحببت أن أكفيكهم فعلت. فأراد علي أن يولي معاوية أمر قتل أهل النهروان، فأشار عليه بعض أهل رأيه، وقالوا: إن صار معاوية يدخل في بلادك، ويقتل أصحابك، قوي عليك، ولكن عاجل القوم، وبادرهم قبل اجتماعهم من الأمصار.

ثم إن الحكمين التقيا بدومة الجندل، فخلع أبو موسى الأشعري صاحبه علي بن أبي طالب، وثبت عمرو صاحبه معاوية. فلما علم علي ذلك ندم على ما فعل، وكتب إلى أهل النهروان يطلبهم إلى حرب معاوية، والرجوع إليه فكتب:

بسم الله الرحمٰن الرحيم، من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، إلى زيد بن حصين وعبد الله بن وهب ومن معهما من المسلمين، سلام عليكم، فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو، أما بعد... فإن الحكمين نبذا كتاب الله وراء ظهورهما، وحكما بغير ما أنزل الله، فبرئ الله ورسوله منهما، وأنا منهم بريء، فهلموا نعطيكم الرضى، ونرجع إلى الأمر الأول الذي طلبتموه مني، ونقاتل عدونا وعدوكم، حتى يحكم الله بيننا، وهو خير الحاكمين، والموعد بيننا وإياكم نجران إن شاء الله.

فردوا له جواب كتابه، وبدأوا بعبدالله بن وهب الراسبي (رحمه الله): بسم الله الرحمٰن الرحيم، من إمام المسلمين عبدالله بن وهب الراسبي وزيد بن حصين ومن معهما من المسلمين، إلى علي بن أبي طالب الخالع نفسه، سلام على من اتبع الهدى، وتجنب متالف الردى، أما بعد.

فإنا نحمد الله الذي لا إله إلا هو، وبلغنا كتابك تذكر فيه أن الحكمين نبذا كتاب الله، وحكما بغير ما أنزل الله، وقد علمنا والحمد لله أمرهما، كان مخالفاً للحق من أوله، وأنت بتحكيمك إياهما أعظم جرماً منهما، وذكرت أنك ترجع إلى الحق، وتعطي الرضى، وترجع إلى الأمر الأول، فلسنا نردّ عليك توبتك، فإن كنت صادقاً، فادخل فيما دخل فيه المسلمون من طاعة الله، وطاعة رسوله، وطاعة إمام المسلمين عبدالله بن وهب الراسبي، فقد بايعناه على خلعنا إياك، لاستحقاقك منّا أن نخلعك، ولا يسعنا إلّا ذلك، والسلام.

(٢٧٩) فعند ذلك أرسل علي بن أبي طالب إليهم عبدالله بن عباس رضي الله عنه، فلما وصل إليهم، وطلب منهم الرجوع، فقالوا (له)[١]: إن صاحبك ترك اسم أمير المؤمنين، وطلب الحكومة، وخلع سربالاً ألبسه الله إياه.

فقال ابن عباس: أما علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لمّا عاهد أهل مكة ومشركي قريش ومشركي العرب عام الحديبية، حين صدّه المشركون عن المسجد الحرام وبما حرم إلى المدّة التي سماها فيما بينهم من ترك القتال والدماء؟ وأما ما ذكرتم من خلعه نفسه من اسم أمير المؤمنين، فقد فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين كتب الكتاب لقريش، وأملاها رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا ما قاضى به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (قريشاً)[٢] فقال المشركون: لو علمنا أنك رسول الله ما خالفناك،

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٢٧٤.
(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٢٧٤.

فأبوا ذلك، فكتب محمد بن عبد الله، وترك اسم الرسالة، وأما ما ذكرتموه من الحكومة، وأنها لا تجوز، فقد قال عز من قائل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ ﴾ [المائدة: ٩٥]، وقال عزّ من قائل: ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآ ﴾ [النساء: ٣٥].

قالوا: يا ابن عباس، قد سمعنا قولك، والذي أرسلت به واحتجاجك، فنذكرك الله لمّا سمعت حجتنا، وفهمت عنّا قولنا، ثم كنت عدلاً بيننا وبين من أرسلك، قال: اللهم نعم.

قالوا: أخبرنا عن من قتل الصيد وهو محرم، هل يسعه أن يحكم في الصيد من دينه استحلال قتل الصيد وهو محرم، ويستحل قتل الصيد في الحرم؟ قال: لا.

قالوا: وكيف وسع علياً أن يحكم في دين الله من يدين (باستحلال)[1] ما حرّم الله من دماء المسلمين؟ ويحرم ما أحل الله من قتال الفئة الباغية، ومن يدين بولاية من عادى الله ورسوله، وبعداوة أولياء الله؟ ويدين بخلاف ما عليه المسلمون من الحق الذي هم على خلافه وفارقوهم عليه، فوالله لئن كانت الحكومة عدلاً، لكان علي قد ترك الحق بتحكيمه في دين الله من دين بخلاف دين الله، فيما استحل من قتل المسلمين وسفك دمائهم، وما حرّم الله من قتال الفئة الباغية، مع ما يدين من ولاية من عادى الله ورسوله (٢٨٠) وعداوة أوليائه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والله سبحانه يقول: ﴿ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

---

(١) «باستحلال» انظر النسخة الأصلية ب، ص ٢٧٤.

ثم قالوا: نذكرك الله يا ابن عباس، هلم تعلم أن أبا موسى كان شاكّاً في قتال الفئة الباغية بتحريم ما أحلّ الله من قتال الفئة الباغية، ويخذل الناس عن القتال؟ قال: اللهم نعم.

قالوا: إن علياً حكم فيمن قتل الصيد وهو محرم من تعلم أنه لا يحرم قتل الصيد على من قتل الصيد في الحرم، ولا يحرم على من قتل الصيد وهو محرم، أكان بتحكيمه من هذا أمره وصفته على هذا الوجه ضلالاً إذ حكم شاكاً مرتاباً فيما حكم الله من تحكيم قتل الصيد في الحرم، إذا كان محرماً، (الضلّ)[1] بتحكيم من هذا أمره وصفته، لو كانت الحكومة جائزة، لكان بتحكيم من استحل قتل المسلمين ودمائهم، ويعاديهم، ويكفر بدينهم، وحرم بحكومته ما أحلّ الله للمؤمنين من قتال من بغى عليهم، واتبع سبيلاً غير سبيلهم، وأبى أن يقرَّ تحكيم القرآن فيما خالفوه فيه، فنذكرك الله يا ابن عباس، هل تعلم أن عمرو بن العاص استحلّ ما حرّم الله من دماء المسلمين، وحرّم ما أحلّ الله من قتال من بغى على المسلمين، وتولى من عادى الله، وعادى المسلمين، ومن دان بدينهم، وما هم عليه من الحق، ومن قتال أهل البغي؟ فقال: اللهم نعم، قد خصمتم علياً بهذا، وقولكم الحق.

قالوا: وأما ما ذكرت من قول الله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾ [النساء: ٣٥]. فأخبرنا عن رجل من المسلمين عنده يهودية أو نصرانية، فكان بينهما اختلاف ومنازعة، هل ينبغي له ولمن حضره من المسلمين أن يدعوا اليهود والنصارى أن يحكموهم فيما هم به كافرون من أحكام المؤمنين؟ قال: لا.

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٢٧٥.

قالوا: كيف حكم علي عمرو بن العاص، وهو يكفر بما حكمه فيه، ويستحل ما حرّمه الله من دماء المسلمين، ويدين بغير دينهم، ويوالي من عادوا، ويعادي من والوا؟ فنذكرك الله، هل يسع علياً هذا؟ قال: لا يجوز هذا لمن فعله، ولا يسعه.

قالوا: أما ما ذكرت من أمر الموادعة والقضية التي كانت بين رسول الله ﷺ، وبين المشركين، فإنها كانت منازل، ونقل عنها منزلة منزلة، وكل منزلة (٢٨١) نقل الله نبيه عنها، وأمره بغيرها، حرام عليه أن يقيم عليها، وحرام على المسلمين أيضاً أن يقيموا على ما نقلوا عنه، فمن ذلك القبلة التي كانت إلى بيت المقدس، نقل الله نبيه والمؤمنين عنها باستقبال البيت الحرام. ومثل الخمر كانت حلالاً، ثم حرمها الله، ونهى الله عنها نهيين تأديباً، ثم أتبعها بنهي تحريم، وكل ذلك من نعمه وطوله ومنته على نبيّه وعلى المؤمنين.

وكذلك من فداء أهل بدر، فاداهم النبي، ولم يكن في فداهم أمر ولا نهي، فقال فيما فعلوا من ذلك بغير أمره: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٨]، وقد كان سبق من الله العفو عنهم، والمغفرة لهم فيما فعلوا.

وقال بعض المفسرين: سبق من الله أن لا يعذب أحداً، إلّا بعد بيان.

وقيل: سبق من الله لهذه الأمة أن يجعل لهم الغنائم من عدوهم، إذا حاربوهم وقاتلوهم، ثم أنزل الله على نبيه تحريم معاهدة المشركين في سورة براءة، وجاءت براءة بنقض كل عهد، وتحريم أمان المشركين، وبقتلهم حيث ما وجدوا، وحصرهم والقعود لهم (في)[1] كل مرصد، وتحريم الجنوح إليهم، ولا يقبل منهم إلّا الدخول في الإسلام والإقرار به والجزية من أهل الكتاب،

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٢٧٦.

فَلِمَ يحل لنبيّه أمان أحد منهم، إلّا من استجار به حتى يسمع كلام الله، فإذا سمع كلام الله، ولم يؤمن به، أبلغه مأمنه، ثم قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ﴾ [التوبة: ٢٨]، فليس لأحد أن يقيم على ما نقل الله نبيه عنه، فما حجة صاحبك علينا، فيما نقل الله نبيه والمؤمنين عنه، وحرم ذلك عليهم في براءة؟ فإن جوّز ذلك، فليرجع إلى قبلة بيت المقدس، وإلى جميع ما وصفناه، مما نقل النبي عنه، فقد علمته أنت.

ثم قالوا: يا ابن عباس، هل تعلم أن الذي احتج به صاحبك علينا منتقضاً، غير جائز في الدين؟ قال: اللهم نعم.

قالوا: يا بن عباس، ألست تعلم أن الله قال في كتابه: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٢]، وقال: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ [المائدة: ٣٨]. قال: اللهم نعم.

قالوا: هل تعلم أن قتال الفئة الباغية حدّ من حدود الله، علّمه الله عباده، كما علمهم حدّ الزاني والزانية، والسارق والسارقة؟ قال: بلى.

قالوا: فاخبرنا عن زانٍ (٢٨٢) زنى، وسارق سرق، فقامت عليه بيّنة بسرقته، فأراد إمام المسلمين أن يقيم الحدّ عله، فامتنع عن ذلك، وأبى أن يقرّ لحكم الله، وقامت معه طائفة من الناس يمنعونه من ذلك الحدّ، أليس قد أحلّ الله قتالهم؟ قال: بلى.

قالوا: فإن المسلمين قاتلوهم، حتى كثرت القتلى بينهم، ثم إنهم بعد ذلك دعوا المسلمين أن يبعثوا حكماً من المسلمين وحكماً منهم، فما أجمع عليه رأيهم أنفذوه وأمضوه، وسلموا إليه، أيسع المسلمين قبول ذلك، ممن دعاهم

إليه؟ وإن حكموا بالظلم وتعطيل الحدود، أكان على المسلمين قبول ذلك منهما، والرضى به، والتحريم لقتال من عطل الحدود، ودان بتعطيلها؟ قال: اللهم لا يسع ذلك من فعله.

قالوا: فكيف يسعنا أن نحكم في دين الله من يدين بتعطيل الحدود، وبتحريم ما أحلّ الله من قتال الفئة الباغية؟ وإنما قتال الفئة الباغية حدّ من حدود الله، كما حكم في السارق والزاني، وكلما حكم الله، فليس للعباد التخيير فيه، قال: الله (تعالى)[1] ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ۞ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٤٩، ٥٠]. وقال (تعالى)[2]: ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗا﴾ [الأنعام: ١١٤]، وقال (تعالى)[3]: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠].

فأما ما جعل حكمه للرجال، ولم يكن منه حكم معلوم، ولا من النبي صفقة معروفة، فالحكم في ذلك إلى من جعله الله إليه، وهما العدلان من المسلمين، وإمّا ما حكم الله به، ولم يجعل لأحد فيه الخيرة، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾ [الأحزاب: ٣٦]. وقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء: ٦٥].

(١) إضافة يقتضيها السياق.
(٢) إضافة يقتضيها السياق.
(٣) إضافة يقتضيها السياق.

فكيف يحكم في ديننا من لم يحكمه الله ورسـوله، ورجلاً في نفسـه حرج مما قضى الله ورسـوله، (٢٨٣) وأبى أن يسـلم لحكم الله تسـليماً، واسـتحل قتل من حكم الله ورسـوله، ولم يجد في نفسـه حرجاً مما قضى الله ورسـوله، وسلم لأمرهما تسليماً. وإن معاوية وعمرو بن العاص أبيا أن يسلما لحكم الله ورسوله؟ قال: اللهم نعم.

ثـم قالـوا: يا ابن عبـاس، إن كان معاويـة وعمرو بن العاص سـلما لحكم القـرآن، ورجعـا عمـا كانا عليه وفاءً إلـى أمر الله، ورجعا إلى دين المسـلمين، فحـق عليه أن نقبـل منهم، ونتولاهم على ذلك، لأن الله أمر بقتال الفئة الباغية حتـى تفـيء إلى أمـر الله، فإذا فاؤوا قبل ذلك منهم، ولـم يسـع أحـداً ردّ ذلك عليهـم، فإمـا أن يحكم الرجال فيما قد فرغ الله منه، ولو حكموا بنقض ما جاء عـن الله قبلنـا، وأن ننتقل عما نحن عليه من البيان إلى الضلال والعمى والترك لحكـم الله، وللإيمـان الـذي نحن عليه، حتى نسـتحل ما حـرم الله، ونحرّم ما أحـلّ الله، ونوالـي من كنّا نعاديه بدين وفريضة، ونعادي من كنا نواليه بدين الله وحكـم كتاب الله، وما افترض علينـا من الولاية، ومن أقرّ بديننا، فمعاذ الله أن نفعـل ذلك إن شـاء الله، حتى تذهب أرواحنا، أو نظهـر على عدونا. فقال ابن عباس لهم: هذا هو الحق.

قالـوا: ألسـت تعلـم أن في ما اشـترط علي ومعاوية أن أيمـا رجل أحدث حدثـاً مـن أصحاب علي، ودخل في دين معاوية، فليس لعلي إقامة ذلك الحد عليه، لدخوله في دين معاوية وحكمه، وكذلك من أحدث من أصحاب معاوية، ودخـل في دين علي، فليس لمعاوية إقامـة ذلك الحدّ عليه؟ فكيف يدخل في ديـن قوم قد أقروا على أنفسـهم بأن من أحـدث حدثاً منهم، ففر من حكم الله عليـه، وكـره مـن إقامـة الحدّ، بـأن يقول الرجل فـي دين معاويـة، وضع ذلك الحكم والحدّ عنه؟ وكيف يدخل في دين رجل وحكمه قد خلع نفسه من إمرة

المؤمنين، ولم يرجع، ولم يستغفر مما قد (أتى مما قد)[1] ذكرناه ووصفناه من أمره قد سوى ذلك، قد استحق في دين الله، والبراءة والخلع، حتى يتوب من ذلك، ويستغفر ربه، ويرجع عن دينه؟ ألست تقول قاتل طلحة والزبير بكتاب (الله)[2]، وبما افترض الله عليه فيه من قتال الفئة الباغية، فقال: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الحجرات: ٩]، وعلى ذلك الأمر قاتل معاوية؟ قال: اللهم نعم.

قالوا: وعلى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، قاتل عمار بن ياسر ومن معه من أصحاب النبي ﷺ، والتابعين بإحسان على المعروف والنهي عن المنكر، وقتال الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله، وبأمر الله وبإذنه قاتلوا؟ قال: اللهم نعم.

قالوا: أخبرنا عن علي حين حكم الحكمين، أليس حرّم القتال الذي أحلّه الله من قتال معاوية وجنده، حتى يحكم الحكمان ويأذنان به؟ قال: اللهم نعم.

قالوا: أخبرنا عن علي حرّم دماءهم بتوبة من معاوية وجنده، أم بغير توبة؟ قال: بل حرّم دماءهم (٢٨٤) بالعهد الذي أعطاهم إياه، حتى يحكم الحكمان بغير توبة.

قالوا: أليس علي قد حرّم ما أحل الله منهم بغير انتقال منهم عن الذي أحل دماءهم، واستحل دم من استحل دماءهم، وهم على المنزلة التي أمر الله بقتالهم فيها بغير أمر حدث من الله، فحرّم دماءهم، فمن قام الآن بكتاب الله وسنة نبيّه، وبما قام به عمار ومن معه من المسلمين، فقاتل من قاتل عمار، واستحل دم عمار ودمه، فهو من الكافرين عند صاحبك؟

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٢٧٩.
(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٢٧٩.

وكيف يكون عمار من المهتدين المؤمنين، ويضل من عمل بعمله، واقتدى بهداه من بعده؟ وإن كان قتالهم ضلالاً، فقد ضلّ علي وأتباعه بولايتهم عماراً ومن معه من المسلمين، لقتالهم لمعاوية؟ وكيف يكون القتال لمعاوية ضلالاً اليوم، ومعاوية على الدين الذي استحل عمارٌ قتاله وقتال من معه، ثم لم يتوبوا، ولم يرجعوا عما هم عليه؟

وكيف يكون القتال لطلحة والزبير ضلالاً، وقد كانا أفضل من معاوية، ويكون القتال لمعاوية ومن معه ضلالاً، وهم على الدين الذي كان عليه طلحة والزبير؟ فهذا ما نعرف من خطأ علي، ورجعته عما كان عليه، ورغبته عما مضى عليه خيّار المسلمين.

وكيف يحل الله قتال قوم، ويأمر به؟ ثم يهتدي من حرّمه، وهم على ذلك الدين، ويضل من استحله؟

وكيف يحل الله قتال قوم، ويأمر به، ويأذن فيه، ثم يكفّر من استحله، حتى يأذن فيه من استحل تحريمه من الحكمين؟ وذلك أن علياً حرّم القتال الذي أحلّه الله من معاوية وجنده، حتى يأذن فيه عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري، وزعم علي أن من قام بكتاب الله وسنة نبيّه، محمد ﷺ، ويستحل ما أحل الله من قتال الفئة الباغية، فهو من الكافرين، حتى يأذن فيه من يدين بتحريم ما أحل الله بقتال الفئة الباغية؟

وكيف يسعنا أن نحرّم ما أحل الله من قتال الفئة الباغية، حتى تفيء إلى أمر الله بغير كتاب من الله حدث يحرم فيه ما أحل الله من قتالهم، وحتى يأذن فيه من يدين بتحريمه، ويستحل ما حرّم الله من دماء المسلمين، ويحرّم ما أحل الله من قتال الفئة الباغية، ويعادي أولياء الله، ويوالي أعداء الله؟ فنذكرك الله يا ابن عباس، هل يسع هذا من فعله، ويهتدي به؟ قال: اللهم لا.

وانصـرف مـن عندهـم وهو مقـرّ لهـم، ومعترف لهـم أنهم قـد خصموه، ونقضـوا عليـه ما جاء به ممـا احتج به عليهم، ورجع إلى علـي، فلما رآه، قام إليه، وناجاه، وكره أن يسـمع أصحابـه قولهم وحجتهم التي احتجوا بها، فقال لـه علي: ألا تعينني على قتالهم؟ فقال له: لا والله، لا أقاتل قوماً قد خصموني فـي الدنيـا، وإنهم يـوم القيامة لي أخصم، وعليّ أقـوى، إن لم أكن معهم، فلا أكون عليهم.

وأعتـزل عنه ابن عبـاس ﵁، ثم فارقه، فكتب إليه علـي يؤنبه بمالٍ أخـذه مـن البصـرة من بيـت المـال، فكتب إليـه: قد عرفت وجـه أخذي المـال، إنـه كان نفقـة دون حقي، مـن بعد ما أعطيـت كل ذي حق حقه، وقـد علمـت أخذي المال من قبلي (٢٨٥) قولي فـي أهل النهروان، ولو كان أخذي المال باطلاً، كان أهون من أن أُشرك في دم مؤمن، فكفّ عن القوم، فأبى علي.

فلمـا أفلجـوه، زحف إليهم بمن شـايعه من الرافضـة، وأهل الكوفة، وسواد الناس، وهم كافّون عنه، يناشدونه الله في دينهم ودماءهم، وكرهوا أن يبـدأوه بالقتال، حتى بدأهم بالقتال، فقتل منهم يومئذ أربعة آلاف من أفاضـل الصحابـة، فيهم كما بلغنا سـبعون من أهل بـدر، وأربعمائة يقال لهم السـواري، كانوا لا يفقدون من مسـجد رسول الله ﷺ، كأن جباههم وركبهـم مـن شـدة اجتهادهم كثفن الإبـل، خيار النـاس وفقهاؤهم، أهل الشـرف فـي الدين والـرأي والقدم مـن المهاجريـن والأنصـار والتابعين بإحسان.

وقتـل فيهـم حرقوص بن زهير الذي قال له النبـي ﷺ: «أول من يدخل عليكم من هذا الباب، فهو من أهل الجنة». ثلاثة أيام، وكل يوم هو أول من يدخـل عليهـم من ذلك الباب، وهو الذي دفن دانيـال الحكيم، وكان دانيال

سأل ربه أن يدفنه رجل من أهل الجنة، فلم يزل دانيال في تابوت في أيدي أهل الضلال من أهل الكتاب يستسقون به، إذا أمسك عليهم القطر، حتى فتح أبو موسى الأشعري السوس، فوجده في تابوت، فكتب إلى عمر بن الخطاب رحمه الله، فكتب إليه عمر أن يدفنه سراً، ولا يشعر به أحداً، وأنفذ إليه عمر حرقوصاً حتى دفنه، ووجد في التابوت حلّة، فكساها عمر حرقوصاً. وبلغنا أن أبا موسى الأشعري سأل عن حرقوص بعد ذلك، فقال: ما فعل حرقوص؟ فقيل له: إنه أصيب في أهل النهروان، فقال: والذي نفسي بيده، لو اجتمع على الرمح الذي طُعن به حرقوص ما بين المشرق إلى المغرب لدخلوا النار كلهم.

وقتل فيهم أبو كعب في نفر من بني خطامة، وقتل فيهم ثوملة صاحب رسول الله ﷺ، في سبعين رجلاً من أهل بدر، وبقية من المهاجرين والأنصار.

ولمّا قتل علي بن أبي طالب أهل النهروان، وهم على الأمر الذي كانوا عليه معه بالأمس، ندم على قتلهم، وجعل يأتي على قتلاهم، وهو يستغفر لهم، ويقول: بئس ما صنعنا، قتلنا خيارنا وفقهاءنا. ويوجد أنه قيل له: يا أمير المؤمنين، قتلنا المشركين، قال: من الشرك فرّوا. قيل: فمنافقين. قال: (إن)[1] المنافقين لا يذكرون الله إلّا قليلاً، وهؤلاء يذكرون الله كثيراً (٢٨٦).

ثم اختلف عليه أصحابه، فمنهم من ارتاب، ومنهم من عرف فعله، فجعلوا يظهرون التوبة من فعلهم، ومنهم من أنكر الحكومة فخذله، ومنهم من رضي بما حكم على عليّ، فخذله أيضاً، فبقي علي مخذولاً، وكان

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٢٨١.

الواجب عليه إن كانت الحكومة حقاً أن يقبل ما حكم به عليه، ويوفي بما هو عاهد عليه، وإن كانت الحكومة ضلالاً، فكان ينبغي له أن لا يحكم، فلا هو رضي ممن حكمه، ولا هو اتبع من نصحه، فانسلخ من الأمر، وبقي مخذولاً، حتى قتل.

وكانت خلافته ست سنين، وقيل أربع سنين وستة أشهر.

ولما انسلخ من الأمر، قيض الله له عبد الرحمٰن بن ملجم، ضربه ضربةً على باب داره، وفيه يقول عمران بن حطّان[1]:

يا ضربة من تقيّ ما أراد بها ... إلّا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكرهُ يوماً فأحسبه ... أوفى البرية عند الله ميزانا[2]

ثم تولى الأمر بعده الحسن بن علي بن أبي طالب، فجهز قيس بن سعد بن عبادة[3] لحرب معاوية، فلما علم معاوية ذلك، كتب إلى الحسن،

(١) عمران بن حطان: عمران بن حطان بن ظبيان السدوسي الشيباني الوائلي، أبو سماك، رأس القعدة من الصفرية، وخطيبهم، وشاعرهم. كان قبل ذلك من رجال العلم والحديث، من أهل البصرة، أدرك جماعة من الصحابة، فروى عنهم، وروى أصحاب الحديث عنه. ثم لحق بالشراة، فطلبه الحجاج، فهرب إلى الشام، فطلبه عبد الملك بن مروان، فرحل إلى عُمان، فكتب الحجاج إلى أهلها بالقبض عليه، فلجأ إلى قوم من الأزد، فمات عندهم إباضياً. وإنما عُدّ من الصفرية لأنه طال عمره وضعف عن الحرب، فاقتصر على التحريض والدعوة بشعره وبيانه. وكان شاعراً مفلقاً مكثراً، وهو القائل من قصيدة:

حتى متى لا نرى عدلاً نعيش به ... ولا نرى لدعاة الحق أعوانا

انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٥، ص ٧٠. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء،، ج٤، ص ٢١٤.

(٢) انظر البيتين في: القلهاتي؛ أبو عبد الله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج٢، ص ٢٥٣.

(٣) قيس بن سعد بن عبادة: قيس بن سعد بن عبادة بن وليم الأنصاري الخزرجي، صحابي، من دهاة العرب، وذوي الرأي والمكيدة في الحرب، والنجدة، من الأجواد المشهورين. كان شريف قومه غير مدافع، ومن بيت سيادتهم، وكان يحمل راية الأنصار مع النبي ﷺ، ويلي أموره، وصحب علياً في خلافته، فاستعمله على مصر سنة ٣٦ - ٣٧هـ، ثم عيّن مكانه محمد بن أبي بكر، وعاد قيس إلى علي، فكان على مقدمته يوم صفين، ثم كان مع الحسن بن علي، حتى صالح معاوية، فرجع إلى =

وخدعه كما خدع أباه من قبله، وأرسل إليه بأوقار من الذهب والفضة، وكتب له: والله إنك عندي أعزّ من ابني، فاجعل الخلافة لي، وادخل في طاعتي، فإني أحق بها لسنّي، وإني جاعلها لك من بعدي، فيجمع الله أمرنا، وتضع الحرب أوزارها.

فركن الحسن إلى قوله، وطمع في الملك من بعده، وترك ما كان يطلب بالأمس من كتاب الله وسنة نبيّه محمد ﷺ، وقتال الفئة الباغية.

فلما نال معاوية مطلبه، ونال حاجته، أقبل إلى أهل الكوفة ليدخلوا في طاعته، فلما مرّ، استقبله أهل النخيلة، فدعوه إلى كتاب الله وسنة نبيّه محمد ﷺ، وعلى ما كانت عليه الخلفاء، فأبى ذلك عليهم، وقاتلوه قتالاً شديداً، حتى فشى القتل في أصحاب معاوية، فنادى معاوية غدراً، يا أهل الكوفة، فخرج الحسن وأهل الكوفة لنصرة معاوية، فاجتمعوا على أهل النخيلة، فقتلوهم رضي الله عنهم، ثم قال الحسن لأصحابه: إنكم بايعتمونا على أن تسالموا من سالمناه، وتقاتلوا من قاتلناه، ألا وإني قد سالمت معاوية، فسالموه، وادخلوا في طاعته. فاجتمعوا على معاوية، فدخلوا في طاعته، وباع الحسن الآخرة بالدنيا، وقد قال الله (تعالى)[1]: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [هود: ١١٣] الآية.

وبلغنا أن ابن عباس غضب غضباً شديداً مما صنع الحسن، قال: إنكم لأحق أهل بيت من (٢٨٧) العرب أن تنزلوا بمنزلة من تيهه الله من بني إسرائيل أربعين سنة، لأنكم خرجتم بزعمكم، تطلبون كتاب الله وسنة نبيّه، وتقاتلون

= المدينة، وقيل: قتله معاوية بالسم سنة ٦٠هـ. انظر: الزركلي؛ خير الدين: الأعلام، ج٥، ص٢٠٦. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص ٤٠٤ ـ ٤٠٥.

(١) إضافة يقتضيها السياق.

بزعمكـم الفئـة الباغية، ثم صددتم الناس، عن قتالهم، وجبنتم أن تصبروا على أمر الله كما جبنت بنو إسرائيل عن دخول القرية.

واستقام الأمر لمعاوية، وقهر الناس بالسيف، فليس أحد ينازعه إلّا ضرب عنقه بالسـيف، وأرضاه بالدنيا، وأقام في الملك تسـع عشـرة سنة وستة أشهر، والله أعلم.



الباب السابع والعشرون

في ذكر جواب عبد الله بن إباض لعبد الملك بن مروان في أمر عثمان، ومعاوية، وعلي بن أبي طالب، وابنه الحسن



بسـم الله الرحمٰـن الرحيـم، مـن عبدالله بن إبـاض، إلى عبـد الملك بن مـروان، سـلام عليـك، فإني أحمـد إليك الله الـذي لا إلٰه إلّا هـو، وأوصيك بتقـوى الله، فـإن العاقبـة للتقـوى، والمردّ إلـى الله، فاعلم إنمـا يتقبل الله من المتقين، أما بعد،،،

جاءني كتابك مع سنان بن عاصم، وإنك كتبت إليّ أن أكتب إليك بكتاب (فكتـب بـه إليك)[1]، فمنه ما يعرف، ومنه ما يكره، وزعمت إنما عرفت منه ما ذكرت به من كتاب الله، وحضضت عليه من طاعته، واتباع أمره، وسُنَّة نبيّه، وأما الـذي أنكـرت منه، فهو عنـد الله غير منكر، وأما ما ذكـرت من عثمان، والذي عرضت به من شـأن الأئمة، وأن الله ليس على أحد شـهادته في كتابه بما أنزل على رسـوله أنـه قـال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]. وإني لم أكن أذكر شيئاً من شأن عثمان والأئمة، إلّا والله يعلمه أنه الحق، وما أنزع لك من ذلك البيّنة من كتاب الله الذي أنزله على رسـوله، وما كتبت إليك في الذي كتبت به، وأخبرك من خبر عثمان، والذي طعنّا عليه فيه، وأبيّن شأنه، (والذي أتى)[2] عثمان.

لقـد كان كما ذكرت من قدم في الإسـلام، وعمل بـه، ولكن الله لم (يجر العباد من الفتنة والردّة عن الإسلام)[3] وإن الله بعث محمداً ﷺ، بالحق، وأنزل

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٢٦٣.
(٢) استدراك من النسخة د، ص٢٦٣ - ٢٦٤.
(٣) استدراك من النسخة د، ص٢٦٤.

الكتاب فيه بيان من بيّنات كل شيء، يحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه هدى ورحمة لقوم يوقنون، فأحلّ الله في كتابه حلالاً، وحرّم حراماً، وفرض فيه من فرائض، وحكم فيه حكماً، وفصّل فيه قضاءه، وبيّن حدوده، فقال: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧]. وقال: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩]. وقسم ربنا قسماً، وليس لعباده فيه الخيرة.

ثم أمر نبيّه باتباع كتابه، فقال للنبي ﷺ: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [الأحزاب: ٢]. وقال: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۞ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨، ١٩]. فجعل محمد ﷺ يأمر به، ومعه عثمان (٢٨٨) ومن شاء الله من أصحابه لا يرون رسول الله يتعدى من قبله شيئاً، (ولا يبدل فريضة، ولا يستحل شيئاً حرّم الله، ولا يحرم شيئاً أحلّه الله، ولا يحكم بين الناس)[1] إلّا بما أنزل الله. فكان يقول: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: ١٥]. فعمّر ﷺ ما شاء الله، تابعاً لما أمر الله، يتبع ما جاء من الله، والمؤمنون معه يعلمهم، وينظرون إلى عمله، حتى توفاه الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهم عنه راضون. فنسأل الله سبيله، وعملاً بسُنَّته.

ثم أورث عباده الكتاب الذي جاء به محمد، وهداه، ولا يهدي من اهتدى من الناس بتركه.

ثم قام من بعده أبو بكر على الناس، فأخذ بكتاب الله وسُنَّة نبيّه، ولم يفارقه أحد من المسلمين في حكم حكمه، ولا قسم قسمه، حتى فارق الدنيا، وأهل الإسلام عنه راضون، وله مجامعون.

ثم قام بعده عمر بن الخطاب قوياً في الأمر، شديداً على النفاق، ويهتدي بمن كان قبله من المؤمنين، ويحكم بكتاب الله، وابتلاه الله بفتوح

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٢٨٣.

من الدنيا، ما لم يقبل به صاحباه، وفارق الدنيا والدين ظاهر، وكلمة الإسلام جامعة، وشهادتهم قائمة، والمؤمنون شهداء الله في الأرض، وكذلك قال الله: ﴿ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

ثم أشار المؤمنون، فولوا عثمان، فعمل ما شاء الله بما يعرف أهل الإسلام، حتى بسطت له الدنيا، وفتح له من خزائن الأرض ما شاء الله.

ثم أحدث أموراً لم يعمل بها صاحباه قبله، وعهد الناس يومئذ بينهم حديث، فلما رأى المؤمنون ما أحدث، أتوه، فكلموه، وذكروه بكتاب الله وسُنَّة نبيّه، ومن كان قبله من المؤمنين، وقال (الله تعالى)[1]: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [السجدة: ٢٢]. فلم يعبأ أن ذكّروه بآيات الله، وأخذهم بالجبروت، وضرب منهم من ضرب، ونفى من الأرض من شاء منهم بغياً، إن ذكروه بآيات الله (تعالى)[2] وسنن نبيِّه، ومن كان قبله من المؤمنين قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ [الكهف: ٥٧].

وإني أبيّن لك يا عبدالملك بن مروان الذي أنكر المؤمنون على عثمان، وفارقناه عنه، فيما استحل من المعاصي، عسى أن تكون جاهلاً عنه غافلاً، وأنت على دينه وهواه، لا يحملنَّك يا عبدالملك هوى عثمان أن تجحد بآيات الله، وتكذب بها، فإن عثمان لا يغني عنك من الله شيئاً.

فالله يا عبدالملك بن مروان قبل التناوش من مكان (بعيد)[3]، وقبل

---

(١) استدراك من النسخة د، ص٢٦٥.
(٢) إضافة يقتضيها السياق.
(٣) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٢٨٤.

أن يكون لزاماً، وأجل مسمى. وإنه كان مما طعن المؤمنون عليه، وفارقوه، وفارقناه، فإن الله قال: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة: ١١٤]. وكان عثمان أول من منع مساجد الله أن يقضى فيها بكتاب الله.

ومما نقمناه عليه، وفارقناه عليه أن الله قال لمحمد ﷺ: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم (٢٨٩) مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٢].

أول هذه الأمة طردهم ونفاهم، وكان ممن نفاهم من أهل المدينة: أبو ذر الغفاري، ومسلم الجهني، ونافع بن الخطامي.

ونفى من أهل الكوفة كعب بن أبي الحملة إلى الرجل الوجان، وجندب بن زهير، وجندب هو الذي قتل الساحر الذي كان يلعب به الوليد بن عقبة، ونفى عمر بن زرارة، وزيد بن صوحان، وأسود بن ذريح، وزيد بن قيس الهمداني، وكردوس بن الحضرمي في ناس كثيرة من أهل الكوفة.

ونفى من أهل البصرة عامر بن عبدالله القسري، ومذعور العبدي، ولا أستطيع لك عدّهم من المؤمنين.

ومما نقمناه عليه أنه أمّر أخاه الوليد بن عقبة على المؤمنين، وكان يلعب بالسحرة، ويصلي بالناس سكران، فاسق في دين الله، (أقرّه من أجل)[1] قرابته على المؤمنين والمهاجرين والأنصار، وإنما عهدهم حديث بعهد رسول الله ﷺ، والمؤمنين.

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٢٨٥.

ومما نقمناه عليه إمارته قرابته على عباد الله، وجعل المال دُولةً بين الأغنياء، وقد قال الله (تعالى)[1]: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ [الحشر: ٧]. وبدّل كلام الله، وبدّل القول، واتبع هواه.

ومما نقمناه عليه أنه انطلق إلى الأرض ليحميها لنفسه ولأهله، حتى منع قطر السماء والرزق، والذي أنزله الله على العباد، لأنفسهم ولأنعامهم، وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ۞ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [يونس: ٥٩، ٦٠].

ومما نقمناه عليه أنه أول من تعدى في الصدقات، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

والذي أحدث عثمان ومنعه من فرائض كان فرضها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رحمة الله عليه، وانتقص أصحاب بدر ألفاً ألفاً من عطائهم، وكنز الذهب والفضة، ولم ينفقها في سبيل الله. وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٣، ٣٤].

(١) إضافة يقتضيها السياق.

ومما نقمناه عليه أنه كان يضم (كل)[1] ضالة إلى إبله، ولا يردها، ولا يعرِّفها، وكان يأخذ من الإبل والغنم ممن وجد عنده من الناس، وإن كانوا سلموا عليه. وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٨٥]. وقال تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ٢٩، ٣٠].

ومما نقمناه عليه أنه أخذ خمس الله لنفسه، ويعطيها أقاربه، ويجعل منهم عمالاً على أصحابه، وكان ذلك تبديلاً لفرائض الله ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: ٤١].

ومما نقمناه عليه أنه منع أهل البحرين وأهل عُمان أن يبيعوا شيئاً من طعامهم، حتى يباع طعام الإمارة، وكان ذلك تحريماً لما أحلّ الله، وأحلّ الله البيع، وحرّم الربا.

فلو أردنا أن نخبر بكثير من مظالم عثمان، إنه لن يحصها، إلّا ما شاء الله، وكلما عددت لك بعمل عثمان يكفر الرجل أن يعمل ببعض هذا.

وكان من عمل عثمان أنه يحكم بغير ما أنزل الله، وخالف سُنَّة نبي الله ﷺ والخليفتين الصالحين أبي بكر وعمر، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٢٨٦.

وقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]. ﴿وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٢].

وقال (تعالى)[١]: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

وقال (تعالى)[٢]: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

وقال (تعالى)[٣]: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

وقال (تعالى)[٤]: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ٣٣].

فكل هذه الآيات، والله يشهد على عثمان، وإنما شهدنا بما شهدت به هذه الآيات: ﴿لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦].

وقال (تعالى)[٥]: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣].

فلما رأى المؤمنون الذي نزل به عثمان، والمؤمنون شهداء الله، ناظرون

---

(١) إضافة يقتضيها السياق.
(٢) إضافة يقتضيها السياق.
(٣) إضافة يقتضيها السياق.
(٤) إضافة يقتضيها السياق.
(٥) إضافة يقتضيها السياق.

أعمال الناس، وكذلك قال الله ﷻ: ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

وترك خصومة الخصمين في الحق والباطل، وروج ما وعد الله من الفتن. وقال الله (تعالى)[1]: ﴿الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٣]. فعلم المؤمنون أن طاعة عثمان على ذلك من طاعة إبليس، فساروا إلى عثمان من أطراف الأرض، واجتمعوا في ملأ من المهاجرين والأنصار وعامة أزواج (٢٩١) النبي، فأتوه وذكروه الله، وأخبروه الذي أتى من معاصي الله فزعم أنه يعرف الذي أتى، وأنه يتوب إلى الله منه، ويراجع الحق، فقبلوا منه الذي اتقاهم به من اعتراف الذنب والتوبة والرجوع إلى أمر الله، فجامعوه، وقبلوا منه، وكان حقاً على أهل الإسلام، إذا اتقوا بالحق أن يقبلوه، ويجامعوه، ما استقام على الحق.

فلما تفرّق الناس على ما اتقاهم به من الحق، نكث عن الذي عاهدهم عليه، وعاد فيما تاب منه، فكتب في إدبارهم أن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، فلما ظهر المؤمنون على كتابه، ونكثه العهد الذي عاهدهم عليه، رجعوا، فقتلوه بحكم (الله)[2]. وقال الله (تعالى)[3]: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢]. فجامع أهل الإسلام ما شاء الله، وعمل بالحق، وقد يعمل الإنسان بالإسلام زماناً ثم يرتدّ عنه. وقال الله (تعالى)[4]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٥].

(١) إضافة يقتضيها السياق.
(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٢٨٧.
(٣) إضافة يقتضيها السياق.
(٤) إضافة يقتضيها السياق.

فلما استحل معصية الله، وترك سُنَّة من كان قبله من المؤمنين، علم المؤمنون أن الجهاد في سبيل الله أولى، وأن الطاعة في مجاهدة عثمان على أحكامه، فهذا من خبر عثمان، والذي فارقناه فيه، وطعن عليه المؤمنون قبلنا.

وذكرت أنه كان مع رسول الله ﷺ، وختنه، فقد كان علي بن أبي طالب أقرب إلى رسول الله وأحب إليه منه، وكان ختنه، ومن أهل الإسلام، وأنت تشهد عليه بذلك، وأنا بعد كفراه.

واعلم أن علامة كفر هذه الأمة كفرها الحكم بغير ما أنزل الله، ذلك بأن الله (تعالى)[1] قال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]. وقال (تعالى)[2]: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات: ٥٠].

فلا يغرنك يا عبد الملك بن مروان عثمان يفتنك، ولا تشد دينك إلى الرجال، فيمنون ويرتدون، ويستدرجون من حيث لا يعلمون، فإن ملاك الأعمال بخواتمها وكتاب الله جديد ينطق بالحق، أجارنا الله باتباعه، أن نضل أو نبغي، فاعتصم بالله، إنه من يعتصم بالله يهده صراطاً مستقيماً، وهو حبل الله الذي أمر المؤمنين أن يعتصموا به، ولا يتفرقوا، وليس حبل الله الرجال من أنهم حسن ينتهون ويطيعون، فأذكرك الله لما أن تدبرت القرآن، فإنه حق، قال الله (تعالى)[3]: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]. فكن تابعاً لما جاء (٢٩٢) من الله به، تهتدي وبه تخاصم من خاصمك من الناس، وإليه تدعو، وبه تحتج، فإنه من يكن القرآن حجته يوم القيامة به يخاصم من خاصمه، وهم يوم القيامة عند ربهم يختصمون، فتعمل لما بعد الموت، ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣].

(١) إضافة يقتضيها السياق.
(٢) إضافة يقتضيها السياق.
(٣) إضافة يقتضيها السياق.

وأما قولك في شأن معاوية بن أبي سفيان: إن الله قام معه وعجل نصره، وأفلح حجته، وأظهره على عدّوه، بطلب دم عثمان. فإن يكن بغير الدين من قبل الدولة أن يظهر الناس بعضهم على بعض في الدنيا، فإنه لا يعتبر الدين بالدولة، فقد ظهر المسلمون على الكفار منع، ولننظر كيف تعملون، وقد ظهر الكفار على المسلمين، ليبلوا المسلمين بذلك، والحجة على الكافرين، وقال (تعالى)[1]: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾... ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠، ١٤١]. فإن كان الدّين إذا ظهر الناس بعضهم على بعض، فقد سمعت الذي أصاب المشركون من المؤمنين يوم أُحد، وقد ظهر الذين قتلوا ابن عفان عليه، وعلى شيعته (يوم)[2] الدار، وظهر أيضاً على أهل البصرة، وهم شيعة عثمان، وظهر المختار[3] على ابن زياد[4] وأصحابه

(١) إضافة يقتضيها السياق.

(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٢٨٩.

(٣) المختار: المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي (١ - ٦٧هـ/ ٦٢٢ - ٦٨٧م)، أبو إسحاق، من الزعماء الثائرين على بني أمية، وأحد الشجعان الأفذاذ، من أهل الطائف. انتقل منها إلى المدينة مع أبيه، في زمن عمر بن الخطاب ﷺ، وتوجه أبوه إلى العراق، فاستشهد يوم الجسر، وبقي المختار في المدينة منقطعاً إلى بني هاشم. وكان مع علي في العراق، وسكن البصرة بعد علي، ولما قتل الحسين سنة ٦١هـ، انحرف المختار عن عبيد الله بن زياد، فقبض عليه ابن زياد وجلده وحبسه، ونفاه بشفاعة ابن عمر إلى الطائف. ولما مات يزيد بن معاوية سنة ٦٤هـ، وقام عبد الله بن الزبير في المدينة بطلب الخلافة، ذهب المختار إليه وعاهده، وشهد معه بداية حرب الحصين بن نمير، ثم استأذنه في التوجه إلى الكوفة، ومنذ ذلك الوقت أصبح همّه أن يقتل قتلة الحسين، فدعا إلى إمامة «محمد ابن الحنفية» فبايعه زهاء سبعة عشر ألف رجل وقتل قتلة الحسين وهم: شمر بن ذي الجوشن، وخولي بن يزيد، وعمر بن سعد بن أبي وقاص، وعبيد الله بن زياد. فحاربه مصعب بن الزبير، وحصره في قصره في الكوفة، وقتله، ومن كان معه سنة ٦٧هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٧، ص ١٩٢. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ٥٣٨.

(٤) ابن زياد: عبيد الله بن زياد بن أبيه (٢٨ - ٦٧هـ/ ٦٤٨ - ٦٨٦م) والٍ من ولاة بني أمية، جبار، قصد الشام، فولاه معاوية خراسان سنة ٥٣هـ وبقي فيها سنتين، ثم نقله معاوية إلى البصرة أميراً عليها سنة ٥٥هـ، فقاتل المحكمة واشتدّ عليهم، وأقرّه على إمارته سنة ٦٠هـ، وأمره بمقاتلة الحسين بن علي، فقتله في كربلاء سنة ٦١هـ. قتله إبراهيم بن الأشتر ثأراً للحسين في خازر من أرض الموصل سنة ٦٧هـ. وكان خصوم ابن زياد يدعونه: «ابن مرجانة» وهي أمه. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص ١٩٣. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص ٥٤٥.

وشيعتهم، وظهر مصعب[١] الخبيث على المختار، وظهر السخف على أحبش بن دلجة، وأصحابه. وظهر أهل الشام على أهل المدينة، وظهر ابن الزبير على أهل الشام بمكة يوم استفتحوا منها، فأحرم الله عليكم، وهم شيعتكم، فإن كان هؤلاء على الدين من قبل الدولة، فقد ظهر الناس بعضهم على بعض، ولا جرم أن الله يعطي رجالاً ملكاً في الدنيا، فقد أعطى فرعون ملكاً، وظهر في الأرض، وقد أعطى الذي حاجّ إبراهيم في ربه، وقد أعطى فرعون ما سمعت.

ثم إنما اشترى معاوية الإمارة من الحسن بن علي بن أبي طالب، ثم لم يفِ له بالذي عاهده عليه، وقال الله (تعالى)[٢]: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ۞ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [النحل: ٩١، ٩٢].

فلا تسأل عن معاوية، ولا عن عمله، ولا صنيعه، غير أنا (قد)[٣] أدركناه، ورأينا عمله، وسيرته في الناس، ولا نعلم من الناس شيئاً لأحد أترك من الغنيمة التي قسم الله، ولا يحكم بحكم حكمة الله، ولا أسفك لدم حرام منه، (٢٩٣) فلو لم يصب من الدماء إلّا دم ابن سمية، لكان في ذلك ما يكفره.

---

(١) مصعب: مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي (٢٦ - ٧١هـ/ ٦٤٧ - ٦٩٠م) أبو عبد الله: وضع نفسه بين يدي أخيه عبد الله بن الزبير، فكان عضده الأقوى في تثبيت ملكه بالحجاز والعراق، وولاه عبد الله البصرة سنة ٦٧هـ، فضبط أمورها، وقتل المختار الثقفي، جهز له عبد الملك بن مروان جيشاً كبيراً، خاض معه معركة ضارية عند دير الجاثليق (على شاطئ دجيل من أرض مسكن) وطعنه زائدة بن قيس السعدي، فقتله، وحمل رأسه إلى عبد الملك، وبمقتله نقلت بيعة أهل العراق إلى ملوك الشام سنة ٧١هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٧، ص ٢٤٧ - ٢٤٨. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص ١٤٠.

(٢) إضافة يقتضيها السياق.

(٣) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٢٨٩.

ثم استخلف ابنه يزيد، فاسقاً من الناس، لعيناً يشرب الخمر المكفر، فيكفيه من السوء، وكان يتبع هواه بغير هدى من الله، وقال الله (تعالى)[1]: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠]. فلم يخفَ عمل معاوية ويزيد على كل ذي عقل من الناس، فاتقّ الله يا عبد الملك، ولا تخادع من نفسك في معاوية.

وقد بلغنا أن أهل البيت يطعنون على معاوية ويزيد وعملهما، ومن رأى من خبر معاوية ويزيد من بعدهما، فالذي طعنا عليهم وعليه، وفارقناه عليه، فإن منهم فتية كمن يكون يتولى عثمان، ومن بعده، فإنا نشهد الله والملائكة أنّا براء منهم، وأعداء لهم بأيدينا وألسنتنا وقلوبنا، نعيش على ذلك ما عشنا، ونموت عليه إذا متنا، ونبعث عليه إذا بعثنا، نحاسب بذلك عند الله.

وكتبت إليّ تحذرني الغلو في الدين، وإني أعوذ بالله من الغلو في الدين، وسأبيّن لك (ما)[2] الغلوّ في الدين إذا حملته، فإنه ما كان يقال على الله غير الحق، ويعمل بغير كتابه الذي بيّن لنا، وسُنَّة نبيّه الذي بيّن لنا اتباعك قوماً قد ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل.

فذلك عثمان والأئمة من بعدهم، وأنت على طاعتهم تجامعهم على معصية الله، والله (تعالى)[3] يقول: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١]. فهذا سبيل أهل الغلو في الدين، فليس من دعا إلى الله وإلى كتابه، ورضي بحكمه، وغضب الله حين عصى أمره، وأخذ بحكمه حتى ضيّع، وتركت سُنَّة نبيّه.

---

(١) إضافة يقتضيها السياق.

(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٢٩٠.

(٣) إضافة يقتضيها السياق.

وكتبت إليّ تعرض على الخوارج، تزعم أنهم يغلون في دينهم، ويفارقون أهل الإسلام، وتزعم أنهم يتبعون غير سبيل المؤمنين، وإنيّ أبيّن لك سبيلهم.

إنهم أصحاب عثمان، والذي أنكروا عليه ما أحدث من تغيير السُّنَّة، فارقوه حين أحدثه، وترك حكم الله، فأنكروه عليه، وفارقوه حين عصى ربه. وهم أصحاب علي بن أبي طالب حين حكم عمرو بن العاص، وترك حكم الله، فأنكروه عليه، وفارقوه فيه، وأبوا أن يقروا لحكم دون حكم كتاب الله. فهم لمن بعدهم (أشدّ عداوة)[١] وأشد مفارقة، كانوا يتولون في دينهم، وفي سُنَّة نبيهم رسول الله ﷺ، وأبي بكر، وعمر بن الخطاب، ويدعون إلى سبيلهم، ويرضون بسُنَّتهم، على ذلك كانوا يخرجون، وإليه يدعون، وعليه يفارقون، وقد علم من عرفهم من الناس، ورأى عملهم، أنهم كانوا أحسن الناس عملاً، وأشدّهم قتالاً في سبيل الله (٢٩٤). وقال الله (تعالى)[٢]: ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١٢٣].

فهذا خبر الخوارج، يشهد الله والملائكة أنا لمن عاداهم أعداء، ولمن والاهم أولياء، بأيدينا وألسنتنا وقلوبنا، على ذلك نعيش ما عشنا، ونموت على ذلك، إذا متنا، غير أنا نبرأ إلى الله من ابن الأزرق[٣] وأتباعه من الناس، لقد

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٢٩٠.

(٢) إضافة يقتضيها السياق.

(٣) ابن الأزرق: نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي البكري الوائلي الحروري، أبو راشد، رأس الأزارقة، وإليه نسبهم، كان أمير قومه وفقيههم، من أهل البصرة، صحب في أول أمره عبد الله بن عباس. وكان هو وأصحاب له من أنصار الثورة على عثمان، ووالوا علياً إلى أن كانت قصة التحكيم بين علي ومعاوية، فاجتمعوا في حروراء، وهي قرية من ضواحي الكوفة، ونادوا بالخروج على علي، وعرفوا لذلك، هم ومن تبع رأيهم بالخوارج. كان نافع جباراً فتاكاً، قاتله المهلب بن أبي صفرة، ولقي الأهوال في حربه، وقُتل يوم دولاب على مقربة من الأهواز. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٧، ص ٣٥١ - ٣٥٢.

كانـوا خرجوا حين خرجوا على الإسـلام، فيما يظهر لنـا، ولكنهم ارتدوا عنه، وكفروا بعد إيمانهم، فنبرأُ إلى الله منهم، وبعد،،،

فإنـك كتبت لي أن أكتـب بجواب كتابك، وأجتهد إليـك بالنصيحة، وإني أبين لك إن كنت تعلم، وأفصّل ما كتبت إليك به، وذكرتني أن أبيّن لك، فإنني قد بينت لك بجهد نفسـي لأخبرك خبر الأئمة، وكان حقاً عليَّ أن أنصح لك، وأبيّن لك ما قد علمت به، إن الله (تعالى)[1] يقول:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠].

فـإن الله لم يتخذنـي غدا أن أكفر بربي، ولا أخادع الناس بشـيء ليس في نفسـي، وأخالـف إلى مـا نهى الله عنه، وأمـري علانية غيري سـراً، وأدعو إلى كتاب الله ليحلّوا حلاله، ويحرّموا حرامه، ويرضوا بحكمه، ويقوموا إلى ربهم، ويراجعوا كتاب الله، ولئن أدعوكم إلى كتاب الله ليحكم بيني وبينكم في الذي اختلفوا فيه، ويحرّموا ما حرّم الله، ويقسـم ما قسـم الله، ويحكم بما حكم الله، ويبرأُ ممن برئ الله ورسوله منه، ويتولى (من تولاه)[2] الله، ونطيع من أجلّ لنا طاعة في كتابه، ونعصي من أمر بمعصيته أن نطيعه.

فهـذا الـذي أدركنـا عليه نبينـا ﷺ، وإن هذه الأمـة لم تحـرّم حراماً، ولن تسـفك دمـاً إلّا حين تركـوا كتـاب ربهم الذي أمرهم أن يعتصمـوا به، ويؤمنوا عليـه، وإنهـم لا يزالون مفترقيـن مختلفين، حتى راجعوا كتاب الله وسُـنَّة نبيّه، وينتصحـوا كتـاب الله علـى أنفسـهم، ويحكمـوه إلى مـا اختلفوا فيـه، فإن الله

(١) إضافة يقتضيها السياق.
(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٢٩١.

(تعالى)[١] يقول: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [الشورى: ١٠].

وإن هذا هو السبيل الواضح، لا يشبهه شيء من السُبل، وهو الذي هدى الله من كان قبلنا محمد ﷺ، والخليفتين الصالحين من بعده، فلا يضل من اتبعه، ولا يهتدي من تركه، وقال (تعالى)[٢]: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

فاحذر أن تفرق بك السبل عن سبيله، ويزين لك الضلالة باتباعك (٢٩٥) هواك، فيما اجتمعت إليك الرجال، فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً، إنما هي الأهواء، إنما يتبع الناس في الدنيا والآخرة إمامين: إمام هدى، وإمام ضلالة.

فأما إمام الهدى: فهو يحكم بما أنزل الله، ويقسم بقسمه، ويتبع كتاب الله، ويقيم الدين، قال (تعالى)[٣]: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤]. وهؤلاء أولياء المؤمنين الذين أمر الله بطاعتهم، ونهى عن معصيتهم.

وأما إمام الضلالة: فهو الذي يحكم بغير ما أنزل الله، ويقسم بغير ما قسم الله، ويتبع هواه بغير سُنَّة من الله، فذلك كفر كما سمّاه الله، ونهى عن طاعتهم، وأمر بجهادهم، وقال (تعالى)[٤]: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٢]. فإنه حق، أنزله بالحق وينطق به، وليس بعد الحق إلّا الضلال، فأنى تصرفون، ولا يضربن الذكر عنك صفحاً، ولا شك في كتاب الله، ولا حول ولا قوة إلّا بالله، فإنه من لم ينفعه كتاب الله لم ينفعه غيره.

---

(١) إضافة يقتضيها السياق.

(٢) إضافة يقتضيها السياق.

(٣) إضافة يقتضيها السياق.

(٤) إضافة يقتضيها السياق.

وقد كتبت لي أن أكتب إليك بمرجوع كتابك، فإني قد كتبت إليك، وأذكرك بالله العظيم، إن استطعت بالله، لما قرأت كتابي، ثم تدبّر فيه وأنت فأسرع، ثم تذكره، فقد كتبت إليك بجواب كتابك، وبيَّنت لك ما علمت، ونصحت لك، فإني أذكرك بالله العظيم، لما قرأت كتابي وتدبرته، واكتب إليّ إن استطعت بجواب كتابي، إذا كتبت إليك، وإنما تسارع فيه أنا وأنت، أنزع إليه بيّنة من كتاب الله، أصدق فيه قولك، فلا تعرض لي الدنيا، فإنه لا رغبة لي في الدنيا، وليست من حاجتي، ولكن لتكن نصيحتك لي في الدنيا، ولما بعد الموت، فإن ذلك فضل النصيحة، فإن الله قادر أن يجمع بيننا وبينك على الطاعة، فإنه لا خير لمن لم يكن على طاعة وبالله، وفيه الرضى، والسلام عليك، والحمد لله، وصلى الله على نبيّه محمد وآله وسلم تسليما.

بسم الله الرحمٰن الرحيم، أما بعد فقد جاءني كتابك، تذكر فيه عليّاً وفضله وقرابته كما زعمت من رسول الله ﷺ، وتركت الذي قرّب الله به رسول الله من الطاعة، كأنك لم تعرف لله حجة، ولم تتل من كتابه بيّنة، ولم تسمع الذي عاهد الله عليه العباد وأمرهم، فبعثه، وإنك تركت البيان، وخاصمت بالحديث، أولم تسمع ما ذكره الله (تعالى)[1] يقول: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ (٢٩٦) ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الأعراف: ١٧٥]، باتباعه الهوى، وإخلاده إلى الأرض.

أولم تسمع ما خوّف به عبده داود عليه السلام باتباعه الهوى؟ أولم تعلم أن محمد عليه السلام أنزل عليه: ﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾ [الجن: ٢٢]، ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤، ٤٦]. وإنك ذكرت السوابق، والسوابق غيب لا يعلمه إلّا الله، وقد أعلم الله المسلمين حدود الإسلام، وجعل السوابق لمن مضى على حدّه وعهده، وأخبر أن المعيشة

(١) إضافة يقتضيها السياق.

الضنكاء والعمى يوم القيامة على من نقض الميثاق، ونكث ما عاهد الله عليه، فجعل ذلك علم الشقاء، وإنما يقبل المؤمن عن الله وعن كتابه، فمن ختم أجله بطاعة الله والمسالمة لأهل دينه رجا له المسلمون أن يكون سعيداً، ومن ختم أجله بسخط الله والمخالفة لأهل العدل، كان عند الله شقياً، وهذا مما يعلم من علم السعادة والشقاء والسوابق التي أخفى الله عن العباد.

وذكرت صحبة علي لرسول الله ﷺ، وأن علياً قد فارق من صحب رسول الله، ومن كان خيراً عند رسول الله من علي، وأسنى منزلة منه، وإن كثيراً من هذه الأحاديث دين من لا دين له، وحجة من لا حجة له، فمن عمي عن حكم الله، فلا يبصره، وغفل عن ذلك الذي اعتقد إليه من العباد في ميثاقه، وأخبرهم ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات: ١٣]. فإن التقوى من الله آيات محكمات بيّنات، من اتبعهن لم يضل، ومن خالفهن، أعرض الله عنه، وولاه ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيرا.

ولقد علمت ما الذي ذكره الله من إبليس ومنزلته من أهل السماء، لم ينفعه شيء من سالف عمله عند المعصية، إذ لم يتب، وأن آدم لم ينجه من سخط الله إلّا الاعتراف بالذنب والتوبة، وإن ذا النون من ذلك بمنزلة آدم، ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ﴾ [النساء: ١٧]. فأولئك يتوب الله عليهم في الصحة والرضا، ﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌ﴾ [النساء: ١٨]. وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَـٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

وذكرت أهل النهروان، تزعم أنهم بغوا على علي، أولست تعلم أن الحديث والبغي كان (٢٩٧) من قبل علي، وإنما أرادهم علي أن يعطوا العهد والميثاق رجلين ضالين مضلين، بعد أن كان العهد والميثاق لله.

وتزعـم أن علياً بعث الحكمين، وأخذ عهود الناس لهما، بتمثيل ما حكما به، مما يخبر أنه حق، وهو يعلم بزعمك يستخلفانه لفعل زعمت لعلمه، وذلك كمـن فعلـه، ثم دعا إلـى أن يكون العهـد والميثاق لرجلين بعـد الله والكتاب، وبعـد أمـر الله إذ ينصره، ويسـالم الكتاب لطاعته، فخذل مـن ينصر الله بعد إذ هـو وليـه، وحارب من دعا إلى الله، بعد إذا سـالم، ونبـذ الله، وتولى الرجال، والله (تعالـى)[1] يقول: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٣]. فبذل الحكم، وولى الأمر غير أوليائه، واسـتبدل بالهـدى الضلالة، وتـرك الدعوة إلى الأولى، وأصبح مزايـلاً لحكم الله، وترك نصـر الله الـذي كان عليـه بالأمس، والله (تعالى)[2] يقـول: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]. وقال (تعالى)[3]: ﴿ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗا ﴾ [الأنعام: ١١٤]. وقـال (تعالـى)[4]: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقد علمت أن الله لم يسخط حكمه بعد إذ رضي به، ولا نهى عنه بعد إذ أمـر بـه، ولا نهى عنه بعـد إذ أمر به، ولا رضي أن يبتغـي من دونه ولياً، فثبت المسـلمون على حكم الله وعلـى كتابه، وما حكم الله عليهم من قتال لأهـل البغي وعدوانهم، حتـى يفيئوا إلى أمر الله، ويتواصون الحق والصبر، إذا صار ممن سواهم في خسر، وقد بيَّن الله في كتابه أن الله سيبلو أخباركم، وإنـه ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡ﴾ [الأحـزاب: ٣٦]. فكـره المسـلمون حكم عمرو بـن العاص، وكان لذلـك أهـلاً في الجفـاء والجهالة، وقـد كانوا يعلمون أنه ضـال، إذ أبى أن

(١) إضافة يقتضيها السياق.
(٢) إضافة يقتضيها السياق.
(٣) إضافة يقتضيها السياق.
(٤) إضافة يقتضيها السياق.

يرجع إلى حكم الله وطاعته، وكان قتاله على ذلك، فلم يحدث من ذلك عمرو بن العاص توبة تقبل منه، ولم يحدث للمؤمنين مراجعة، فيحكم في أمرهم، وضلّ بتحكيمه، وقتل أهل النهروان وتبديلهم، وهم على الأمر الذي كان عليه بالأمس، في غير حدث كان منهم، إلّا ليردهم إلى الرضى بحكومة الحكمين، فكان فيما أخذ على الناس في العهد لهما نقضاً لعهد الله، وحكماً بغير ما أنزل الله؛ لأن في العهد أماناً لأعداء الله على عدوانهم لله، وردّ (٢٩٨) أولياء الله عن قتال أهل البغي إلى رأس الحول، وفراغ الحكمين، وكانت فتنة عموا فيها وصمّوا، وولى أمر الله الذي فصل فيه قضاءه، ويتولاه حكمه بنفسه عباده دونه، ولم يجعل الله للحكام أن يعطوا العهد أحداً دون الله في ترك عهد الله.

وقد علمت أن علياً ليس له فيما عاهد عليه معاوية، وأن يقبل مزيداً عن دينه، ولا حكم على صاحب حدّ من أوليائه فيما أمره الله به أن يحكم على أصحاب الحدود، بعد أن يظهر التحوّل إلى دين معاوية، ولا يقسم ميراثاً بفرائض الإيمان، يخالف قسم معاوية، ولا يحرّم على الناس شراباً حراماً يستحلّه معاوية.

فإن زعمت أن لعلي أن يحكم على من كان مقراً بذنبه، ما أصاب في إقراره، وإن تحول إلى دين معاوية، لم يبطل عنه أحكام الله، فإن زعمت أن ذلك لعلي قضاء راداً لمعاوية وأصحابه، مثل الذي لعلي؛ لأنهما على سواء من الأمر، والأمر بينهما بالسوية، وعلى إتمامهما جميعاً حكم الحكمين لمعاوية، أن يقبل من استجاب لعلي من أصحابه، فمن أظلم ممن ترك الإسلام بمنزلة لا يقربه أوليائه، ولا يمنعه من الظلم، إذا ظلمه أحد، ومن أظلم ممن جعل الكفر عن من أتاه من دخله؟ ومن أظلم ممن ترك العباد ينظرون قضاء العباد، وعندهم قضاء الله، لا يرضون، ولا يدعون إليه؟

وقد علمت أن أهل النهروان مضوا على الذي مضى عليه الأخيار من صحابة رسول الله ﷺ، وقد كان عمار بن ياسر حكى له الحكمين فكرة ذلك، وعاب على علي، وتركه، فلما قتل عمار بن ياسر، رجع إلى حكومة الحكمين، وأظهر للناس بها، فخرج رؤوس الناس وفقهاؤهم إثنا عشر ألفاً من الناس، فأصبح علي قد فقد وجوه الناس وفقهائهم وأشرافهم، فخرج إليهم وهم معسكرون بحروراء، فعاتبوه، فأظهر إليهم التوبة، وأعطاهم العهد والميثاق ليقاتلن معاوية وأهل البغي معه، حتى تفنى روحه، أو يظهر دين الله، أو يرجع الناس إلى أمر الله، ورجع القوم مراضين.

ثم إنه نكث بعد ذلك العهد الذي عهده، ورجع عن توبته، وجاء منه آنفاً، وقال من سمعتموه يقول: إن أمير المؤمنين تاب، فقد حلّ دمه. وبطش بنفر من المسلمين (٢٩٩) يحبسهم، فنفر الناس عند ذلك، ونفروا راجعين إلى بلادهم، وخرج أهل النهر في طوائف من المهاجرين والأنصار، وهم خيار الناس يومئذ، وخرج أهل النخيلة مفارقين لعلي.

فاستمر على الذين يريدون الحياة الدنيا، فقالوا: ما ينتظر هؤلاء الذين بحضرتك يعيبونك ويخالفونك، قد كرهوا الذي رضيت به. فخرج إليهم يقاتلهم، فلما أتاهم ناشدوه الله، وقد كان أرسل إليهم عبد الله بن العباس، فرجع القوم، فذكر لهم ابن العباس حكم الله فيما يصيب الناس في إحرامهم من الصيد الذي أمر الله من حكم ذوي عدل، وقول الله (تعالى)[1]: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ ﴾ [النساء: ٣٥].

فقالوا: نذكرك الله يا ابن عباس، كما كنت عدلاً بيننا وبينه، أما كل حكم ولاه الله الرجال، ففي الحق علينا أن نوليهم من ذلك ما ولّاهم الله؟ وما تولى

(١) إضافة يقتضيها السياق.

الله حكمـه، واعتزم فيـه بقضائه، فيثبت ذلك ولله فيه الخيار ليس أن يحكم فيه غيره؟ ونذكرك لو أن قاتلاً قتل، وسـارقاً سـرق، فامتنعنـا بما حكم الله عليهما من القصاص والحدود، أيكون لنا أن نحكم فيه أحداً دون الله، إذا اعتزم عليه، فثبت بذلك الحدّ عليهم؟ فقال ابن عباس: اللَّهُمَّ لا.

فقالـوا لـه: إرجـع إلى علـي، فقل له: ألسـت تعلم أن الله قد أمـر بقتال أهل البغـي مـن بغـى وامتنع من الحـق حتى يفيئـوا إلى أمـر الله؟ فهل لنـا أن نحكّم فـي هـذا حكمين، وندع ما أمرنا الله به؟ وهل لنـا حكم هذين الحكمين الضالين المضلّيـن تضليل من قتل مـن المهاجرين والأنصار عمار بن ياسـر وأصحابه أن نرضى من حكمهم أو نقبله؟ أو هل لنا أن نحكمهم في حكم القرآن، وقد فصّله الله، وتـولاه بنفسـه، والله يقضي الحـق، وهو خير الفاصليـن، والذين يدعون من دونه، لا يقضون بشـيء، وإن الله هو السـميع البصير، وإن علياً كذبته نفسه، والله لقـد فـرّق الله لنا في القرآن حكمه وفضله، فما نحن في شـبهة منه، وإنا لمقرون بأن معاوية تكاره علينا الضال مضل، وما كنا لنحكّم إلّا الله وحده، ولا شريك له.

فرجـع ابـن عباس، فقال لعلي: خصمـك القوم، فقال له: مـا أنت صانع؟ فقال: إن لم أكن معهم، لم أكن (٣٠٠) عليهم.

فسـار عليهم علي، وهم كافون عنه، يناشـدونه الله، فبدأهم بالقتال، فقاتلوه حين رأوا ذلك منه، فقتل خيار أهل الأرض، العلماء ذوي الأشنان، فندمه الله إذ أتى القتلى، حتى اسـتغفر لهم. فقال له أصحابه: أتسـتغفر للمشركين؟ فقال: من الشرك فرّوا. فقالوا: فمنافقين، قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلّا قليلاً، وهؤلاء كانوا يذكرون الله كثيراً. ثم قال لابن عباس: ما صنعنا؟ قتلنا خيارنا وقراءنا.

وأظهر للناس الندامة، فغشى ذلك في عسكره، فدخل عليه بعض أصحابه، فقالـوا: إنـك مقتول أو مفارق، حتى تترك وحدك في عسـكرك؛ لأنك أظهرت الندامة والتوبة من قتل من سرت إليه بالجنود، وأمرت بقتلهم.

ففزغ علـي من القتل، وأظهر الفراء على الله وعلى رسـوله، بتكذيب لأصحابه، إذ أعيتـه الحجة، من كتاب الله، فأخذ يسكّن أصحابه بالكذب، فقال: لولا أن تنظروا لحدثكم بالذي جعل لكم من المخرج على لسـان نبيّه، إذ قال: «سـيخرج من بعدي قـوم صعاب شـأنهم، فصـار شـأنهم يمرقون مـن الدين كمرق السـهم مـن الرمية»، ويخبرهـم أنّ فـي قتلاهم شـيطان، يعني رجلاً من المسـلمين، كان قد عرف نسـكه وورعه من قبل حدثه، وقد كان قد علم علم ثديه، وإنما كان رجلاً من أهل البادية من أصحاب رسـول الله ﷺ، وكان فحل الإبل قطع يده، فخرج مع المسلمين، يعرفون نسكه وورعه، إذ لم يجد على المسلمين حجة من كتاب الله يذكره، ولا حق تركوه، يصـف ذلك، ويعيبه عليهم، ولا باطلاً دعوه إليه، فينكر ذلك عليهم، ويفارقهم، ولم يسـمع الناس شيطان قد قتل على الحق، فلما تذكر من ثدي الرجل الذي ذكره، قال له ابنه: يا أبتِ ذلك مولى ثوملة، من أصحاب الرسـول ﷺ، قال: اسـكت يا بني إن الجواب خدعـة، ففتح لأصحابه أبـواب الكذب، فاتخذوهـا خلقاً، وكثيـراً بالفراء، فاتخذوها ديناً، وفتح لهم ما لا يُسدّ فتقه أحداً أبداً، فازدادوا به مأثماً.

ثـم أراه الله مـا كره في الحكميـن فخلعوه، وبرئوا منـه، وفارقوه، وخلعوه، فـلا إلى الله، ولا إلـى كتابه، أو أولاه الله (٣٠١) دينه رضى، ولا على ما مضى عليـه أولياء الله صبر، ولا الحكمان تولياه، ولا رضيا به، ولا جعلا له في الأمر نصيباً، فانطلق إلى الله بدماء المسلمين إذ زاجروه، وأمروه أن يحكم الله وكتابه، وحرمه الله رضى الحكمين عنه، فهو مخلوع عند الحكمين، ومخلوع عند حكم الله وكتابـه، فلـم يتق الله فيما أمر، ولـم يفِ للحكمين بما جعل لهما من العهد، إنه خلعهما، وبرئ منهما، ثم قتله الله شاكاً مرتاباً، بعد بيعة الضلال التي اتخذها لنفسه، بايع الناس الله على أن يسالموا من سالم، ويحاربوا من حارب.

وبايع معاوية على مثلها أصحابه على ما أحببتم وكرهتم، وهاتان بيعتان لله وحده، وليس لأحد دونه كانتا بمعنى ضلال، اجتمع عليهما الفريقان كلاهما.

ثم إن الحسن بن علي ولي أمر أبيه من بعده، فباع دينه وأمر ربّه بأُواق من الذهب والفضة، وعلى أن الملك له بعد معاوية، فسار معاوية بعد ذلك، حتى أتى إلى الكوفة، فاستقبله أهل النخيلة، يدعونه إلى الحق، وإلى ما كانت عليه الجماعة، فأبى ذلك، وكره، فقاتله أهل النخيلة، فنادى: يا أهل الكوفة، أغدراً؟ فخرج الحسن بن علي نصيراً لمعاوية، فقتلوا أهل النخيلة، وقال الحسن بن علي: إن بيعتي كانت عليكم أن تسالموا من سالمت، وتحاربوا من حاربت، ألا وإني قد سالمت معاوية، فسالموه، فأدخلهم في الفتنة جميعاً، وهي التي كان يكرهها أصحاب النخيلة، ويفرّون منها، إذ دعا إليها علي، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ الآية [هود: ١١٣] .

فقال ابن عباس: أما إذ فعل الحسن بن علي ما فعل إن كنتم لأخلق بيت في العرب، إن تنزلوا منزلة من تيّهه الله من بني إسرائيل أربعين سنة، أنتم سريتم بكتاب الله والناس معكم يقاتلون على أمر الله، ثم انقلبتم تصدون الناس عن أعداء الله وأهل معصيته، وجبنتم أن تتموا وتصبروا، كما جبنت بنو إسرائيل عن دخول القرية.

ثم إن الله فرّق أمرهم، وتعادت قادتهم، وعظم فراؤهم، وخرجوا من حكم ربهم، واتخذوا الأحاديث ديناً، وزعموا أن عندهم علماً أصابوه من غير القرآن، فيه بعث الموتى قبل يوم القيامة (٣٠٢) وآمنوا بكتاب ليس من الله، كتبته الرجال بأيديهم، ثم أسندوه إلى رسول الله ﷺ، فلم تبقَ فريّة أعظم على الله من فرية على رسول الله منهم.

ثم اتخذوا أهل هذا البيت ديناً، يعدون مع فجارهم وأبرارهم على حبهم وبغضهم، وخالفوا القرآن لا يصغونه، ويتركون التقوى، لا يدعون إليها، فاتبعوا الكهان، ويرجون الدول والظهور في بعث الموتى قبل يوم القيامة، يؤمنون بالأماني، ويزخرفونها لأنفسهم، ونبذوا الكتاب وراء ظهورهم، كأنهم

لا يعلمون، وبرؤوا من أبي بكر وعمر، وجميع من فات في طاعتهما من المهاجرين والأنصار رحمهم الله جميعاً، وادعوا أن رسول الله ﷺ، أمرهما بطاعة علي، وزعموا أن القتال على أهل الحق، لا يحل إلّا لأهل البيت، وكذبوا ذلك لمن عمل به حجة عند الله وحق، وقد قال رسول الله ﷺ خلاف ما قالوا حين حضرته الوفاة: «**يا فاطمة ابنة رسول الله، ويا صفية عمة رسول الله، ويا بني هاشم، اعلموا، أني لا أغني عنكم من الله شيئاً، فلا عرفتكم تأتوني، وقد حملتم الدنيا على ظهوركم، وتأتون الناس بالآخرة، فإن لكل امرئٍ ما اكتسب**».

ثم إن عبدالرحمٰن بن عوف إذ لم يخبر علياً إذ جعل عليه الأمر.

وقد قالت عائشة إذ أُخبرت بقتل عثمان: بذنبه قتل، ولكن من بايعتم؟ فقالوا: علياً. فقالت: والله لقد بايعتم رجلاً من كان عند رسول الله ﷺ (ليس)[1] بأمين. وزعم أصحابه أن علياً يقتل المسلمين بسبعين رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ، طوائف منهم من أهل بدر، وفيهم حرقوص، الذي بشره الله بالجنة. إلّا أن علياً لم يتصدّ بقتلهم إذ حكموا الله في حكم القرآن، ولم يحكموا عمرو بن العاص، وأصبح أعداء الله ليس الكتاب بإمامهم، وليسوا بالكتاب يأتمّون، ولكن تلهّوا بالأحاديث، واتباع كل أفّاك أثيم ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٥٩]. وتعالى الله عما يقولون وصلى الله على رسوله محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً.

(١) استدراك من النسخة د، ص ٢٧٩.

فصل من كتاب الكفاية

إن سـأل سـائل، فقال: ما تقولون في أبي بكر وعمر بن الخطاب؟ (٣٠٣) قلنا: إن أبا بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، هما عند المسلمين في الولاية.

فإن قال: من أين أُوجب ولايتهما على المسـلمين؟ قلنا: من وجوه شـتى، أحدهـا الشـهرة، لأن صحـة إمامتهـما شـاهدة عنـد المسـلمين، لا شـك فيها ولا ريب، ولا خلاف، إلّا من لا يعد خلافه خلافاً، وهم الرافضة.

فـإن قـال: ما قولكـم في عثمان بـن عفان؟ قلنا لـه: في منزلة البـراءة عند المسلمين.

فـإن قال: مـن أين وجبت البراءة من عثمان بن عفـان، وقد تقدمت ولايته وصحـة عقده مع فضائله المعروفة في الإسـلام، وتزويـج النبي ﷺ له بابنتيه، واحدة بعد واحدة؟

قلنـا له: إن الولاية والبـراءة هما فرضان في كتاب الله، ولا عذر للعباد في جهلهـما، وقـد أمرنـا الله عز وجل أن نحكـم وندين له فـي عباده مما يظهر لنا من أمورهـم، ولـم يكلفنا علم الغيـب، ثم وجدنـا أصحاب النبي ﷺ، قـد قدّموا عثمان بن عفان إماماً لهم من بعد عمر بن الخطاب رحمه الله، ثم قصدوا إليه، فقتلوه على ما اسـتحق عندهم من الأحداث التي زيّل بها الحق وسـبيله. فمن قـال: إن عثمـان قتـل مظلوماً، ما كان قد أوجب على أصحاب رسـول الله ﷺ البـراءة، بقتلهم لعثمـان بن عفان، والذم والبراءة مـن علي بن أبي طالب؛ لأنه وضعه المسلمون بعد عثمان إماماً لهم، وعلى الإمام إقامة الحدود (وقتل الإمام من أعظم الذنوب، فلما كان على الإمام إقامة الحدود)[1]، ولم يغير ذلك على

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٣٠٠.

علي بـن أبـي طالب، ولم ينكره، ولم يقم الحـدّ على من قتل عثمان، وحارب مـن طلب بدمه، وهو طلحة بـن عبيد الله، والزبير بن العـوام، علمنا أن عثمان قتل وهو مستحق للقتل، ولو لم يكن مستحقاً، وأنه مظلوم، لكان علي بن أبي طالـب قد كفـر بقتاله لمن طلب بـدم عثمان، فلما قاتل علي والمسـلمون من طلـب بدم عثمـان، وصوبوا من قتله، وأقرهم علي بين يديه، وكانوا من أعوانه وأنصـاره، كان ذلـك دليـلاً على أنهم محقـون في قتلهـم؛ لأن إجماعهم على ذلك (حجة)[1] لغيرهم ودليل.

وأما قولك: زوّجه النبي ﷺ بابنتيه، واحدة بعد واحدة، فإنك لا تنكر ذلك، ولا يكـون عثمـان مسـتوجباً للولايـة بتزويج النبـي عليه السلام بابنتيه، ولـو كان عقد النبي ﷺ له بالنكاح موجباً للولاية، لوجبت للرجل المشرك الذي كان النبي ﷺ قد زوجه بابنته زينب، قبل التحريم بين المسلمين (٣٠٤) والمشركين، مع قول الله تبـارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [النسـاء: ٤٨]. فهذا مبطل لاحتجاجك علينا، بتزويج النبي ﷺ له بابنتيه.

وأما قولك: كانت له فضائل في الإسـلام متقدمة،، فإن الأعمال بالخواتم في الآخرة، لا بالفضل في الأولية.

فإن قال: ما تقولون في علي بن أبي طالب؟ قلنا له: إن علياً مع المسلمين في منزلة البراءة.

فـإن قـال: من أيـن أوجبت عليه البـراءة؟ وقد كان إماماً للمسـلمين، وهو ابن عم رسول الله ﷺ، وختنه مع فضائله المشهورة، وقتاله بين يدي النبي ﷺ المشـركين قلنا له: أوجبنا عليه البراءة من وجوه شـتى، أحدها أنه ترك الحرب التـي أمـر الله بهـا للفئـة الباغيـة قبل أن تفـيء إلى أمـر الله. وإحداهـا بتحكيم

---

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٣٠٠.

الحكميـن في دماء المسـلمين، وفيما لم يأذن الله بـه الضالين المضلين، الذين كان النبي ﷺ يحذرهما ويخوفهما أصحابه. وإحداها بقتله أهل النهروان، وهم الأفضلون من أصحاب النبي ﷺ، وهم أربعة آلاف رجل من أشراف الصحابة، ورحمهم الله تعالى، والأخبار بذكر ذلك تطول، ويضيق الكتاب.

(ولـولا خوف الإطالة لأتينا في)[1] كتابنا هذا بشـرح جميع أخبارهم، إنما أردنـا أن نختصـر الذي كان من أحداثهم لتكونوا مـن ذلك على علم ومعرفة، ولتعلموا ضلال من ضلَّ وخالف، وشغب عليكم، وبالله التوفيق.

فـإن قـال: فما تقولون في طلحة بن عبيـد الله والزبير بن العوام؟ قلنا: إنما عند المسلمين بمنزلة البراءة.

فإن قال: من أين أُوجبت عليهما البراءة؟

قلنـا: بخروجهما على علي والمسـلمين، وطلبهما بـدم عثمان، وبإرادتهما إزالـة علي بـن أبـي طالـب عـن إمامته، وقـالا: حتى يكـون الأمر شـورى بين المسـلمين، يختـارون لأنفسـهم إمامـاً غيـره، بعـد رضاهمـا بـه، وبيعتهما له، وأعطياه صفقة أيديهما على طاعة الله، وطاعة رسوله، وعلى قتال الفئة الباغية، ممن خرج بدم عثمان بن عفان.

فإن قال: فما تقولون في الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب؟

قلنا: إنهما في البراءة.

فـإن قـال: مـن أيـن أوجبتـم عليهمـا البـراءة، وهمـا ابنـا فاطمـة بنـت رسول الله ﷺ؟

---

(١) استدراك من النسخة د، ص ٢٨٠.

قلنا: أوجبنا عليهما البراءة لولايتهما لأبيهما على ظلمه وغشمه وجوره، وبقتلهما عبدالرحمٰن (٣٠٥) بن ملجم رحمه الله، وتسليمهما الإمامة لمعاوية بن أبي سفيان، وليس قرابتهما من رسول الله ﷺ تغني عنهما شيئاً؛ لأن النبي ﷺ قال في بعض ما يوصي به قرابته: «**يا فاطمة بنت رسول الله، ويا صفية عمة رسول الله، ويا بني هاشم، اعملوا لما بعد الموت، فليس أغني عنكم شيئاً**»، أو نحو هذا من الخطاب. فلو كانت القرابة من رسول الله تغني من العمل، لم يقل ذلك النبي ﷺ لهم، وهذا نقض من يقول إن القرابة من النبي مغفور لها، وقد وجدنا الله تعالى (تبارك)[1] بهذا قبله ﷺ، لقوله (تعالى)[2]: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۞ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۞ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۞ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤ ـ ٤٧]. فقد بطل ما خاصمت به أيها الخصم، وأحججت به من قبل القرابة للنبي ﷺ.

فإن قال: معاوية بن أبي سفيان في أي منزلة عندكم؟

قلنا: في منزلة البراءة.

فإن قال: من أين وقعتم عليه بالبراءة؟

قلنا: لمحاربته لعلي بن أبي طالب والمسلمين، وطلبه بدم عثمان بن عفان، وبتحكيمه الحكمين، وبأخذه الإمامة لنفسه دون المسلمين، وسفك دماء المسلمين الذين حاربوا مع (علي بن أبي طالب)[3]، وعمار بن ياسر الذي بشّره رسول الله ﷺ (بالجنّة)[4] وغيره من أفاضل أصحاب رسول الله ﷺ.

---

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٣٠١.
(٢) إضافة يقتضيها السياق.
(٣) استدراك من النسخة د، ص ٢٨٢.
(٤) استدراك من النسخة د، ص ٢٨٢.

فإن قال: ما تقولون في أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص؟

قلنا: هم عند المسلمين بمنزلة البراءة.

فإن قال: من أين أوقعتم عليهما البراءة؟

قلنا له: من وجوه شتى، أحدها الحكومة بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، فإنهما كانا الحكمين في ذلك، نبذا حكم الله وراء ظهورهما. وقد شهر من عداوتهما للمسلمين قبل ذلك، والبغض لهم والبراءة من دينهم.

فإن قال: يزيد بن معاوية ما قولكم فيه؟

قلنا له: إن يزيد بن معاوية في منزلة البراءة.

فإن قال: من أين قلتم إن البراءة له واجبة لازمة؟

قلنا: من وجوه شتى، أحدها بأنه وضع يديه في الفتن التي قدّمنا ذكرها، وبولايته لأبيه، وبأخذه الولاية به الإمارة بعد أبيه، وبقتله الحسين بن علي، وبقتله الأنصار وأبناء الأنصار بالمدينة، وخرابه منازلهم، وبغيه في الأرض فساداً بعد أبيه.

فإن قال: من أين قلتم أنكم أولى بالحق من غيركم، وما أنكرتم (٣٠٦) أن تكونوا أنتم المخطئين، وغيركم المصيب، الحق دونكم؟ قلنا له: زعمنا ذلك، وأنكرنا أن يكون (الحق)[1] في يد غيرنا دوننا، إنا وجدنا الله تبارك وتعالى قد فرّق بين أهل الصلاح وأهل الفساد في كتابه في مواضع شتى، ومن ذلك قوله له الحمد: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٣٠٢.

فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [صٓ: ٢٨]. وفي غير موضع من كتاب الله التفرقة بينهما، ووجدنا من خالفنا يجمع بين الأضداد، ويسوي بين أهل الصلاح والفساد، ويجمع بين القاتل والمقتول، وبين الظالم والمظلوم، فيتولونهم، ويستغفرون لهم، فعلمنا خطأهم من كتاب الله ﷻ، وضلالهم وخروجهم عن الحق، وزيغهم عن سبيل المؤمنين، إلّا من دان بما ذكرنا من الجمع من أهل الصلاح وأهل الفساد منزلة واحدة، بعد أن فرّق الله ﷻ بينهم في المنازل، كان مخطأً آثماً، متعدياً فيما دان لله به في ذلك معلوماً خطأً بما قدمنا ذكره في الكتاب، فهذا من أوضح السبل بين الأدلة، وأقوى حجة على من خالفنا، وبالله التوفيق.

وأيضاً فإنا وجدنا أئمة المسلمين الذين هم الحجة لله على المستعبدين، قد اجتمعوا على البراءة من هؤلاء الذين ذكرناهم، وإجماعهم حجة لنا، وعلينا التسليم بهم، والاتباع فيما دانوا به، إذ كانوا هم الحجة البالغة؛ لأن النبي ﷺ قال: «**أمتي لا تجتمع على خطأ**» ومعنى قوله: أمتي هم الذين اتبعوه، وسلكوا سبيله، ولم يخالفوه، وليس أمته كل من صلى وصام، وأقرَّ بالإسلام، وقد قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. فعلمنا أن قول الله جلّ وعلا: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ﴾. مخصوص في البعض دون الكل، كذلك قول النبي ﷺ: «**أمتي**» مخصوص لا تأخذونا في أهل الصلاة الفساق وسفك الدماء. فعلمنا أن الله تبارك وتعالى لا يجعل أحداً هم الشهداء على عباده، ولا يكون له حجة، وإنما الحجة لله على عباده لأهل الصدق منهم، والصدق والقوام بالحق دون غيرهم، فما ذكرنا، فهذا أيضاً دليل على ما قلنا، وبالله توفيقنا، وهو حسبنا ونعم الوكيل، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً.

الباب الثامن والعشرون

في ذكر الفرق الإسلامية، وهي ثلاث وسبعون فرقة، وذكر اعتقاد كل فرقة منها، وفيه أربعة فصول



اجتمعت العلماء والأخيار والرواة للأخبار أن النبي المختار قال: «**ستفترق أمتي (٣٠٧) من بعدي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها ضالة مضلة، إلّا فرقة واحدة ناجية، وكل فرقة من تلك الفرق تدعي أنها هي الناجية**».

وروي أنه قيل للنبي: صف لنا الناجية من الفرق. قال: «**من اتبع كتاب الله، وعمل بسُنَّتي**».

فالناجي من الفرق من أطاع الله ورسوله، وعمل بما أمر الله به. والهالك من عصى الله ورسوله، وعمل بمعاصي (الله)[1] ولا يقبل الله الإسلام إلّا بكماله، فليس من قال بلسانه: أشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، كان مسلماً مطيعاً، مستحقاً لثواب الله، حتى يستكمل (جميع)[2] وظائف الإسلام، ويعمل بها، لا كما قالت الحشوية الغويّة: إن لهم الجنة، ولو سفكوا الدماء، وأكلوا أموال العباد ظلماً، وأنهم مؤمنون، ولو لم يصوموا، ولم يصلوا كما قال: بعضهم (شعراً)[3]:

قرب الدنَّ قد صفا ومع الدنِّ مصحفا
اشرب من ذا قدحاً واقرأ من ذا أحرفا
خير ذا بشر ذا فإذا الربّ قد عفا[4]

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٣٠٣.
(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٣٠٣.
(٣) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٣٠٤.
(٤) انظر: القلهاتي، أبو عبدالله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج٢، ص٤٥٢.

والله يكذبهم بقوله: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٣]. وقوله (تعالى): ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧]. فالفرق كثيرة، وأقاويلهم غير قليلة، لا يأتي عليها كتاب، ولا يستوعبها ذكر، ولا خطاب، غير أني أذكر منه طرفاً، يهتدي به من أراد الله هدايته، وذلك شيء يكثر، ويطول، وذكره بتزايد ويعول. غير أني أميل إلى الاختصار، وأبيّن ما حضرني ذكره عبرة لأولي الأبصار.

فالإسلام لم يزل مستقيماً على نظام واحد، والمسلمون كلمتهم واحدة، حتى ولي الأمر عثمان بن عفان، فكان منه ما كان، فعند ذلك أنكر عليه المسلمون، وطلبوا منه الاعتزال، فأبى، فقاتلوه حتى قتلوه، فافترقت الأمة من بعده على ثلاث فرق: فرقة قتلته، وهم المحقون. وفرقة وقفت عنه وعن من قتله، وهم الشكاك. وفرقة طلبت بدمه، وهم العثمانيون.

فالفرقة القاتلة فهم: علي بن أبي طالب، وأهل المدينة، والمهاجرون، والأنصار.

والفرقة الواقفة: فسعد بن أبي وقاص، وعبدالله بن عمر، ومحمد بن مسلمة، وأسامة بن زيد.

والفرقة الطالبة بدمه فهم: طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، ومعاوية بن أبي سفيان.

ولمّا حكَّم علي بن أبي طالب الحكمين، افترقت الفرقة القاتلة لعثمان فرقتين: فرقة خرجت عنه، فسموا الخوارج، وفرقة شايعته، فسموا الشيعة.

فهذا أصل افتراق الفرق الإسلامية، وهي أربع فرق. ثم افترقت من كل فرقة فرق إلى ثلاثة وسبعين فرقة.

فالقدرية، والمعتزلة، والجهمية، أصلها من الشكاك. (٣٠٨) والمشبهة، والصفاتية والحشوية أصلها العثمانية.

والخوارج من الفرقة الخارجة على علي.

والروافض والشيع من الذين شايعوا علياً.

فالمعتزلة قالوا: إن العبد قادر، خالق لأفعاله، خيرها وشرها.

إن الرب ﷻ منزّه من أن يضاف إليه شر وظلم، وإن الحكيم لا يخلق إلّا الخير، ولا يخلق الشر. وزعموا أن من أثبت القدر فهو مشرك، وأرادوا أن يصفوا الله بالتنزيه، فوصفوه بالعجز، وقد اجتمعت الأمة أن من كان في ملكه ما لا يريد كان عاجزاً، أو مكرهاً، أو مغلوباً، أو ساهياً، أو لا يعلم ذلك من طريق الجهالة والاستخفاء، وهذه الأشياء عن الله منفية بإجماع الأمة.

ومن اعتقادهم وقولهم: إن الله لم يخلق أفعال العباد، ولم يقدرها، ولم يدبّرها، ولم يخلق الكفر قبيحاً، ولا الإيمان حسناً، ولا خلق تسبيح الملائكة المقربين، ولا خلق طاعات المرسلين، ولا شيئاً من أفعال المؤمنين والكافرين، ولا خلق ضرب الملائكة الكفار بمقامع الحديد، ولا خلق شيئاً من الأفعال غير الآدميين، والحيوانات، والطير، والبهائم، والسباع، والهوام، وجميع ما خلق الله ما يتحرك ويسكن باكتساب.

وقال أهل الاستقامة: إن الله خلق الإيمان حسناً، وخلق الكفر كفراً قبيحاً، وخلق جميع الأشياء كلها، وهو قوله: ﴿خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]. ولهم عليهم احتجاجات، تركتها اختصاراً؛ لأنها موجودة في آثار المسلمين.

ومن اعتقادهم أن أهل الكبائر من أهل القبلة ليسوا بمؤمنين ولا كافرين، ولكنهم ضالون فاسقون، والله (تعالى) يقول: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]. ﴿ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥] ﴿ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

ومن اعتقادهم في الفريقين من أهل صفين أن أحدهما مخطئ لا يغنيه. وكذلك قولهم في عثمان وقاتليه وخاذليه: إن أحد الفريقين فاسق لا محالة، ولا يعرفون الفاسق منهم.

ومن اعتقادهم: أن كلام الله مخلوق، وأن كلامه ليس بقديم، وأن الله لا يوصف بقدم الكلام، وأنه لم يكن في الأزل متكلماً، بل إنه تكلم فيما لا يزل، وقالوا: لا يجوز كلامه في ذاته؛ لأن ذلك يوجب أن تكون ذاته محلاً للحوادث، ولا يجوز أن يكون كلام الله مخلوقاً في محل، ولا يجوز أن يخلق في حي؛ لأنه إذا خلق كلامه في حي، يكون ذلك (٣٠٩) الحي لا هو، فوجب أن يخلق كلاماً في جماد، فيكون هو المتكلم بذلك الكلام الذي أوجده في الجماد، ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤٣].

ومن اعتقادهم أن الله لم يخلق أفعالهم، ولا حركاتهم، والله يقول: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [غافر: ٦٢].

ومن اعتقادهم أن المشيئة مفوّضة إليهم، والله يقول: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

ومن اعتقادهم نفي القدر، وأنهم يعملون خلاف ما علم الله وأراد، والله (تعالى)[١] يقول: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

وللقدرية آراء مختلفة، يطول شرحها، وقد وافقوا أهل الاستقامة في أشياء منها: نفي الرؤية عن الله في الدنيا والآخرة.

ومنها أن المؤمن إذا خرج من الدنيا عن توبة، وعن غير كبيرة مصر عليها، أو صغيرة، استحق الثواب والعوض من الله. وكذلك إذا خرج العبد من الدنيا عن غير توبة، وعن كبيرة، أو صغيرة مصرّ عليها، استحق بها الخلود في النار.

(١) إضافة يقتضيها السياق.

ومنها، أن الإمامة ثبتت بالاختيار في القرشي وغير القرشي، إذا كان لها أهلاً جامعاً بشروطها، فهذه المسائل وافقوا فيها أهل الاستقامة.

وقالت القدرية: إن الله يخلق الخير، والعبد يخلق الشر، فضاهوا بقولهم المجوس؛ لأن المجوس قالوا: إن للعالم خالقين: واحد يخلق الخير، وهو النور، وواحد يخلق الشر، وهي الظلمة. وقد قال النبي: «**إن القدرية مجوس هذه الأمة**».

الفصل الأول
في أسماء فرق المعتزلة
واعتقاد كل فرقة منهم وهم خمس عشرة فرقة

أولهم الواصلية:

أصحاب واصل بن عطاء الغزالي، كان تلميذ الحسن البصري، وكان في زمن عبد الملك بن مروان، واعتزاله يدور على أربع قواعد:

إحداها: تقول بنفي صفات الباري من العلم والقدرة والإرادة والحياة، وغير ذلك، وإنما شرع لأصحابه فيها مطالعة كتب الفلاسفة.

القاعدة الثانية: إنما سلك في ذلك مسلك معبد الجهني[1]، وغيلان الدمشقي[2]، وكان قولهم: إن الباري حكيم عادل لا يجوز أن يضاف إليه ظلم وشرّ، ولا يجوز أن يريد من العباد خلاف ما يأمر ويحكم عليهم بشيء، ثم يجازيهم عليه.

القاعدة الثالثة: قولهم إن صاحب الكبيرة لا مؤمن مطلق، ولا كافر مطلق، بل هو في منزلة بين المنزلتين، لا مؤمن، ولا كافر.

---

(١) معبد الجهني: معبد بن عبد الله بن عُليم الجهني البصري: أول من قال بالقدر في البصرة، سمع الحديث عن ابن عباس وعمران بن حصين وغيرهما. حضر يوم التحكيم، وانتقل من البصرة إلى المدينة، فنشر فيها مذهبه، خرج مع ابن الأشعث على الحجاج بن يوسف الثقفي، فجرح، فأقام في مكة، فقتله الحجاج صبراً، بعد أن عذّبه. وقيل: صلبه عبد الملك بن مروان بدمشق، على القول في القدر، بعد أن قتله. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٧، ص ٢٦٤. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص ١٨٥.

(٢) غيلان الدمشقي: غيلان بن مسلم الدمشقي، أبو مروان: كاتب من البلغاء، تنسب إليه فرقة «الغيلانية» من القدرية. وهو ثاني من تكلم في القدر، ودعا إليه، لم يسبقه سوى معبد الجهني. قال الشهرستاني في الملل والنحل: «كان غيلان يقول بالقدر خيره وشره من العبد، وفي الإمامة إنها تصلح في غير قريش، وكل من كان قائماً بالكتاب والسُّنَّة فهو مستحق لها، ولا تثبت إلّا بإجماع الأمة». قيل: تاب عن القول بالقدر على يد عمر بن عبد العزيز، فلما مات عمر جاهر بمذهبه، فطلبه هشام بن عبد الملك، وأحضر الأوزاعي لمناظرته، فأفتى الأوزاعي بقتله، فصُلب على باب كيسان بدمشق سنة ١٠٥هـ. انظر: الزركلي خير الدين: الأعلام، ج٥، ص ١٢٤.

القاعـدة الرابعـة: قولهـم فـي الفريقيـن مـن أصحـاب صفيـن والجمل إن أحدهمـا (٣١٠) مخطـئ، وأقـل درجـات الفريقيـن لا تقبـل شـهادتهم. وقال عمرو بـن عبيـد[١]، وهو رئيس المعتزلة: لو شـهد علي وعثمان وطلحة والزبير لم تقبل شهادتهم، وأثبت تفسيقهم.

الفرقة الثانية الهذيلية:

أصحـاب أبـي الهذيـل حمدان بن أبـي الهذيل العـلاف[٢] شـيخ المعتزلة والمناظـر عليها. أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل[٣]، وعن واصل بن عطاء. قرر مذهبه على عشر قواعد:

(القاعدة)[٤] الأولى: قوله بأنه تعالى عالم بعلم، وقادر بقدرة، وحي بحياة.

القاعدة الثانية: أثبت إرادات لا محل لها، يكون الباري فيها مريداً بها.

---

(١) عمرو بـن عبيـد: عمرو بن عبيد بـن باب التميمـي بالـولاء (٨٠ - ١٤٤هـ/ ٦٩٩ - ٧٦١م)، أبو عثمان البصري، شيخ المعتزلة في عصره ومفتيها، كان جدّه من سبي فارس، وأبوه نساجاً ثم شرطياً للحجاج فـي البصـرة. واشـتهر عمرو بعمله وزهـده وأخباره مع المنصور العباسـي وغيره. له رسـائل وخطب وكتـب، منهـا: «التفسـير» و«الرد على القدرية». توفي بمـران قرب مكة. وفي العلماء مـن يراه مبدعاً، قـال يحيى بـن معين: كان من الدهرية الذين يقولون: إنما الناس مثل الزرع ولعلي بن عمر الدارقطني «أخبـار عمرو بـن عبيد». انظر: الزركلي، خيـر الدين: الأعلام، ج٥، ص ٨١. وانظر: الذهبي، شـمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٦، ص ١٠٤.

(٢) حمدان بن الهذيل العلاف: حمدان بن الهذيل العلاف، شيخ المعتزلة، ومقدم الطائفة، ومقرر الطريقة، والمناظـر عليهـا. أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل، عن واصل بن عطاء، ويقال: أخذ واصل عـن أبي هاشـم عبدالله بن محمـد ابن الحنفيـة، ويقال: أخذه عن الحسـن بن أبي الحسـن البصري، وصحـب أبـا الهذيل: أبو يعقوب الشـحام، والآدمـي، وهما على مقالته. وكان سـنه مائة سـنة، توفي فـي أول خلافة المتوكل سـنة خمس وثلاثين ومائتين. انظر: الشهرسـتاني، أبو الفتح: الملل والنحل، منشورات دار دانية للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق الطبعة الأولى، ١٩٩٠م، ص ٢٥ - ٢٦.

(٣) عثمان بن خالد الطويل: أحد شيوخ المعتزلة الأوائل، أخذ العلم عن أستاذه واصل بن عطاء شيخ المعتزلة الأول، وأخذ عنه حمدان بن الهذيل العلاف. انظر: الشهرستاني، أبو الفتح: المصدر نفسه، ص ٢٥.

(٤) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٣٠٧.

القاعدة الثالثة: قوله: إن كلام الباري ينقسم، فبعضه في محل، وبعضه لا في محل، فأما الذي في محل فهو الأمر والنهي، والخبر والاستخبار وغير ذلك، وأما الذي لا في محل (فهو)[1] قوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧].

القاعدة الرابعة: قوله في القدرة، مثل قول أصحابه في حركات أهل الخلدين في الآخرة كلها: إنها ضرورية، لا قدرة للعباد عليها.

القاعدة الخامسة: قوله في حركات أهل الخلدين: إنها تنقطع، وإنهم يصيرون إلى سكون دائم الخلود، وتجتمع اللذات في ذلك السكون لأهل الجنة، وتجتمع الآلام لأهل النار في ذلك السكون. وهذا قريب من مذهب جهم بن صفوان[2]، إذ حكم بفناء النار والجنة.

القاعدة السادسة: قوله في الاستطاعة: إنها عرض من الأعراض غير السلامة والصحة، وفرّق بين أفعال القلوب وأفعال الجوارح.

القاعدة السابعة: قوله في المفكر قبل ورود السمع: إنه تجب عليه معرفة الله تعالى.

القاعدة الثامنة: قوله في الآجال والأرزاق: إن الإنسان إن لم يقتل مات في ذلك الوقت، ولا يجوز أن يزاد في العمر ولا ينقص منه.

القاعدة التاسعة: قوله: إن الله لم يزل سميعاً بصيراً، إنه سيسمع ويبصر، وكذلك لم يزل رحيماً، محسناً، خالقاً، رازقاً، موالياً، ومعادياً، آمراً، ناهياً، يعني أنه سيكون.

---

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٣٠٧.

(٢) جهم بن صفوان: جهم بن صفوان السمرقندي، أبو محرز من موالي بني راسب: رأس «الجهمية» قال الذهبي: الضال المبدع، هلك في زمان صغار التابعين، وقد زرع شراً عظيماً، كان يقضي في عسكر الحارث بن سريج، الخارج على أمراء خراسان، فقبض عليه نصر بن سيار، فطلب جهم استبقاءه، فقال نصر: «لا تقوم علينا مع اليمانية أكثر مما قمت» وأمر بقتله، فقتل سنة ١٢٨هـ، انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص ١٤١. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٦، ص ٢٦.

وقال أهل الاستقامة: إن الله عالم بما لم يكن قبل كونه أنه سيكون.

القاعدة العاشرة: قوله: إن الحجة لا تقوم فيما غاب إلّا بعشرين، فيهم واحد من أهل الجنة، ولا تخل الأرض من جماعة أولياء الله معصومون، لا يكذبون، ولا يركبون الكبائر، هم الحجة، إلّا بالتواتر(٣١١).

الفرقة الثالثة: النظامية

أصحاب إبراهيم بن سيار بن هاني النظام[1]. انفرد عن أصحابه بمسائل:

أحدها: أنه زاد على أصحابه بالقول في القدر خيره وشره من العبد، وأن الله لا يوصف بالمعاصي والشرور، وأنها ليست مقدورة للباري ﷻ، خلافاً لأصحابه، فإنهم يقولون: قادر عليها، لكنه لا يفعلها؛ لأنها قبيحة. وفي مذهب النظامية: إن القبح إذا كان صفة ذاتية، ففي تجويز وقوع القبح منه قبح أيضاً، فيجب أن يكون مانعاً من قوله: إن الباري لا يوصف بالقدرة على الظلم.

القاعدة الثانية: قوله في الإرادة: إن الله تعالى ليس موصوفاً بها على الحقيقة.

(١) إبراهيم بن سيار بن هاني النظام: إبراهيم بن سيار بن هانئ البصري، أبو إسحاق النظام، من أئمة المعتزلة، قال الجاحظ: «الأوائل يقولون في كل ألف سنة رجل له نظير له، فإن صحّ ذلك، فأبو إسحاق من أولئك». تبحر في علوم الفلسفة، واطلع على أكثر ما كتبه رجالها من طبيعيين وإلهيين، وانفرد بآراء خاصة تابعته فيها فرقة من المعتزلة سميت «النظامية»، نسبة إليه، وبين هذه الفرقة وغيرها مناقشات طويلة. وقد أُلفت كتب خاصة للردّ على النظام، وفيها تكفير له وتضليل. أما شهرته بالنظام، فأشياعه يقولون: إنها من إجادته نظام الكلام. وخصومه يقولون: إنه كان ينظم الخرز في سوق البصرة. وفي كتاب «الفرق بين الفرق» أن النظام عاشر في زمان شبابه قوماً من الثنوية، وقوماً من السمنية، وخالط ملاحدة الفلاسفة، وأخذ عن الجميع. وفي شرح الرسالة الزيدونية أن النظام لم يخل من سقطات عدت عليه لكثرة إصابته. وفي «لسان الميزان» أنه «متهم بالزندقة، وكان شاعراً أديباً بليغاً». وذكروا أن له كتباً كثيرة في الفلسفة والاعتزال. توفي سنة ٢٣١هـ/ ٨٤٥م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج١، ص٤٣. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٥٤١.

القاعدة الثالثة: قوله: إن أفعال العباد كلها حركات فحشت، والعلوم والإرادات حركات النفس، كما قالت الفلاسفة في إثبات حركات، الكيف، والكم، والوضع، والأين، ومتى وأخواتها.

القاعدة الرابعة: وافقهم في قولهم: إن الإنسان في الحقيقة هو النفس والروح والبدن آلتها، كما قالت الطبيعيّة: إن الروح جسم لطيف مشارك للبدن مداخل للقلب بأجزائه، مداخلة المائية في الورد، والدهنية في السمسم، والسمنية في اللبن.

وقال أهل الاستقامة: إن الروح من أمر الله، لا يعلمها إلّا هو.

القاعدة الخامسة: إن كلّ ما جاوز محل القدرة من الفعل فهو فعل الله تعالى بإيجاب الخلقة، أي معناه: إن الله طبع الحجر طبعاً، وخلقه خلقةً، إذا دفعته اندفع، وإذا بلغت قوّة الدفع مبلغها، عاد الحجر إلى مكانه، وله في الجواهر وأحكامها خبط، خالف فيه المتكلمين من الفلاسفة وغيرهم.

القاعدة السادسة: وافق الفلاسفة في نفي الجزء الذي لا يتجزأ.

القاعدة السابعة: قوله: إن الجواهر مؤلفة من أعراض اجتمعت، ووافق هشام بن الحكم[1]، في قوله: إن الألوان والطعوم والروائح أجسام، فتارة تفضي تكون الأجسام أعراضاً، وتارة تفضي تكون الأعراض أجساماً.

---

(١) هشام بن الحكم: هشام بن الحكم الشيباني بالولاء، الكوفي، أبو محمد، متكلّم مناظر، كان شيخ الإمامية في وقته. ولد بالكوفة، ونشأ بواسط، وسكن بغداد، وانقطع إلى يحيى بن خالد البرمكي، فكان القيّم بمجالس كلامه ونظره، وصنف كتباً، منها: «الإمامة» و«القدر» و«الشيخ والغلام» و«الدلالات على حدوث الأشياء» و«الرد على من قال بإمامة المفضول» و«الردّ على المعتزلة في طلحة بن الزبير» و«الرد على الزنادقة» و«الرد على هشام الجواليقي». كان حاضر الجواب، سُئل عن معاوية أشهدَ بدراً؟ فقال: نعم من ذاك الجانب! ولما حدثت نكبة البرامكة على يد هارون الرشيد استتر، وتوفي على أثرها في الكوفة سنة ١٩٠هـ. ويقال: عاش إلى خلافة المأمون. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٨، ص ٨٥. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص ٥٤٣.

القاعدة الثامنة: إن الله خلق الموجودات دفعة واحدة على ما هي الآن معادن، ونباتاً، وحيواناً، وإنساناً، ولم يتقدم خلق آدم عليه السلام خلق أولاده، غير أن الله أكمن بعضها في بعض، وإنما أخذ هذه المقالة من أصحاب الكمون والظهور من الفلاسفة، وأكثر ميله إلى أصحاب الطبيعيين دون الإلهيين.

القاعدة التاسعة: قوله في إعجاز القرآن: إنه من قبيل أخبار الأمة (٣١٢) والأمور الماضية، وصرف الدواعي عن المعارضة، ومنع العرب عن الاهتمام به جبراً، وتعجّبوا، حتى لو خلاهم لكانوا قادرين على أن يأتوا بمثله بلاغة، وفصاحة، ونظماً. وقال أهل الاستقامة: إن القرآن معجز بنفسه، لا يقدر أحد أن يأتي بمثله، كما قال جلّ وعلا: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

القاعدة العاشرة: قوله في الإجماع ليس بحجة في الشرع، وكذلك القياس في الأحكام الشرعية، لا يجوز أن يكون حجة، وإنما الحجة في قول الإمام المعصوم.

القاعدة الحادية عشرة: ميله إلى الرفض، ووقيعته في كبار الصحابة، وقال: لا إمامة إلّا بالنص والتعيين ظاهراً مكشوفاً. وقد نص النبي ﷺ على علي بن أبي طالب، وأظهره إظهاراً لم يشتبه على أحد من الجماعة، إلّا أن عمر كتم ذلك، وهو الذي تولى بيعة أبي بكر يوم السقيفة، ونسبه إلى الشك يوم الحديبية في سؤاله للنبي ﷺ حين قال: ألسنا على الحق؟ أليسوا على الباطل؟ قال: «**نعم**». قال: فلم نعطي الدنيّة في ديننا؟ ثم زاد في الفرية على عمر رضي الله عنه، فقال: إن عمر ضرب بطن فاطمة رضي الله عنها يوم البيعة، حتى ألقت الجنين من بطنها، وكان يصيح: احرقوها بمن فيها، يعني الدار، وكان ابن عمه فيها علي والحسن

والحسين وفاطمة، وقال بتغربة نصر بن الحجاج[١] من المدينة إلى البصرة، وإبداعه التراويح، ونهيه عن متعة الحج، فثبت كل ذلك إحداثاً.

وقال أهل الاستقامة: إن هذا كله افتراء، حاشا لعمر أن يضرب بنت رسول الله ﷺ، وحاشا لعلي أن تضرب زوجته وابنة ابن عمه، وهو لا ينكر ولا يغير، ونسبوه إلى العجز، قاتلهم الله أنى يؤفكون.

ثم ذكر أحداث عثمان بن عفان، ثم عاب علياً بقوله: الشقي من شقي في بطن أمه، وبتركه الطلب للوصاية، وتحكيم الحكمين، وقتله فقهاء المسلمين وقراءهم، وله أقاويل كثيرة، تركتها اختصاراً.

الفرقة الرابعة: الحائطيّة[٢]

أصحاب أحمد بن الحائط[٣] والفضل الحدثي وكانا من أصحاب النظام، وطالعا كتب الفلاسفة، وضمّا إلى مذهب النظام ثلاث بدع:

(١) نصر بن الحجاج: نصر بن الحجاج بن عِلاط (بكسر العين وتخفيف اللام) السُّلمي ثم البهزي، شاعر من أهل المدينة. كان جميلاً. قالت إحدى نساء المدينة:

ياليت شعري عن نفسي أزاهقة ... مني ولم أقضِ ما فيها من الحاجِ
هل من سبيل إلى خمر فأشربها ... أم من سبيل إلى نصر بن حجاجِ

ـ وسمع البيتين عمر بن الخطاب، فقال: لا أرى رجلاً في المدينة تهتف به العواتق في خدورهن! وطلبه، فجاء، فأمر به فحلق شعر رأسه، ثم نفاه إلى البصرة. ولنصر أبيات في حلق جمّته. وأطال ابن أبي الحديد في خبره، فذكر له قصة مع امرأة أخرى في البصرة، نفاه بسببها أبو موسى الأشعري إلى فارس، وأن دهقانة أُعجبت به في فارس، فكتب أميرها عثمان بن أبي العاص الثقفي يخبره على عمر، فجاءه: جزوا شعره، وشمروا قميصه، وألزموه المساجد، ولما قتل عمر، عاد نصر إلى المدينة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٨، ص ٢٢.

(٢) الحائطية: والصحيح الخابطية والمحدثية، نسبة إلى أحمد بن الخابط والفضل الحدثي، انظر: الشهرستاني، أبو الفتح: الملل والنحل، ص ٢٧.

(٣) أحمد بن الخابط، والفضل الحدثي: كان أحمد بن الخابط والفضل الحدثي من أصحاب النظام، وطالعا كتب الفلاسفة أيضاً، ولهما طريقة أخرى في التناسخ، وكأنهما مزجا كلام التناسخية، والفلاسفة، والمعتزلة بعضها ببعض، توفي أحمد بن الخابط سنة ٢٣٢هـ، وتوفي الفضل الحدثي سنة ٢٥٧هـ. انظر: الشهرستاني، أبو الفتح: الملل والنحل، ص ٢٧ – ٢٨.

إحداها: إثبات حكم من أحكام الإلهيات في المسيح عليه السلام موافقة للنصارى على اعتقادهم، وعلى أن المسيح هو الذي يحاسب الخلق في الآخرة، واحتجاجه بقوله تعالى (٣١٣): ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]. وقالا: هو الذي يأتي في ظلل من الغمام، وزعم أحمد بن الخابط أن المسيح تدرع بالجسد الجثماني كما قالت النصارى.

البدعة الثانية: قوله بالتناسخ، والحلول، والرجعة، ومن قولهما: إن الديار خمس: داران للثواب، إحداهما فيها أكل، وشرب، وبعال، وجنان، وأنهار، والثانية: دار فوق هذا، ليس فيها أكل ولا شرب، ولا بعال، بل ملاذ روحانية، وروح وريحان، غير جسمانية.

البدعة الثالثة: قوله: إن نار جهنم ليس فيها ترتيب، بل هي على نمط التساوي.

البدعة الرابعة: قوله: إن دار الابتداء التي خُلق الخلق فيها، قبل أن يهبطوا إلى الدنيا، هي الجنة الأولى.

الخامسة: إن دار الابتداء التي كلف الخلق فيها، بعد أن أجرموا في الأولى، وهذا التكرير والتكوين لا يزال في الدنيا، حتى يمتلئ المكيالان: مكيال الخير والشر، فإذا امتلأ مكيال الخير صار عمله كله طاعة، فنقل إلى الجنة، ولم يلبث طرفة عين، واحتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**مطل الغنيّ ظلم**». وقال: «**يُعطَى الأجير أجرته قبل أن يجف عرقه**». وإذا امتلأ مكيال الشر صار عمله كله معصية، والعاصي شر محض، فينقل إلى النار، ولم يلبث طرفة عين، واحتج بقوله الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

السادسة: قوله: إن كل نوع من أنواع الحيوانات أمة على حيالها، واحتج بقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨].

السابعة: إن في كل أمة رسولاً من جنسهم، واحتج بقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]. ولهم في التناسخ كلام يطول به الكتاب.

الفرقة الخامسة: البشرية

أصحاب بشر بن المعتمر[1]، كان من كبار علماء المعتزلة، وهو الذي أحدث القول بالتولد، وأفرط فيه، وانفرد عن أصحابه بست مسائل:

الأولى منها: زعم أن اللون، والطعم، والرائحة، والإدراكات من السمع والرؤية، يجوز أن يجعل من الغير في الغير، إذا كانت أسبابها من فعله.

الثانية: قوله: إن الله قادر على تعذيب الأطفال، ولو فعل ذلك كان ظالماً، إلّا أنه لا يستحسن أن يقال في حقه، بل يقال: لو فعل ذلك، كان الطفل بالغاً، عاقلاً، عاصياً بمعصية ارتكبها، ومستحقاً للعقاب، وهذا كلام متناقض.

الثالثة: قوله: إن الاستطاعة هي سلامة النيّة، وصحة الجوارح، وتخلصها من الآفات.

الرابعة: قوله حكى الكعبي: إن إرادة الله تعالى هي فعل من أفعاله، وهي على وجهين: صفة ذات، وصفة فعل.

وقال أهل الاستقامة: الإرادة صفة ذات، ولم يزل الله مريداً.

الخامسة: (٣١٤) قوله في الدعوة والرسالة والفكر قبل ورود السمع.

---

(١) بشير بن المعتمر: بشير بن المعتمر الهلالي البغدادي، أبو سهل، فقيه معتزلي مناظر، من أهل الكوفة، قال الشريف الرضي: «يقال: إن جميع معتزلة بغداد كانوا من مستجيبية» تنسب إليه الطائفة «البشرية». له مصنفات في «الاعتزال» منها قصيدة في أربعين بيتاً، ردّ فيها على جميع المخالفين. ومات ببغداد سنة ٢١٠هـ/ ٨٢٥م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص ٥٥. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص ٢٠٣.

السادسة: من قوله: إن من تاب من كبيرة، ثم راجعها لا تقبل توبته، وإنما تقبل توبته بشرط أن لا يعود.

قال أهل الاستقامة: لو عمل العبد كل يوم سبعين ذنباً يتوب ويعود، ثم يتوب ويعود، فإن الله يقبل. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥]، و﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣].

الفرقة السادسة: المعمرية

أصحاب معمر بن عباد السلمي[١]. وكان أعظم القدرية فرقة في تدقيق المسائل، والقول بنفي الصفات، ونفي القدر خيره وشرّه من الله تعالى، وانفرد عن أصحابه بمسائل، إحداها أنه قال: إن الله لم يخلق شيئاً غير الأجسام، فأما الأعراض فإنها من اختراعات الأجسام، إما طبيعياً كالنار التي تحدث الاحتراق، والشمس والحرارة، والقمر والتلوين، وإنما أخذ هذا القول من الفلاسفة ومن مذهبهم واعتقادهم إن علم الباري ليس تابعاً للمعلوم، بل علمه علمي فعلي. وحكى جعفر بن حرب[٢] أنه قال: إن الله تعالى محال أن يعلم نفسه؛ لأنه يؤدي أن يتحد العلم والمعلوم.

---

(١) معمر بن عباد السّلمي: معتزلي من الغلاة، من أهل البصرة، سكن بغداد، وناظر النظّام. وكان أعظم القدرية غلواً، انفرد بمسائل، منها: إن الإنسان يدبر الجسد وليس بحالٍّ فيه. والإنسان عنده ليس بطويل، ولا عريض، ولا ذي لون، وتأليف وحركة، ولا حال، ولا متمكن، وإنما هو شيء غير هذا الجسد، وهو حيّ عالم قادر مختار... إلخ. فوصف الإنسان بوصف الإلٰهية. ومن أقواله: إن الله تعالى لم يخلق شيئاً غير الأجسام، فأما الأعراض فهي من اختراعات الأجسام، إما بالطبع، وإما بالاختيار، وتنسب إليه طائفة تعرف بالمعمرية. توفي سنة ٢١٥هـ/ ٨٣٠م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٧، ص ٢٧٢. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٥٤٦.

(٢) جعفر بن حرب: جعفر بن حرب الهمذاني (١٣٧ - ٢٣٦هـ/ ٧٩٣ - ٨٥٠م) من أئمة المعتزلة. من أهل بغداد. أخذ الكلام عن أبي الهذيل العلاف بالبصرة، وصنف كُتُباً. قال الخطيب: «إنها معروفة عند المتكلمين». وكان له اختصاص بالواثق العباسي. قال المسعودي: «وإلى أبيه يضاف شارع باب حرب في الجانب العربي من مدينة السلام. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص ١٢٣. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٥٤٩.

الفرقة السابعة: العيسائية[(١)]

أصحاب عيسى بن صبيح[(٢)]، المكنى بأبي موسى، الملقب بالمردار، وكان تلميذ بشر بن المعمر، وأخذ العلم منه، وتزهد، ويسمى راهب المعتزلة، وانفرد عن أصحابه بمسائل:

(المسألة)[(٣)] الأولى: قوله في القدر: إن الله تعالى يقدر على أن يكذب ويظلم، ولو كذب وظلم لكان إلٰهاً كاذباً ظالماً، تعالى الله عما يقول المفترون.

الثانية: قوله في التولد مثل قول أستاذه، وزاد عليه بأنه جوّز وقوع فعل واحد من فعلين على سبيل التولد.

الثالثة: قوله في القرآن: إن الناس قادرين على مثل هذا القرآن فصاحةً، ونظماً، وبلاغةً، وهو الذي بالغ في خلق القرآن، وكفّر من قال بقدمه، وإن من قال بقدمه، فقد أثبت قديمين، وكفّر من قال: إن أعمال العباد مخلوقة للباري تعالى، ووافق أهل الاستقامة في نفي الرؤية، وكفّر من قال: إن الباري يرى بالأبصار، ووافقهم أيضاً بالتخليد لأهل الكبائر في النار.

---

(١) الفرقة السابعة العيسائية: والصحيح الفرقة المردادّية. انظر: الشهرستاني، أبو الفتح: الملل والنحل، ص ٣٠.

(٢) عيسى بن صبيح: عيسى بن صبيح، المكنى بأبي موسى، الملقب بالمردار. وقد تتلمذ لدى بشر بن المعتمر، وأخذ العلم منه، وتزهّد، ويسمى راهب المعتزلة، وتلمذ له أيضاً الجعفران (جعفر بن حرب الثقفي المتوفى ٢٣٤هـ، وجعفر بن مبشر الهمذاني المتوفى سنة ٢٣٦هـ) وأبو زفر، ومحمد بن سويد. صحب أبو جعفر محمد بن عبدالله الإسكافي، وعيسى بن الهيثم، وجعفر بن الأشج. توفي المرداد سنة ٢٢٦هـ. انظر: الشهرستاني، أبو الفتح: الملل والنحل، ص ٣٠.

(٣) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٣١١.

الفرقة الثامنة: الثمامية

أصحاب ثمامة بن الأشرس النميري[1]، كان جامعاً بين سخافة الدين وخلاعة النفس، وكان يمنع من إطلاق القول بأن الله خلق الكافر؛ لأن الكافر إنسان وكفر، والله لا يخلق الكفر، وقال: إن النبوة جزاء على عمل، وأنها باقية ما بقيت الدنيا.

وحكى الأشعري عنه (٣١٥) أنه زعم أنه لا يجوز أن يقال: إن الله لم يزل قائلاً ولا غير قائل، ووافقه الإسكافي على قوله، ولا يسمى متكلماً، وكان يقول: إن الأشياء كانت قبل كونها معدومة، وليست أشياء بعد عدمها.

وكان يمنع من يقول: إن الله كان عالماً بالأشياء قبل كونها، وإنها أشياء، وكان يجوز الغيلة على المخالفين لمذهبه، وأخذ أموالهم غصباً وسرقة، واعتقاده بكفرهم، واستباحة دمائهم وأموالهم.

الفرقة التاسعة: الجاحظية

أصحاب عمرو بن بحر الجاحظ، وهو من فضلاء المعتزلة، والمصنف لهم، وقد طالع كثيراً من كتب الفلاسفة، وكان في أيام المعتصم والمتوكل، وانفرد عن أصحابه بمسائل، منها قوله: إن المعارف ضرورية طباع، وليس شيء من ذلك من أفعال العباد، وليس للعباد كسب شيء سوى الإرادة، كما قال ثمامة. وقيل عنه: إنه أنكر الإرادة وكونها جنس من الأعراض، وقال بنفي

(١) ثمامة بن الأشرس النميري: ثمامة بن أشرس النميري، أبو معن، من كبار المعتزلة، وأحد الفصحاء البلغاء المقدّمين. كان له اتصال بالرشيد ثم بالمأمون. كان ذا نوادر وملح، من تلاميذه الجاحظ. وأراد المأمون أن يستوزره فاستعفاه. وعدّه المقريزي في رؤساء الفرق الهالكة، وأتباعه يسمون «الثمامية» نسبة إليه، وأورد بعض ما انفردوا به من الآراء والمعتقدات. قال ابن حزم: كان ثمامة يقول: إن العالم فعل الله بطباعه. قال الجاحظ: «ما علمت أنه كان في زمانه قروي ولا بلدي بلغ من حسن الإفهام، مع قلّة عدد الحروف، ولا من سهولة المخرج، مع السلامة من التكليف، ما كان بلغه». انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص١٠٠ - ١٠١. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٢٠٣.

السهو عن الفاعل، وكان عالماً بما يفعله، فهو المريد على التحقيق، وأما الإرادة المتعلقة بفعل الغير، فهو مثل النفس، وزاد على ذلك بإثبات الطبائع للأجسام، كما قالت الطبيعيّون من الفلاسفة، وأثبت لها أفعالاً مخصوصة، وقال باستحالة عدم الجوهر؛ لأن الجواهر معه لا تفنى.

وقال: إن أهل النار لا يخلدون فيها عقاباً، بل يصيرون إلى طبيعة النار.

وكان يقول: إن النار يجذب أهلها إلى نفسها، دون أن يدخل إليها أحد. ومذهبه مذهب الفلاسفة في نفي الصفات، وفي إثبات القدر خيره وشرّه من العبد على أصول أصحابه المعتزلة.

ومن قوله: إن من اعتقد أن الله ربه ومحمد نبيه، فهو مؤمن، لا لوم عليه، ولا تكليف عليه، غير ذلك.

وحكى ابن الراوندي[1]، أنه قال: إن القرآن جسد، يجوز أن ينقلب مرّة رجلاً، ومرة حيواناً. كما حُكي عن أبي بكر الأصم[2] أنه زعم أن القرآن جسم

---

(١) ابن الراوندي: أحمد بن يحيى بن إسحاق، أبو الحسين الراوندي، فيلسوف مجاهر بالإلحاد. من سكان بغداد، نسبته إلى «راوند» من قرى أصبهان. قال ابن خلكان: له مجالس ومناظرات مع جماعة من علماء الكلام، وقد انفرد بمذاهب نقلوها عنه في كتبهم. وقال ابن حجر العسقلاني: «ابن الراوندي، الزنديق الشهير، كان أولاً من متكلمي المعتزلة، ثم تزندق، واشتهر بالإلحاد، ويقال: كان غاية في الذكاء. تناقل مترجموه أن له نحو ١١٤ كتاباً منها «فضيحة المعتزلة» و«التاج» و«الزمرد» و«نعت الحكمة» و«قضيب الذهب»، و«الدامغ». وفي المؤرخين من يجزم بأنه عاش ٣٦ سنة. ومن فرق المعتزلة «الراوندية» نسبة إليه. مات برحبة مالك بن طوق بين الرقة وبغداد، وقيل: صلبه أحد السلاطين ببغداد. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج١، ص٢٦٧ - ٢٦٨. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص٥٩.

(٢) أبو بكر الأصم: محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل بن سنان الأموي، محدث من أهل نيسابور، ووفاته بها، رحل رحلة واسعة، فأخذ عن رجال الحديث بمكة ومصر والشام والموصل والكوفة وبغداد. وأصيب بالصمم بعد إيابه. قال ابن الجوزي: كان يورّق ويأكل من كسب يده، وحدّث ستاً وسبعين سنة، سمع منه الآباء والأبناء والأحفاد. وقال ابن الأثير: كان ثقة أميناً. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٧، ص١٤٥. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص٤٥٢.

مخلوق، وأنكر الأعراض أصلاً، وأنكر صفات الله تعالى، وهو مذهب الجاحظ بعينه، يضاهي مذهب الفلاسفة، إلّا أن الميل منه ومن أصحابه، إلى الطبيعيين أكثر من الإلٰهيين.

الفرقة العاشرة: الخياطية

أصحاب أبي الحسين بن أبي عمرو الخياط[1] أستاذ أبي القاسم ابن محمد بن الكعبي. وهما من معتزلة بغداد على مذهب واحد، إلّا أن الخياط قال في إثبات المعدوم شيئاً واحداً، وقال: الشيء ما يعلم ويخبر عنه، والجوهر: جوهر في المعدوم، والعرض عرض. وكذلك أطلق القول في جميع (٣١٦) الأجناس والأصناف، حتى قال: السواد سواد في العدم، ولم يبقَ إلّا صفة الوجود والحدوث، وأطلق على المعدوم لفظ الثبوت. وقال في نفي الصفات مثل ما قال أصحابه، وكذلك القول في القدر والسمع والعقل.

وانفرد الكعبي عن أستاذه بمسائل منها قوله: إن إرادة الباري سبحانه ليست صفة قائمة بذاته، ولا هو مريد له بذاته، ولا إرادته حادثة في محل أو لا في محل، بل إذا أطلق عليه أنه مريد فمعناه أنه عالم قادر، غير مكره في فعله، ثم إذا قيل: هو مريد لأفعاله، فالمراد به أنه خالق لها على رفق علمه، وإذا قيل: هو خالق لأفعال عباده، فالمراد أنه أمر بها، راضٍ عنها، وكذلك قوله في كونه سميعاً بصيراً، راجعاً إلى ذلك أيضاً، فهو سميع، إنه عالم المسموعات، وبصيراً، إنه عالم بالمبصرات.

وقوله في الرؤية كأصحابه نفياً وإحالة، يرى الباري ذاته، ويرى المرئيات، إنه عالم بها فقط.

---

(١) أبو الحسين بن أبي عمرو الخياط: هو شيخ الخياطية ومؤلف كتاب «الأنصار والردّ على ابن الراوندي» ودافع فيه عن المعتزلة، وأبرأهم مما رماهم به ابن الراوندي، توفي الخياط سنة ٣٠٠هـ. انظر: الشهرستاني، أبو الفتح: الملل والنحل، ص ٣٢.

الفرقة الحادية عشرة: البهشمية[(١)]

أصحاب أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي[(٢)] وابنه أبي هاشم عبد السلام[(٣)]، وهما من معتزلة البصرة، انفردا عن أصحابهما بمسائل أنهما أثبتا إرادات حادثة لا في محل يكون الباري بها موصوفاً مريداً وتعظيماً، لا في محل إذا أراد أن يعظم (ذاته وفناء لا في محل، إذا أراد أن يفني العالم)[(٤)] وأخص هذه الصفات ترجع إليه من حيث أنه تعالى أيضاً لا في محل، وإثبات موجودات هي أعراض، أو في حكم الأعراض لا في محل، ومذهبه قريب من مذهب الفلاسفة، حيث أثبتوا عقلاً هو جوهر لا في محل، ولا في مكان. وكذلك النفس الكلي والعقل المفارق، وإنه تعالى متكلم بكلام يخلقه في محل.

وحقيقة الكلام عندهم أصوات منقطعة، وحروف منظومة، والمتكلم من فعل الكلام، لأمر قام به الكلام، إلّا أن الجبائي خالف أصحابه، خصوصاً بقوله: إن الله يحدث عند قراءة كل قارئ كلاماً لنفسه في محل القراءة، وقال: إن الذي يقرأه القارئ ليس بكلام الله والمسموع منه ليس بكلام الله، وهذا قول فاسد محال، إذ أثبت أمراً غير معقول ولا مسموع، وهو إثبات كلامين في محل واحد.

---

(١) البهشمية: والصحيح: الجبائية والبهشمية. انظر: الشهرستاني، عبد الكريم، والظاهري، علي بن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج١، ص٩٨.

(٢) محمد بن عبد الوهاب الجبائي: محمد بن عبد الوهاب الجبائي بن سلام الجبائي (٢٣٥-٣٠٣هـ/ ٧٤٦-٩١٦م) أبو علي، من أئمة المعتزلة ورئيس علماء الكلام في عصره. وإليه نسبة الطائفة «الجبائية». له مقالات وآراء انفرد بها في المذهب. نسبة إلى جبى (من قرى البصرة) اشتهر في البصرة، ودفن بجبى. له «تفسير» حافل ومطوّل، ردّ عليه الأشعري. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٦، ص٢٥٦. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص١٨٣.

(٣) عبد السلام: عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي (٢٤٧-٣٢١هـ/ ٨٦١-٩٣٣م) أبو هاشم المعتزلي، من أبناء إبّان مولى عثمان، عالم بالكلام، من كبار المعتزلة، له آراء انفرد بها، وتبعته فرقة سميت «البهشمية» نسبة إلى كنيته «أبي هاشم» وله مصنفات في الفقه «الشامل» و«تذكرة العالم» و«العدة» في أصول الفقه. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص٧. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص٦٣.

(٤) تمّ ضبط هذه الفقرة من كتاب الملل والنحل للشهرستاني في ص١١٨. نظراً لوجود بعض الاضطراب فيها.

وقال: إن الاستطاعة قبل الفعل، وهي قدرة زائدة على سلامة النيّة وصحة الجوارح، واتفقا على أن المعرفة وشكر النعمة، ومعرفة الحسن والقبيح واجبات عقلية، وأثبتا شريعة عقلية، وردا الشريعة النبوية إلى مقدرات الأحكام، وموثقات الطاعات، حتى (٣١٧) لا ينظر إليه عقل، ولا يهتدي إليه فكر.

والإيمان عندهما اسم مدح، وهو عبارة عن خصال الخير إذا اجتمعت في الإنسان، سُمي المتحلي بها مؤمناً، ومن ارتكب كبيرة فهو (في الحال)[١] يسمى فاسقاً، لا مؤمناً ولا كافراً، وإن لم يتب، ومات عليها، فهو مخلد في النار. ووافق أهل الاستقامة في الإمامة أنها بالاختيار، لا بالنص والتعيين.

الفرقة الثانية عشرة: الجهمية

أصحاب جهم بن صفوان[٢]، وهو في الجبرية الخالصة، ظهرت بدعته بترمذ[٣]، وقتله سالم بن أحوز المازني[٤]، بمرو[٥]، في آخر ملك بني أمية.

---

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٣١٤.

(٢) جهم بن صفوان: شيخ الفرقة الجهمية، وإليه تُنسب، تتلمذ على يد الجعد بن درهم الذي قتله خالد بن عبد الله القسري سنة ١٢٤هـ على الزندقة والإلحاد، والجعد هو أول من قال بخلق القرآن، مات جهم بن صفوان مقتولاً في عهد آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد، على يد عامله على مرو سالم بن أحوز المازني بسبب المشاركة في الخروج على الحكم الأموي سنة ١٢٨هـ. انظر: الشهرستاني، أبو الفتح: الملل والنحل، ص٣٦.

(٣) ترمذ: مدينة مشهورة من أمهات المدن، راكبة على نهر جيحون من جانبه الشرقي، متصلة العمل بالصغانيان، ولها قهندز وربض، يحيط بها سور، وأسواقها مفروشة بالآجر. قال نهابن توسعة:

هبّت شمالاً خريفاً أسقطت ورقاً ... واصفر بالقاع بعد الخضرة الشيحُ

فارحل هديت ولا تجعل غنيمتنا ... ثلجاً تصفّقه بالترمذ الريحُ

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٢، ص٢٦.

(٤) سالم بن أحوز المازني: عامل الأمويين على مرو في عهد الخليفة الأموي مروان بن محمد، قمع ثورة قامت ضدّ الأمويين في مرو، شارك فيها جهم بن صفوان شيخ الجبرية، وقتله سنة ١٢٨هـ. انظر: الشهرستاني، أبو الفتح: الملل والنحل، ص٣٦.

(٥) مرو: أشهر مدن خراسان وقصبتها، ومرو تعني الحجارة البيض التي يُقتدح بها. وقد روي عن بريدة =

وافـق المعتزلـة في نفـي الصفات الأزلية، وزاد عليهم بأشـياء، (منهـا)[(١)] قوله: لا يوصف الباري بصفة يوصف بها خلقه؛ لأن ذلك عنده يقتضي تشبيهاً، فنفى كونه حيّاً عالماً، وأثبت كونه قادراً خالقاً فاعلاً؛ لأنه لا يوصف بشيء من ذلك بالقدرة والخلق والفعل.

ومنهـا إثباتـه علومـاً حادثة لا في محـل، وقال: يجوز أن يعلم الشـيء قبل خلقـه؛ لأنـه لو علمه ثم خلقه، أفيبقى علمه على ما كان؟ أم لم يبقَ؟ فإن بقي، فهـو جهل؛ لأن العلم الذي لا يوجد، غير المعلم الذي وجد، فإن لم يبقَ، فقد تغيّر، والمغيّر مخلوق، وليس بقديم. ووافق في هذا المذهب هشام بن الحكم.

وقال: إن ثبت حدوث العلم، فليس يخلو، إما أن يحدث في ذاته، فتكون ذاته محـلّاً للحوادث، وإمـا أن يحدث في محل، فيكون المحل موصوفاً به لا الباري تعالى، فيعين أنه لا محل له، فأثبت علوماً حادثة بعدد الموجودات المعلومة.

ومنها قوله في القدرة: إن الإنسان يقدر على شيء، ولا يوصف بالاستطاعة، وإنمـا هو مخيّـر في أفعاله، لا قدرة لـه ولا إرادة ولا اختيـار، وإنما يخلق الله الأفعال فيه، على حسـب ما يخلق في سـائر الجمادات، وتنسـب الأفعال إليه مجازاً، كما تنسـب إلـى الجمادات، كما يقال: أثمرت الشـجرة، وجرى الماء، وتحرك الحجر، وتغيّمت السماء وأمطرت، واهتزت الأرض، وأنبتت.

وقـال: إن حـركات أهل الخلدين تنقطع، والجنة والنـار يفنيان بعد دخول أهلهمـا فيهمـا، وتلذذ أهـل الجنة بنعيمهـا، وتألم أهل النـار بجحيمها، وتأول

= أن رسـول الله ﷺ قال له: «يا بريدة إنه سـيبعث بعدي بعوث، فإذا بُعثت، فكن في بعث المشـرق، ثم كـن في بعث خراسـان، ثـم كن في بعث أرض يقال لها مـرو، إذا أتيتها فانزل مدينتهـا، فإنه بناها ذو القرنين، وصلى فيها عزير، إنها تجري بالبركة، على كل نقب منها، ملك شاهر سيفه يدفع عن أهلها السوء إلى يوم القيامة». انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٥، ص ١١٢ – ١١٣.

(١) إضافة يقتضيها السياق.

قول الله (تعالى): ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٠]. على المبالغة والتأكيد، دون الحقيقة والتخليد، واستشهد على الانقطاع بقوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧]. وقال: الآية اشتملت على شريطة واستثناء، والخلود لا شرط فيه، (٣١٨) ولا استثناء.

وقال أهل الاستقامة: إن أهل النار خالدون فيها أبداً، وأهل (الجنة)[1] خالدون فيها أبداً، وإنما الاستثناء الذي ذكره الله على المبالغة، ولهم في ذلك احتجاجات، يبطل بها قوله واعتلاله من لغة العرب وكلامها، وهي موجودة في آثار المسلمين، تركتها اختصاراً.

وقال: إن الإيمان لا يتبعض؛ أي: لا ينقسم، ولا يتفاضل أهله فيه، وإيمان الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وإيمان الأمة عنده على نمط واحد.

وعنده أن المعارف لا تتفاضل. وكان السلف من أهل الاستقامة من أشد الرادّين عليه، ونسبوه إلى التعطيل المحض.

الفرقة الثالثة عشرة: النجارية

أصحاب الحسين بن محمد النجار[2]، وأكثر معتزلة الري[3]، ونواحيها

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٣١٥.

(٢) الحسين بن محمد النجار: الحسين بن محمد بن عبد الله النجار، أبو عبد الله، رأس الفرقة «النجارية» من المعتزلة، وإليه نسبها، كان حائكاً، وقيل: كان يعمل الموازين، من أهل قم. وهو من متكلمي «المجبرة» وله مع النظّام مناظرات. وأكثر المعتزلة في الري وجهاتها مع النجارية، وهم يوافقون أهل السُّنَّة في مسألة القضاء والقدر واكتساب العباد وفي الوعد والوعيد وإمامة أبي بكر، ويوافقون المعتزلة في نفي الصفات وخلق القرآن، وفي الرؤية. وهم ثلاث فرق: «البرغوثية، والزعفرانية، والمستدركة». له كتب منها: «البدل» في الكلام، و«المخلوق» و«إثبات الرسل» و«الإرجاء» و«القضاء والقدر» و«الثواب والعقاب» وغير ذلك. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص ٢٥٣. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص ٥٥٤.

(٣) الري: مدينة مشهورة، من أمهات البلاد وأعلام المدن، كثيرة الفواكه والخيرات، وهي محط الحجاج على طريق السابلة وقصبة بلاد الجبال. ويقال: إن كيخسرو بن سياوش بناها. وقال العمراني: الريّ =

علـى مذهبـه، وهم أصنـاف، إلا أنهم لـم يختلفوا في المسـائل التـي عددناها أصـولاً، وهم برغوثية وزعفرانية ومسـتدركة. وافقوا المعتزلة في نفي الصفات من العلم، والقدرة، والإرادة، والحياة، والسمع، والبصر، ووافقوا الصفاتية في خلق الأعمال.

ووافق أهل الاسـتقامة في خلق الأعمال، خيرها وشرها، حسنها وقبيحها، وأن العبد مكتسـب لها، وكذلك وافقهم في مسـألة الرؤية، منها أن الباري ﷻ لا يُرى بالأبصار، وانفرد عن المعتزلة بأشياء، منها قوله: إن كلام الله إذا قرئ، فهو عرض، وإذا كتب، فهو جسم.

وقالـت الزعفرانيـة: إن كلام الله ﷻ غيره، وكل ما هو غيره، فهو مخلوق. والمستدركة منهم قالوا: إن كلامه غيره، وهو مخلوق.

وقال أهل الاسـتقامة: إن القرآن كلام الله، وهو صفة من صفات ذاته، غير مخلـوق، لقـول النبي ﷺ: «**القرآن كلام الله غير مخلوق**». وجميع من كان من أهل الاستقامة اجتمعوا على أنه غير مخلوق.

وحكـى الكعبـي عنه أنـه قال: الباري تعالـى بكل مكان موجـود، إلّا على معنى العلم والقدرة، وقال في الفكر قبل ورود السـمع مثل ما قالت المعتزلة: إنـه تجب عليـه المعرفة بالنظر والاسـتدلال. وقال في الإيمـان: إنه عبادة عند التصديـق. وقال: مرتكـب الكبيرة إذا مات من غير توبة، عوقب على ذلك، ثم يخرج من النار، كما قالت الحشوية.

= بلد بناه فيروز بن يزدجرد، وسماه رام فيروز، وللري قرى كبار، كل واحدة أكبر من مدينة. فتحت عام ٢٠هـ. قال أبو نجيد:

دعانـا إلـى جرجـان والـريّ دونهـا ... سـواد فأرضـت من بهـا من عشـائرِ
رضينـا بريـق الـريّ والـريّ بلـدة ... لهـا زينـة فـي عيشـها المتواتـرِ

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٣، ص ١١٥ - ١١٨.

الفرقة الرابعة عشر: الضرارية

أصحـاب ضرار بن عمرو[(١)] وحفص الفـرداء[(٢)] اتفقا على التعطيل؛ لأنهما قالا: إن الباري سبحانه عالم قادر على معنى (٣١٩) أنه ليس بجاهل ولا عاجز، وأثبتا حاسة الإنسان، يرى بها الله سبحانه يوم الثواب في الجنّة.

ووافق أهل الاستقامة في خلق الأفعال، وقال: إنها مخلوقة للباري سبحانه على الحقيقة، والعبد يكتسـبها على الحقيقة، وقال: الحجة بعد رسـول الله ﷺ الإجماع فقط.

وقـال فـي المفكر قبل ورود السـمع: إنـه لا يجب عليه شـيء، حتى يأتيه الرسول، فيأمره وينهاه.

وزعم أن الإمامة تصلح في غير القرشـي على قول أهل الاسـتقامة، وبالـغ فـي القول، حتـى قال: إذا اجتمع القرشـي والنبطي، قدّمنـا النبطي، إذ هو أقل عدداً، وأضعف شوكة، فيمكننا خلعه، إذا خالف الشريعة.

والمعتزلة وأهل الاستقامة، وإن جوّزوا الإمامة في غير القرشي، لا يقدمون في الإمامة إلّا من يرضون دينه، وإمامته، وسيرته.

تمت فرق المعتزلة، والمرجئة، والقدرية، والحمد لله حق حمده.

---

(١) ضرار بـن عمـرو: ضرار بن عمـرو الغطفاني، قـاضٍ من كبـار المعتزلة، طمع برئاسـتهم في بلده، فلـم يدركهـا، فكفروه وطردوه. وصنف نحو ثلاثين كتاباً، بعضها فـي الرد عليهم وعلى الخوارج، وفيها ما هو مقالات خبيثة. وشـهد عليه الإمام أحمد بن حنبل عند القاضي سـعيد بن عبد الرحمٰن الجمحي، فأفتى بضرب عنقه، فهرب، وقيل: إن يحيى بن خالد البرمكي أخفاه. قال الجشمي: ومن عـدّه مـن المعتزلة فقد أخطأ؛ لأنا نبرأ منه، فهو من المجبـرة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص ٢١٥. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص ٥٤٤.

(٢) حفص الفرداء: والصحيح حفص الفرد. انظر: الشهرستاني، أبو الفتح: الملل والنحل، ص ٣٧.

الفصل الثاني
في الفرقة الثانية، وهي العثمانية، وهم الحشوية، والصفاتية، وهم خمس عشرة فرقة

فالفرقة العثمانية الذين طلبوا بدم عثمان، هم الصفاتية والحشوية من المشبهة، وافترقوا على خمس عشرة فرقة. فمنهم من اقتصر على صفات الأفعال، ومنهم من توقف في التأويل، وقالوا: لا نعرف اللفظ الوارد فيه، مثل قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. ومثل قوله (تعالى)[١]: ﴿خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]. ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]. وغير ذلك من الآيات المتشابهات. وسموا نفوسهم سلفيّة، وخلفية، وهم ممّن تسمى بالسُّنَّة والجماعة.

وسماهم أهل الاستقامة أهل الفرقة والفتنة؛ لأنهم لا يجمعون بين قوم، وقد قتل بعضهم بعضاً، ويجمعون بين الظالم والمظلوم، وقالوا: إنهم يجتمعون كلهم في حضرة الفردوس، والله (تعالى) يقول: ﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨]. وقال (تعالى): ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١].

ومن اعتقادهم لخالقهم أنه على العرش استوى استقراراً، وأن له يدين، ووجهاً، وعينين. وقد شبهوا الله بخلقه جل وعلا، وقد ضلوا بتأويلهم.

ومن قولهم واعتقادهم في الصراط: إنه منصوب على متن جهنم، وإنه أدق من الشعرة، وأحدّ من السيف، وإنه يختبر به المؤمن والكافر.

---

(١) إضافة يقتضيها السياق.

وقول أهل الاستقامة في الصراط: إنما هو الحق والعدل، لا كما زعم المبطلون.

ومن قولهم واعتقادهم (٣٢٠) في الميزان: إنه ميزان على الحقيقة، وأن كفتيه كسعة السمٰوات والأرض، يوزن به أعمال العباد، وهذا باطل عند أهل الاستقامة، وإنما ذلك عبارة عن المجازاة كما قال جلّ وعلا: ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

ولأهل الاستقامة في هذه احتجاجات من كلام العرب وأشعارهم ما ينقض عليهم قولهم وتأويلهم، وذلك موجود في آثار أصحابنا.

ومن اعتقادهم أنهم أجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة، وأن من المخلصين من يعانقه في الدنيا والآخرة، وأنه يزورهم ويزورونه، وأنه له وفرة سوداء، وشعراً قططاً.

ومن اعتقادهم أنه جسم لا كالأجسام، ولحم لا كاللحوم، وكذبوا على الله، وهو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

وقالوا: إنه خلق آدم على صورته، وأنه وضع قدمه في النار.

وقالوا: قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمٰن. وقالوا: أخمر طينة آدم بيده أربعين سنة.

وقالوا: بكى على طوفان نوح، حتى رمدت عيناه، وأن العرش تحته له أطيط، يتفضل عن العرش من كل جانب طرح أربع أصابع.

ولهم مسائل كثيرة في التشبيه. وقال النبي ﷺ: «**المشبهة يهود هذه الأمة؛ لأنهم يضاهونهم**».

ومن اعتقادهم أن الله يرى بالأبصار في دار القرار.

ومن اعتقادهم أن شفاعة الرسول لأهل الكبائر.

ومن اعتقادهم أن القاتل والمقتول يجتمعون في حضرة الفردوس.

ومن اعتقادهم أن الإيمان قول بلا عمل، وإن كل من قال: لا إلٰه إلّا الله دخل الجنّة، ولو سفك الدماء، وأكل أموال الناس ظلماً، ولم يصلِّ، ولم يصم، ولو مات مصراً على ذلك، من غير توبة.

ومن اعتقادهم في الإمامة: أنها لا تثبت ولا تكون إلّا في القرشي، ولو كان ظالماً.

ومن اعتقادهم أن الله يتم وعده، ويبطل وعيده.

ومن اعتقادهم أن أصحاب النار من أهل الكبائر، لا يسمون كفاراً، وأن من دخل النار منهم لا يعذب إلّا بقدر عمله، وأنهم يخرجون من النار، ويدخلون الجنة، فيعيّرهم أهل الجنة، ويفتخرون عليهم، ويسمونهم الجهنميّون، فيشكون إلى الله تعالى، فيمحو تلك السمة عنهم، فتصير نوراً يتلألأ، ويسمون عتقاء الرحمٰن، فيتمنى أهل الجنة لو كانوا عملوا كعملهم.

ولهم اعتقادات فاسدة، وتأويلات عن الحق حائدة.

ومن اعتقادهم أن الله يبرز يوم القيامة على كثيب من (٣٢١) كافور، وليس يخفى على ذوي العقول أن الكثيب محدود، ولا يبرز على المحدود إلا محدود، والله ليس بمحدود، تعالى الله عن ذلك.

وقالوا: إن الطاعة عليهم لمن ملكهم، ولو كان جباراً عنيداً، والله (تعالى)[1] يقول: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤]. وقال النبي: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

(١) إضافة يقتضيها السياق.

الفرقة الأولى: الكرامية

أصحاب محمد بن الكرام[١]، كان يثبت الصفات، وينتهي فيها إلى التجسيم والتشبيه، ونص أن معبوداً استقر على العرش استقراراً، وأطلق اسم الجوهر عليه، وجوز عليه الانتقال والتحويل والزوال، وأنه على صورة آدم، وأنه يجيء يوم القيامة لمحاسبة الخلق، والإيمان معه إقرار باللسان دون التصديق بالقلب، ودون سائر الأعمال، والإمامة عنده ثبت بالإجماع دون النص.

الفرقة الثانية: الهيصمية

أصحاب محمد بن الهيصم[٢]: كان يقول: بين معبوده وبين العرش بعداً لا يتناهى، وأنه مباين للعرش بينوية أزلية، ونفى عنه المحاذاة، وأثبت الفوقية والمباينة، وأطلق لفظ الجسم عليه، ولهم اختلاف في النهاية.

ولهم في معنى العظمة اختلاف، وجوّز عقد إمامين في قطر واحد، وغرضهم إثبات الإمامة لمعاوية، ورأوا تصويب معاوية فيما استكذبه من الأحكام والإمامة، وطلبه بدم عثمان. وأصل مذهبهم اتهام علي بن أبي طالب في عثمان.

ومن فقهائهم مضر، وكهمش، وأحمد الجهني[٣]. وأجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة، وأنه يعانقهم، إذا اجتهدوا في الرياضة.

---

(١) محمد بن الكرام: محمد بن كرام بن عراق بن خرابة، أبو عبد الله، السجزي، إمام الكرامية، من فرق الابتداع في الإسلام. كان يقول: «إن الله تعالى مستقر على العرش، وأنه جوهره». ولد ابن كرام في سجستان، وجاور بمكة خمس سنين، وورد نيسابور، فحبسه محمد طاهر بن عبد الله. ثم انصرف إلى الشام، وعاد إلى نيسابور، فحبسه محمد بن طاهر، وخرج منها سنة ٢٥١هـ إلى القدس، فمات فيها، والسجزي نسبة إلى سجستان. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٧، ص١٤. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١١، ص٥٢٣.

(٢) محمد بن الهيصم: شيخ الفرقة الهيصمية، فسر الإيجاد والإعدام: بالإرادة والإيثار. قال: وذلك مشروط بالقول شرعاً. وزعم أن الذي أطلقه المشبهة على الله ﷻ من الهيئة، والصورة، والجوف، والاستدارة، والوفرة، والمصافحة، والمعانقة، ونحو ذلك لا يشبه سائر ما أطلقه الكرامية. انظر التفاصيل في: الشهرستاني، أبو الفتح: الملل والنحل، ص٤٧ - ٤٨.

(٣) أحمد الجهني: والصحيح أحمد الهجيمي. انظر: الشهرستاني، أبو الفتح: الملل والنحل، ص٤٥.

ومنهم من جوّز عليه الرؤية في الدنيا، وأنه يزورهم ويزورونه، وحكي عن داود الجوازلي[1] أنه قال: اعفوني عن الفرج واللحية، واسألوني ما وراء ذلك.

وقال: إنه جسم ولحم ودم وعظام، وله يدان ورجلان وعينان وأذنان ورأس، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

الفرقة الثالثة: الأشعرية

أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري[2]، المنتسب إلى أبي موسى الأشعري. كان قوله واعتقاده أن المفكر إذا فكر في نفسه، في أي شيء كان، ومن أي شيء ابتدأ، وكيف دار في أطوار الخلقة، عرف يقيناً أن الله له خالقاً، وقادراً، عالماً، مريداً، وهذا القول قريب من قول أهل الاستقامة، إلّا أنه نقضه بقوله: عالم بعلم، وقادر بقدرة، وحي بحياة، مريداً بإرادة، سميع بسمع، بصير ببصر.

وقول أهل الاستقامة: عالم بذاته، وقادر بذاته، وحي بذاته، وسميع بذاته، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ومن اعتقاده أن الله يُرى بالأبصار في دار (٣٢٢) القرار، ويحتج بالآيات المتشابهات، مثل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۞ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]. وغير ذلك تركتها اختصاراً.

---

(١) داود الجوازلي: والصحيح داود الخواربي. انظر: الشهرستاني، أبو الفتح: الملل والنحل، ص ٤٥.

(٢) علي بن إسماعيل الأشعري: علي بن إسماعيل الأشعري بن إسحاق، أبو الحسن، (٢٦٠ - ٣٥٤هـ/ ٨٧٤ - ٩٣٦م): من نسل أبي موسى الأشعري، مؤسس مذهب الأشاعرة. كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين، تلقى مذهب المعتزلة وتقدّم فيهم، ثم رجع وجاهر بخلافهم، توفي ببغداد. قيل: بلغت مصنفاته ثلاثمئة كتاب. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص ٢٦٣. وانظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٣، ص ٢٨٤ ـ ٢٨٦.

الفرقة الرابعة: المالكية

أصحاب مالك بن أنس الأصبحي المدني[١]، كان من اعتقاده ترك التأويل، وقيل: إن سائلاً سأله عن الاستواء على العرش، فقال: الاستواء لعله، والسؤال عليه معلوم، والكيفية مجهولة، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وهذا من عجائبه، إذ يقول لسائل سأل عن أمر دينه: إن السؤال بدعة، والله يقول:﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٧]. ومن قوله: إن الاعتقاد والإيمان هو التصديق، أما القول باللسان، والعمل بالأركان، فهو من فروعه.

وعنده: إن كل من صدق بقلبه، وأقرّ بوحدانية الله، واعترف بالرسل، وبما جاؤوا به، فقد صح إيمانه، ولو لم يصلِّ، ولو لم يصم.

ومن قوله: إن صاحب الكبيرة إذا خرج من الدنيا عن غير توبة، فالله إما أن يغفر له، وإما أن يشفع فيه النبي، واحتج أن النبي ﷺ، قال: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أُمتي**»، وإما أن يعذبه بمقدار جرمه، ثم يدخله الجنة.

وعنده صاحب الكبيرة لا يخلد في النار مع الكفار، وزعم أنه من كان في قلبه مثقال حبة من الإيمان، فإنه يخرج من النار.

وله في الشرع أقاويل حائدة، منها: إن من صلى في ثوب أصابه قيء فلا شيء عليه، إلّا أن يكون قيئاً من نبيذ، فإنه يعيد صلاته في الوقت، وإن خرج

---

(١) مالك بن أنس الأصبحي المدني: مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري (٩٣ - ١٧٩هـ/ ٧١٢ - ٧٩٥م) أبو عبدالله، إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب المالكية، مولده ووفاته في المدينة. كان صلباً في دينه، بعيداً عن الأمراء والملوك، وُشي به إلى أبي جعفر المنصور العباسي، فضربه سياطاً انخلعت لها كتفه. ووجه إليه الرشيد العباسي ليأتيه فيحدثه، فقال: «العلم يؤتى» فقصده الرشيد في منزله، واستند إلى الجدار، فقال مالك «يا أمير المؤمنين من إجلال رسول الله إجلال العلم، فجلس بين يديه، فحدّثه، صنف «الموطأ»، وله رسالة «الوعظ»، وكتاب «المسائل»، ورسالة في «الردّ على القدرية»، وأخباره كثيرة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص ٢٥٧ - ٢٥٨. وانظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان، ج٤، ص ١٣٥ ـ ١٣٩.

الوقت، فلا إعادة عليه، وقال: إن أصاب الثوب دم قليل أو كثير، جائز للمصلي أن يصلي به، وكان لا يرى على المستحاضة غسلاً ولا وضوءًا.

وعنده: إن كلّ ما خرج من السبيلين نادراً غير معتاد، مثل دم الاستحاضة والوذي والمذي، (والحجر)[1] والدود، وسلسل البول، لا ينقض الوضوء.

وأجار لمن يخطب في صلاة الجمعة، إن خطب وهو محدث، فلا نقض عليه في صلاته، وعنده التيمم للوضوء ليس بواجب.

وعنده: الكلب طاهر، وأكله جائز، وولوغه في الماء والإناء لا ينجسه.

وعنده: جواز المسح على الخفين.

وعنده: لا تجوز قراءة بسم الله الرحمٰن الرحيم في الصلاة.

وعنده يجوز قراءة المأموم في الصلاة فيما أسرّه الإمام، وما جهر به الإمام، فلا يجوز للمأموم أن يقرأه.

وعنده حدّ العورة من الركبة إلى السرّة، وأن الركبة والسرّة ليستا من العورة.

وعنده: يجوز السجود على كور العمامة.

وعنده: (٣٢٣) يجوز الكلام في الصلاة لكل ما يحتاج من أمور الدنيا والآخرة.

وعنده: يجوز لمن يصلي وإلى جنبه امرأة أجنبية في صلاة واحدة.

وعنده: لا يقطع الصلاة مرور الكلب، (ولا الجنب)[2] ولا الحائض، وأجاز للحائض قراءة القرآن.

---

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٣٢٠.
(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٣٢٠.

وعنده: يجوز للمشرك دخول المساجد، إلّا المسجد الحرام.

وعنـده: إذا عمـل الإنسـان عمل قوم لوط فـي نهار رمضـان، لا يلزمه إلّا القضاء، ولا كفارة عليه، وعنده جائز استرقاق الوثني العربي، والنبي يقول: «**لا رقّ على عربي**».

وعنده: يجوز النكاح بلا شهود ولا خطبة.

وعنده: يجوز تزويج أخت امرأته إذا طلقها ثلاثاً، ولو لم تخرج من العدّة.

وعنده: الإشهاد على الرجعة مستحب غير واجب.

وعنده: العدّة من وقت الفرقة، لا من وقت السماع.

وعنده: يجوز كراء الفحل لينزو على الإناث.

وقال: لا يجوز بيع الأعمى وشراءه، وأجاز الحدّ على من وجد عليه رائحة الخمر.

ومن عجائبه التي لم يسـبقه إليها أحد قوله: إذا عضّ الإنسـان يد إنسـان، فجذب المعضوض يده من فم العاض، فقلع أضراسه أو بعضها، لزمه ما قلع، وأجاز التذكية بالسن والظفر.

وحـرّم أكل الجـراد إذا مـات حتـف أنفه من غير سـبب، وجـوّز أكل ذي مخلب من الطير، وناب من السـباع، لا يحرّم منه شـيء، وأجاز تقديم الكفارة علـى الحنـث، وجوّز شـهادة الصبيان فـي القتل والجـراح وغيـره، وجوّز بيع المساجد وتمليكها.

ومن عجائبه: إن من وجد شـاة أو بقرة بعيدة عن العمران، فله أن يأكلها، ولا غرم عليه، ولا ضمان.

ومـن قوله: إن من تزوج أمة فأولدها، ثم اشـتراها، لا تكون عنده أم ولد،

وجاز له بيعها، وإن أولدها بعد ما اشتراها كانت عنده أم ولد، ولا يجوز له بيعها.

وعنده: إن من خلف أختاً أو ابنة كان لها نصف الميراث، والنصف للسلطان، وكذلك إن خلف ما كان لها الثلث، والثلثان للسلطان، وكذلك إن أوصى إنسان لإنسان، ولا وارث له، كان له الثلث، وللسلطان الثلثان.

وقالوا: لو أن رجلاً حلف لا يأكل رطب نخلة فلان، وأراد أن لا يكون عليه يمين، فأكل من خيارها، فإنه لا يحنث في ذلك.

وعنده: من قطع ذنب حمار القاضي، كان عليه قيمة الحمار كله، وإن قطع ذنب حمار غير القاضي، كان عليه قيمة ما نقص الشين.

من قوله: إذا حلف أحد بطلاق زوجته إذا هلّ شهر كذا وكذا فإنها تطلق من حين حلف، وإن قال: إذا قدم زيد فأنت طالق كذا وكذا، فإنها لا تطلق حتى يقدم زيد؛ لأن الهلال الذي حلف عليه يهل لا محالة، وقدوم زيد (٣٢٤) يجيء أم لا.

وعنده: كل عقد يمين بشرط كان لا محالة، فإنه يوقعه في الوقت، ولا يعتبر ما علق بشرط جائز أن يكون ولا يكون، فإنه يعتبر وقوع الوقت الذي علق به في الحكم.

ومن قوله أيضاً: لو أن رجلاً حلف أن لا يأكل من مال يتيم، فركب دابته أنه يحنث، واحتج بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا﴾ [النساء: ١٠]. وإنه دخل بهذه الآية في خطاب الأكل، وأن الحنث يلزمه، وكان يرى إجازة الوطء في الدبر. وله أقاويل كثيرة، تنافي الشرع، تركتها.

الفرقة الخامسة: الحنفية

أصحاب أبي حنيفة النعمان بن ثابت[١]، مولى تيم اللات بن ثعلبة[٢]، كان جزاراً بالكوفة، وكان يقرر مذهبه على القياس. ومن أصحابه أبو يوسف، ومحمد بن الحسن، وكان دعاه ابن هبيرة[٣]، للقضاء، فلم يحسن، وضربه كل يوم عشرة أسواط.

وكان لا يأخذ بالأخبار.

ومن عجائبه في الشرع لو أن جُنُباً سقط في بحر حتى غمره، وهو كاره لسقوطه في البحر، وناسٍ لجنابته أنه يجيزيه، ويخرج مما تعبد الله به من غسل الجنابة، وأسقط النيّة، والنبي يقول: «**الأعمال بالنيات**».

وعنده: الاستنجاء ليس بواجب، ولو صلى بغير استنجاء جازت صلاته.

---

(١) النعمان بن ثابت: (٨٠ – ١٥٠هـ/ ٦٩٩ – ٧٦٧م): النعمان بن ثابت، التيمي بالولاء، الكوفي، أبو حنيفة: إمام الحنفية الفقيه المجتهد المحقق، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السُّنَّة. قيل: أصله من أبناء فارس. ولد ونشأ بالكوفة. وكان يبيع الخز، ويطلب العلم في صباه، ثم انقطع للتدريس والإفتاء، وأراده عمر بن هبيرة على القضاء، فامتنع ورعاً. وأراده المنصور العباسي بعد ذلك على القضاء ببغداد، فأبى، فحلف عليه ليفعلن، فحلف أبو حنيفة أنه لا يفعل، فحبسه إلى أن مات. كان قوي الحجة، من أحسن الناس منطقاً. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٨، ص٣٦. وانظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان، ج٥، ص٤٠٥ ـ ٤١٥.

(٢) تيم اللات بن ثعلبة: تيم اللات بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج الأزدي، من قحطان، كان يعرف بالنجار، بنوه «بنو النجار» الأنصاريون، وهم بطون وأفخاذ كثيرة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص٩٥.

(٣) ابن هبيرة: عمر بن هبيرة بن سعد بن عدي الفزاري، أبو المثنى، أمير من الدهاة الشجعان. كان رجل أهل الشام. وهو بدوي أمي، تولى إمارة العراق وخراسان في عهد يزيد بن عبد الملك، فكانت إقامته في الكوفة، ثم عزله هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥هـ، وولى خالد بن عبد الله القسري، فحبسه خالد في سجن واسط، فحفر غلمان له من الروم نفقاً إلى السجن، وأحضروا له خيلاً، فهرب ومعه ابنه يزيد. وذهب إلى الشام، فأناخ بباب مسلمة بن عبد الملك، فكان واسطته عند «هشام» فرضي عنه هشام وأمنه، وللفرزدق في هربه شعر. قال ابن هبيرة: ما رأيت أشرف من الفرزدق، هجاني أميراً، ومدحني أسيراً. توفي ابن هبيرة سنة ١١٠هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص٦٨ – ٦٩.

وعنده: قراءة بسم الله الرحمٰن الرحيم لا تجوز في الصلاة، وإنها ليست من القرآن، وجوّز قراءة الحمد بالفارسية.

وعنده: لا يجوز للمأموم قراءة شيء خلف الإمام، لا ما أسرّه، ولا ما جهر به.

وعنده: إن العورة هو الفرج نفسه، وإنه يجوز للمرأة أن تصلي وثلث ساقها مكشوف.

وأجاز للمشرك دخول جميع المساجد والمسجد الحرام، ولم يرَ على من جامع دون الفرج، أو بلع حصاة في شهر رمضان كفارة.

وعنده: لا يفسد حج من يلوط، ولامن يطأ امرأة في دبرها.

وعنده: لا ينفسخ نكاح الزانية إذا زنت، وأجاز تزويج الأمة الكتابيّة المشركة، وأجاز قتل المسلم بالكافر، والحرّ بالعبد.

وأجاز شرب كل مسكر عُمل من دون التمر والزبيب.

وإذا ضرب الرجل زوجته، ولم يرد قتلها فماتت من ضربه، فقوله لا دية عليه، ولا ضمان.

وجوّز شهادة العدو على عدّوه، والخصم على خصمه، وجوّز شهادة الواحد مع يمين الطالب، وجوّز للإمام أن يحمي المرعى من الناس.

وكذلك المحدث من غير الجنابة، إذا أجرى الماء على الأعضاء المأمور بغسلها عند القيام إلى الصلاة، وهو لم يرد (٣٢٥) بذلك الماء إلّا تبريد جسده أنه يصلي بهذا الفعل، ويكون طاهراً مطهراً، وقال: إذا كان على بدن المتطهر للصلاة، أو على لحيته مقدار الدرهم البغلي عذرة، إن صلاته تامة ماضية جائزة، هذا في السعة. وأما العلو، فلو كانت بعلو المنارة، لكان هذا المقدار لا يقدح في الصلاة.

وقال أيضاً في رجل أصاب ثوبه دم قدر الدرهم، فلم يظهر على الجانب

الآخـر لغلـظ الثوب: إنـه تجوز به الصلاة، فإن أصاب الـدم صفحة الثوب من الجانـب الآخـر مما يلي الدم الأول، فلم يختلط (بالـدم)[1] الأول، فالصلاة به لا تجوز، فإن أصابه دم ثالث، فاختلط به الدمان الأولان، فالصلاة به جائزة.

وإذا قام رجل إلى الصلاة، فاتزر بثوب صغير يستـر سـرّته إلى دون الركبة وفخذه وإليته أقل من نصفهما بارز، وهو على كوّ دبره وذكره خرق من الثوب بقـدر الدرهـم البغلي بغير قميـص ولا رداء، إن صلاته جائـزة، ولو كان عنده أحمال الإبل من الثياب بحضرته، ويقدر عليها.

وإن المصلـي إذا قـام لها، ولـم يقرأ الإقامة، ولم يوجـه، ولم يكبر تكبيرة الإحـرام، ولـم يسـتعد، ولم يقـرأ الحمـد ولا البسـملة، وقـال: ﴿ مُدۡهَآمَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٦٤]، ثم انحط بقدر ما يرتخي بلا تسبيح ولا تكبير، وسجد على طرف أنفه، ولم ينل جبهته الأرض، ولم يسـبّح في سـجوده، ثم رفع رأسـه بقدر ما تدخـل الريـح بينـه وبين الأرض، ثم عـاد إلى ما فعل في السـجدة الأولى من وضع أنفه على الأرض، ثم يقوم بغير تكبير، ويقول: ﴿ مُدۡهَآمَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٦٤]، ويفعـل مـا فعله في الركعـة الأولى، ثم جلس، وأحدث متعمداً أو ناسـياً، ولم يقرأ التحيات، إن صلاته تامة ماضية مقبولة، وقد أدى الفرض.

وقال أيضاً: لا يحل لرجل أن يطأ أَمَة وطئها أبوه فيما دون الفرج، وكذلك لـو نظر إلـى فرجها من طريق الشـهوة، فجعل النظر من طريق الشـهوة محرماً كالجماع، وإن المرأة إذا نظر سيدها فرجها، ولم يطأها، لم تحل لابنه، فساوى بين النظر والوطء.

وأنكر على أصحابنا قولهم: (إن)[2] من نظر إلى فرج امرأة لشهوة، لا يحل

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٣٢٣.
(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٣٢٣.

أن يتزوجها، فساوى بين النظر والجماع، وأنكر علينا إذ ساوينا بين النظر والجماع على أصولنا.

وقال: لو أن امرأة قبّلت ربيبها لشهوة حرمت على أبيه، فأوجب الفراق بينهما إذا قبّلت ربيبها، ولم يوجبه إذا زنت، وأوجب الحرمة عليهما بمعصية أحدهما، وأنكر علينا إذ حرمنا عليه اجتماعهما لمعصيتهما جميعاً.

وعنده: إن قبلة أحدهما أعظم من زناهما. وقال: إذا طلّق الرجل زوجته (٣٢٦) طلاقاً رجعياً، ثم نظر إلى فرجها أو بطنها أو وطئها، كان ذلك ردّاً لها، وإن نظر إلى وجهها لم يكن رداً، ولا فرق عنده بين النظر إلى الوجه والبطن والظهر من طريق الشهوة.

وأجاز قراءة فاتحة الكتاب معكوسة، وقراءة القرآن بالفارسية، وقال: لو أن مشركاً توضأ وهو مشرك، ثم أسلم، أنه على وضوء، ويصلي به، ولو تيمم، ثم أسلم، انتقض تيممه، وقال: إن التيمم لا يكون إلّا بنيّة، والوضوء يكون بغير نيّة.

وقال: لو أن شاهدي زور شهدا على رجل طلق زوجته ثلاثاً، وفرّق الحاكم بينهما، جاز لهذين الشاهدين أن يتزوجا هذه المرأة واحداً بعد واحد، وأن ذلك حلال لهما، واحتج أن فعل الحاكم حجة في تحليلها.

وقال: لو أنّ رجلًا ردّ على رجل عبداً أبق عليه بغير إذنه قيمته عشرة دراهم أنه يحكم له على سيد العبد بأربعين درهماً، فأين التعاون على البر؟ وقول النبي: «**إن على المؤمن حفظ مال أخيه**»، وأيضاً سيد العبد لم يستأجره، وهو لا يوجب الإجارة إلّا بعقد، فترك أصله، وقال: لو تزوج رجل أُمّه أو أخته، أو ابنته، ودخل بها وهو يعلم بتحريم ذلك، إنه لا حدّ عليه، وعليه لها بالصداق، ويثبت النسب منه.

ولهم خبط وأقاويل يتعجب منها ذو اللب، تركتها.

الفرقة السادسة: الحنبليّة

أصحاب أحمد بن حنبل[١]، وله اعتقادات في التشبيه والغلو، أعظم من سائر الفرق المشبهة، وله مسائل في الشرع ينكرها العقل، ومن عجائبه:

جوّز صلاة الجمعة قبل الزوال، وجوّز صيام التطوع بلا نيّة من الليل. وأجاز قتل من ترك الصلاة متهاوناً بها من غير جاحد لفرضها، ويكون مشركاً، ويقبر في مقابر المشركين.

وقال: يجوز للإمام إذا لم يقدر على القيام أن يصلي قاعداً، وصلى الذين خلفه قعوداً، ولو كانوا قادرين على القيام، وله خبط كثير، تركته.

الفرقة السابعة: الشافعية

أصحاب محمد بن إدريس الشافعي[٢]، كان تلميذاً لمالك بن أنس، ثم

(١) أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١هـ/ ٧٨٠ - ٨٥٥م): أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله، الشيباني الوائلي، إمام المذهب الحنبلي، وأحد الأئمة الأربعة. أصله من مرو، وكان أبوه والي سرخس. وولد ببغداد، فنشأ مكبّاً على طلب العلم، وسافر في سبيله أسفاراً كبيرة إلى الكوفة، والبصرة، ومكة، والمدينة، واليمن، والشام، والثغور، والمغرب، والجزائر، والعراقين، وفارس، وخراسان، والجبال، والأطراف. صنّف «المسند» في ستة مجلدات، يحتوي على ثلاثين ألف حديث، وله كتب في «التاريخ» و«الناسخ والمنسوخ» و«التفسير». وفي أيامه دعا المأمون إلى القول بخلق القرآن، ومات قبل أن يناظر ابن حنبل، وتولى المعتصم، فسجن ابن حنبل ثمانية وعشرين شهراً لامتناعه عن القول بخلق القرآن. وأطلق سنة ٢٢٠هـ. أكرمه المتوكل، ومكث مدّة لا يولي أحداً إلّا بمشورته، وتوفي ابن حنبل وهو على تقدمة عند المتوكل. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج، ص٢٠٣. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١١، ص١٧٧.

(٢) محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠ - ٢٠٤هـ/ ٧٦٧ - ٨٢٠م): محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطّلبي، أبو عبد الله، أحد الأئمة الأربعة من أهل السُّنَّة، وإليه نسبة الشافعيّة كافة. ولد في غزّة بفلسطين، وحُمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين. وزار بغداد مرتين، وقصد مصر سنة ١٩٩هـ، وتوفي فيها، وقبره معروف في القاهرة. كان ذكياً مفرطاً، له تصانيف كثيرة، أشهرها كتاب «الأم» في الفقه، و«المسند» في الحديث، و«أحكام القرآن»، و«السنن»، و«الرسالة» في أصول الفقه، و«اختلاف الحديث»، و«فضائل قريش»، و«أدب القاضي»، و«المواريث». انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٦، ص٢٦. وانظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان، ج٤، ص١٦٣ ـ ١٦٩.

خالفه، وقرر لنفسه مذهباً، رخص فيه للعامة كثيراً، وأكثر مسائله على قولين، وثلاثة، وأربعة، وترك أصحابه حيارى، يجوّز، ولا يجوّز، وجديد، وقديم، لا يعرف أيها الأصح، أتى ما لم (٣٢٧) يأت به أحد من العالمين، ويروي أحاديث، ويروي نقضها، يكذّب بعض ذاك بعضها.

ووافق شيخه مالكاً في قوله: إن الإيمان قول بلا عمل، وإن أهل الكبائر لا يخلدون في نار جهنم، وأنهم يخرجون، ويدخلون الجنة، ويمحي الله سمة النار من وجوههم، فتصير نوراً يتلألأ، فيسمون عتقاء الرحمٰن.

وقال: إن الله ينجز وعده، ويبطل وعيده، وإن القاتل والمقتول من أهل القبلة يجتمعون في حضرة الفردوس من غير إقلاع ولا توبة، وإن شفاعة الرسول ﷺ لأهل الكبائر.

وإن الله يجلس يوم القيامة على كثيب كافور لمحاسبة الخلق، وإنه يُرى بالأبصار في دار القرار، وإن الأنبياء والصالحين يزورونه يوم القيامة، ويقعدون حوله على الكراسي، وهو جالس على كرسي من نور.

وإن الإمامة لا تجوز إلّا في القرشي، ولو كان ظالماً فاسقاً.

وله مسائل كثيرة ينكرها الكتاب والسُّنَّة.

وقال: إن مسّ المرأة ينقض الوضوء، ولو كان بغير شهوة، وإن جعل على ذكره خرقة رقيقة، وأدخله في فرجها، فلا ينتقض وضوءه؛ لأن البشرة بزعمه لم تمسّ البشرة.

وعنده: إن من زنى بامرأة فأولدها بنتاً، فله يتزوج بأيهما شاء.

وعنده: ما خرج من الإنسان من دم فصادة، أو قيء، أو رعاف، فلا ينقض وضوءه.

وعنده: المني طاهر كالبزاق والمخاط.

وعنده: جواز المسح على الخفين، وجواز أجرة المؤذن والإمام.

وعنده: جواز الكلام في الصلاة والدعاء فيها للدنيا والآخرة، ولا يقطعها مرور الحائض، والكلب، والأقلف البالغ.

وأجاز للمصلي فريضة بصلاة الإمام يُصلي نفلاً.

وأجاز إذا أحدث الإمام ولم يستخلف أحداً لكل فرقة أن يقدموا إماماً يصلي بهم.

وقال: من ترك الصلاة عمداً ليس عليه قضاؤها، ولا كفّارة عليه، وكذلك إذا عَمِلَ عَمَلَ قوم لوط في شهر رمضان لا يلزمه إلّا القضاء، ولو أولج في أي دبر كان، ولا تلزمه كفّارة، إلّا إذا أولج في قبل امرأة.

وكذلك من أكل في نهار رمضان متعمداً فليس إلّا القضاء، وكذلك إذا وطئ في اعتكافه لا كفارة عليه.

ومن وطئ بهيمة لم يفسد حجه.

والزنا عنده لا ينشر الحرمة.

وعنده: الذبيحة تؤكل ولو لم يذكر اسم الله عليها، وجوّز أكل الخيل.

وجوّز شهادة الواحد مع يمين الطالب. (٣٢٨)

وجوّز الحكم بالقافز.

وجوّز للحاكم أن يأخذ على حكمه رزقاً.

وحرّم الأرحام الميراث، إذا عدم العَصَبات، ويعطي المال كله السلطان، ولو كان ظالماً جائراً فاسقاً.

وعنده: شعر المؤمن نجس، كان حياً أو ميتاً، ولا فرق عنده بين شعر النبي ﷺ وشعر أبي جهل لعنه الله في النجاسة.

وأجاز صلاة من صلى في ثوبه مني ذراع في ذراع، ولو كان من مني أبي جهل لعنه الله.

وقال: لو ملك أحد جميع من ذكر الله تحريمه في سورة النساء، فوطئهنَّ مع علمه بتحريمهنّ عليه، لسقط عنه الحدّ، ما خلا الأم والبنت.

وقال: لا يجب الحد من وطئ امرأة ابنه مع علمه بحظر ذلك.

وقال: لو ملك رجل مائة ألف دينار، ووجد أباه يُباع بعشرة دنانير أو عشرة دراهم لم يلزمه شراؤه، وجوّز له أن يستأجره في نقل السماد وحفر البواليع.

وقال: إن النجاسات إذا كانت في الثوب قدر دم البعوض لم يلزمه غسلها، والذباب إذا مات في الطعام نجّسه، وإن مات في الماء لم ينجّسه.

وقال: إن النبيذ خمر يحدّ من شرب قليلاً منه، وتقبل شهادة شارب الخمر، وشهادة بائع النبيذ، فإن صبّ في النبيذ قليل ماء لم تجز شهادته.

وله مسائل وأقوال كثيرة مخالفة للشرع متناقضة، يطول بشرحها الكتاب.

الفرقة الثامنة: الداوودية.

الفرقة التاسعة: الكهشمية.

الفرقة العاشرة: العابدية.

الفرقة الحادية عشرة: الثورية[1].

---

(١) الثورية: والصحيح الفرقة التونية. انظر: الشهرستاني، أبو الفتح: الملل والنحل، ص٤٦.

الفرقة الثانية عشرة: الرزنبية[١].

الفرقة الثالثة عشرة: الاستحقاقية[٢].

الفرقة الرابعة عشرة: الواجدية[٣].

الفرقة الخامسة عشرة: الطاهرية[٤].

فهذه جملة فرق الفرقة العثمانية، ولهم أقاويل حائدات عن سواء السبيل، تركتها خوف الإطالة واكتفاءً بما شهر منهم من الضلالة.

---

(١) الرزنبية: والصحيح الفرقة الزرينية. انظر المصدر نفسه، ص٤٦.

(٢) الاستحقاقية: والصحيح الفرقة الإسحاقية. انظر المصدر نفسه، ص٤٦.

(٣) الواجدية: والصحيح الفرقة الواحدانية. انظر المصدر نفسه، ص٤٦.

(٤) صنف الشهرستاني جميع هذه الفرق تحت عنوان الفرقة الكرامية. انظر التفاصيل في: الشهرستاني، أبو الفتح: الملل والنحل، ص٤٦ - ٤٧ - ٤٨ - ٤٩.

الفصل الثالث
في فرق الخوارج

وهي الفرقة الثالثة من الفرق الأربع، وهم ست عشرة فرقة، وهم الذين خرجوا عن علي بن أبي طالب لما حكّم الحكمين، وذلك أنهم عاتبوه، ومنعوه، واحتجوا عليه، فتاب، وأظهر لهم توبته، فتابعوه بعد التوبة، ووازروه، وقبلوا منه.

ثم رجع إلى التحكيم بعد التوبة، وذلك أنهم أشاعوا أن علياً رجع إلى التحكيم، ورأى أن الحكومة ضلالاً والإقامة عليها كفراً، وإنما ينتظر أمير المؤمنين ليسمن الكراع، ويجبي المال، وينهض إلى حرب معاوية بالشام، فأتى من أتى إلى علي، وقال له: إن معاوية قد وفّى لك بما عاهدك عليه، وأنت أولى بالوفاء منه، فلا ترجع عن قولك وعهدك، وتغلبك على رأيك أعاريب بكر ولقيم، وقد تحدّث الناس عنك أنك رأيت الحكومة ضلالاً، والإقامة عليها كفراً، فامضِ لما عاهدت عليه، فأنت أولى وأحق بالوفاء بالعهد وحقن الدماء.

فحينئذٍ كاتب معاوية سراً، واستمرّ على الحكومة، وخطب الناس، وقال: إني لم أتب عن الحكومة، (٣٢٩) ومن زعم أني رجعت عنها فقد كذب، ومن رآها ضلالاً فقد ضلّ، فخرج جماعة من المسلمين من عنده، وفارقوه، وحكمّوا الله، وقالوا: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧]. ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

فخرجوا من عنده، ونزلوا من الكوفة أرضاً يقال لها حروراء، وقد تقدّم ذكرهم صدر الكتاب. ولم يزل أمرهم واحداً، وسيرتهم واحدة، وعدوهم واحد، ووليهم من أطاع الله ورسوله، وعمل بكتاب الله وسُنَّة رسوله، وسار سيرة الخليفتين من بعده، وعدوهم من عصى الله، وخالف أمره، ولم يتبع سُنَّة نبيّه،

ولم يسر بسيرة الخليفتين من بعده، يطأ الآخر أثر الأول، ويعرف له الفضل؛ لأن الأول له القدم في الإسلام، وأعلم بسُنَّة الرسول عَلَيْسَلِمْ، شهدوا التنزيل، وفهموا التأويل، وشاهدوا سيرة النبي ﷺ وحربه ومشاهده، إلى أن قبض ﷺ.

وهم أول من أنكر المنكر على من عمل به، وأول من أبصر الفتنة وعابها على أهلها، لا يخافون في الله لومة لائم، قاتلوا أهل الفتنة حتى مضوا على الهدى رضي الله عنهم، وغفر لهم، وأدخلهم الجنة التي عرَّفها لهم.

ولم يزالوا على ذلك إلى أن مرق عنهم نافع بن الأزرق، فشتت كلمتهم، وخالف أمرهم، وحاد عن اعتقادهم، أحدث أموراً خالف فيها أهل الاستقامة في الدين.

وافترقت الخوارج على ست عشرة فرقة بفرقة أهل الاستقامة، وسأشرح فرقهم واعتقاداتهم، إن شاء الله تعالى.

الفرقة الأولى: المنسوبون إلى عبد الله بن وهب الراسبي وهي الوهبيّة

وهو أول إمام عقد له بعد علي بن أبي طالب، وكذلك الإباضية وإمامهم عبد الله بن إباض، من تيم اللات، رهط الأحنف بن قيس، وهما فرقة واحدة، وهي الفرقة المحقة، وسنذكرها بعد الفرق، إن شاء الله.

الفرقة الثانية: الأزارقة

إمامهم أبو راشد نافع بن الأزرق، وهو أول من خالف اعتقاد أهل الاستقامة، وشقّ عصا المسلمين، وفرّق جماعتهم، وانتحل الهجرة، وسبى أهل القبلة، وغنم أموالهم، وسنّ تشريكهم، وتبرأ من القاعد لو كان عارفاً لأمره، تابعاً لمذهبه، وانتحل اعتراض الناس بالسيف، وحرّم مناكحتهم وذبائحهم ومواريثهم، وابتدع اعتقادات

فاسدة وآراء حائدة، خالف فقهاء (المسلمين)[١] أهل الاستقامة في الدين، وخرج من البصرة إلى الأهواز، وغلب عليها وعلى (٣٣٠) ما ولاها من بلاد فارس، وكرمان، وسجستان، ومكران. وتابعه عطية بن الأسود الحنفي[٢] وعبدالله بن ماجون[٣]، وعمر بن عمير بن العنبري[٤]، وقطري بن الفجاءة المازني[٥]، وعبيدة بن

---

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٣٢٨.

(٢) عطية بن الأسود الحنفي: عطية بن الأسود اليمامي الحنفي، من بني حنيفة، من علماء الخوارج وأمرائهم. كان في أيام «نافع بن الأزرق». ولما قال نافع بتكفير «القَعَدة» فارقه مع آخرين، وانصرف إلى نجدة بن عامر، فبايعه. ثم أنكر على نجدة أنه كان يرى الجهل بالشريعة غدراً لمن خالفها، ففارقه مع أبي فديك (عبدالله بن ثور) ثم برئ من أبي فديك، فانقسم الخوارج إلى فريقين: «فديكية» تتبع أبا فديك، و«عطوية» على مذهب عطية. ورحل عطية إلى سجستان، فكان من في بلاد سجستان وهراسان وكرمان وقهستان من الخوارج، عطوية كلهم. توفي في سنة ٥٧هـ/ ٦٩٥م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص٢٣٧.

(٣) عبدالله بن ماجون: والصحيح عبدالله بن ماخون، كان هو وأخويه عثمان ابن ماخون والزبير بن ماخون، وعمر بن عمير العنبري، وقطري بن الفجاءة المازني، وعبيدة بن هلال اليشكري، وأخوه محرز بن هلال، وصخر بن حبناء التميمي، وصالح بن مخراق العبد، وعبد ربه الكبير، وعبد ربه الصغير، وعطية بن الأسود الحنفي من أمراء الخوارج. وفي إمرتهم زهاء ألف فارس، قاتلوا جيش مسلم بن غبس بن كويز بن حبيب، وقتلوه، وجيش عثمان بن عبدالله بن معمر التميمي، وهزموه، إلى أن انتدب المهلب بن أبي صفرة، فحاربهم تسع عشرة سنة، ووقائعه معهم مشهورة. انظر: الشهرستاني، عبدالكريم، والظاهري، علي بن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج١، ص١٦٢.

(٤) عمر بن عمير العنبري: أحد أمراء الخوارج، كان في جيوش نافع بن الأزرق في الأهواز. انظر الترجمة السابقة.

(٥) قطري بن الفجاءة المازني: قطري (أبو نعامة) ابن الفجاءة (واسمه جعونة) ابن مازن بن يزيد الكناني التميمي، من رؤساء الأزارقة (الخوارج) وأبطالهم. من أهل «قطر» بقرب «البحرين» كان خطيباً فارساً شاعراً. استفحل أمره في زمن مصعب بن الزبير، ولما ولي العراق نيابة عن أخيه عبدالله، بقي قطري ثلاث عشرة سنة يقاتل، ويسلّم عليه بالخلافة وإمارة المؤمنين، والحجاج بن يوسف الثقفي يسيّر إليه جيشاً بعد جيش، وهو يردّهم، ويظهر عليهم. وكانت كنيته في الحرب أبا نعامة (ونعامة فرسه) وفي السلم أبا محمد. وهو صاحب الأبيات المشهورة التي أولها:

أقول لها وقد طارت شعاعاً من الأبطال ويحك لا تراعي

اختلف المؤرخون في مقتله، فقيل: عثر به فرسه، فاندقّت فخذه، فمات، وجيء برأسه إلى الحجاج. وقيل: توجه إليه سفيان بن الأبرد الكلبي، فقاتله، وقتل في المعركة بالري، أو طبرستان سنة ٧٨هـ/ ٦٩٨م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص٢٠٠ - ٢٠١. وانظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان، ج٤، ص٩٣ ـ ٩٦.



هلال اليشكري[١]، وصخر التميمي[٢]. فكانت خيله ثلاثين ألفاً، وخاف أهل البصرة على أنفسهم، وعجزوا عن حرب الخوارج، فاستجاروا بالمهلب بن أبي صفرة[٣] الأزدي العُماني، فخرج إلى حرب الأزارقة، وانتصف منهم، وقتلهم، واستولى على جميع ولايتهم.

وجميع أصناف الخوارج غير أهل الاستقامة اجتمعوا على تشريك أهل القبلة، وسبي ذراريهم، وغنيمة أموالهم، ومنهم من يستحل قتل السريرة، وهم مختلفون فيما بينهم، يقتل بعضهم بعضاً، ويبرأ بعضهم من بعض.

(١) عبيدة بن هلال اليشكري: عبيدة بن هلال اليشكري من رؤساء الخوارج الأزارقة وشعرائهم وخطبائهم. كان في أول خروجه من المقدمين فيهم، وأرادوا مبايعته، فقال: أدلكم على من هو خير لكم مني: قطري بن الفجاءة المازني، وظل عبيدة إلى جانبه زمناً، ووقع الخلاف بين الأزارقة، ففارقه، وانحاز إلى حصن قومس (في ذيل جبال طبرستان). سير الحجاج إليه سفيان بن الأبرد الكلبي في جيش عظيم، فطلب قطري بن الفجاءة حتى لقيه في أحد شعاب طبرستان، وقتل قطري، وتبع سفيان بن الأبرد عبيدة، وحاصره في حصن قومس، إلى أن قتله وقتل من معه. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص١٩٩.

(٢) صخر التميمي: هو صخر بن حبيب التميمي، أحد أمراء الخوارج، كان مع نافع بن الأزرق، هو وأمراء آخرين، خرج بهم نافع بن الأزرق في زهاء ثلاثين ألف فارس ممن يرى رأيهم، وينخرط في سلكهم، فأنفذ إليهم عبدالله بن الحارث ابن نوفل النوفلي بصاحب جيشه مسلم بن عبيس بن كريز بن حبيب، فقتله الخوارج، وهزموا أصحابه. فأخرج إليهم عثمان بن عبدالله بن معمر التميمي، فهزموه، فأخرج إليهم حارثة بن بدر العتابي في جيش كثيف، فهزموه، فأخرج إليهم المهلب بن أبي صفرة، فبقي في حرب الأزارقة تسع عشرة سنة، إلى أن فرغ من أمرهم في أيام الحجاج. انظر: الشهرستاني، أبو الفتح: الملل والنحل، ص٥٢.

(٣) المهلب بن أبي صفرة (٧ - ٨٣هـ/ ٦٢٨ - ٧٠٢م): المهلب بن أبي صفرة ظالم بن سُراق الأزدي العتكي، أبو سعيد، أمير، جواد، قال فيه عبدالله بن الزبير: هذا سيد أهل العراق. ولد في دبا، ونشأ بالبصرة، وقدم المدينة مع أبيه في أيام عمر. وولي إمارة البصرة لمصعب بن الزبير. وفقئت عينه بسمرقند، وانتدب لقتال الأزارقة، وشرط له أن كل بلد يجليهم عنه يكون له التصرف في خراجه تلك السنة، فأقام يحاربهم تسعة عشرة عاماً، لقي فيها منهم الأهوال. وأخيراً تمّ له الظفر بهم، فقتل كثيرين، وشرّد بقيتهم في البلاد. ثم ولاه عبدالملك بن مروان ولاية خراسان، فقدمها سنة ٧٩هـ ومات فيها. وهو أول من اتخذ الركب من الحديد، وكانت قبل ذلك تعمل من الخشب، وأخباره كثيرة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٧، ص٣١٥. وانظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان، ج٥، ص ٣٥٠ ـ ٣٥٨.

الفرقة الثالثة: النجدية

وهم أصحاب نجدة بن عامر الحنفي[١].

ثم إن نجدة ومن معه خرجوا مفارقين لنافع بن الأزرق ينقمون عليه بدعته بزعمهم، طالبين المسير إلى البحرين. فخرج إليه طائفة من المسلمين ممن كان بالبصرة، فلما أتوه وناظروه، وبحثوا عما هو عليه وجدوه مخالفاً لهم، قد انتحل أموراً لم يأذن الله بها، ولم يرها المسلمون، وقد كانوا يظنون أنه موافق لهم، فوجدوه ابتدع أموراً زينها له الشيطان وشرّعها له. اتبع ابن الأزرق في بعض أموره، وخالفه في بعض.

ومن ضلالته أنه بعث جيشاً مع ابنه إلى البحرين، فوقع بأهل القطيف[٢] وسبى نساءهم، وقوّموهنّ على أنفسهم، فنكحوهنّ قبل القسمة، وأكلوا من الغنيمة، فلما رجعوا، أخبروا نجدة بذلك، فقال: لا يسعكم ذلك. فقالوا: لم نعلم ذلك. فعذرهم، فسمّوا العاذرية.

---

(١) نجدة بن عامر الحنفي (٣٦ - ٦٩هـ/ ٦٥٦ - ٦٨٨م): من بني حنيفة، من بكر بن وائل، رأس الفرقة «النجدية»، ونُسبت إليه، ويعرف أصحابها بالخوارج النجدات. انفرد نجدة بن عامر عن سائر الخوارج بآراء. قدم مكة، وله مقالات معروفة وأتباع انقرضوا. كان أول أمره مع نافع بن الأزرق، وفارقه لإحداثه في مذهبه، ثم خرج مستقلاً باليمامة سنة ٦٦هـ، أيام عبد الله بن الزبير، في جماعة كبيرة، فأتى البحرين، واستقرّ بها، وتسمى بأمير المؤمنين. ووجه إليه مصعب بن الزبير خيلاً بعد خيل، وجيشاً بعد جيش، فهزمهم، وأقام نحو خمس سنين، عماله بالبحرين، واليمامة، وهجر، وبعض أرض العروض. ونقم عليه أصحابه أموراً، قيل: منها أنه وجد ابنة لعمرو بن عثمان بن عفان، وقد وقعت في السبي فاشتراها من ماله بمئة ألف درهم، وبعث بها إلى عبد الملك بن مروان، فخلعوه، ثم قتلوه. وقيل: قتله أصحاب ابن الزبير سنة ٦٩هـ/ ٦٨٨م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٨، ص ١٠.

(٢) القطيف: مدينة بالبحرين، وهي قصبتها وأعظم مدنها، وكان قديماً اسماً لكورة هناك، غلب عليها اسم هذه المدينة. ولما قدم وفد عبد القيس على النبي ﷺ قال لسيّديها الجون والجارود، وجعل يسألهما عن البلاد، فقالا: يارسول الله دخلتها؟ قال: «**نعم دخلت هجر، وأخذت إقليدها**». وكان نجدة ابن عامر الحنفي أنفد ابنه المطرّح في خيل إلى عبد القيس بالقطيف فقتل المطرّح، وانتصر الخوارج، فقال حمل بن المعنّى العبدي:

وتركن عنتر لا يقاتل بعدها ... أهل القطيف قتال خيل تنفعُ

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٤، ص ٣٧٨.

وكان من كبار أصحابه أبو عطية وأبو فديك، ثم فارقاه. ولم يزل عدو الله نجدة يبتدع الجور، حتى نقم عليه أصحابه، فقتلوه، ثم تفرقوا فيما بينهم.

الفرقة الرابعة: العطوية

أصحاب عطية بن الأسود، ابتدع أموراً لم يبتدعها أحد قبله، ولحق بأرض سجستان، وقد بيّن المسلمون جوره وضلالته، وله عجائب كثيرة، تركتها اختصاراً.

الفرقة الخامسة: الأعسمية

أصحاب زياد الأعسم[1]. ثم خرج زياد الأعسم ينقم على الأزارقة والنجدية والعطوية ويلعنهم، وفارقهم في أشياء يزعم أنهم أحدثوها، ثم تابعهم في أمور أهلكه الله بها، وتابعه على ذلك من تابعه من أصحابه، حتى هلك، ولم يزل الشيطان يزيّن لهم، حتى صيرهم شيعاً متفرقين.

الفرقة السادسة: الصالحية

وهم أصحاب صالح بن مُسَرَّح[2]، استحل من قومه ما استحله ابن (٣٣١) الأعسم من السبي والقتل والغنيمة، فلم يزل كذلك حتى أهلكه الله.

---

(١) زياد الأعسم: لم يرد ذكره ولا ذكر فرقته في الملل والنحل. انظر فرق الخوارج في: الشهرستاني، أبو الفتح: الملل والنحل، ص ٥٠ - ٥٩. غير أن القلهاتي عدّهم الفرقة الخامسة من فرق الخوارج. انظر: القلهاتي، أبو عبدالله محمد بن سعيد: الكشف والبيان، ج٢، ص ٤٣٠ - ٤٣١.

(٢) صالح بن مسرح: صالح بن مسرح التميمي، زعيم الصفرية، وأول من خرج فيهم، كان كثير العبادة، يقيم في أرض دارا والموصل والجزيرة، وله أصحاب يقرأ لهم القرآن، ويعظهم، فدعاهم إلى الخروج وإنكار الظلم، وجهاد المخالفين لهم، فأجابوه، ووفد عليه شبيب بن يزيد، فكان قائد جيشه، ونشبت الوقائع بينه وبين أمير الجزيرة (محمد بن مروان) فقتل صالح بالقرب من الموصل، قتله الحارث بن عميرة الهمذاني. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص ١٩٧.

الفرقة السابعة: البيهسيّة

أصحاب أبي بيهس[١] بن الهيضم (بن جابر)[٢] وهو أحد بني سعد ابن ضبيعة[٣]، وكان في زمان الحجاج بن يوسف[٤]، وكان الحجاج يطلبه في زمان الوليد[٥]، ففرّ إلى المدينة، ثم طلبه بها عثمان بن خيار المزني[٦]، فلحقه بها وقتله.

---

(١) أبو بيهس الهيضم: أبو بيهس الهيضم بن جابر السعدي: هو أحد بني سعد ضبيعة، وقد كان الحجاج طلبه أيام الوليد، فهرب إلى المدينة، فطلبه بها عثمان ابن جبان المزني، فظفر به وحبسه، وكان يسامره إلى أن ورد كتاب الوليد بأن يقطع يديه ورجليه، ثم يقتله، ففعل به ذلك. انظر: الشهرستاني، عبدالكريم، والظاهري، علي بن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج١، ص١٦٩.

(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٣٢٩.

(٣) سعد بن ضبيعة: سعيد بن ضبيعة بن قيس، من بني بكر بن وائل، من العدنانية، جدّ جاهلي، قال القلقشندي: كان له من الولد: جذيمة، وقيس، وذهل، وعدي، وصعب، وسمى ابن حزم من بنيه عوفاً وثعلبة، ولم يذكر الأولين، ومن نسله «أعشى قيس». انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٨٥.

(٤) الحجاج بن يوسف الثقفي (٤٠ - ٩٥هـ/ ٦٦٠ - ٧١٤م): الحجاج بن يوسف ابن الحكم الثقفي، أبو محمد، قائد، داهية، سفّاك، خطيب، ولد ونشأ في الطائف بالحجاز، وانتقل إلى الشام، فلحق بروح بن زنباع نائب عبدالملك بن مروان، فكان في عديد شرطته، ثم ما زال يظهر حتى قلّده عبدالملك أمر عسكره، وأمره بقتال عبدالله بن الزبير، فزحف إلى الحجاز بجيش كبير، وقتل عبدالله، وفرّق جموعه، فولاه عبدالملك مكة والمدينة والطائف، ثم أضاف إليها العراق والثورة قائمة فيه، فقمع الثورة، وثبت له الإمارة عشرين سنة، وبنى مدينة واسط (بين الكوفة والبصرة). وكان سفاكاً سفاحاً باتفاق معظم المؤرخين. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص١٦٨. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص٣٠١.

(٥) الوليد: الوليد بن عبدالملك بن مروان (٤٨ - ٩٦هـ/ ٦٦٨ - ٧١٥م): أبو العباس، من ملوك الدولة الأموية في الشام، ولي بعد وفاة أبيه سنة ٨٦هـ، فوجه القواد لفتح البلاد، وامتدت في زمنه حدود الدولة العربية إلى بلاد الهند فتركستان، فأطراف الصين شرقاً. وكان ولوعاً بالبناء والعمران أعاد بناء مسجد المدينة، وبنى المسجد الأقصى في القدس، والمسجد الأموي بدمشق، وهو أول من أحدث المشافي في الإسلام. كانت وفاته بدير مران (من غوطة دمشق) ودفن بدمشق. ومدّة حكمه ٩ سنين و٨ أشهر. وكان نقش خاتمه (يا وليد إنك ميت). انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٨، ص١٢١. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٣٤٧.

(٦) عثمان بن خيار المزني: والصحيح عثمان بن جبان المزني، والي المدينة في زمن الوليد بن عبدالملك، قبض على أبي بيهس الهيضم بن جابر السعدي بعدما لجأ إلى المدينة هارباً من الحجاج بن يوسف الثقفي، فسجنه، ثم قطع يديه ورجليه، وقتله بأمر من الوليد. انظر: الشهرستاني، عبدالكريم، والظاهري، علي بن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج١، ص١٦٩.

ابتدع أشياء لم يبتدعها أحد قبله، استحل الهدي قبل محله، واستحل نكاح المجوس، واستحل كل ذي مخلب من الطير، وناب من السباع، وقال: إن الإمام إذا كفر كفرت الرعية، الشاهد منهم والغائب.

وقال: إذا واقع الرجل حراماً لم يحكم بكفره، حتى يرفع أمره إلى الإمام، فيحدّه، وكل ما ليس فيه حدّ فهو مغفور له.

وله مسائل كثيرة، تركتها اختصاراً.

ولما قتل، وقع الحرب بين شبيب بن زيد الشيباني الحروري[١] والحجاج بن يوسف وبني أمية، وقُتل من جيوشهم وعساكرهم أربعة وعشرون أميراً، كلهم أمراء الجيوش، غير سائر العساكر ما لا يحصى، وكان سبب موت شبيب أنه غرق في نهر الأهواز.

الفرقة الثامنة: العجردية

أصحاب عبدالكريم بن عجرد[٢]، كان من أصحاب أبي بيهس، ثم خالفه، وانفرد بقوله: تجب البراءة على الطفل حتى يبلغ ويُدعى إلى الإسلام.

---

(١) شبيب بن يزيد الشيباني: شبيب بن يزيد بن أبي نعيم بن قيس الشيباني، أبو الضحاك، أحد كبار الثائرين على بني أمية، كان داهية طماحاً إلى السيادة، خرج في الموصل مع صالح بن سرح على الحجاج بن يوسف الثقفي، فقتل صالح، فنادى شبيب بالخلافة، فوجه إليه الحجاج خمسة قواد، فقُتل كثير من أصحابه، ونجا بمن بقي معه، فمرّ بجسر دجيل في نواحي الأهواز، فنفر به فرسه، وعليه الحديد الثقيل من درع ومغفر وغيرهما، فألقاه في الماء، فغرق سنة ٧٧هـ/ ٦٩٦م، وإليه نسبة الفرقة الشبيبة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص١٥٦ - ١٥٧. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٤، ص١٤٦.

(٢) عبدالكريم بن عجرد: رأس الفرقة العجردية، وافق النجدات في بدعهم، وقيل: كان من أصحاب أبي بيهس. ويقال أن فرقته افترقت أصنافاً، ولكل صنف مذهب على حياله، ومن هذه الأصناف: الصلتية، أصحاب عثمان بن أبي الصلت، تفردوا عن العجاردة، والحمزية أصحاب حمزة بن أدرك، والشعبية أصحاب شعيب بن محمد، وكان مع ميمون من جملة العجاردة، والميمونية أصحاب ميمون بن عمران. انظر: الشهرستاني، عبدالكريم، والظاهري، علي بن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج١، ص١٧٢ - ١٧٥.

ولا يرى المال فيئاً حتى يقتل صاحبه، ويقول بولاية القعدة إذا عرفوا بالديانة، ويرى الهجرة فريضة لا وسيلة، على قول أهل الاستقامة.

ويكفرون أهل الكبائر كفر نعمة على قول أهل الاستقامة، وينكرون سورة يوسف، ويقولون: ليست من القرآن، وإنما هي قصة من القصص، ثم افترقت العجردية أحزاباً، ولكل حزب منهم مقالة ومذهب.

الفرقة التاسعة: الميمونية

أصحاب ميمون[(١)]، وكان من جملة العجاردة، ثم انفرد عنهم بإثبات القدر خيره وشرّه من العبد.

وأنكر سورة يوسف أنها ليست من القرآن، وقال: أطفال المشركين والكفّار في الجنّة، وله مسائل كثيرة تركتها.

الفرقة العاشرة: الصفرية

أصحاب زياد بن الأصفر[(٢)]، خالف الأزارقة والنجدات في أمور كثيرة، منها أنهم لم يكفروا القعدة عن القتال، إذا كانوا موافقين في الدين على قول

(١) ميمون بن عمران: رأس الفرقة «الميمونية» وهي من فرق «العجاردة» وهؤلاء من «العطوية» أصحاب عطية بن الأسود. من الخوارج، قال الشهرستاني: انفرد ميمون عن العجاردة بإثبات القدر خيره وشره من العبد، وإثبات الفعل للعبد خلقاً وإبداعاً، وإثبات الاستطاعة قبل الفعل، والقول بأن الله تعالى يريد الخير دون الشر، وليس به مشيئة في معاصي العباد. وأشار المقريزي إلى أن الميمونية لا يستحلّون مال أحد خالفهم ما لم يُقتل، فإذا قتل صار ماله فيئاً. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٧، ص ٣٤١.

(٢) زياد بن الأصفر: رأس الفرقة الصفرية، خالف الأزارقة، والنجدات، ويحكى عنه أنه قال: نحن مؤمنون عند أنفسنا، ولا ندري لعلنا خرجنا من الإيمان عند الله. وقال: الشرك شركان: شرك هو طاعة الشيطان، وشرك هو عبادة الأوثان. والكفر كفران: كفر إنكار النعمة، وكفر إنكار الربوبية. والبراءة براءتان: براءة من أهل الحدود سُنَّة، وبراءة من أهل الجحود فريضة. انظر: الشهرستاني، أبو الفتح: الملل والنحل، ص ٥٨.

أهل الاستقامة، ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين، وعندهم التقيّة بالقول دون الفعل على قول أهل الاستقامة.

ثم اختلف الصفرية، وانفردت عنهم ناس تسمى الشمراخية، وانفردت طائفة تسمى التغلبية، ولكل فرقة قول ومذهب، تركته.

الفرقة الحادية عشرة: الحفصية

أصحاب حفص بن أبي المقدام[١]، (٣٣٢) كان من قوله: إن بين الشرك والإيمان خصلة واحدة، وهي معرفة الله تعالى وحده، فمن عرفه وكفّ عما سواه من رسول، أو كتاب، أو قيامة، أو جنة، أو نار، وارتكب الكبائر من الزنى والسرقة وشرب الخمر، فهو كافر، لكنه بريء من الشرك. وله مسائل كثيرة، تركتها.

الفرقة الثانية عشرة: الثعلبية

أصحاب ثعلبة[٢]، كان من أصحاب عبدالكريم بن عجرد، يدهما وكلمتهما واحدة، إلى أن اختلفا في الأطفال على ولايتهم صغاراً وكباراً، حتى أرى منهم إنكاراً للحق ورضى بالجور، فحينئذٍ أبرأ منهم.

ويوجد عنه أنه كان يرى أخذ الزكاة من العبيد إذا استغنوا، وإعطاءهم إياها إذا افتقروا.

---

(١) حفص بن أبي المقدام: رأس الفرقة «الحفصية» انفرد بقوله: «من عرف الله تعالى وكفر بما سواه، من جنة ونار ورسول وغيره فهو كافر وليس بمشرك». انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص ٢٦٤.

(٢) ثعلبة: هو ثعلبة بن عامر، كان مع عبدالكريم بن عجرد يداً واحدة، وهو رأس الفرقة الثعلبية، والتي خرجت من صفوفها الفرقة الشيبانية أصحاب شيبان بن مسلمة، والفرقة المكرمية، أصحاب مكرم بن عبدالله العجلي. انظر: الشهرستاني، عبدالكريم، والظاهري، علي بن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج١، ص ١٧٧ - ١٧٩.

الفرقة الثالثة عشرة: الأخنسية

أصحاب الأخنس بن قيس، كان من جملة الثعالبة، ثم انفرد عنهم بقوله: أتوقف بالبراءة عن جميع من كان في دار التقيّة من أهل القبلة، إلّا من عرف منه إيمان، فأتولاه (عليه)[١]، أو كفر، فأبرأ منه.

وجوّز تزويج نساء أهل الكبائر من قومهم، وحرّم الاغتيال والقتل والسرقة.

ولا يبدأ أحداً من أهل القبلة بالقتال، حتى يُدعى إلى الدين، فإن امتنع، قوتل على أصول أهل الاستقامة، إلّا أنه خالفهم في السبي والغنيمة على مذهب الخوارج.

الفرقة الرابعة عشرة: الخازمية

أصحاب خازم بن علي[٢]، في بعض النسخ الحازمية بالحاء المهملة، نسبوا إلى شعيب بن خازم[٣]، وكان من اعتقادهم:

إن الله سبحانه خالق أعمال العباد كلها خيرها وشرها على مذهب أهل الاستقامة، وقوله: إن الله يتولى العباد على ما يعلم أنهم صائرون إليه من الأعمال، ويبرأ منهم على ما يعلم أنهم صائرون إليه من الكفر؛ لأنه تعالى لم يزل محباً لأوليائه، مبغضاً لأعدائه.

---

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٣٣١.

(٢) خازم بن علي: زعيم فرقة الخازمية، وكان على قول شعيب، ولا يصرحون بالبراءة من علي بن أبي طالب، ويصرحون بالبراءة في حق غيره. انظر: الشهرستاني، عبدالكريم، والظاهري، علي بن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج١، ص ١٧٦ - ١٧٧.

(٣) شعيب بن خازم: وفي الملل والنحل للشهرستاني: الشعيبية فرقة مستقلة تُنسب إلى شعيب بن محمد، الذي كان مع ميمون من جملة العجاردة، إلّا أنه برئ منه حين أظهر القول بالقدر. انظر التفاصيل في: الشهرستاني، أبو الفتح: الملل والنحل، ص ٥٦.

ومن اعتقاده التوقف في أمر علي بن أبي طالب، ولا يصرح بالبراءة منه.

ويعتقد اعتقاد الخوارج في السبي والغنيمة، وغير ذلك من قولهم.

الفرقة الخامسة عشرة: الخَلَفية

أصحاب خلف الخارجي، وأكثر أصحابه بكرمان ومكران، وكان من اعتقاده في القدر أن خيره وشرّه من الله تعالى على مذهب أهل الاستقامة، ثم خالفهم، فقال: لو عذّب الله العباد على أعمال قدّرها عليهم أو على ما يفعلونه كان ظالماً، تعالى الله عن قوله.

ومن اعتقاده أن أطفال المشركين في النار، وله اعتقادات كثيرة.

الفرقة السادسة عشرة: السعدية

أصحاب سعد بن محمد، وكان مع ميمون، (٣٣٣) من جملة العجاردة، إلا أنه بريء منه حين أظهر القول بالقدر.

ومن أعمالهم أن الله سبحانه خلق أعمال العباد، والعبد مكتسب لها على مذهب أهل الاستقامة.

وقوله: إن العبد مسؤول عنها مجازاً عليها ثواباً وعقاباً، وهو على مذهب الخوارج في الإمامة والسبي والغنيمة وغيرها.

تمت فرق الخوارج.

الفصل الرابع
في الفرقة الرابعة تمام الفرق الأربع وهم الشيع

وهم ست وعشرون فرقة، وهم الذين شايعوا علي بن أبي طالب على الخصوص بإمامته، وزعموا أنها نص، ووصاية، وتعيين، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عن أولاده، وإن أُخذت منهم فبظلم ممن أخذوها منهم.

وقالوا: إن الإمامة ركن من أركان الدين، ولا يجوز للنبي ﷺ إغفاله، ولا إهماله، وإنه نصّ على علي وذريته، وعينهم، وإنهم معصومون من الصغائر والكبائر.

ومن قولهم: إن علياً أول الناس إسلاماً، وإن رسول الله ﷺ أسرّ إليه أشياء من أمر الدين والوحي دون الناس، حاشا رسول الله أن يرسل إلى الناس كافة، فيسرّ إلى علي من أمر الدين دونهم، ويتركهم في عمى، هذا كذب وافتراء على رسول الله ﷺ.

ومن قولهم: إن رسول الله استخلف علياً على أمته من بعده، وإن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما غلباه عليها، وإن الأمة صارت يوم بويع أبا بكر أهل الردّة كفاراً مشركين، إلّا أربعة رهط: علي بن أبي طالب، والمقداد بن الأسود، وسلمان الفارسي، وأبا ذر الغفاري.

ثم تاب عمار بن ياسر بزعمهم في زمان عثمان بن عفان، وقالوا: مؤمن نسي، وقالوا: تاب حذيفة بن اليمان، وعبد الله بن مسعود.

وقالوا: إن أبا بكر وعمر أخذا فدك من آل رسول الله، وكانت مما أفاء الله على رسوله.

وقالوا: إنهما ضربا فاطمة بنت رسول الله، حتى ألقت الجنين من بطنها.

وقالوا: إن أبا بكر خالف سيرة رسول الله، لأن النبي بزعمهم لم يستخلف أحداً، وأبو بكر استخلف عمر، وكذلك عمر خالف سيرة النبي وسيرة أبي بكر، واستخلف أهل الشورى، ولم يتركهم كما تركهم النبي، ولا استخلف عليهم كما استخلف عليهم أبو بكر.

وقالوا: إنه منع الناس من متعة الحج ومتعة النكاح.

وقالوا: إن النبي أخذ (بيد)[1] عليّ على غدير خم[2]، وقال: «**من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم (٣٣٤) والِ من والاه، وعادِ من عاداه**».

وقالوا: أراد رسول الله ﷺ ليجعله علماً ليسع عنده الاختلاف.

وقالوا في طاعة علي وأهل بيته قول الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ [النساء: ٥٩].

وقالوا: أولي الأمر هو علي وأهل بيته من بعده، هم ولاة الأمر الذين أمر الله بطاعتهم، فليس لأحد أن يردّ عليهم شيئاً مما جاؤوا به، وأوجبوا على الناس التسليم لهم فيما عرفوا، وما لم يعرفوا.

وقالوا: سدَّ رسول الله أبواب الشارعة في المسجد إلّا باب علي.

وقالوا: إن الله أمر الناس جميعاً أن يسلموا لعلي، وزعموا أن الله أنزل في ذلك: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

---

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٣٣٢.

(٢) غدير خم: بين مكة والمدينة، بينه وبين الجحفة ميلان، ويقال: خمّ اسم غيضة هناك وبها غدير نسب إليها. وقيل: خم موضع تصب فيه عين بين الغدير والعين، وبينهما مسجد رسول الله ﷺ. وقال الحازمي: خم وادٍ بين مكة والمدينة عند الجحفة به غدير، عنده خطب رسول الله ﷺ. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٢، ص ٣٨٩.

وقالوا أنزل فيه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآية [المائدة: ٥٥] . قالوا فهو علي، وقالوا: أنزل فيه: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣]، وقالوا: هو علي.

وقالوا: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١]، علي وذريته.

وقالوا: علي وذريته وأهل بيته بمنزلة سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تركها غرق.

وقالوا: علي قَسَم النار يوم القيامة، فيقول للنار: هذا لكِ وهذا لي، فيدخل أعداءه النار، ويدخل شيعته الجنة.

وقالوا: إن علياً أتاه الله الحكم صبيّاً، كما أتى يحيى بن زكريا.

وقالوا: إن النبي قال لعلي: «**أنت وصيّ ومني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي (بعدي)**»[1].

ومن غرائب ضلالتهم تأويلهم قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: ٦]، قالوا: هي الدولة ﴿فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، وهي آل محمد ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦]، هم المستودعون، يقولون بزعمهم: اغسلوا ما بينكم وبين آل محمد وبين المستودعين من الجبابرة، فلا تولوهم، ﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، قالوا: هم الرؤساء من آل محمد، وهم: محمد، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين، ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [المائدة: ٦]. قالوا: شيعتكم، ﴿إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦]، قالوا: الكعبان عيسى ابن مريم، وعلي بن أبي طالب، ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾ [المائدة: ٦]، أي: هلكى ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ [المائدة: ٦]، أي المستودع الذي يكون بزعمهم في

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٣٣٣.

النـور، ثـم يخرج إلى الظلمة، فيكون فيها عابر سـبيل، ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ [المائـدة: ٦]، فالغائط بزعمهـم أبو بكر ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [المائدة: ٦]، قالوا: أو لمستم بولاية الجبابرة، ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [المائدة: ٦]، هم المستودعون.

وقوله تعالـى ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [النساء: ١٣]، قالوا: يدخله بعداوة الجبابرة في ولاية أئمة أهل الهدى، كل إمام بزعمهم هو جنة أهل زمانه.

وقالـوا: مـن اتبع آية الجنة (٣٣٥) وصل إلى الجنـة، ومن اتبع آية الباطل دخل النار، وآية الباطل بزعمهم بنو أمية وبنو العباس، وآية الجنة بزعمهم علي وولده.

وقالـوا: إن أئمتهـم الأنبيـاء والرسـل، وإن لهـم فـي كل زمـان إمامين: صامـت، وناطق، وإن النبي كان الإمام الناطـق، وعلي بن أبي طالب الإمام الصامت.

وقالوا: إن أول ما خلق من الأظلة ظل عيسى ابن مريم، وظل علي بن أبي طالب، وإنهما خلقا من الماء العذب، وهما كلمة الله ﷻ، وربما حلفوا بكلمة الله يعنون علي بن أبي طالب، كما تحلف النصارى بعيسى ابن مريم.

ثم خلق بزعمهم ظلّين ملعونين من الماء المالح: ظل قابيل بن آدم، وظل عتيـق، يعنون أبـا بكر رضي الله عنه، وتأولوا هذه الآيـة: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ﴾ [الحشـر: ١٦]، قالـوا: ذلـك عمـر، حيث قال لأبي بكـر: اقبل الخلافة، فإنـي معينـك عليهـا، وتجعلها من بعـدك لي، وقالـوا: هما كلمة الله السـفلى، وعيسى ابن مريم كلمة الله العليا.

وقالوا: إنهم يحشرون قبل يوم القيامة، ومن مات منهم مؤمناً فإنه يقتل يوم القيامة حتى يكون قتيلاً.

ولمّا مات إسماعيل بن جعفر[١]، اختلفت الرافضة، فزعم أصحاب أبي الخطاب[٢] أن إسماعيل لا يموت حتى يملك، وزعم أصحاب الفضل[٣] أنها تحولت في موسى بن جعفر[٤] وزعم أصحاب زرارة بن أعين[٥]، أنها تحولت

(١) إسماعيل بن جعفر: إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر، الهاشمي القرشي، جدّ الخلفاء الفاطميين. وإليه نسبة «الإسماعيلية» وهي من فرق الشيعة في الأصل. توفي إسماعيل في المدينة سنة ١٤٣هـ، أي: قبل وفاة أبيه بخمسة أعوام، لكن الإسماعيلية يزعمون أنهم شاهدوه في سوق البصرة بعد خمس سنوات من موت أبيه، وقد ترك أبناء إسماعيل المدينة لما لحقهم من الاضطهاد السياسي الذي أحاق بالعلويين، فذهب محمد وهو الابن الأكبر إلى إقليم «دماوند» بالقرب من الري، واختفى هناك، واختبأ أبناؤه في خراسان، ثم ذهبوا إلى قندهار، فالهند، وما زالوا هناك إلى اليوم، وذهب أخوه علي إلى الشام، فبلاد المغرب، وكان أبناء إسماعيل يبعثون الدعاة إلى العالم الإسلامي من مخابئهم. وكان من أشهر دعاتهم ميمون القداح الذي أًصبح ولده رأس فرقة القرامطة. ومن الإسماعيلية اليوم «النزارية» في الهند، وزعيمها أغاخان، و«السليمانية» في اليمن، ويقال لهم أيضاً «المكارمة» و«الداودية» من بني مرّة اليمانيين، يقيمون في عدن والحديدة، وبيت الفقيه، وجبلي حراز وهمذان، ويسمون أيضاً «البهرة». انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج١، ص ٣١١-٣١٢.

(٢) أبو الخطاب: هو الخطاب بن حسن الحجوري، من دعاة الإسماعيلية في اليمن. عمل في نشر دعوة الآمر (المنصور بن أحمد) وكان أخا الحرّة الصليحية (أروى بنت أحمد) في الرضاع، وله عندها مكانة رفيعة، قرض الشعر، وله ديوان، ومعظم قصائده في مدح آل البيت والأئمة، وله «غاية المواليد الثلاثة» طُبع على هامش جامع الحقائق. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص٣٠٨.

(٣) الفضل: والصحيح أصحاب المفضل، وهو المفضل بن أبي بركات بن الوليد الحميري، كبير دعاة الإسماعيلية في اليمن، وقائد من ذوي الشجاعة والرأي. كان من رجال الحرّة الصليحية (أروى بنت أحمد) قاد جيشها، وولي تدبير دولتها (سنة ٧٩٢هـ) قال الخزرجي: وثار المفضل رجل البيت الصليحي والذابّ عن الملك، والمرجوع إلى رأيه وسيفه، ولم تكن الحرّة تقطع أمراً دونه، واستمر على ذلك إلى أن توفي بعزان سنة ٥٠٤هـ/ ١١١١م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٧، ص٢٧٩.

(٤) موسى بن جعفر (١٢٨-١٨٣هـ/ ٧٤٥-٧٩٩م): موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر، أبو الحسن، سابع الأئمة الاثني عشر، عند الإمامية. كان من سادات بني هاشم، ومن أعبد أهل زمانه، وأحد كبار العلماء الأجواد، ولد في الأبواء (قرب المدينة المنورة) وسكن المدينة، فأقدمه المهدي العباسي إلى بغداد، ثم ردّه إلى المدينة،. وبلغ هارون الرشيد أن الناس يبايعون للكاظم فيها، فلما حجّ مرّ بها سنة ١٧٩هـ، فاحتمله معه إلى البصرة وحبسه عند واليها عيسى بن جعفر سنة واحدة، ثم نقله إلى بغداد، فتوفي فيها سجيناً، وقيل: قُتل سنة ١٨٣هـ/ ٧٩٩م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٧، ص ٣٢١. وانظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان، ج٥، ص٣٠٨ ـ ٣١٠.

(٥) زرارة بن أعين: زرارة بن أعين الشيباني الولاء، أبو الحسن، رأس الفرقة الزرارية، من غلاة الشيعة ونسبتها إليه، كان متكلماً شاعراً. له علم وأدب. وهو من أهل الكوفة. وقيل: اسمه «عبد ربه». وزرارة لقبه. من كتبه «الاستطاعة والجبر». توفي سنة ١٥٠هـ/ ٧٦٧م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٤٣.

فـي عبـد الله بن جعفـر[١]، وأنها لا تكون إلّا فـي ولد الأكابر مـن ولد الإمام. وقالـوا: منهـم من هـو جبريل وميكائيـل ومحمد ﷺ. وقالـوا: لا يموت منهم أحد، ولكن إذا انتهت عبادته رفع إلى الملكوت.

وقالت الرافضة: كان الإمام علياً، ثم الحسـن، ثم الحسـين، ثم محمد ابن الحنفيـة، ثـم جعفر بـن محمد. ثم سـاقوا الإمامة، ولهم اختـلاف في الإمامة، منهـم مـن قـال: إنها في ولد علي بن الحسـين، وقالوا: هو الكشـف السـاقط. ومنهم من قال: لأبي جعفر المنصور[٢] وهم الحنافون.

وزعموا أن الأموال لهم حلال، حيث ما أصابوها أخذوها، بعد أن يدفعوا للإمام الخمس.

وكل الروافـض يبـرأون من أبي بكـر وعمر رضي الله عنهما، إلّا الزيديـة افترقت على ثلاث فرق: فرقة يتولون أبا بكر وعمر، وفرقة يبرأون منهما، وفرقة واقفة.

وللرافضـة افتـراء كثير وكذب لا يحصـى، وإنما ذكرنا من قولهـم طرفاً لتعلم جهالتهم وتبين ضلالتهم، وكفرهم غير خافٍ على ذي لب وعقل، (٣٣٦) نعوذ بالله من العمى والجهالة، والخروج من الحق إلى الضلالة، وعن الصدق إلى المحال.

وأعجب التفسـير تفسـير الروافض وما يدعونه من علم الغيب، وأن الإمام

---

(١) عبد الله بن جعفـر: كان لجعفـر الصادق عشـرة أولاد، سـبعة ذكـور، وثلاث بنـات. وهم: إسـماعيل الأعرج ويقال: إسـماعيل الأميـن، وعبد الله، وأم فـروة، وأمهم فاطمة بنت الحسـين بن علي بن أبي طالب. وموسـى الإمام (الكاظم) ومحمد الديباج، وإسحاق لأم ولد اسمها حميدة البربرية، وفاطمة الكبرى أمها حميدة أيضاً. وللعباس وعلي العريضي، وأسماء وفاطمة الصغرى. انظر: الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ج١، ص ٦٦٠.

(٢) أبـو جعفر المنصور (٩٥ - ١٥٨هـ/ ٧١٤ - ٧٧٥م): عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، أبو جعفـر المنصـور، ثانـي خلفاء بنـي العباس، وأول من عنـي بالعلوم من ملوك العـرب. كان عارفاً بالفقـه والأدب، مقدمـاً في الفلسـفة والفلـك، باني مدينة بغداد سـنة ١٤٥هـ. توفي ببئـر ميمون (من أرض مكة) ودفن في الحجون (بمكة) ومدّة حكمه ٢٢ عاماً. يؤخذ عليه قتله لأبي مسلم الخراساني. وكان نقـش خاتمـه «الله ثقـة عبد الله وبه يؤمن». انظر: الزركلي، خيـر الدين: الأعلام، ج٤، ص ١١٧. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٧، ص ٨٣.

كتب لهم في جلد جعفر بما يكون من باطن الأمر وظاهره، وفيه يقول هارون بن سعد العجيلي[1] شعراً:

ألم ترَ أن الرافضين تفرقوا ... وكلهم في جعفر قال منكرا

وطائفة قالوا إمام ومنهم ... طوائف سمّوه النبي المطهرا

ومن عجب لم أقضه جلد جفرهم[2] ... برئت إلى الرحمن ممن تجفرا

فقبح أقوام رموه بفرية ... كما قال في عيسى الفرا من تنصرا[3]

يعنون أن الإمام كتب لهم في جفر كل ما يحتاجون إلى علمه، وكل ما يكون إلى يوم القيامة، فمن ذلك قوله: ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل: ١٦]، إنها الإمامة لعلي، ورثها من محمد.

وقالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ﴾ [البقرة: ٦٧]، إنها عائشة ﵂.

وقوله تعالى: ﴿ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَا﴾ [البقرة: ٧٣]. إنه طلحة والزبير.

(والخمر والميسر) هما: أبو بكر، وعمر، و(بالجبت والطاعوت): معاوية، وعمرو بن العاص.

ولهم آراء مختلفة في الإمامة والنص والتعيين، ولكل قوم منهم مقالة ومذهب، ولهم في الأصول اختلاف كثير، وفي التناسخ والحلول والرجعة اختلاف يطول بشرحه الكتاب، وكلهم حيارى منقطعون.

---

(١) هارون بن سعد العجيلي: هارون بن سعد العجيلي، رأس الزيدية في أيامه. من المتزهدين العلماء بالحديث. له شعر. خرج وهو شيخ كبير مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن الطالبي، فولاه إبراهيم القتال بواسط، واستعمله عليها، وضمّ إليه جيشاً كبيراً من الزيدية، فأخذها، وخطب في أهلها، فندد بأبي جعفر المنصور وأفعاله، وقتله آل بيت رسول الله، وظلمه الناس، وأخذه الأموال في غير مواضعها، وأبلغ القول حتى أبكى الناس، واتبعه خلق كثير. حاربته جيوش المنصور، فثبت إلى أن بلغه مقتل إبراهيم، فتوجه إلى البصرة، فمات بها حين دخلها. وقيل: توارى حتى مات سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٣م. وهدم محمد بن سليمان العباسي داره. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٨، ص ٦٠.

(٢) انظر: القلهاتي، أبو عبد الله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج٢، ص ٤٥٢.

(٣) انظر: الأبيات في: المصدر نفسه، ج٢، ص ٤٥٢.

ويعتقـدون طاعة رجل يخـرج آخر الزمان، يملأ الأرض عـدلاً كما مُلئت جوراً، وفيه يقول شاعرهم[١] شعراً:

ألا إن الأئـمـة مـن قريش ... ولاة الـحـق أربـعـة ســواءُ
عـلـيّ والـثـلاثـة مـن بنيه ... هـم الأسباط ليس بهـم خفاءُ
فـسـبـط سـبـط إيــمـان وبـرّ ... وســبــط غـيّـبـتـه كـربــلاءُ
وسـبـط لا يـذوق المـوت حتى ... يقـود الجيش يقدمـه اللـواءُ
يغيـب فـلا يـرى فيهـم زمانا ... برضـوى عنـده عسـل ومـاءُ[٢]

يعنون محمد ابن الحنفية، ومن اعتقد طاعة رجل وليس ثم رجل، نعوذ بالله من العمى والجهالة والتورط في غياهب الضلالة، وصدق النبي ﷺ: «**الرافضة نصارى هذه الأمة**». وسأذكر فرقهم فرقة فرقة، وهم سبع وعشرون فرقة، وبالله التوفيق.

الفرقة الأولى: الكيسانية

(٣٣٧) أصحاب كيسـان[٣]، مولى علي بن أبي طالب، وهم يقولون بإمامة محمد ابـن الحنفيـة، ويعتقدون (فيـه)[٤] اعتقاداً فوق حدّه مـن إحاطته بالعلوم

---

(١) الشـاعر هو كثير عزّة، وهو كثير بن عبدالرحمٰن بن الأسود بن عامر الخزاعي، أبو صخر، شاعر تميم المشـهور، من أهل المدينة، أكثر إقامته بمصر، قال المرزباني: كان شـاعر أهل الحجاز في الإسـلام، لا يقدمون عليه أحداً ومن المؤرخين من يذكر أنه من غلاة الشـيعة، وينسـبون إليه القول بالتناسـخ. توفي بالمدينـة سـنة ١٠٥هـ/ ٧٢٣م. انظـر: الزركلـي، خير الديـن: الأعـلام، ج٥، ص٢١٩. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٥، ص٢٥٢.

(٢) الأبيـات لكثيـر عـزّة، وكان من الشـيعة. انظـر: الشهرسـتاني، عبدالكريم، والظاهـري، علي بن حزم: الفصـل فـي الملل والأهواء والنحـل، ج١، كما وردت الأبيات في: القلهاتـي، أبو عبدالله، محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج٢، ص٤٥٥ - ٤٥٦. مع الإشارة إليه.

(٣) كيسـان: كيسـان المقبري المدني، أبو سـعيد، تابعي ثقة، كثير الحديث. كان مـن الموالي، فلم يعرف نسـبه. كان منزلـه بالقـرب مـن المقابر، فاشـتهر بالمقبري، أو لأنه ولـي النظر في حفـر القبور. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص٢٣٧.

(٤) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٣٣٦.

كلها، واقتباسه الأسرار الخفية بجملتها من علم التأويل والباطن، وعلم الآفاق والأنفس.

ويقولون بالحلول والرجعية بعد الموت، ويزعمون أنه يرجع إلى الدنيا فيملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً، يعنون محمد ابن الحنفية، ويقولون بالتناسخ.

الفرقة الثانية: المختارية

وهم أصحاب المختار بن عبيد، وكان زبيرياً، ثم يرجع رافضياً، وقال كما قال أصحاب كيسان: إن الإمامة في محمد ابن الحنفية. ثم قال: الإمامة في الحسن والحسين. وكان يؤلف علوماً من حرفه، فمن قوله: إن البداء يجوز على الله، وجوّز النسخ.

وكان عنده كرسي قديم قد غشاه بالديباج، وزينه بأنواع الجواهر، وقال: إنه من ذخائر علي بن أبي طالب، وإنه بمنزلة التابوت الذي كان لبني إسرائيل. وكان إذا وقع الحرب وضعه لأصحابه، ويقول لهم: قاتلوا، لكم النصر والظفر، وهذا الكرسي سكينة وبقية مما ترك أمير المؤمنين، والملائكة يمدونكم من فوقكم.

وكان يطيّر الحمام الأبيض، ويقول: ما ترون الملائكة على صورة الحمام الأبيض.

وكان يؤلف لهم الأسجاع، وكان يقول: إن ابن الحنفية في جبل رضوى، بين أسد ونمر يحفظانه، وعنده عينان نضاحتان: عين من عسل، وعين من ماء، وإنه يعود بعد الغيبة، فيملأ الأرض عدلاً، كما مُلئت جوراً، وهو أول من حكم بالعودة والغيبة.

ثم اختلف المختارية والكيسانية في سوق الإمامة، ولكل فرقة منهم مقالة ومذهب.

الفرقة الثالثة: الهاشمية

أصحاب أبي هاشم[١] بن محمد ابن الحنفية، قالوا بانتقال الإمامة إلى أبي هاشم بن محمد ابن الحنفية، وأنه أفضى إليه العلم، وأطلعه على تصنيف الآثار وتقدير التنزيل على التأويل، وتصوير الظاهر على الباطن.

ثم اختلفوا بعد أبي هاشم على خمسة أقاويل.

قال قوم: إن أبا هاشم مات منصرفاً من الشام إلى أرض الشراة، وأوصى إلى محمد بن (علي) بن عبد الله[٢]، وتحولت الوصية حتى صارت إلى (بني)[٣] العباس، وقالوا: لهم حق الخلافة لاتصال النسب، وأن رسول الله مات ووارثه عمه العباس، وهو أولى بالإمامة والإراثة.

وفرقة قالت: إن الإمامة بعد أبي هاشم في ابن أخيه الحسن بن علي بن محمد ابن الحنفية[٤]، لا تخرج منهم إلى غيرهم.

---

(١) أبو هاشم: عبد الله بن محمد (ابن الحنفية) بن علي بن أبي طالب، أبو هاشم، أحد زعماء العلويين في العصر المرواني. كان يبعث الدعاة سراً في الناس، ينفّرهم من بني أمية ويستميلهم إلى بني هاشم. وكانت طائفة من الشيعة ترى أن علياً أوصى بالإمامة من بعده إلى ابنه محمد ابن الحنفية، وأنها انتقلت من محمد إلى ابنه عبد الله، فقام هذا بأمرهم. وعلم سليمان بن عبد الملك بشيء من خبره، فدسّ له من سقاه السم في الشام، فلما أحسّ بالموت ذهب إلى محمد بن علي بن عبد الله العباسي، وهو بالحميمة (قرب معان) فعرفه حاله، وصرف إليه شيعته، وأعطاه كتاباً كانت عنده، وأفضى إليه أسراره. ثم مات عنده سنة ٩٩هـ. كان عالماً بكثير من المذاهب والمقالات، ثقة في رواية الحديث. وفي المؤرخين من يذكر وفاته سنة ٩٨هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص١١٦. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٤، ص١٢٩.

(٢) محمد بن علي بن عبد الله (٦٢ - ١٢٥هـ/ ٦٨١ - ٧٤٣م): محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، الهاشمي، القرشي. أول من قام بالدعوة العباسية، وهو والد السفاح والمنصور. بدأ دعوته سنة ١٠٠هـ. وسيّر الرجال: إلى الجبهات للتنفير من بني أمية والدعوة إلى بني العباس، وجباية خمس الأموال من الشيعة يدفعونها إلى النقباء، وهؤلاء يحملونها إلى الإمام، وهو يتصرف في إنفاقها على بث الدعاة وما يرى المصلحة فيه، فهو في عمله أشبه برئيس جمعية سرية تهيئ أسباب الثورة، وكان عاقلاً حليماً، جميلاً وسيماً، مات بالحميمة سنة ١٢٥هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٦، ص٢٧١ وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٦، ص٧٧..

(٣) في جميع النسخ وفي الأصل «أبي العباس» والصحيح «بني العباس».

(٤) الحسن بن علي بن محمد ابن الحنفية: هكذا ورد اسمه أيضاً لدى الشهرستاني، ولا تذكره كتب =

وفرقة قالت: إن أبا هاشم أوصى إلى عبدالرحمٰن بن حرب الكندي[١]، وإن الإمامة تحولت من بني هاشم، وكان من (٣٣٨) مذهبه واعتقاده التناسخ من شخص إلى شخص، وإن الثواب والعقاب في الأشخاص، وكان يدعي الإلٰهية والنبوة معاً، وإنه يعلم الغيب، وله مقالات فاسدة.

الفرقة الرابعة: البنانية

أتباع بنان بن سمعان النهدي[٢]، قال بانتقال الإمامة من بني هاشم إليه، وهو من الغلاة القائلين بالإلٰهية لعلي بن أبي طالب، وأنه كان يعلم الغيب، وله مقالات فاسدة، وأنه كان معطي النصر، وأنه قلع باب خيبر.

وقالوا: إن علياً هو الذي يأتي في ظل الغمام. وقالوا: إن الرعد صوته، والبرق تبسّمه. قال الشاعر فيهم:

ومن قوم إذا ذكروا عليّاً ... يردون السلام على السحابِ[٣]

وقال آخر:

قوم غلوا في عليّ لا أبا لهم ... قالوا هو الله جلّ الله خالقنا
وأجشموا أنفساً في حبه تعبا ... من أن يكون ابن أنثى[٤] أو يكون أبا[٥]

= التراجم. انظر: الشهرستاني، أبو الفتح: الملل والنحل، ص ٦٥.

(١) عبدالرحمٰن بن حرب الكندي: وفي كتاب الملل والنحل للشهرستاني: عبدالله بن عمرو بن حرب الكندي. انظر: الشهرستاني، أبو الفتح: الملل والنحل، ص ٦٥.

(٢) بنان بن سمعان النهدي: رئيس فرقة الغلاة البنانيّة، كتب إلى محمد بن علي بن الحسين الإمام الخامس عند الشيعة الإمامية والملقب بالباقر، ودعاه إلى نفسه، وفي كتابه: أسلم تسلم وترتقي. فأمر الباقر أن يأكل الرسول قرطاسه الذي جاء به، فأكله فمات في الحال. وكان اسم الرسول عمر بن أبي عفيف، وقد اجتمعت طائفة على بنان بن سمعان، وأتوا بمذهبه، فقتله خالد بن عبدالله القسري على ذلك. انظر: الشهرستاني، عبدالكريم، والظاهري، علي بن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج١، ص ٢٠٥.

(٣) انظر البيت في: القلهاتي، أبو عبدالله محمد بن سعيد الأزدي: الكشف والبيان، ج٢، ص ٤٥٩.

(٤) وفي الأصل «شيء» والصحيح ما أثبتناه في النص نقلًا عن القلهاتي.

(٥) انظر البيت في: المصدر نفسه، ج٢، ص ٤٥٩.

وادعى بنان بن سمعان أنه قد انتقل من الحرف الإلٰهي بنوع من التناسخ، وإنه على صورة إنسان، عضو بعضو، وجزء بجزء، وقال: يهلك كله إلّا وجهه متأولاً الآية: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

الفرقة الخامسة: الرزامية

أتباع رزام بن غيلان، ساقوا الإمامة من علي، ثم إلى ابنه محمد ابن الحنفية، ثم إلى أبي هاشم، ثم إلى منبه بن علي بن عبد الله بن العباس[١]، بالوصية.

وقالوا بحلول الأرواح، وادعوا الإلٰهية.

وقالوا: إن الدين معرفة الإمام، فمن عرف إمامه سقط عنه التكليف. ولهم مقالات وبدع تركتها اختصاراً.

الفرقة السادسة: الزيدية

أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[٢]، ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة رضي الله عنها، ولم يجوّزوا الإمامة في غيرهم، وقالوا: كل فاطمي عالم

(١) منبه بن علي بن عبد الله بن عباس: والصحيح إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وأوصى محمد بن علي إلى ابنه المعروف باسم إبراهيم الإمام، وهو صاحب أبي مسلم الذي دعا إليه وقال بإمامته. فكانت ثورة بني العباس في خراسان على يد أبي مسلم. انظر: الشهرستاني، عبد الكريم، والظاهري، علي بن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج١، ص٢٠٥. وانظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان، ج٥، ص١٨٦ ـ ١٨٧.

(٢) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (٧٩ - ١٢٢هـ/ ٦٩٨ - ٧٤٠م): أبو الحسن العلوي الهاشمي القرشي. ويقال: «زيد الشهيد» عدّه الجاحظ من خطباء بني هاشم. كانت إقامته بالكوفة، أشخص إلى الشام، فضيق عليه هشام بن عبد الملك، وحبسه خمسة أشهر، وعاد إلى العراق، ثم إلى المدينة، فلحق به أهل الكوفة، يحرضونه على قتال الأمويين، فرجع إلى الكوفة سنة ١٢٠هـ، فبايعه أربعون ألفاً. وكان العامل على العراق يومئذٍ يوسف بن عمر الثقفي، فكتب إلى الحكم بن صلت في الكوفة أن يقاتل زيداً، ونشبت المعارك، وانتهت بمقتل زيد في الكوفة، وحمل رأسه إلى الشام، فنصب على باب دمشق. ثم أرسل إلى المدينة، فنصب عند قبر النبي، وسرقه أهل مصر ودفنوه. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٥٩. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٥، ص٣٨٩.

شجاع سخي زاهد ادّعى الإمامة فهو إمام واجب الطاعة، سواء كان من أولاد الحسن أو من أولاد الحسين.

ومن هذا قالت طائفة منهم بإمامة محمد(١)، وإبراهيم(٢) الإمامين، وأتباع عبد الله بن الحسن بن الحسن(٣) الذين خرجا في أيام المنصور، وقتلا على ذلك، ولهم أقوال تركتها.

---

(١) محمد: هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (٩٣ - ١٤٥هـ/ ٧١٢ - ٧٦٢م)، أبو عبد الله الملقب بالأرقط، وبالمهدي، وبالنفس الزكية، أحد الأمراء الأشراف الطالبيين، ولد ونشأ بالمدينة. كان غزير العلم، فيه شجاعة وحزم وسخاء، ولما بدأ الانحلال في دولة بني أمية في الشام، اتفق بنو هاشم بالمدينة على بيعته سراً، وفيهم بعض بني العباس. وقيل: كان من دعاته أبو العباس السفاح وأبو جعفر المنصور. ثم ذهب ملك الأمويين، وقامت دولة العباسيين، فتخلف هو وأخوه إبراهيم عن الوفود على السفاح، ثم على المنصور، فطلبه المنصور هو وأخاه، فتواريا بالمدينة، وقبض على أبيهما واثني عشر من أقاربهما، وعذبهم، فماتوا في الكوفة بعد سبع سنين. وقيل: طرحهم في بيت وطيّن عليهم حتى ماتوا. وعلم محمد النفس الزكية بموت أبيه، فخرج من مخبئه ثائراً، وبايعه أهل المدينة بالخلافة، وأرسل أخاه إبراهيم إلى البصرة فغلب عليها وعلى الأهواز وفارس. فسير له المنصور عيسى بن موسى العباسي بأربعة آلاف فارس حين قتله في المدينة، وأرسل رأسه إلى المنصور سنة ١٤٥هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٦، ص ٢٢٠. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٦، ص ٢١٠.

(٢) إبراهيم: هو إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (٩٧ - ١٤٥هـ/ ٧١٦ - ٧٦٣م): أحد الأمراء الأشراف الشجعان. خرج بالبصرة على المنصور العباسي، فبايعه أربعة آلاف مقاتل، وخافه المنصور، فتحول إلى الكوفة. وكثرت شيعة إبراهيم، فاستولى على البصرة، وسيّر الجموع إلى الأهواز وفارس وواسط، وهاجم الكوفة، فكانت بينه وبين جيوش المنصور وقائع هائلة، إلى أن قتله حميد بن قحطبة. قال أبو العباس الحسني: حُزّ رأسه، وأُرسل إلى أبي الدوانيق (المنصور) ودفن بدنه الذكي في «باخمرى». كان شاعراً عالماً بأخبار العرب وأيامهم وأشعارهم، وممن آزره في ثورته الإمام أبو حنيفة، أرسل إليه أربعة آلاف درهم، ولم يكن عنده غيرها. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج١، ص٤٨ - ٤٩. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٦، ص٢١٨.

(٣) عبد الله بن الحسن بن الحسن (٧٠ - ١٤٥هـ/ ٦٩٠ - ٧٦٢م): عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي، القرشي، أبو محمد، تابعي من أهل المدينة المنورة. قال الطبري: كان ذا عارضة وهيبة ولسان وشرف. وكانت له منزلة عند عمر بن عبد العزيز. ولما ظهر العباسيون حبسه المنصور، ونقله إلى الكوفة، فمات فيها سجيناً. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص ٧٨.

الفرقة السابعة: الجارودية

أصحاب أبي الجارود[١] وزعموا أن النبي نصّ على علي بالوصف دون التسمية، وأن الإمامة بعده في علي، وأن الأمّة قصّرت (٣٣٩) حيث لم يعرفوا، ولم يطلبوا الموصوف، وإنما نصبوا أبا بكر باختيارهم، فكفروا بذلك. ولهم أقاويل تركتها خوف الإطالة.

الفرقة الثامنة: السليمانية

أصحاب سليمان بن جرير، كان يقول: إن الإمامة شورى بين الخلق، وتصح وتنعقد بعقد رجلين من خيار المسلمين، وأثبت إمامة أبي بكر وعمر باختيار الأمة اجتهاداً، وطعن على عثمان في الأحداث التي أحدثها، وكفّر عائشة وطلحة والزبير بإقدامهما على حرب علي[٢].

الفرقة التاسعة: الصالحية

أصحاب الحسن بن صالح[٣]، قولهم في الإمامة كقول السليمانية، إلّا أنهم توقفوا في عثمان، أهو مؤمن أم كافر؟

(١) أبو الجارود: زياد بن المنذر الهمذاني الخراساني، أبو الجارود رأس «الجارودية» من الزيدية. من أهل الكوفة. كان من غلاة الشيعة، افترق أصحابه فرقاً، وفيهم من كفّر الصحابة بتركهم بيعة علي بعد وفاة النبي ﷺ. لـه كتب منها «التفسير» رواية عن أبي جعفر محمد الباقر. وكان يزعم أن النبي ﷺ نص على إمامة علي بالوصف لا بالتسمية. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٥٥.

(٢) انظر التفاصيل في: الشهرستاني، أبو الفتح: الملل والنحل، ص٦٨.

(٣) الحسن بن صالح (١٠٠ - ١٦٨هـ/ ٧١٨ - ٧٨٥م): الحسن بن صالح بن حي الهمذاني الثوري الكوفي، أبو عبد الله، من زعماء الفرقة «البترية». من الزيدية. كان فقيهاً مجتهداً متكلماً. أصله من ثغور همذان، وتوفي متخفياً في الكوفة. قال الطبري: كان اختفاؤه مع عيسى بن زيد في موضع واحد سبع سنين، والمهدي العباسي جادّ في طلبهما. له كتب منها: «التوحيد» و«إمامة ولد علي من فاطمة» و«الجامع» في الفقه. وهو من أقران سفيان الثوري، ومن رجال الحديث الثقات. وقد طعن فيه جماعة لما كان يراه من الخروج بالسيف على أئمة الجور. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص١٩٣. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٧، ص٣٦١.

وقولهم في علي هو أفضل الناس بعد رسول الله، وهو أولى الناس بالإمامة، ولكنه سلّم إليهم الأمر راضياً، وفوّض إليهم الملك طائعاً، وترك حقه راغباً، فنحن راضون بما رضي المسلمون لما سلم. ولهم حديث طويل وخبط كثير تركته.

الفرقة العاشرة: الإمامية

القائلون بإمامة علي بعد النبي نصاً وتعييناً، وعندهم الأئمة الإثنا عشر، وهم: المرتضى(١)، والمجتبى(٢)، والشهيد(٣)، والسجّاد(٤)، والباقر(٥)، والصادق(٦)،

(١) المرتضى: هو علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه أول الأئمة الاثني عشر عند الإمامية.

(٢) المجتبى: هو الحسن بن علي بن أبي طالب. ثاني الأئمة الاثني عشر عند الإمامية.

(٣) الشهيد: هو شهيد كربلاء الحسين بن علي بن أبي طالب ثالث الأئمة الاثني عشر عند الإمامية.

(٤) السجّاد: هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الهاشمي، القرشي (٣٨ - ٩٤هـ/ ٦ - ٧١٢م)، أبو الحسن، الملقب بزين العابدين، رابع الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، وأحد من كان يضرب بهم المثل في الحلم والورع، يقال له «السجّاد» و«علي الأصغر» للتمييز بينه وبين أخيه علي الأكبر الذي قتل مع أبيه في كربلاء سنة ٦١هـ. مولده ووفاته بالمدينة. أحصي بعد موته عدد من كان يقوتهم سراً، فكانوا نحو مئة بيت. قال بعض أهل المدينة: ما فقدنا صدقة السرّ، إلّا بعد موت زين العابدين. وقال محمد بن إسحاق: كان ناس من أهل المدينة يعيشون، ولا يدرون من أين معاشهم ومآكلهم، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به ليلاً إلى منازلهم، وليس للحسين «السبط» عقب إلّا منه. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج، ص٢٧٧. وانظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٦٦ ـ ٢٦٨.

(٥) الباقر: هو محمد بن علي بن زين العابدين بن الحسين الطالبي الهاشمي، القرشي (٥٧ - ١١٤هـ/ ٦٧٦ - ٧٣٢م): أبو جعفر الباقر، خامس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية. كان ناسكاً عابداً. له في العلم وتفسير القرآن آراء وأقوال. لُقّب بالباقر لتبحّره بالعلم، فقيل: باقر العلم. ولد بالمدينة، وتوفي بالحميمية ودفن بالمدينة، للجلودي (عبدالعزيز بن يحيى) المتوفى ٣٠٢هـ كتاب أخبار أبي جعفر الباقر. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص ٢٧٠ - ٢٧١. وانظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان، ج٤، ص ١٧٤.

(٦) الصادق: هو جعفر بن محمد بالباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط، الطالبي الهاشمي القرشي (٨٠ - ١٤٨هـ/ ٦٩٩ - ٧٦٥م): أبو عبدالله الملقب بالصادق، سادس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية. كان من أجلاء التابعين. وله منزلة رفيعة في العلم. أخذ عنه جماعة، منهم الإمامان أبو حنيفة ومالك. ولقب بالصادق لأنه لا يعرف عنه الكذب قط. له أخبار مع جلفاء بني العباس، وكان جريئاً عليهم، صداعاً بالحق. له رسائل مجموعة في كتاب ورد ذكرها في كشف الظنون، يقال: إن جابر بن حيان قام بجمعها. مولده ووفاته بالمدينة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص١٢٦. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٦، ص ٢٥٥.



والكاظم[١]، والرضى[٢]، والجواد[٣]، والهادي[٤]، والركن[٥]، والحجة القائم المنتظر[٦].

(١) الكاظم: هو موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر، أبو الحسن، سابع الأئمة الاثني عشر عند الإمامية. وردت ترجمته سابقاً.

(٢) الرضي: هو علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق (١٥٣ - ٢٠٣هـ/ ٧٧٠ - ٨١٨م): الطالبي، الهاشمي القرشي، أبو الحسن، الملقب بالرضى، ثامن الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، ومن أجلاء السادة أهل البيت وفضلائهم، ولد بالمدينة، عهد إليه المأمون بالخلافة من بعده، وزوجه ابنته، وضرب اسمه على الدينار والدرهم، وغيّر من أجله الزي العباسي الذي هو السواد، فجعله أخضر، وكان هذا شعار أهل البيت، فاضطرب العراق، وثار أهل بغداد، فخلعوا المأمون، وهو في طوس، وبايعوا لعمه إبراهيم بن المهدي، فقصده المأمون بجيشه، فاختبأ بطوس، ثم استسلم، وعفا عنه المأمون. ومات علي الرضى في حياة المأمون بطوس، فدفنه إلى جانب أبيه الرشيد، ولم تتم له الخلافة. وقيل: إنه قُتل مسموماً. وعاد المأمون إلى السواد، فاستألف القلوب، ورضي عنه الناس. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص٢٦. وانظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٦٩ ـ ٢٧١.

(٣) الجواد: هو محمد بن علي الرضى بن موسى الكاظم (١٩٥ - ٢٢٠هـ/ ٨١١ - ٨٣٥م): الطالبي الهاشمي القرشي، أبو جعفر، الملقب بالجواد، تاسع الأئمة الاثني عشر عند الإمامية. كان رفيع القدر كأسلافه، ذكياً، طلق اللسان، قوي البديهة. ولد في المدينة، وانتقل مع أبيه إلى بغداد. وتوفي والده، فكلفه المأمون العباسي، ورباه، وزوجه ابنته «أم الفضل»، وقدم المدينة، ثم عاد إلى بغداد فتوفي فيها. وللدبيلي، محمد بن وهبان كتاب في سيرته سماه «أخبار أبي جعفر الثاني»، ويعني بالأول الباقر. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص٢٧١ - ٢٧٢. وانظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان، ج٤، ص١٧٥ ـ ١٧٦.

(٤) الهادي: علي (الملقب بالهادي) ابن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى بن جعفر، الحسيني الطالبي، عاشر الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، وأحد الأتقياء الصلحاء. ولد بالمدينة، ووشي به إلى المتوكل العباسي، فاستقدمه إلى بغداد، وأنزله في سامراء، وكانت تسمى «مدينة العسكر» لأن المعتصم لما بناها انتقل إليها بعسكره، فنسب إليها الهادي، وعرف بأبي الحسن العسكري. توفي في سامراء، ودفن في بيته. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص٣٢٣. وانظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٧٢ ـ ٢٧٣.

(٥) الركن: هو الحسن بن علي الهادي بن محمد الجواد الحسيني الهاشمي (٢٣٣ - ٢٦٠هـ/ ٨٤٦ - ٨٧٣م) أبو محمد، الإمام الحادي عشر عند الإمامية. ولد في المدينة، وانتقل مع أبيه (الهادي) إلى سامراء، وكان اسمها «مدينة العسكر» فقيل له العسكري ـ كأبيه ـ نسبة إليها. وبويع بالإمامة بعد وفاة أبيه، وكان على سنن سلفه الصالح تقى ونسكاً وعبادة. وتوفي في سامراء. قال صاحب الفصول المهمة: لمّا ذاع خبر وفاة الحسن ارتجّت سرَّ من رأى (سامراء) وقامت صيحة واحدة، وعُطلت الأسواق، وغُلقت الدكاكين، وركب بنو هاشم والقواد والكتّاب والقضاة وسائر الناس إلى جنازته، ودُفن في البيت الذي دُفن فيه أبوه. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص٢٠٠. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص٢٦٥.

(٦) الحجة القائم المنتظر: هو محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي (٢٥٦ - ٢٧٥هـ/ ٨٧٠ - ٨٨٨م) =

الفرقة الحادية عشرة: الباقرية

أتباع محمد (بن)[1] الباقر، والجعفرية أتباع ابنه جعفر بن محمد الصادق، وقالوا بإمامتهما وإمامة والدهما زين العابدين، وزعموا أن جعفر بن محمد كتب لهم في جلد جعفر علوم الغيب، وأخبرهم بما كان، وبما يكون، وحاشاه عما قالوا.

الفرقة الثانية عشرة: الناونسية

أتباع رجل منهم يقال له الناونس[2]، وقيل: نُسبوا إلى قرية يقال لها ناونسا. قالوا: إن جعفر الصادق حيّ لم يمت حتى يظهر، ويظهر أمره، وهو القائم المهدي، ولهم خبط، تركته.

الفرقة الثالثة عشرة: الإسماعيلية

وهم الذين قالوا: إن الإمام بعد جعفر ابنه إسماعيل نصاً وتعييناً.

ثم اختلفوا بعد موته في حياة أبيه، فمنهم من قال: لم يمت، وإنما أظهر

= أبو القاسم، آخر الأئمة الاثني عشر عند الإمامية. وهو المعروف عندهم بالمهدي، وصاحب الزمان، والمنتظر، والحجة. ولد في سامراء، ومات أبوه وله من العمر نحو خمس سنين. وقيل في تاريخ مولده: ليلة النصف من شعبان سنة ٢٥٥هـ وفي تاريخ غيبته سنة ٢٦٥هـ. وفي سفينة البحار للقمي وصف ليلة مولده، واسم أمه «نرجس»، وأنه نهى عن تسميته باسمه، فهم يكنون عنه بالمهدي، أو أحد ألقابه الأخرى. انظر: الزركلي: خير الدين: الأعلام، ج٦، ص ٨٠. وانظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان، ج٤، ص ١٧٩ .

(١) وردت كلمة «بن» خطأً في المخطوطة والصحيح «محمد الباقر» والباقر هو لقب محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. وقد ذكرنا ذلك في ترجمته سابقاً.

(٢) الناونس: وفي الملل والنحل: «الناووسية: أتباع رجل يقال له: ناووس، وقيل: نسبوا إلى قرية ناووسا. قالت: إن الصادق حي بعد، ولن يموت حتى يظهر، فيظهر أمره. وهو القائم المهدي. ورووا عنه أنه قال: لو رأيتم رأسي يدهده عليكم من الجبل فلا تصدقوا، فإني صاحبكم صاحب السيف. وحكى أبو حامد الزوزني أن الناووسية زعمت أن علياً باقٍ، وستنشق الأرض عنه يوم القيامة، فيملأ الأرض عدلاً. انظر: الشهرستاني، أبو الفتح: الملل والنحل، ص ٧١.

موته تقية من خلفاء بني العباس. ومنهم من قال: مات صحيحاً، والإمام من بعده إسماعيل بن محمد بن إسماعيل[1]، وهؤلاء يقال لهم المباركية.

الفرقة الرابعة عشرة: الأفطحية

قالوا بانتقال الإمامة من الصادق إلى ابنه عبد الله الأنطح[2]، وهو أخو إسماعيل (٣٤٠) لأبيه وأمه، أمهما فاطمة بنت الحسين، وأن الصادق أخبر عنه بقوله: الإمام من يجلس مجلسي. وإنه هو الذي يجلس مجلسه.

وقالوا: إن الإمام لا يُغسل، ولا يُصلى عليه، ولا يأخذ خاتمه، ولا يواريه إلا إمام مثله، وإنه هو الذي تولى ذلك كله.

الفرقة الخامسة عشرة: الشميطية

وهم أتباع يحيى بن أشمط[3]، وقالوا: إن الإمامة بعد جعفر في ابنه محمد، وهكذا رووا عن جعفر أنه قال: صاحبكم اسمه اسم نبيّكم، يعني بزعمهم ابنه محمد.

---

(١) محمد بن إسماعيل: محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق الحسيني الطالبي الهاشمي (١٣١ - ١٩٨هـ/ ٧٤٨ - ٨١٤م) إمام عند القرامطة. ترى الطائفة الإسماعيلية أنه قام بالإمامة بعد وفاة أبيه (أو اختفائه) سنة ١٣٨هـ. وأنه يكنى عنه بالمكتوم حذراً عليه من بطش العباسيين، وهو عندهم أول الأئمة «المكتومين» ويليه ابنه جعفر «المصدّق» ثم محمد «الحبيب». ويقول الفاطميون: إن محمداً الحبيب هو والد عبيد الله القائم بالمغرب الملقب بالمهدي، المنسوب إليه سائر الخلفاء الفاطميين في المغرب. ولد المكتوم في المدينة، وتوفي ببغداد. والقرامطة تعدّ من أولي العزم وهم «نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد ﷺ، ومحمد بن إسماعيل» وهو عند الدروز أول الأئمة السبعة «المستورين» ويطلقون عليه «الناطق السابع»، ويقولون: إنه رفع التكاليف الظاهرية للشريعة بمناداته بالتأويل، وجنوحه إلى المعنى الباطن، وغضه عن شأن المعنى الظاهر».

(٢) عبد الله الأنطح: والصحيح عبد الله بن جعفر بن محمد الصادق المعروف بالأفطح. وهو أكبر أولاد جعفر بن محمد الصادق، وكان يكنى به (أبو عبد الله). مات بعد سبعين يوماً من وفاة أبيه، ولم يعقب ولداً ذكراً، لذلك لا تجوز الإمامة فيه. انظر: الشهرستاني، عبد الكريم، والظاهري، علي بن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٢، ص٣.

(٣) يحيى بن أشمط: والصحيح يحيى بن أبي شميط، رأس الفرقة الشميطية وليس الأشمطية. انظر: المصدر نفسه، ص٣.

الفرقة السادسة عشرة: الفضيلية والمؤنسيّة[١]

وهما فرقة واحدة، وهم ممن يقولون بإمامة موسى بن جعفر، وأن جعفر قال لهم: شائعكم، ذائعكم، قائمكم، صاحب التوراة. يعني موسى.

وقالوا: إن جعفر قال لصاحبه: عدّد الأيام، فعدّها من الأحد حتى بلغ السبت. قال: كم عددت؟ قال: سبعة. قال جعفر: سبت السبوت، وشمس الدهور، ونور المشهور، من لا يلهو، ولا يلعب، وهو شائعكم وذائعكم، قائمكم، وأشار إلى موسى.

الفرقة السابعة عشرة: الغالية[٢]

وهم الذين غلوا في أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليقة، وحكموا فيهم بأحكام الإلٰهية، فربما نسبوا واحداً من أئمتهم بالإلٰه، وربما نسبوا الإلٰه به، تعالى الله عن قولهم، وهم أهل اللغو والتقصير بسبب شبهاتهم من مذهب الحلولية ومذاهب أهل التناسخ، تعالى الله عن قولهم علّواً كبيراً.

الفرقة الثامنة عشرة: السبائية

وهم أصحاب عبد الله بن سبأ[٣]، الذي قال لعلي: أنت أنت، فنفاه إلى المدائن، وزعموا أنه كان يهودياً، فأسلم.

---

(١) الفضيلية المؤنسية: والصحيح المفضليّة والموسوية نسبة إلى المفضل بن عمرو الذي قال بإمامة موسى الكاظم (ابن جعفر الصادق) بعد وفاة أبيه، وهي فرقة واحدة. انظر: المصدر نفسه، ص ٣ - ٤.

(٢) الغالية: الغلاة هم كل من ألّه علي بن أبي طالب، وبدعهم محصورة في أربع: التشبيه، والبدء، والرجعة، والتناسخ. ولهم بكل بلد تسمية: الخرمية والكودية في أصفهان، والزدكية والسنباذية في الري، والذقولية: بأذربيجان، والمبيّضة فيما وراء النهر والمحمرة. انظر: الشهرستاني، عبد الكريم، والظاهري، علي بن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٢، ص ١١.

(٣) عبد الله بن سبأ: عبد الله بن سبأ، رأس الطائفة السبئية. وكانت تقول بألوهية عليّ. أصله من اليمن، قيل: كان يهودياً، وأظهر الإسلام. رحل إلى الحجاز، فالبصرة، فالكوفة. ودخل دمشق أيام عثمان بن عفان، فأخرجه أهلها، فانصرف إلى مصر، وجهر ببدعته. ومن مذهبه رجعة النبي ﷺ، فكان يقول: «العجيب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذّب برجوع محمد! ونقل ابن عساكر عن الصادق: لما بويع عليّ قام إليه ابن سبأ، فقال له: أنت خلقت الأرض وبسطت الرزق! فنفاه إلى ساباط المدائن. وقال ابن حجر العسقلاني: ابن سبأ، من غلاة الزنادقة، أحسب أن علياً حرقه بالنار. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص ٨٨.

وكان يقـول: يوشـع بن نون وصي موسـى. ثم قال في علـي ما قال، ومنه تشـعبت أصنـاف الغـلاة، وزعمـوا أن علياً حـيّ لم يمـت، وإن فيـه حرفاً من الإلٰهية، وإنه هو الذي يجيء في السحاب، والرعد وصوته، والبرق تبسّمه، وأنه سينزل إلى الأرض عند اقتراب الساعة فيملأها عدلاً كما مُلئت جوراً.

الفرقة التاسعة عشرة: الكاملية

أصحـاب ابن كامل[١]، أكفر جميع الصحابـة بتركها بيعة علي، وأكفر علياً بتركه حقه، ولم يعذره في القعود، وقال: كان عليه أن يخرج، ويظهر الحق.

وقال في الإمامة: إنها نور متناسـخ من شـخص إلى شـخص، ويكون في شخص نبوَّة، وفي شخص إمامة.

وجميع الغلاة وأصنافها متفقون على التناسـخ، والحلول، والرجعة، تلقوا هذا القول من المجوس، والمزدكية، والبراهمة، والفلاسفة، والصابئة.

الفرقة العشرون: العليائية

أصحاب عليا بن ذراع (٣٤١) الأسدي[٢]، وقيل: الدوسي. كان يفضل علياً على النبي ﷺ، وزعم أن علياً بعث محمداً، وسـماه إلٰهاً، وأن النبي يدعو إلى علي، فدعا إلى نفسه.

(١) ابن كامل: هبة الله بن عبدالله بن كامل، أبو القاسم، داعي الدعاة بمصر للفاطميين (العبديين) وقاضي القضاة في أواخر دولتهم. كان يلقب بفخر الأمناء. له علم بالأدب، وشعر. قال ابن قاضي شهبة: من كبار علماء الدولة المصرية، كان قاضي الخليفة العاضد. ولما زال ملكهم، قبض عليه، وقتل مصلوباً بمصر. وهو أحد الثمانية الذين سعوا في إعادة دولة بني عبيد، فشنقهم صلاح الدين الأيوبي. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٨، ص٧٣.

(٢) عليا بـن ذارع الأسـدي: والصحيـح هـو العليا بن ذارع الدوسـي، وقال قوم الأسـدي. وقد انقسـمت فرقتـه إلـى جماعتيـن: الأولى تقدم عليـاً في أحكام الإلٰهية، ويسـمونهم العينية، والثانيـة تقدم محمداً في الإلٰهية، ويسمونهم الميمية. انظر: الشهرستاني، عبدالكريم، والظاهري، علي بن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٢، ص١٣.

ومنهم من قال بإلٰهيتهما جميعاً. ومنهم من قال الإلٰهية في خمسة أشخاص، وهم أصحاب الكساء: محمد، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين، وفي ذلك يقول شاعرهم:

تولیت بعد الله في الدين خمسة عليأً وسبطيه وشيخاً وفاطما[١]

الفرقة الحادية والعشرون: المغيرية

أصحاب المغيرة بن سعيد العجلي[٢]، ادعى أن الإمامة بعد محمد بن علي ابن الحسين[٣] في محمد بن عبدالله بن الحسن[٤] الخارج بالمدينة، وزعم أنه حيّ لم يمت، ثم ادعى الإمامة لنفسه بعد محمد، ثم ادعى النبوة لنفسه، وغلا في علي غلواً لم يدّعه أحد، وزاد على ذلك بالتشبيه.

وقال: إن الإمامة التي عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها، وأشفقن منها، وحملها الإنسان، إنه كان ظلوماً جهولا. هي أن لا تمنعنّ علياً الإمامة، حملها الإنسان؛ أي: عمر بن الخطاب، وقال لأبي بكر: تحملها وأنا أعينك عليها على أن تجعلها لي بعدك.

---

(١) انظر البيت في: الشهرستاني، عبدالكريم، والظاهري، علي بن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٢، ص

(٢) المغيرة بن سعيد العجلي: والصحيح المغيرة بن سعيد البجلي الكوفي، أبو عبدالله، يقال له الوصاف. قالوا: إنه جمع بين الإلحاد والتنجيم. وكان مجسماً يزعم أن الله تعالى «على صورة رجل، على رأسه تاج، وأعضاؤه على عدد حروف الهجاء»، ويقول بتأليه علي وتكفير أبي بكر وعمر وسائر الصحابة إلّا من ثبت مع علي. ويزعم أن علي لو أراد أن يحيي عاداً وثموداً لفعل. ومن أقواله: إن الأنبياء لم يختلفوا في شيء من الشرائع. خرج بالكوفة في إمارة خالد بن عبدالله القسري داعياً لمحمد بن عبدالله بن الحسن، وكان يقول: هو المهدي. وظفر به خالد، فصلبه وأحرق بالنار خمسة من أتباعه وهم يسمون «المغيرية». انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٦، ص ٢٧٦ - ٢٧٧.

(٣) محمد بن علي بن الحسين: هو محمد الباقر وقد وردت ترجمته سابقاً.

(٤) محمد بن عبدالله بن الحسن: هو محمد بن عبدالله النفس الزكية، وقد وردت ترجمته سابقاً.

انظروا يا معشر المسلمين هذا الاعتقاد الفاسد، نسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى.

الفرقة الثانية والعشرون: المنصورية

أصحاب منصور العجلي[1]، وهو الذي انتمى إلى أبي جعفر محمد بن علي الباقر في الأول، فلما تبرّأ منه الباقر وطرده، زعم أنه هو الإمام، ودعا الناس إلى نفسه، وزعم أن علياً هو الكسف الساقط من السماء حين ادعى الإمامة لنفسه، وأنه عرّج به إلى السماء، ورأى معبوده، فمسح يده على رأسه وقال له: يا بني انزل، فبلّغ عني.

ثم هبط إلى الأرض، وزعم أن الرسل لا تنقطع، وأن الجنّة رجل أمرنا بموالاته، وهو إمام الوقت، والنار رجل أمرنا بمعاداته، وهو خصم الإمام. واستحلّ قتل مخالفه.

وقال: إن أول ما خلق الله عيسى ابن مريم، ثم علي بن أبي طالب.

الفرقة الثالثة والعشرون: الخطّابية

أصحاب أبي الخطاب محمد بن زينب الأخذع[2]، وهو الذي عزا نفسه إلى أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق، ولما وقف جعفر على غلوّه في

---

(١) منصور العجلي: والصحيح أبو منصور العجلي، رأس الفرقة المنصورية، ومما ابتدعه أن أول ما خلق الله هو عيسى ابن مريم، ثم علي بن أبي طالب. ظهرت دعوته بالكوفة، وتبعه جماعة من بني كندة، حتى وقف على قصته يوسف بن عمر الثقفي والي العراق في أيام هشام بن عبدالملك، فأخذه، وقتله، ثم صلبه. انظر: الشهرستاني، عبدالكريم، والظاهري، علي بن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٢، ص ١٥.

(٢) محمد بن زينب الأخذع: محمد بن زينب الأسدي الأجدع (أبو الخطاب) رأس الفرقة الخطابية، افترقت فرقته بعد قتله بسيخة الكوفة إلى فرقة المعمرية التي تركت الفرائض والصلاة، وفرقة البزيغية، وفرقة العجلية نسبة إلى عمير بن بنان العجلي بعد أبي الخطاب. انظر: الشهرستاني، عبدالكريم، والظاهري، علي بن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٢، ص ١٧.

الباطل، تبرأ منه، ولعنه، وأخبر أصحابه بالبراءة منه. فلما اعتزل عنه ادعى الأمر لنفسه، وزعم أن الأنبياء أئمة (٣٤٢) وآلهة، وهو القائل بإلٰهية محمد بن جعفر، وأنهم أبناء الله وأحباؤه، وأن جعفر هو الإلٰه في زمانه، وإنه ليس هو المحسوس في زمانه الذي ترونه، ولكنه لمّا نزل إلى هذا العالم لبس تلك الصورة، فرآه الناس عليها، ولما وقف عيسى بن موسى[(١)]، على خبث دعواه، قتله.

الفرقة الرابعة والعشرون: الكيالية

أصحاب أحمد بن الكيال[(٢)]، كان من دعاة أهل البيت بعد جعفر بن محمد، وابتدع مقالات على غير قاعدة معروفة، ولا معقولة، ولا مسموعة، ولما وقفوا على بدعته، طردوه، ولعنوه، وأمروا شيعته بمنابذته، وترك مخالطته، فلما عرف ذلك منهم، صرف الدعوة لنفسه، وادعى الإمامة، وزخرف في قوانين العالم ما لم يأذن الله به، وله مسائل في العالم السفلي والعلوي كثيراً تركته اختصاراً.

---

(١) عيسى بن موسى: عيسى بن موسى بن محمد العباسي (١٠٢ - ١٦٧هـ/ ٧٢١ - ٧٨٣م) أبو موسى، أمير، من الولاة القادة، وهو ابن أخي السفاح. كان يقال له «شيخ الدولة». ولد ونشأ في الحميمة، وكان من فحول أهله وذوي النجدة والرأي منهم. وله شعر جيد. ولاه عمه الكوفة وسوادها سنة ١٣٢هـ، وجعله ولي عهد المنصور، فاستنزله المنصور عن ولاية عهده سنة ١٤٧هـ، وعزله عن الكوفة، وأرضاه بمالٍ وفير، وجعل له ولاية عهد ابنه المهدي، فلما ولي المهدي خلعه سنة ١٦هـ. بعد تهديد ووعيد، وكان ولي العهد لا يخلع ما لم يخلع نفسه، ويشهد الناس عليه، فأقام بالكوفة إلى أن توفي. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص١٠٩ - ١١٠. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٧، ص٤٣٤.

(٢) أحمد بن الكيال: رأس الفرقة الكيالية، وقال: إن العوالم ثلاثة: العالم الأعلى، والعالم الأدنى، والعالم الإنساني. ومن العجب أنه قال: الأنبياء أهل التقليد، وأهل التقليد عميان، والقائم قائد أهل البصيرة أُولوا الألباب، وإنما يحصلون البصائر بمقابلة الآفاق والأنفس. انظر: الشهرستاني: عبدالكريم، والظاهري، علي بن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٢، ص١٧ - ٢١.

الفرقة الخامسة والعشرون: الهشامية

أصحاب هشام بن الحكم[١]، في التشبيه، وهشام بن سالم الخوالفي[٢] الذي نسج على منواله في التشبيه. وكان هشام بن الحكم من متكلمي الشيعة، وجرت بينه وبين أبي الهذيل العلاف مناظرات في علم الكلام.

وحكى ابن الراوندي عن هشام أن بين معبوده وبين الأجسام تشابهاً، ولولا ذلك لما دلّت عليه، ونقل عنه أنه قال: سبعة أشبار بشبري، يعني عن نفسه جلّ الله وعلا عن قوله علّواً كبيرا.

ومن قوله: إنه في مكان مخصوص، وإنه ثبت في مكان. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

وقال: إن الله على صورة إنسان مجوف، وأسفله مصمت، وإنه نور ساطع يتلألأ. وقالوا: له حواس، تعالى الله عما يقولون علّواً كبيرا.

الفرقة السادسة والعشرون: النعمانية

أصحاب محمد بن النعمان المكنى بشيطان الطاق[٣]، وافق هشام بن الحكم في قوله: إن الله لا يعلم شيئاً حتى يكون. وقال: إن الله على صورة إنسان. ولهم مقالات كثيرة تركتها اختصاراً.

---

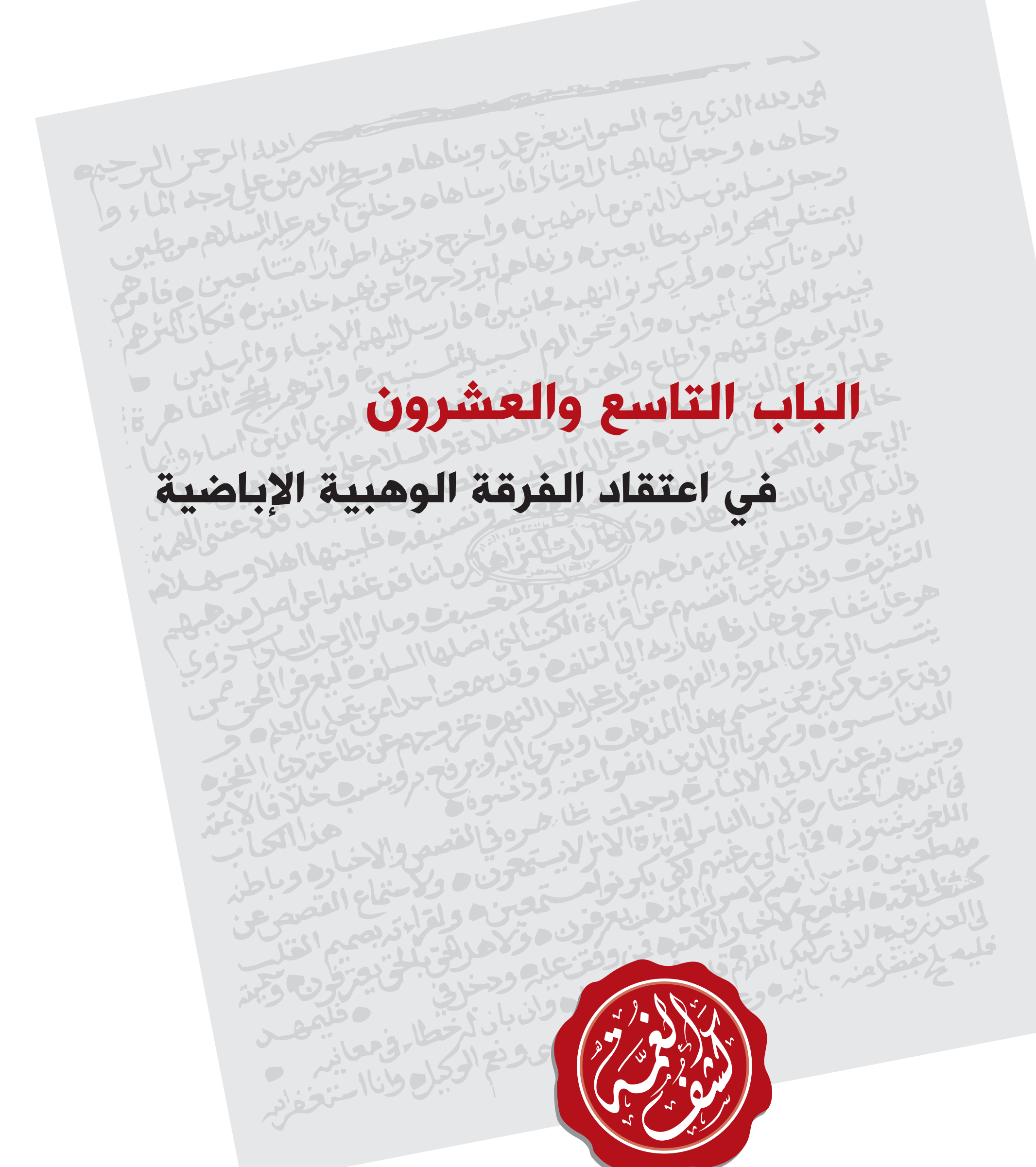
(١) هشام بن الحكم: رأس الفرقة الهاشمية، غلا في حق علي حتى قال: إنه إلٰه واجب الطاعة. يقال: إنه ناظر العلاف فقال: الله عالم لا كالعالمين، وجسم لا كأجسام، وصورة لا كل الصور، وله قدر لا كل الأقدار إلى غير ذلك. ووافقه زرارة بن أعين في حدوث علم الله تعالى، وزاد عليه بحدوث قدرته وحياته وسائر صفاته. انظر: المصدر نفسه، ص ٢٢ - ٢٣.

(٢) هشام بن سالم الخوالفي: والصحيح هشام بن سالم الجواليقي، صاحب المقالة في التشبيه نَسَج نسجَ هشام بن الحكم، وكان من رؤساء فرقته المعروفة بالهشامية. انظر: المصدر نفسه، ص ٢١.

(٣) محمد بن النعمان (شيطان الطاق): محمد بن النعمان بن أبي جعفر الأحوال مؤمن الطاق، كما تقول شيعته، وألف للشيعة كتباً كثيرة، ويذكر فيها أن كبار الفرق أربعة: القدرية، الخوارج، العامة، الشيعة. ثم عيّن الشيعة بالنجاة في الآخرة. انظر: المصدر نفسه، ص ٢٤.

ومن فرق الشيعة: البصرية، والإسحاقية، والباطنية، والقرمطية، والمدركية، والملحدة. وهذه كلها أصلها من فرقة واحدة، تمام السبعة والعشرين. وفرق كثيرة ضربت عنها صفحاً؛ لأنهم كلامهم ببعض كلام الفلاسفة والدهرية والبراهمة الغويّة. نسأل الله الهداية والإرشاد والنجاة من عذابه يوم المعاد، إنه كريم جواد.

ولم تبقَ إلّا الفرقة المحقة التي هي على الكتاب والسُّنَّة والإجماع، وهي الإباضية لمكان إمام المسلمين عبدالله بن إباض رحمه الله (٣٤٣).



الباب التاسع والعشرون

في اعتقاد الفرقة الوهبية الإباضية

وهي الفرقة المحقّة، التي هي على الكتاب والسُّنَّة والإجماع.

وسميت الإباضية لمكان إمام المسلمين عبد الله بن إباض بن تيم اللات بن ثعلبة، من رهط الأحنف بن قيس التميمي. وهو الذي فارق جميع الفرق الضالّة عن الحق من المعتزلة، والقدرية، والصفاتية، والجهمية، والخوارج، والروافض، والشيع.

وهو أول من بيّن مذاهبهم، ونقض فساد اعتقادهم بالحجج القاهرات، والآيات المحكمات النيّرات، والروايات البيّنات الشاهرات.

نشأ في زمان معاوية بن أبي سفيان، وعاش إلى زمن عبد الملك بن مروان، وكتب إليه بالسير المشهورة، والنصائح المعروفة المذكورة.

ورفع المذهب عن عبد الله بن العباس وأبي الشعثاء جابر بن زيد، ونقل عن أهل النهروان والنخيلة، وعن التابعين من أهل صفين والجمل، وعن الصحابة مثل: عمار بن ياسر، وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين، ومحمد، وعبد الله[1] ابني

---

(١) عبد الله بن بديل بن ورقاء: عبد الله بن بديل بن ورقاء بن عمرو بن ربيعة ابن عبد العزى بن ربيعة بن جزي بن عامر بن مازن بن عدي بن عمرو بن ربيعة، وهو لحي الخزاعي. من خزاعة، أسلم هو ووالده بديل وحكيم بن حزام يوم فتح مكة بمر الظهران، وكان والده بديل بن ورقاء من كبار مسلمة الفتح. شهد عبد الله بن بديل مع علي كرّم الله وجهه معركة الجمل، وشهد معه صفين. وروى نصر بسنده عن الشعبي أن عبد الله بن بديل الخزاعي كان مع علي بصفين يوم السابع من صفر سنة ٣٩هـ، وعليه سيفان ودرعان، فجعل يضرب الناس بسيفه قدماً وهو يقول:

لم يبق إلّا الصبر والتوكل ... وأخذك الترس وسيفاً مصقلِ
ثم لتمشي في الرعيل الأول ... مشي الجمال في حياض المنهلِ

=

بديل بـن ورقاء الخزاعي، وعبد الله بن مسـعود، وحذيفة بـن اليمان، ومعاذ بن جبل، وعبد الرحمٰن بن عوف، وسـلمان الفارسـي، وبلال الحبشـي، وصهيب الرومي، وعائشـة أم المؤمنين، والخليفتين الرضيين المرضيين أبي بكر وعمر، والمهاجرين والأنصار رضي الله عنهم أجمعين.

وذلـك أنه فـارق جميع أهل الفرق الضالة الذين بيّنتُ لك ضلالتهم صدر كتابي هذا.

وقال: إن الإيمان قول وعمل (ونيّة)[1]، واتباع السُّنَّة، وإن ليس فيه اعتلال علـى أحـد من الناس، ولا أخذ بالحنّات، ولا ميلولة إلى هوى، وإنما هو اتباع سـبيل التقوى، وأن يؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسـله، وجنته وناره، ووعده ووعيـده، والبعـث والحسـاب، واليوم الآخـر، وتصديق ما جاء بـه الأنبياء من ربّهـم، وأن القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله، أنزله على نبيّه محمد ﷺ، وأن لله ثواباً لا يشـبهه ثواب، وعقاباً لا يشـبهه عقاب، وأن يؤمن بالقدر خيره وشـرّه، وأن الله خالـق كل شـيء، لا خالق سـواه، وأن الله لا يخلـف وعده، ولا يبطل وعيده، وأنه صادق فيما قال، وأن كلّ ما جاء به محمد بن عبد الله من عند الله فهو الحق المبين، ولا شكَّ فيه ولا ارتياب، وأن الله سبحانه لا تدركه الأبصار في الدنيا ولا في الآخرة، وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الخبير، ولا تحويه

= ومما قاله عبد الله بن بديل يوم الجمل:

ياقـوم للحظة العظمى التـي حدثت	حرب الوصي وما للحرب من آسـي
الفاضـل الحكم بالتقـوى إذا ضربت	الـقـبـائـل أخـمــاسـاً لأسـدادسِ

قتل عبد الله بن بديل في صفين، حيث أقدم القوم يرضخونه بالصخر حتى أثخنوه، ولمّا قتل أقبل عليه معاوية وعبد الله بن عامر، فأمنا عبد الله بن عامر فألقى عمامته على وجهه، وترحم عليه، وكان له أخاً وصديقـاً، فقال معاوية: اكشـف عن وجهـه، فقال عبد الله: والله لا يمثل به وفيّ الـروح، فقال معاوية: اكشـف عـن وجهه، فقد وهبته لك، فكشـف عن وجهه، فقال معاوية: هذا كبـش القوم ورب الكعبة، اللهم اظفرني بالأشتر النخعي والأشعث الكندي. انظر: الأمين، محسن: أعيان الشيعة، ج٨، ص٤٧.

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٣٤٣.

الأقطار، وهو (٣٤٤) الله لا إلٰه إلا هو الواحد القهار، لا تأخذه سنة ولا نوم، الخالق الباري، المصور الباعث، الوارث، المحيي، الحي الذي لا يموت، القوي الغني، العلي الولي، الجبّار المتكبر، الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٣، ٤]. عالم خبير، عزيز حكيم، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

أول ليس قبله شيء، آخر ليس بعده شيء، خالق كل شيء، محيط بكل شيء، عالم بكل شيء، وهو على كل شيء قدير.

لا تكيفه الأوهام، ولا يشبه الأجسام، ولا يوصف بالحركات والسكون، حي قيّوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى، عالم بما يكون قبل كونه، إن لو كان كيف كان، يكون بالقدرة القاهرة، والعظمة الظاهرة، منشئُ النشأة الأولى والنشأة الآخرة، لا تحويه الأمكنة، ولا تغيّره الأزمنة، ذو العزّة والملكوت والقوّة والجبروت، وهو حي دائم لا يموت، البريء من الأشباه والأضداد، المقدس عن الصاحبة والأولاد، المنزّه عن صفات (أهل الشرك)[1] والإلحاد، المتعالي عن إدراك النواظر وتحصيل الأوهام والخواطر، القادر بلا أعوان وأنصار، الناظر لا بخواطر وأفكار، العالم بلا اكتساب ولا اضطرار، الدائم لا بزمان ومقدار، المطلع على خفيّات الأسرار، قرب فلا تراه العيون والأبصار، العالم بما يكون قبل كونه أن يكون، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٢، ٨٣].

والإسلام من الإيمان، وهو شهادة أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون.

---

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٣٤٤.

وإن ما جاء به محمد بن عبدالله من عند الله فهو الحق المبين، ولا شك فيه ولا ارتياب، وإن الساعة آتية لا ريب فيها، وإن الله يبعث من في القبور، وأما ما لا يتم الإسلام إلّا به، فهي:

الصلاة بحدودها، وفرضها، وسُنَّتها، والعلم بوجوبها، والطهارة والوضوء لها، وإقامتها لوقتها، وعلى البقعة الطاهرة، واستقبال القبلة لها، والمواظبة عليها، وترك ما يناقضها من قول، وعمل، ومعرفة أصولها، ومعرفة صلاة الحضر من صلاة السفر، وصلاة الجمعة كما فرضها الله سبحانه، وسَنَّها رسول الله وأئمة الهدى من بعده في الأمصار (٣٤٥) الممصرة، وخلف أئمة العدل، وصلاة العيدين، وصلاة الميت والكسوفين، والوتر، والنوافل، وغير ذلك مما سَنَّه رسول الله ﷺ.

والزكاة فيما وجبت فيه من صنوف الأموال التي تجب فيها الزكاة، والعلم بوجوب فرضها ودفعها إلى أهلها بعد استكمال النصاب، وإخراج الخمس من الغنائم، ودفعه إلى أهله، وزكاة الفطر عن كل مولود صاع مما يقتات، وإخراجه إلى أهله من الفقراء.

وصيام شهر رمضان بالحلم والعفاف، واستكمال طرفي المفترض منه، مع اجتناب ما نهى الله ورسوله عنه، والعلم بوجوب فرضه.

والحج إلى بيت الله الحرام من (استطاع إليه سبيلا)[1]، والإحرام من الميقات، والوقوف بعرفات، وزيارة البيت، والسعي والطواف، ورمي الجمار، ومعرفة وجوب فرضه وسننه، وما يلزم من الجزاء فيه من قتل الصيد، وقطع شجر الحرم، وصلة الرحم، وبرّ الوالدين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(١) سقطت من النسخة الأصلية ب، وما أثبتناه في المتن من نسخة دار الكتب الظاهرية.

والجهاد في سبيل الله، وإيتاء ذي القربي حقوقهم، والجار، وابن السبيل، وأداء الأمانة، والقيام بالشهادة، والقيام بالقسط، والعمل، بالحق، وغضّ النظر عن المحارم، وحفظ الفروج، وترك القول بالزور، وترك العمل بالفجور، وترك الخيانة، وتحريم الحرام، واستحلال الحلال، وطاعة ذي الجلال، والانتهاء عما نهى الله عنه ورسوله، والغسل من الجنابة، والغسل من الحيض والنفاس، وترك المواعدة في العدّة، وتحريم الشهادة بغير علم، والإشهاد على البيع.

وتحريم قذف المحصنين والمحصنات، وتحريم مال اليتيم، وتحريم أكل أموال الناس بالباطل، وتحريم الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وتحريم شراب الخمر، وتحريم شراب المسكر من كل شراب، وترك الارتياب والوقوف على الشبهات.

وقتال أهل البغي بعد إقامة الحجة عليهم حتى يفيئوا إلى أمر الله، وقتل المحاربين الممتنعين عن الحق، حتى يأخذوا بما وجب عليهم، أو يُنفوا من الأرض.

وإقامة الحدود على السارق، وعلى القاذف والزاني وقاتل النفس بغير الحق.

وتحريم قتل النفس بغير حق، وتحريم الزنا، وتحريم عقوق الوالدين والوفاء بعهد الله على طاعته، ونقض كل عهد على معصية، والولاية لأهل طاعة الله وفي الله، ومفارقة أعداء الله لله وفي الله، وتحريم ما حرّم الله من الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما ذبح على النصب إلّا في حالة الاضطرار غير باغٍ ولا عاد، (٣٤٦) وتحريم نكاح المتعة، وتحريم نكاح ذوات البعل، وتحريم التزويج في العدّة، وتحريم تزويج المطلقة ثلاثاً على زوجها حتى تنكح زوجاً غيره، وتحريم ما حرّم من نكاح ذوات النسب والصهر والرضاع، ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب، وتحريم غشيان النساء في الدبر، وتحريم الجمع بين الأختين، وتحريم قذف المحصنين من الرجال والنساء.

وتحريم ما حرّم الله من المحارم من المناكح، والمشارب، والمطاعم، والملابس، وتحريم ادعاء الهجرة بعد رسول الله ﷺ، وتحريم القول على الله بغير الحق، وتحريم الأيمان الكاذبة، وتحريم كتمان الشهادة، وتحريم الكبر، والفجور، والفخر، والخيلاء، وتحريم المشي في الأرض مرحاً، وتحريم النوح ولطم الخدّ، وشق الجيوب، وجز الشعور.

وتحريم النداء بالويل، وتحريم إظهار الزينة للنساء عند غير البعل سوى الكحل للعينين والخاتم في اليد، وعليهن حفظ ما استحفظهنَّ الله وائتمنهنّ على أنفسهنّ، وعليهنّ أن يدنين عليهنّ من جلابيبهنّ، ويضربن بخمارهنّ على جيوبهنّ، ولا يخضعن بالقول، فيطمع الذي في قلبه مرض، وليقلن قولاً معروفاً، ويقرن في بيوتهنّ، ولا يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهنّ.

والاستئذان في البيوت، والسلام على أهل الصلاة، وردّ السلام، وغسل الموتى، والصلاة عليهم وتكفينهم ومواراتهم، والدعاء للولي منهم، وترك البخل والكفّ عن التبذير، وكفّ الأذى عن الجار، والإحسان إلى ما ملكت اليمين، ولين الجانب، وحسن الصحبة، وتحريم الوطء في الحيض والنفاس، وتحريم الوطء في العدّة.

وتحريم أموال أهل القبلة من البغاة وغيرهم، وتحريم الغش والغيبة، والنميمة، والبغي، والبهتان، والتجسس عن عورات الناس والسعاية ومصاحبة الفجار، وفشي الأسرار والأشر، والبطر، والافتخار، وتحريم الجدال، والمراء في الباطل، وإذاعة الفاحشة، وتحريم عمل بغير علم، والدخول في الشك والشبهة، واتباع الهوى والريبة، والفساد في الأرض (والمكر)[1] والخديعة،

(١) استدراك من النسخة الأصلية، ب، ص٣٤٦.

وارتـكاب الآثام، وانتهاك المحظورات، والحسـد، والبغي فيمـا لا يُعرف حلّه من حرامه، والقول بغير علم، والنطق باللغو، والغناء والملاهي، واتباع الباطل، وإنهار السائل، ودخول المنازل بغير استئذان.

وتحريم لبس الحرير والذهب على الرجال، وتحريم ما حرّم الله من القول والعمل مما ذكرته ولم أذكره.

والبراءة ممن قال بالجور (٣٤٧) وعمل (بالفجور، وخلع)[1] كل إثم كفور، والولاية لمن عمل بالحق كان له ذكر أو كان غير مذكور.

والبراءة ممن أثبت الإيمان لمن لا يجتنب محارم الله وانتهكها، وشكّ في وعد الله ووعيده وهم الصفاتية.

والبراءة ممن زعم أن الله إنما يعذبهم أياماً معدودة، ثم يخرجهم ويدخلهم الجنة، ويتولاهم بعد الغضب عليهم، وهم المرجئة وأشياعهم.

والبـراءة ممـن زعـم أن الله فـرض عليهـم معرفـة الأوصيـاء والطاعة لهم والولاية، وإن كانوا أهل ضلال ومعصية، وإن من تولاهم وأطاعهم فهو مغفور لهم وهم الشيع.

والبراءة ممن زعم أن القرآن ظاهراً وباطناً، فعلم ظاهره عند الناس، وعلم باطنه عنـد الأوصياء، وأنه يوحى إليهم، وأنه لا تخلـو الدنيا من نبي أو وصي يوحى إليه، وهم الإسماعيلية من الروافض.

والبـراءة ممـن بـرئ من أبـي بكر وعمـر، وزعمـوا أنهما ظلمـا الأوصياء بمنعهمـا الإمامـة والأوصياء، وإن دولتهم وظهور أمرهـم وبيان تصديق قولهم خروج رجل منهم في آخر الزمان وهو المنتظر عندهم، وهم الرافضة.

(١) استدراك من النسخة الأصلية، ب، ص٣٤٧.

والبـراءة ممـن زعم أن كل دار يحكم فيها بغير ما أنزل الله لا يقبل الله من أحد فيها حسنة، ولا يستوجب أحد فيها ثواباً، ولا يغفر لأحد فيها خطيئة، وإن الله لا يعذر أحداً بالمقام فيها، حتى يهاجر، وأن الميت والقتيل في غير هجرتهم كافر مشرك، وأن القاذف والقاتل والزاني والسارق وصاحب الموبقات في دار هجرتهم مسـلمون، وأن لهم الثواب عند الله، وأن دار الهجرة ليس فيها منافق ولا فاسـق، وأن ليس فيها ما كان في دار رسـول الله ﷺ مـع إنكارهم الرجم، وجلـد شـارب الخمـر، وبجلدهم مـن أخطأ محبتهـم وهم الأزارقـة وأصناف الخوارج.

والبراءة ممن زعم أن أهل الكبائر لا مؤمنون ولا كافرون، والله يعذب غير الكافريـن، مـع قولهـم: إن الله لم يخلق أعمالهم، وأنهم هـم خلقوها، وأن الله لا يهدي المؤمنين، ولا يخصهم منه برحمة، إن الهدى والضلال إليهم، فأيهما شـاؤوا أخذوا، وليس لله مشـيئة في أعمال العباد، وإنهم عملوا خلاف ما شـاء الله مع ولايتهم لأهل الإحداث من أهل رأيهم وغيرهم، وهم القدرية والمعتزلة وغيرهم من صنوفهم.

والبراءة ممن زعموا أن الله جبر العباد على الطاعة والمعصية، وأن الله لم يكن عالماً بالأشياء قبل كونها، وهم الجهمية وأشياعهم.

والبـراءة ممـن برئ مـن المسـلمين، وطعن فـي دينهم، وممـن وقف عن المسـلمين ولـم يتولاهم، والولاية للإمام الصادق (٣٤٨) الشـكور، ولكل من عمل بالحق، وكان مذكوراً أو غير مذكور.

فهـذه سـنن وفرائـض نقلها إلينا صـادق عن صـادق، ولم نقلد فـي ديننا أهل الضـلال، ولا رضينـا بحكومة الرجـال، ولا أخذنا ذلك عن السـفهاء والجهال، إنا سمعنا رب العالمين يقول في كتابه المبين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ

﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، ﴿وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾ [الشعراء: ١٥١، ١٥٢]. فاتبعنا الصادقين الذين عُرف صدقهم، وشهرت عدالتهم، البالغون في العلم والعمل، والأتقياء الأبرار، الفضلاء الأخيار في الورع والنزاهة، والعقل والنباهة، والإخلاص والديانة، والخضوع والاستكانة، المنافسون في قواعد الدين وحقائقه، المتغلغلون في غوامضه ودقائقه، الذين أوضحوه للناس، ونزهوه عن الأدناس، وتناقلوه سلف عن سلف، وحملوه خلف عن خلف، فقفوناه على الحقيقة، ووجدناه أفضل طريقة، نشهد لمنتحليه بالفوز والخلاص، ونحكم لمعتقديه بالسلامة يوم القصاص، وقضي على متجانفيه بالويل والخسار، ونوعدهم بالحيرة وضد اليسار؛ لأن الباطل ولو ظهر غير متبوع، وحيث ما توجه فهو كليل مقطوع، والله سبحانه نسأله السداد، إنه ولي التوفيق والإسعاد، وإياه أستغفر وأتوب من جميع المعاصي والحوب، وصلى الله على محمد رسوله المختار وآله وأصحابه الأتقياء الأبرار، صلاة تعمّهم آناء الليل وأطراف النهار، وعلى الملائكة المقربين، والأنبياء المرسلين، وجميع المؤمنين من الأولين والآخرين إلى يوم الدين.

فصل (في إثبات أن الفرقة الوهبية هي الفرقة المحقّة)

فإن قال قائل: فكما أنتم تزعمون أنكم المحقون، وغيركم من جميع الفرق هم المبطلون، فكذلك كل فرقة ممن سواكم تزعم أنها هي المحقة، وإنما أنتم وجدتم آباءكم على مذهب فاتبعتموه، وغيركم وجد آباءهم على مذهب فاتبعوه، وكل فرقة اقتدت بما وجدت عليه آباءها، قلنا له: ليس كل مدّع للحق محقاً، ولا كل منتحل للصواب مصيباً، وكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ يفرقان بين الحق والباطل، ويشهدان على كل مدّع بما ادعاه، والحق منير بيّن لائح، ولا يخفى على ذي لبّ وعقل، إلّا أن يكابر، وتحمله الحمية والأنفة على إنكاره، وكذلك الباطل مستبين لا يشبه الحق، فيشكل على ذي لب، وهما كالليل والنهار، والظلمات والنور، فلا (٣٤٩) يجهل التمييز بينهما عاقل، إلّا من طمحت به نفسه، وغلبه هواه، وران على قلبه سوء فعله، وزين له الشيطان سيّىء عمله، فلا يتدبر القرآن ولا يعيه، ولا يفقه لآياته وبيّناته إذ يتلوها بغية، وإنما نحن قلنا وعلمنا أنا محقّون مصيبون في ديننا، وأن آباءنا وأسلافنا مصيبون فيما وجدناهم (عليه بما عرفناه من كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ وذلك إنا نظرنا)[1] ببصيرة العقل، فوجدنا سائر الفرق ممن خالفنا قد أحلوا ما حرّم الله في كتابه، ونهى عنه رسوله في سُنَّته كالرقص، والغناء، والمزامير، وضرب الدفوف واللعب الشطرنج، وغير ذلك من اللعب واللهو، والله يقول لنبيّه عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الأنعام: ٧٠]. وقال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ [الأعراف: ٥٠، ٥١].

وفي القرآن كثير مما يدل على تحريم اللعب واللهو وكذلك في السُّنَّة. قيل: إن رجلاً دخل المسجد، وجعل يلعب بحصب المسجد، وأخذ حصاة فرمى بها، فقيل: إن النبي ﷺ، قال: «**فما زالت تلعنه حتى وقعت**».

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٣٤٩.

ومما أحلّه مخالفونا العمل في الصلاة والقول فيها، والله يقول: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢]. والخشوع لا يكون بترك العمل وبالسكون. وقال النبي ﷺ: «**صلاتنا هذه لا يصلح فيها كلام الآدمين**».

وقد جوّز كثير من مخالفينا أكل ما يصح من المقامرة، وقد أحلّوا شراب الخمر إذا كانت من التمر أو الحبوب، وأجازوا ترك الصلاة عمداً، ولم يلزموا تاركها عمداً إلّا البدل، وأجازوا وطء المرأة في الدبر، وأجازوا اللواطة. وقال شاعرهم:

الشافعي يقول وهو إمامنا | اللعب بالشطرنج غير حرام
وأبو حنيفة قال وهو مصدق | فيما لنا يروي من الأحكامِ
شرب المعتقة السلافة جائزُ | فاشرب على نغم من الأنغامِ
والشيخ أحمد للمطلقة التي | تؤتى طلاقاً عند كل غلامِ
فأطئ مراكبها وأرشف ثغرها | تنجو من التبعات والآثامِ
(٣٥٠) والشيخ مالك للواط محلل | وهم الشيوخ دعائم الإسلامِ
فاشرب ولط وازنِ وقامر واحتجج | في كل مسألة بقول إمامِ[1]

وأجازوا الأكل والشرب، والجماع نهاراً في رمضان، في الحضر دون السفر، خلافاً لما أمر الله به، وأسقطوا الزكاة من مال اليتيم، والله أوجب فرضها على جميع العباد:

وخطّأوا جبريل الأمين بقولهم | غلط الأمين فأزالها عن حيدره

واعتقدوا الخروج من النار، وأن أهل الكبائر لا يخلدون في النار، وأنهم يخرجون من النار، ويدخلون الجنّة، وقد قالت اليهود ذلك من قبل، ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗ﴾ [البقرة: ٨٠]، فقال: ﴿قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝ بَلَىٰ مَن

(١) انظر القصيدة في: الحارثي، سالم بن حمد بن سليمان بن حميد: العقود الفضية في أصول الإباضية، ص ١٦٠ - ١٦١. مع اختلاف في الكثير من الألفاظ.

﴿كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٠، ٨١]. وحكم الله لا يتبدل ولا يغير في جميع خلقه.

وقد أجمع وجميع مخالفينا على الخروج من النار إلّا الزيدية والشيعة، وكذلك أجمع مخالفونا على أنهم يرون ربهم يوم القيامة سوى الزيدية والمعتزلة[1] والشيعة، والله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

ثم إنهم يتولّون القاتل والمقتول، والظالم والمظلوم، والله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤٤].

وكثير من اعتقاداتهم وأفعالهم مما هو مخالف لكتاب الله وسُنَّة نبيّه، وتنكره العقول، ولو لم يرد فيه النص، فكيف والنص وارد يخالفه.

وقد شرحنا فيما مضى من كتابنا كثيراً من اعتقاداتهم الفاسدة ما أغنى عن إعادته، فلما رأينا مخالفتهم لكتاب الله وسُنَّة رسوله محمد ﷺ، ونظرنا اعتقادات أصحابنا وأعمالهم وما أُثر عنهم، فعرضناها على كتاب الله ﷻ فوافقته، فقبلناها عنهم ورضينا بها ديناً، فنحن على ما دانوا به نحيا وعليه نموت، ولا نبغي عنه حولاً ولا به بدلاً، فمن وقف على كتابي هذا ممن كان على غير هذا المذهب، وغير هذا الاعتقاد الذي (شرحته)[2] أولاً قبل هذا الفصل، فلينظر فيه وفيما قبله من اعتقادات الفرق الحائدة بعين البصيرة التي جعلها الله (حجّة)[3] عليه، ولزمه التكليف بتركيبها فيه، وليعرض الاعتقادات على كتاب الله، فإنه لا شك سيبيّن له الحق من البطل، وليناصح نفسه، ولا يكابر عقله، (٣٥١) ولا يكن مدة العمر في غفلة، وكذلك من كان على هذا الاعتقاد، وداخله الشك والارتياب فيه، فلينظر فيما سطرته من الاعتقادات، ويعرضها على كتاب الله، فإنه يزول عنه ما به، إن شاء الله.

---

(١) سقطت كلمة «المعتزلة» من النسخة الأصلية ب، ص ٣٥٠.
(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٣٥١.
(٣) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٣٥١.

وقـد أخذنا مذهبنا عن المشـائخ في الدين، وتلقفناه عـن الأئمة المهتدين العلماء بكتاب الله وسُـنَّة رسـوله وآثار السلف الصالحين، هم بيّنوا لنا الدليل، وأوضحوا لنا السـبيل، وهم: الشـيخ أبو الحسـن علي بن محمد البسـياوي[١]، وأبـو محمد عبد الله بـن محمد بن بركة[٢]، وسـعيد بن عبـد الله[٣]، ومحمد بن محبوب[٤]، ومن كان بعصرهم من المسلمين.

(١) أبو الحسن علي بن محمد البسياوي: علي بن محمد بن علي بن محمد بن الحسن، أبو الحسن البسيوي اليحمدي، عالم فقيه، عاش في القرن الرابع الهجري، من بلدة بسيا من أعمال بهلا. درس مبادئ العلوم عند والده، ثم التحق بمدرسـة العلامة أبي محمـد عبد الله بن محمد بن بركة، وهو أخص شـيوخه، كما درس عند محمد بن أبي الحسـن النزوي، ونقل عن سـعيد بن محمد بن هاشـم بن غيلان وغيرهم. كان البسـيوي أصم، ولكن لم يعقـه ذلك عن أن يكون أحـد كبار علماء زمانـه، الذين إليهـم مرجع الفتوى. تأثر كثيراً بشـيخه ابن بركة، وقـد لازمه فترة طويلـة، وتأثر بمذهبه في الولاية والبراءة بشـأن موسـى بن موسى وراشـد بن النظر وما كان حينها من الأحداث. عاصر الأئمة سعيد بن عبد الله، وراشد بن الوليد، وحفص بن راشـد، وكان لا يقرُّ بصحة إمامـة الأخير، وله جواب في ذلك. مـن مؤلفاته العلمية: الجامع المسمى «جامع أبي الحسـن» في الأديان والأحكام، وكتاب «المختصر» المشـهور «بمختصر البسيوي» و«سيرة أبي الحسن البسيوي» رسـالة كتبها في بيان أصل ما اختلفت فيه الأمة بعد نبيها محمد صلى الله عليه وسـلم، و«سـيرة الحجة على من أبطل السـؤال على الحدث الواقع بعمان» ومؤلفات أخرى: انظر: السعيدي، فهد بن علي بن هاشل: معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية، ج ٢، ص ٣٦٣ – ٣٦٦.

(٢) أبـو محمد عبـد الله بن محمد بن بركـة: عبد الله بن محمد بـن بركة، أبو محمد السـليمي البهلـوي، عالم فقيه، ومحقق أصولي، عاش في القرن الرابع الهجري. ولد وعاش فـي بداية عهده في صحار، ثم انتقل إلى بهلا في مرحلـة متقدمة من عمره، ويرى آخرون عكس ذلك، أي أنه نشـأ أولاً في بهلا، ثم سـافر بعد ذلك إلى صحار، أخذ العلم من أبي مالك غسـان بن محمد الصلاني، وأبي يحيى مهنا بن يحيى، وأبي مروان سليمان بن محمد وغيرهم. أنشأ مدرسة كانت تضم الكثير من طلبة العلم من عُمان وخارجها. كان ابن بركة صلباً قوي العارضة، لا يتنازل عن رأيه إذا كان لديه الدليل، وكان يبرأ من موسى بن موسى وراشد بن النظر، ويبرأ ممن يتولاهما أو يقف عنهما، فهو من أفراد المدرسـة الرسـتاقية، بل هو قائدها ورائدها بلا منازع. له العديـد من الآثار العلمية، منها: «الجامع» المشـهور بجامع ابن بركة، ويعد مصدراً أساسـياً من مصادر الفقه الإباضي، وكتاب «التعارف» وهو رسـالة فقهية قرر فيها أحكاماً فقهيـة وأصولية تتعلق بما تعارف عليه الناس. والموازنة رد على سـؤال أتاه من أحد تلامذته في قصة الإمام الصلت. و«شـرح جامع ابن جعفر» وسيرة تنسـب إليه، ومؤلفات كثيرة أخرى. انظر: السعدي، فهد بن علي بن هاشل: معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية، ج ٢، ص ٢٩١ – ٢٩٦.

(٣) سـعيد بن عبد الله: هو الشـيخ سـعيد بن عبد الله بن عامر بن أحمد بن موسـى الإزكوي، من علماء النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري، لا يعرف تاريخ مولده ووفاته. من مؤلفاته كتاب «الاختصار من معاني الآثار» يوجد منه ثلاثة مجلدات في مكتبة السـيد محمد بن أحمد بن سـعود آلبوسـعيدي. انظر: البطاشـي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عُمان ن، ج٣، ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠.

(٤) محمد بن محبوب: هو العلاّمة الشيخ محمد بن محبوب بن الرحيل بن سيف بن هبيرة القرشي المخزومي، =

وعن بشير[1]، وعبدالله[2]، ابني محمد بن محبوب، ومن كان بعصرهما من المسلمين.

عن سعيد بن محرز[3]، والوضاح بن عقبة[4]، ومن كان بعصرهما من المسلمين.

= شيخ المسلمين في زمانه، ومن أشهر العلماء ومرجعهم في الرأي والفتوى، وكان مضرب المثل في العلم والزهد والتقوى. نشأ في أيام الإمام غسان بن عبدالله، الذي بويع سنة اثنتين وتسعين ومائة، وعاصر الإمام المهنا بن جيفر. ثم تألق نجمه أيام الإمام الصلت بن مالك، حيث كان على رأس العلماء المبايعين للصلت سنة سبع وثلاثين ومائتين، وقلده القضاء على صحار وتوابعها سنة إحدى وخمسين ومائتين، مات بصحار يوم الجمعة لثلاث ليالٍ خلون من شهر المحرم سنة ستين ومائتين، وقبره بصحار مشهور، ويُزار، من تلامذته: ولداه بشير، وعبدالله، والعلّامة عزان ابن الصقر، والعلّامة أبو المؤثر الصلت بن خميس الخروصي، والفضل بن الحواري وأبو جابر محمد بن جعفر الإزكوي مؤلف «الجامع». انظر: البطّاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عُمان، ج١، ص ٢٥٠ - ٢٥٣.

(١) بشير بن محمد بن محبوب: هو الشيخ العلّامة أبو المنذر بشير بن محمد بن محبوب الرحيلي المخزومي القرشي، من كبار علماء عُمان، والغاية في العلم والفضل. له مؤلفات كثيرة منها كتاب «البستان» في الأصول، وكتاب «الرضف» في التوحيد، وكتاب «الإمامة» وكتاب «أحكام القرآن والسُّنَّة» وكتاب «أسماء الدار وأحكامها» ويوجد بمكتبة معالي السيد محمد بن أحمد بن سعود آلبو سعيدي مخطوطاً برقم (١٣٥٨) وله كتاب «الخزانة» وكتاب «المحاربة» لا زال مخطوطاً. مات الشيخ بشير بعد عزل الإمام الصلت بن مالك، أي: في سنة ثلاث وسبعين ومائتين هجرية. والله أعلم. انظر: البطّاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عُمان، ج١، ص ٢٥٤ - ٢٥٥.

(٢) عبدالله بن محمد بن محبوب: عبدالله بن محمد بن محبوب بن الرحيل بن سيف بن هبيرة القرشي، المخزومي، من علماء زمانه، أخذ العلم عن والده العلّامة الشيخ محمد بن محبوب. والشيخ عبدالله بن محمد بن محبوب هو والد الإمام سعيد بن عبدالله. وقد وردت ترجمته في سياق ترجمة والده محمد بن محمد. انظر: البطّاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عُمان، ج١، ص ٢٥٠ - ٢٥٢.

(٣) سعيد بن محرز: هو العلّامة الشيخ سعيد بن محرز بن محمد بن سعيد النزوي، أبو جعفر، من علماء القرن الثالث الهجري، وأحد العلماء المشهورين في زمانه، وولداه الفقيهان: عمر بن سعيد، والفضل بن سعيد. عاصر الشيخ سعيد بن محرز العلّامة محمد بن محبوب، وغيره من العلماء. لا يعرف تاريخ مولده ووفاته. انظر: البطّاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عُمان، ج١، ص ٥٢٥.

(٤) الوضاح بن عقبة: من علماء القرن الثالث الهجري، ومن شيوخ أبي المؤثر، من عقر نزوى، وقد تسلسل من ذريته رجال فقهاء، هم: ابنه زياد، والعباس بن زياد، والوضاح بن العباس. وكان الشيخ الوضاح بن عقبة وابنه زياد ممن بايعوا الإمام الصلت سنة ٢٣٧هـ. انظر: البطّاشي، سيف بن حمود ابن حامد: إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عُمان، ج١، ص ٥٤٣.

وعن موسى بن علي(١)، وهاشم بن غيلان(٢)، ومحمد بن هاشم(٣)، ومحمد بن محبوب، ومن كان بعصرهم من المسلمين.

---

(١) موسى بن علي: هو العلّامة الجليل أبو علي موسى بن علي بن عزرة الإزكوي، ولد ليلة العاشر من جمادى الآخرة سنة سبع وسبعين ومائة، قبل وفاة جدّه أمه الشيخ موسى بن أبي جابر بنحو ثلاث سنين في بلدة إزكي التي خرجت الكثير من مشاهير العلماء، أخذ العلم عن والده العلّامة علي بن عزرة، وغيره من مشائخ العلم وبخاصة العلّامة هاشم بن غيلان السيجاني. وقد تبحّر في العلم وفاق أقرانه وهو في سنّ مبكّر. وعاصر الأئمة: غسان بن عبدالله، وعبد الملك بن حميد، والمهنا بن جيفر، ومات في زمانه. وكان الأئمة يرجعون إلى رأيه، فهو شيخ المسلمين في زمانه، وصاحب الحل والعقد. توفي الشيخ موسى بن علي في الثامن من ربيع الأول سنة ثلاثين ومائتين، وقيل: سنة إحدى وثلاثين، وعمره ثلاث وخمسون سنة. من مؤلفاته «الجامع» المسمى جامع موسى بن علي، وهو من الكتب المفقودة. انظر: البطّاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عُمان، ج١، ص ٢٣٨ - ٢٤٩.

(٢) هاشم بن غيلان: هو العلّامة هاشم بن غيلان السيجاني، نسبة إلى سيجا، بلد من أعمال سمائل، كان ينزل بمسافي بني هميم، ويعدّ من كبار علماء زمانه بعُمان، في آخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجري، من تلامذة الشيخ موسى بن أبي جابر الإزكوي المتوفى سنة إحدى وخمسين ومائة. أدرك إمامة محمد بن عبدالله بن أبي عفّان، وعاصر الأئمة الذين جاؤوا من بعده، كالإمام الوارث بن كعب، وغسان بن عبدالله، وعبد الملك بن حميد. وممن عاصره من العلماء محمد بن موسى، والأزهر بن علي، والعباس بن الأزهر، وموسى بن محمد ومحمد ابني علي، وسعيد بن جعفر، وهم علماء إزكي. توفي العلّامة الشيخ هاشم بن غيلان أيام الإمام عبدالملك بن حميد. ليست له مؤلفات، غير أن نصائحه لإخوانه وأجوبته في مسائل الأديان والأحكام كثيرة في أثر الأصحاب. انظر: البطّاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج١، ص ٢٣٢ - ٢٣٦.

(٣) محمد بن هاشم: هو العلّامة الشيخ محمد بن هاشم بن غيلان الهميمي السيجاني، عالم مشهور من علماء النصف الأول من القرن الثالث الهجري، أخذ العلم عن أبيه العلّامة الشيخ هاشم بن غيلان، وعن العلّامة الشيخ موسى بن علي. وكان أحد العلماء الذين اجتمعوا بدما لمناقشة مسألة خلق القرآن، وهم: أبو زياد، وسعيد بن محرز، ومحمد بن هاشم، ومحمد بن محبوب... وآخرين. واجتمع قولهم على أن الله خالق كل شيء، وما سوى الله مخلوق، وأن القرآن كلام الله ووحيه، وكتابه وتنزيله على محمد ﷺ. وأمروا الإمام المهنا بالشد على يد من يقول: إن كلام الله مخلوق. انظر: البطّاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عُمان، ج١، ص ٥٣٧.

وعن موسى بن أبي جابر[١]، ومنير بن النيّر الجعلاني[٢]، وسليمان بن عثمان[٣]، ومحبوب بن الرحيل[٤]، البصري ومن بعصرهم من المسلمين.

(١) موسى بن أبي جابر: هو العلّامة الشيخ موسى بن أبي جابر الإزكوي، من بني ضبّة، وقيل: من بني سامة بن لؤي بن غالب، أحد العلماء الأربعة الذين حملوا العلم عن الربيع بن حبيب (رحمه الله) من البصرة إلى عُمان. ومن العلماء المشهورين في زمانه، ومرجع المسلمين في ذلك الأوان، وعلى رأسه قامت الإمامة بعد انقطاعها بقتل الإمام الجلندي بن مسعود. توفي الشيخ موسى بن أبي جابر سنة إحدى وثمانين ومائة. انظر: البطّاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج١، ص ٢٢٢ - ٢٢٣.

(٢) منير بن النيّر الجعلاني: هو العلّامة الشيخ الشهيد منير بن النيّر بن عبد الملك بن وسار بن وهب بن عبيد بن صلت بن يحيى بن حضري بن ريام الريامي الجعلاني. كان (رحمه الله) من المعمرين، فقد عاش مئة وعشر سنين، كان في الجيش الذي قاده الأهيف بن حمحام الهنائي لمقاتلة الطاغية محمد بن نور وإخراجه من عُمان، فالتقوا بدما (السيب حالياً) قرب مسجد الجامع، شرقي الحصن المسمى «حصن دما» في القديم، ووقعت بينهم معركة عظيمة، قتل فيها كثير من أهل عُمان ومنهم العلّامة المنير بن النيّر، وذلك يوم الأربعاء لست وعشرين من ربيع الآخر سنة ثمانين ومائتين. ويقول الشيخ البطاشي في كتابه «إتحاف الأعيان»: إن منير بن النيّر هذا هو غير منير بن النيّر الذي يعدّ أحد الأربعة الذين نقلوا العلم عن الإمام الربيع بن حبيب من البصرة إلى عُمان، وتوفي في صحار بعد مرضه الذي مات فيه، فأوصى إن هو مات أن يُحمل إلى جعلان، فقيل له: إننا نخاف أن تتغير. فقال: لا تخافوا، إني أرجو الله؛ لأنني ما نمت إلّا وتطهرت، وما تطهرت إلّا وصليت، وما صليت إلّا ودعوت. فقيل: إنه حُمل إلى جعلان ولم يتغيّر. انظر: البطّاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج١، ص ٢٢٥ - ٢٣١.

(٣) سليمان بن عثمان: من عقر نزوى، من علماء النصف الثاني من القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجري، عمل قاضياً للإمام غسان بن عبد الله، وأخذ الإمام بفتواه في فلج الخطم، وفلج منح لإخراجه في أرض نزوى بالثمن بعد أن اجتاحته السيول، ولم يعرف مكانه، فأفتى بالجواز. وقد أخذ الشيخ سليمان العلم عن العلّامة هاشم بن غيلان، والعلّامة موسى بن أبي جابر الإزكوي. ولا يعرف تاريخ وفاته. ولا إلى أي قبيلة ينسب. انظر: البطّاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج١، ص ٥٢٧.

(٤) محبوب بن الرحيل: هو العلّامة الشيخ محبوب بن الرحيل بن سيف بن هبيرة القرشي المخزومي، يكنى أبو سفيان، كان ربيباً للإمام الربيع بن حبيب، وكبار تلامذته، أقام في البصرة طويلاً، ثم رجع إلى عُمان واستوطن صحار، ولا زالت ذريته (آل الرحيل) بعُمان. وقد وقع خلاف بين العلّامة محبوب بن الرحيل، وبين هارون اليماني وأصحابه في أمور أحدثوها، وخالفوا فيها قول المسلمين أيام الإمام غسان بن عبد الله، وقيل: أيام الإمام المهنا بن جيفر، واستظهره العلّامة نور الدين السالمي (رحمه الله) وكتب الشيخ محبوب في ذلك رسالة طويلة. ولما توفي الربيع بن حبيب، انتقل محبوب إلى مكة، وسكن بها حتى توفي (رحمه الله) وكان بمكة في زمانه من أهل الدعوة خمسون ومائة من الرجال والنساء. وكانت وفاته في زمن الإمام غسان بن عبد الله. انظر: البطّاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج١، ص ٢١٧ - ٢١٩.



عـن الربيع بن حبيـب البصري، وخلف بـن زياد البحراني[1]، وشـبيب بن عطية العُماني[2]، ومن بعصرهم من المسلمين.

عن الجلندى بن مسـعود العُماني[3]، وعبد الرحمٰن بن رسـتم الفارسي[4]، وجعفر بن السماك[5]، ومن بعصرهم من المسلمين.

(١) خلف بن زياد البحراني: أصله من البحرين، نشأ بها، ثم رحل منها يلتمس الحق، حتى لقي أبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي فلزمه. وقد مرض عندما سار مع الجلندي بن مسعود، في حرب خازم بن خزيمة، فمات في إزكي عُمان. انظر: بابا عمّي، محمد بن موسى، وآخرون: معجم أعلام الإباضية، ج٢، ص١٣٥.

(٢) شبيب بن عطية العُماني: هو الإمام المحتسب شبيب بن عطية العُماني، من أصحاب الإمام الجلندى بن مسـعود بن عباد بـن عبد بـن الجلندى، وأحد العلماء الذين استشـارهم الإمام الجلندى في دفع سـيف شيبان وخاتمه. كان رجلاً صلباً في دينه، شديداً على الجبابرة، داعياً إلى مخالفتهم. قام بأمور المسلمين بعـد مقتـل الإمام الجلندي بيسـير، وكان مقتصراً على بعـض القرى، ولم تطل أيامـه. وبقرية الغبّي من الظاهرة مسجد يسمى مسجد شبيب، وقبة تسمى قبة شبيب، فلعل قبره بتلك القبة، ونُسبت هي والمسجد إليه. ومما يؤكد ذلك ما يوجد في أثر الأصحاب أن قبر شبيب بالغبّي (من قرى الغربية) ولعلها وطنه. والله أعلم. انظر: البطّاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج١، ص١٨٤ - ١٨٧.

(٣) الجلندى بن مسـعود العُماني: الجلندى بن مسـعود بن عباد بن عبد بـن الجلندى الأزدي، إمام عُمان وعظيم الأزد فيها، كان إباضياً من الشجعان، وهو الذي قتل شيبان بن عبدالعزيز اليشكري الصفري. وكانت عُمان مستقلة أيام بني أمية، فلما استولى بنو العباس أرسل السفاح خازم بن خزيمة في جيش لإخضاعها، فقاتله الجلندي بن مسـعود حتى قتل، وقتل معه عشـرة آلاف من أصحابه سـنة ١٣٤هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص١٣٣.

(٤) عبدالرحمٰن بن رسـتم الفارسـي: عبدالرحمٰن بن رسـتم بن بهرام الفارسـي، من كبار علماء الإباضية بإفريقية عُرف بالزهد والتواضع، له كتاب في تفسـير القرآن. ولما تغلب أبو الخطاب المعافري على إفريقيـة اسـتخلفه على القيـروان. في عام ١٤٤هـ، زحف ابن الأشـعث وقتل أبـا الخطاب، ثم دخل القيـروان. ففـر عبدالرحمٰن بـن رسـتم بأهله إلى المغـرب، ولحقت به جماعات مـن الإباضية، فنزل بموضـع تاهـرت (بالجزائر) وكان غيضة بيـن ثلاثة أنهار، وفيها آثار عمران قديـم، فبنى أصحابه فيها مسـجداً من أربع بلاطات، واختطوا مسـاكنهم سـنة ١٦١هـ، وبايعوه بالإمامة، وكان أول أئمة الدولة الرستمية. وبقي يحكمها حتى وفاته سنة ١٦٨هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٣٠٦.

(٥) جعفر بن السـماك: تابعي، شـيخ نبيه، أخذ العلم عن جابر بن زيد بالبصرة، ومجموعة من الصحابة، خاصـة أنس بـن مالك، قال الدرجيني: «هو شـيخ أبي عبيـدة» وكان ما حفظ عنـه أبو عبيدة أكثر مما حفظه عن جابر» وهو من أبرز المحكمة المنكرين لجور الأمويين، وكان ضمن الوفد الإباضي الذي وفـد علـى الخليفة العادل عمر بـن عبدالعزيز للنظر في شـؤون الأمة الإسـلامية، وللاعتراف بإمامته وتقديم الولاء له. وكان لهم الفضل في منع سـبّ الأمويين للإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه على المنابر: انظر: بابا عمّي، محمد بن موسى، وآخرون: معجم أعلام الإباضية، ج٢، ص١١٢.

عن المختار بن عوف العُماني[1]، وعبد الله بن يحيى الحضرمي[2]، وعلي بن الحصين[3]، وهلال بن عطية الخراساني[4]، ومن بعصرهم من المسلمين.

(١) المختار بن عوف العُماني: أبو حمزة المختار بن عوف بن عبد الله بن يحيى بن مازن بن مخاشن بن سعد بن صامت بن مخاشن بن سليمة بن مالك بن فهم، السليمي، الأزدي. من أهل مجز من أعمال صحار، من كبار أعلام الإباضية في عُمان، بايع عبد الله بن يحيى الكندي بالإمامة في اليمن، فجهز له الإمام جيشاً، وأرسله إلى الحجاز، فدخل مكة يوم عرفة سنة ١٢٩هـ، ثم خرج منها إلى المدينة، فدخلها، وخطب على منبر الرسول ﷺ خطبته البليغة المشهورة. فبعث مروان بن محمد، عبد الملك بن عطية السعدي على رأس جيش قوامه أربعة آلاف جندي من أهل الشام، فلقيهم بلج بن عقبة بوادي القرى سنة ١٣٠هـ، فقتل بلج وأكثر أصحابه، وانحاز المختار إلى المدينة، ثم توجه إلى مكة بطلب الإمام طالب الحق الذي توجه بدوره إلى مكة لمواجهة جند الشام، غير أنه قتل قبل وصوله إلى مكة، انظر: البطّاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج١، ص١٨٨ - ٢٠٩.

(٢) عبد الله يحيى الحضرمي: عبد الله بن يحيى بن عمر بن الأسود الكندي الحضرمي، أبو يحيى، الملقب بطالب الحق، إمام إباضي من أهل اليمن. كان قاضياً بحضرموت، وخلع طاعة مروان بن محمد، وبويع له بالخلافة، واستولى على صنعاء ومكة بعد حروب، وتبعه أبو حمزة «المختار بن عوف»، فوجه إليهما مروان بن محمد جيشاً بقيادة عبد الملك بن عطية السعدي، فالتقى بأبي حمزة الشاري في وادي القرى وقاتله، واستمر زاحفاً نحو اليمن، فأقبل عليه طالب الحق، فالتقيا على مقربة من صنعاء، فاقتتلا، فقُتل طالب الحق، وأُرسل رأسه إلى مروان بالشام سنة ١٣٠هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص١٤٤. وانظر: السعدي، فهد بن علي بن هاشل: معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية، ج٢، ص٣٢٠ ـ ٣٢٢.

(٣) علي بن الحصين: علي بن الحصين بن مالك بن الخشخاش العنبري التميمي، أبو الحر، من فقهاء الإباضية. كانت له ثروة في البصرة، وسكن مكة، وجاهر في أيام مروان بن محمد بمناصرة «طالب الحق»، وكان هذا قد خلع طاعة مروان، وبويع له بالخلافة في اليمن، فكتب مروان إلى عامله بمكة، يأمر بالقبض على «أبي الحر»، فاعتقل، وأُوثق الحديد، وأشخص إلى المدينة، وهو شيخ كبير. وأدركه في الطريق بعض أنصار طالب الحق، فأنقذوه، وعادوا به إلى مكة مستترين. ولمّا دخلها أبو حمزة الشاري كان أبو الحر من رجاله، وقتل بمعركة بمكة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص٢٨٢. وانظر: السعدي، فهد بن علي بن هاشل: معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية، ج٢، ص٣٥١ ـ ٣٥٢.

(٤) هلال بن عطية الخراساني: قاضٍ فقيه، وعالم ورع، وبطل همام، عاش في القرن الثاني الهجري، أصله من خراسان، وسافر إلى الإمام أبي عبيدة في البصرة، وتتلمذ على يديه، أرسله الإمام أبو عبيدة لمعاضدة طالب الحق، فجاء إلى عُمان بعد انتهاء أمر الإمامة هناك، وكان من جملة العلماء الذين عقدوا للإمام الجلندي بن مسعود، وقد تولى القضاء له. ولما استشاره ومن معه من العماء الإمام الجلندي فيما طلب خازم بن خزيمة من تسليم سيف وخاتم شيبان إليه، أشاروا عليه بدفعهما له. وقتل في المعركة بعد الإمام الجُلندى، من آثاره سيرة تنسب إليه، وجهها إلى أهل عُمان، وكان محبوب بن الرحيل يحث أهل عُمان على قراءتها والنظر إليها. انظر: السعدي، فهد بن علي بن هاشل، معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية، ج ٤، ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩.

عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة البصري، وفروة بن نوفل[١]، ووداع بن حوثرة[٢]، ومن بعصرهم من المسلمين.

عـن عبد الله بن إبـاض، وعروة بن حدير[٣]، والمرداس بـن حدير[٤]، ومن بعصرهم من المسلمين.

---

(١) فروة بن نوفل: فروة بن نوفل بن شريك الأشجعي، ثائر، من زعماء المحكمة في صدر الإسلام، كان رئيس الشراة اعتزل علياً بعد التحكيم في خمسمائة، وكره لأن يقاتله، فأقام في شهرزور إلى أن نزل الحسن عن الأمـر لمعاويـة، فزحف فروة بمن معه، وأراد الهجوم على الكوفة، فانتدب معاوية الناس لصدّه، واسـتعان عليه بمن أطاعه من بني أشجع، فأمسكوا فروة عندهم، ففارقهم، وعاد إلى الثورة فقتل في شهرزور. وكان شاعراً، وسماه المبرّد «فروة بن شريك». انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص١٤٣.

(٢) وداع بن حوثرة: والصحيح حوثرة بن وداع بن مسـعود الأسـدي، ثائر، من الشـجعان الأشداء الزعماء، كان مـن شـيعة علي بـن أبي طالب في بدء عهده، وشـهد معـه كثيراً من الوقائع، وفارقـه بعد التحكيم، فتنحـى فـي مكان يسـمى البندنيجين (قرب النهـروان) ولما قتل علي تحالف حوثـرة مع حابس الطائي علـى قتال معاوية بن أبي سـفيان، فجمعا أصحابهما في النخيلـة (قرب الكوفة) ومعاوية يومئذٍ بالكوفة، فعلم بأمرهم، ووجه إليهم جيشاً كبيراً، فكانت بين الفريقين وقائع قتل فيها حوثرة، قتله رجل من طيء، فرأى أثر السجود قد لوّح جبهته، فندم على قتله. انظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج٢، ص٢٨٨.

(٣) عروة بـن حديـر: عروة بن حدير التميمي، وأدية أمه، من رجال النهـروان. أول من قال: «لا حكم إلاّ لله» وسـيفه أول ما سـلّ من سيوف أُباة التحكيم. وذلك لأنه عاتب الأشعث على رضاه بالتحكيم بين علي ومعاوية، ولـم يعبأ به الأشعث، فشهر سيفه وضربه، فأصاب عجز بغلته. وحضر حرب النهروان، فكان أحد الناجين منها، عاش إلى زمن معاوية، فجيء به إلى زياد بن أبيه، فسأله عن أبي بكر وعمر، فقال خيراً، وسأله عن عثمان وعلي، فأثنى على عثمان في ست سنين من خلافته، وشهد عليه بالكفر في البقية، وأثنى على علي إلى يوم التحكيم ثم كفّره، فسأله عن معاوية، فسبه سباً قبيحاً، وسأله عن نفسـه، فأغلظ له، فأبقى عليه إلى أن كانت أيام عبيد الله بن زياد، فقتله عبيد الله. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص٢٦٦.

(٤) مرداس بن حدير: مرداس بن حدير بن عامر بن عبيد بن كعب الربعي الحنظلي التميمي، أبو بلال، ويقال له مرداس بن أدية، وهي أمه. من عظماء الشـراة، وأحد الخطباء الأبطال العبّاد. شـهد صفين مع علي، وأنكر التحكيم، وشـهد النهروان. وسـجنه عبيد الله بن زياد في الكوفة، ونجا من السـجن، فجمع أربعين رجلاً، ونزل بهم آسـك (بالأهواز) وأذاع في الناس أنه لم يخرج ليفسـد في الأرض ولا ليروّع الناس، ولكن هرباً من الظلم، وأنه لا يقاتل إلا من يقاتله، ولا يأخذ من الفيء إلّا أعطيات أصحابه، فوجه إليهم عبيد الله جيشاً فهزموه، ووجه جيشـاً ثانياً بقيادة عباد بن علقمة المازني، فنشـب قتال في يوم الجمعة إلى الظهر، وتوادع الفريقـان إلـى ما بعد الصلاة، فلما كان مرداس وأصحابـه في صلاتهم أحاط بهم عبّاد فقتلهم عن آخرهم، وحمل رأس مرداس إلى ابن زياد سنة ٦١هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٧، ص٢٠٢.

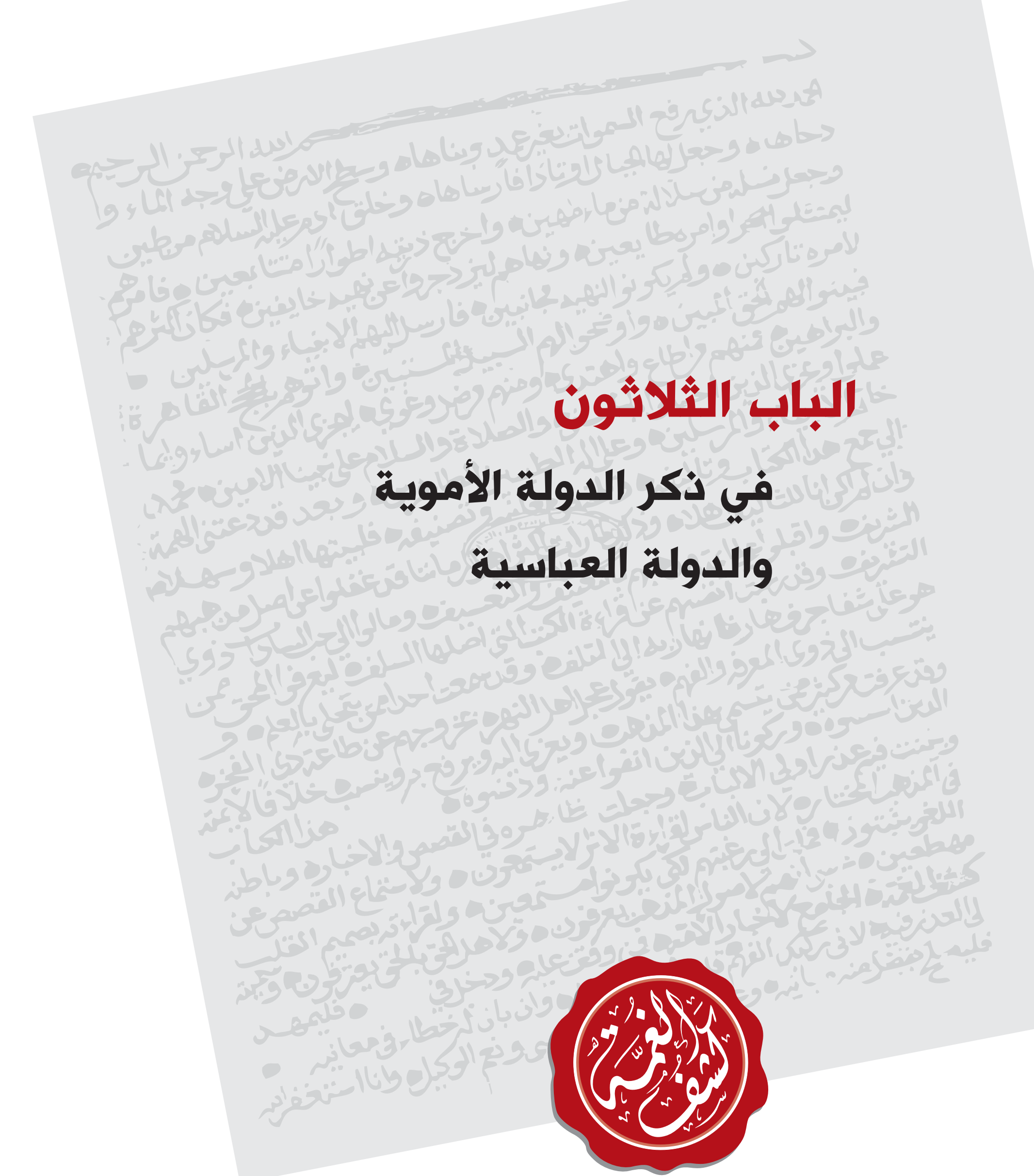
عن أبي الشعثاء جابر بن زيد، وعبدالله بن وهب الراسبي، وزيد بن صوحان العبدي، ومن بعصرهم من المسلمين.

عن عبدالله بن العباس وخزيمة بن ثابت الذي جعل النبي شهادته عن شهادة رجلين من المسلمين.

ومحمد، وعبدالله، ابني بديل بن ورقاء الخزاعيين، وعمار بن ياسر، وبلال، وصهيب، وسالم مولى حذيفة، ومعاذ بن جبل، أعلم الأمة بالحلال والحرام، وحذيفة بن اليمان صاحب رسول الله ﷺ، وعبدالله بن مسعود، وعبد الرحمٰن بن عوف، وأبي عبيدة عامر بن الجراح، وأبي ذر، وعائشة أم المؤمنين، والخليفتين أبي بكر وعمر بن الخطاب، والمهاجرين والأنصار رضي الله عنهم أجمعين.

عن النبي محمد ﷺ، عن جبريل الأمين، وعن رب العالمين.

فهؤلاء الذين أخذنا عنهم ديننا، وقبلنا قولهم، وحققنا آثارهم، وهم الأمناء (٣٥٢) عندنا فيما نقلوه إلينا من الكتاب والسُّنَّة والإجماع، ورأينا مذهبهم موافقاً لكتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ، فنحن عليه نحيا وعليه نموت، إن شاء الله، وعليه نبعث، ونشهد على من مات على غير هذا المذهب وهذا الاعتقاد أنه في النار وسخط الجبار، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله وسلم تسليماً كثيراً.



الباب الثلاثون

في ذكر الدولة الأموية والدولة العباسية

فـأول مـن ملك بني أمية معاوية بن أبي سـفيان بن صخر بن حرب ابن أمية بن عبد شـمس بن عبد مناف، ويكنى أبو عبد الرحمٰن، بويع له بعد ما خلـص لـه الأمر، وخوطب بأمير المؤمنين، وكان والياً على الشـام في زمن عمر بن الخطاب أربع سنين، وفي زمن عثمان إثنتي عشرة سنة، وقاتل علياً خمس سـنين، وخلص له الأمر تسـع عشرة سـنة، وتوفي بدمشق، وهو ابن ثمانين سـنة، مسـتهل رجب، وقيل: للنصف منه سـنة ستين، ودفن بين باب الجابيـة[١] والبـاب الصغيـر[٢]، وبنى الـروم[٣]، على قبره بنـاءًا، وعلقوا عليه أربعة قناديل.

واسـتخلف مـن بعـده ابنـه يزيـد، ويكنـى أبو خالـد، وفـي خلافتـه سـار الحسـين بن علـي يريد الكوفة، وعليهـا عبيد الله بن زياد عامـلاً من قبل يزيد، فوجه إليه عبيد الله عمر بن سعد بن أبي وقاص، فالتقيا بكربلاء، فقتل الحسين بالطف يوم عاشوراء سنة إحدى وستين.

---

(١) باب الجابية: أحد أبواب دمشـق، وفيه قبر أويس القرني، وسـمي باب الجابية لأن القادم إلى دمشـق من جهة الجابية، وهي مركز تجمع عسـكر الدولة الأموية في المرحلتين السـفيانية والمروانية يدخل المدينة منه. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٢، ص٤٦٨ – ٤٦٩.

(٢) الباب الصغير: أحد أبواب مدينة دمشـق، وفي قبلي الباب الصغير قبر بلال الحبشـي، وكعب الأحبار، وثـلاث مـن أزواج النبي ﷺ، وقبـر فضّة جارية فاطمة الزهـراء، وأبي الـدرداء، وعلي بن عبد الله بن عباس، وخديجة بنت زين العابدين. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٢، ص٤٦٨.

(٣) الـروم: يُقصـد بالـروم هنا الأتـراك، حيث بنى حاكم مصـر أحمد بن طولون على قبـر معاوية بناء من أربعة أروقة، وجعل عليه الخدم يضيؤون الشـموع ليل نهار، بعد خلافه مع ولي العهد العباسـي «أبو أحمد» الموفق. نكاية ببني العباس الذين عرفوا بكرههم للبيت الأموي.

وخرج عبدالله بن الزبير طامعاً فيما طمع فيه أبوه من الملك، واتبعه ناس من أهل الحجاز، فأخرج من كان بالمدينة من بني أمية، وأخرج ابن عباس ومحمد ابن الحنفية من مكة، فوجه إليه يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة المرّي[1] في جند من أهل الشام، فسار مسلم بجيش عظيم حتى وصل المدينة، فقاتل أهلها، وهزمهم، وأباحها ثلاثة أيام، ففعلوا فيها ما لا يرضاه الله ورسوله من القتل واستباحة الفروج ونهب الأموال.

ثم سار يريد مكة، فمرض بقديد، وولى الجيش الحصين بن نمير[2]، ومات مسلم بقديد، فسار الحصين بالجيش حتى أتى مكة، وحاصر عبدالله بن الزبير في الكعبة والحرم، ونصب له المنجنيق، وجعل يرميه بالنار، فأحرق الكعبة البيت الحرام، حتى خرَّ سقفها، وانهدمت جدرها، ثم أتاه الخبر بموت يزيد بن معاوية، (٣٥٣) فتفرقت عنه الجنود، وتراجعوا إلى الشام، ودخل الحصين في طاعة عبدالله بن الزبير.

وكانت خلافة يزيد ثلاث سنين وتسعة أشهر، ومات وهو ابن سبع وثلاثين سنة، وقيل: ثماني وثلاثين، لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة أربع وستين، ودفن في مقبرة الباب الصغير من دمشق.

---

(١) مسلم بن عقبة المري: مسلم بن عقبة بن رباح المري، أبو عقبة، قائد من الدهاة القساة في العصر الأموي، أدرك النبي ﷺ، وشهد صفين مع معاوية، وكان فيها على الرجالة، وقُلعت بها عينه، وولاه يزيد بن معاوية قيادة الجيش الذي أرسله للانتقام من أهل المدينة بعد أن أخرجوا عامله، فغزاها وآذاها، وأسرف فيها قتلاً ونهباً (في وقعة الحرّة) فسماه أهل الحجاز «مسرفاً»، وأخذ ممن بقي فيها ليزيد، وتوجه بالعسكر إلى مكة ليحارب ابن الزبير لتخلفه عن البيعة ليزيد، فمات في الطريق بمكان يسمى المشلل. ثم نُبش قبره وصُلب في مكان دفنه. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٧، ص٢٢٢.

(٢) الحصين بن نمير: الحصين بن نمير بن وائل، أبو عبدالرحمٰن الكندي ثم السكوني، قائد من القادة الأشداء، المقدمين في العصر الأموي، من أهل حمص. وهو الذي حاصر عبدالله بن الزبير بمكة، ورمى الكعبة بالمنجنيق، وكان في آخر أمره على ميمنة عبيد الله بن زياد في حربه مع إبراهيم الأشتر، فقتل مع ابن زياد على مقربة من الموصل. سنة ٦٧هـ/ ٦٨٦م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص٢٦٢.

ثـم تولـى من بعد يزيد ولده معاوية، ويكنى أبو ليلى، بويع له للنصف من ربيع الأول، وتوفي لخمسٍ بقين من ربيع الآخر، وكانت خلافته أربعين يوماً، وقيل: ثلاثة أشـهر، وقيل: يوماً واحداً، ومات وهو ابن ثلاث وعشـرين سـنة، وقيل: سبع عشرة سنة.

واسـتقام الأمر لعبد الله بن الزبير(بمكة)[١]، وبايعه أهل العراق، وولى أخاه مصعباً البصرة، وولى عبد الله بن مطيع[٢] الكوفة.

ثم وثب المختار بن عبيد على الكوفة، فأخذها، ووجه ابن سبيط[٣] إلى البصرة، فقتله مصعب، ثم سار مصعب إلى الكوفة، فقتل المختار في سنة سبع وستين.

وبنـى عبد الله بـن الزبيـر الكعبـة، وأدخل فيهـا الحجـر، وجعل لهـا بابين مع الأرض، يدخل من أحدهما، ويخرج من الآخر، وجعل لها حلقاً داخلها وخارجها، فـكان أول مـن جعل لهـا الحلق، وكسـاها القباطي. وولـى أخاه عتبة بـن الزبير[٤]

---

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٣٥٣.

(٢) عبد الله بن مطيع: عبد الله بن مطيع بن الأسـود الكعبي القرشـي العدوي، من أكثر رجال قريش جلداً وشجاعة. ولد في حياة النبي ﷺ، وكان على قريش يوم معركة الحرّة، فلما انهزم أصحابه توارى في المدينة. ثم سكن مكة. واستعمله عبد الله بن الزبير على الكوفة، فأخرجه المختار بن عبيد منها، فعاد إلى مكة، فلم يزل فيها إلى أن قتل مع ابن الزبير في حصار الحجاج له. وأُرسل رأسه إلى الشام مع رأسـي ابـن الزبير وصفوان. انظر: الزركلـي، خير الدين: الأعـلام، ج٤، ص١٣٩. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص٣٩٠.

(٣) ابن سـبيط: والصحيح ابن شـميط: وهو أحمر بن شـميط البجلي، أحد القادة الشجعان، من أصحاب المختـار الثقفي، شـهد أكثر وقائعه مع بني أمية وعبيد الله بـن زياد، ووجه المختار بجيش من الكوفة لقتال مصعب بن الزبير، فتلاقيا في المذار، فقتل أحمر بن شميط، وتفرق من معه سنة ٦٧هـ/ ٦٨٦م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج١، ص٢٧٦.

(٤) عتبة بن الزبير: والصحيح عروة بن الزبير بن العوّام الأسدي القرشي، أبو عبد الله، أحد الفقهاء السبعة في المدينـة، كان عالمـاً بالديـن، صالحـاً كريماً، ولم يدخل في شـيء من الفتن، وانتقل إلـى البصرة، ثم إلى مصر، فتزوج، وأقام بها سـبع سـنين، وعاد إلى المدينة، فتوفي بها سـنة ٩٣هـ/ ٧١٢م. وهو أخو عبد الله بن الزبير لأبيه وأمه، وبئر عروة بالمدينة منسوبة إليه. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص٢٢٦. وانظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان، ج٣، ص ٢٥٥ ـ ٢٥٧.

المدينـة، وأخـرج مروان بـن الحكـم وابنه منها، فسـار إلى الشـام وملكها من بعد معاوية، ثم سار إلى دمشق وملكها، ثم سار إلى مصر من أجل ابن الزبير؛ لأنه كان يأخـذ النـاس بالبيعة له، فضجّ الناس إذ منعوا عـن الحج، فبنى لهم بيت الصخرة، فكانـوا يحجـون إليـه، فصالحه أهلها، ودخلـوا في طاعته، وكان سـلطانه في مصر والشام حتى مات بالطاعون في شهر رمضان، وهو ابن ثلاث وستين سنة.

ثـم تولـى الملـك عبدالملك بن مـروان، فمنـع الناس عن الحـج، وبعث الحجاج بن يوسـف في جند من أهل الشـام إلى عبدالله بن الزبير، فقدم عليه بمكة، فاقتتلا بها حتى قتل عبدالله بن الزبير، وكانت ولايته بمكة تسع سنين.

ثم اجتمع لعبد الملك أهل الشـام والحجاز، وكاتب أهل العراق (وأهل)[1] البصرة، فغدروا بمصعب بن الزبير حتى قتلوه، فخلصت له العراق، فولى عليها الحجاج بن يوسف، فاتخذ الحجاج داراً لضرب ونقش الدراهم والدنانير بالعربية، وكان نقـش: الدنانير بالرومية، والدراهم بالفارسـية، فكتـب الحجاج فيها(٣٥٤) بالعربيـة: ﴿اللهُ أَحَـدٌ، اللهُ الصَّمَـدُ﴾ [الإخلاص: ١،٢]. ولـم يكن عيارها جيـداً، فلما ولـى عمر بـن هبيرة العراق جوّد العيار، ثم جوّده من بعده خالد القسـري[2]، ثم يوسـف بن عمـر[3]، ثم تحرر ذلك وجوّد في زمن الرشـيد والمأمـون، والواثق.

(١) استدراك من النسخة الأصلية، ب، ص ٣٥٤.

(٢) خالد القسري: خالد بن عبدالله بن يزيد بن أسد القسري، من بجيلة، أبو الهيثم، أمير العراقين، وأحد الخطباء العرب وأجوادهم، يماني الأصل، من أهل دمشق، ولي مكة سنة ٨٩هـ، للوليد بن عبدالملك، ثـم ولاه هشـام العراقيـن (الكوفة والبصرة) سـنة ١٠٥هـ، فأقام بالكوفة. وطالـت مدته، إلى أن عزله هشـام سـنة ١٢٠هـ، وولي مكانه عمر بن يوسـف الثقفي، وأمره أن يحاسـبه، فسـجنه يوسف وعذّبه بالحيرة، ثم قتله سنة ١٢٦هـ، في أيام الوليد بن يزيد، وكان خالد يُرمى بالزندقة، للفرزدق هجاء فيه. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص٢٩٧. وانظر: الذهبي، شـمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٥، ص ٤٢٥.

(٣) يوسـف بن عمر: يوسـف بن عمر بن محمد بن الحكـم، أبو يعقوب الثقفي، أمير، مـن جبابرة الولاة في العهـد الأمـوي. كانت منازل أهله في البلقاء (الأردن) وولي اليمن لهشـام بن عبدالملك سـنة ١٠٦هـ، ثـم نقلـه إلى العراقين سـنة ١٢١هـ، وأضاف إليه إمرة خراسـان، فدخل الكوفة، وقتل سـلفه في الإمارة =

وكانت الدراهم في زمن الفرس على ثلاثة أضرب فمنها: العشرة ستة مثاقيل، ومنها العشرة خمسة، ومنها: العشرة عشرة، فضربها هؤلاء الآخرون العشرة سبعة مثاقيل.

وبنى الحجاج واسط، وهدم الكعبة، وأخرج منها الحجر، ورفع بابها.

واستقام الأمر لعبد الملك بن مروان، لا ينازعه أحد إلّا ضرب عنقه، واتخذ عباد الله خولاً وماله دولاً، وكانت خلافته ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر، وتوفي للنصف من شوال سنة ست وثمانين، ودفن في دمشق، وكان عمره ستين سنة، وقيل: إحدى وستين سنة، وقيل: سبعاً وخمسين سنة.

ووُلى ابنه الوليد، وهو أبو العباس، كان رجلاً شديد السطوة، ولا يتوقف إذا غضب، وكان كثير النكاح والطلاق، يقال: إنه تزوج ثلاثاً وستين امرأة.

وولى عمر بن عبدالعزيز المدينة، فأقام واليها سبع سنين وخمسة أشهر، وشيّد مسجد رسول الله ﷺ، ورصّعه بالفسافس، وأدخل فيه المنازل التي حوله، وحجرات أزواج النبي ﷺ، فقيل: إن حبيب بن عبدالله بن الزبير، قال له: أنشدك الله أن لا تهدم آية من كتاب الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ ﴾ [الحجرات: ٤]. فضربه، وذُكر أنه مات من الضرب.

وبنى الأميال في الطرقات، وأنفذ إلى خالد بن عبدالله القسري عامله بمكة ثلاثين ألف مثقال ذهباً، فصفح بها باب الكعبة والميزاب والأساطين.

= خالد بن عبدالله القسري تحت العذاب. واستمر إلى أيام يزيد بن الوليد، حيث عزله أواخر ١٢٦هـ، وقبض عليه وحبسه في دمشق، إلى أن أرسل إليه يزيد بن خالد القسري من قتله في السجن بثأر أبيه سنة ١٢٧هـ، وعمره نيّف وستون سنة. كان يسلك سبيل الحجاج في الأخذ بالشدّة والعنف، وكان يضرب به المثل في التيه والحمق، يقال: أتيه من أحمق ثقيف. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٨، ص٢٤٣. وانظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان، ج٧، ص ١٠١ ـ ١٠٢.

وفـي أيامـه وقع طاعون بالبصـرة، وقيل: إنه مات في ثلاثـة أيام مائة ألف إنسان. وكانت في أيامه زلزال، أقامت أربعين يوماً، وقيل: ثلاثين يوماً.

وفيهـا مـات الحجاج بـن يوسـف بواسـط فـي شـهر رمضان سـنة خمس وتسعين، وسنّهُ ثلاث وخمسون سنة، وكانت ولايته بالعراق ثلاثين سنة. وقيل: إن عـدّة مـن قتلـه الحجاج صبراً مائة ألف وعشـرون ألفاً، وتوفي في حبوسـه خمسـون ألـف رجل وثلاثـون ألف امـرأة، وكانت خلافة (٣٥٥) الوليد تسـع سنين وثمانية أشهر، ودفن بدمشق.

ثم ولي من بعده أخوه سـليمان، وهو أبو أيوب، وكان رجلاً لسـناً فصيحاً معجبـاً بنفسـه، نهمـاً يأكل فـي كل يوم نحو مائـة رطل، وكان نكّاحـاً، وكانت خلافته سـنتين وثمانية أشـهر. توفي يوم الجمعة لعشـر خلون من شـهر صفر سنة تسع وتسعين، وسنّه خمس وأربعون سنة، وولي عهده ابنه أيوب، فمات، وجعل ذلك إلى عمر بن عبد العزيز.

فولّـي إلـى عمر بـن عبد العزيز بن مروان بـن الحكم، ويكنـى أبا أيوب، فعمل ولم يعمل، وكانت خلافته سـنتين وخمسـة أشـهر وأربعة عشـر يوماً، ودفن بدير سـمعان[1]، من أرض حمص، وقبره هنالك معروف، وسـنه تسـع وثلاثون سنة.

ثـم ولي بعده يزيد بن عبد الملك بن مروان، ويكنى أبا خالد، بويع له يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سـنة إحدى ومائة، وكان رجلاً عاجزاً، شـديد

---

(١) دير سـمعان: دير بنواحي دمشـق في موضع نزه وبسـاتين محدقة به، وعنده قصور ودور، وعنده قبر عمر بن عبد العزيز. قال كثير:

سـقى ربنـا مـن ديـر سـمعان حفـرة   بهـا عمـر الخيـرات رهنـاً دفينهـا

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٢، ص ٥١٧.

الكبر، صاحب لهو ولذّات، وهو صاحب حبابة[١]، وسلامة[٢]، وهما جاريتاه وكان مشغوفاً بهما، وماتت حبابة، فمات بعدها بيسير أسفاً عليها، وكان قد تركها أياماً لم يدفنها، حتى عوتب في ذلك، فدفنها، ويقال: إنه نبشها بعد الدفن وشاهدها من وجده بها. وكانت خلافته أربع سنين وشهر، وتوفي بحران[٣]، لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة، وهو ابن تسع وعشرين سنة.

ثم ملك من بعده هشام بن عبد الملك بن مروان، ويكنى أبا الوليد، وبويع له لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة، فكان صاحب سياسة حسنة وتيقظ في الأمور، وكان يباشر الأمر بنفسه، وكانت له سرر كثيرة، وكانت خلافته سبع عشرة سنة وسبعة أشهر وأحد عشر يوماً، وقيل: عشرين سنة إلّا خمسة أشهر.

ثم ملك من بعده الوليد بن يزيد، وهو أبو العباس، ولي وقد جاوز الأربعين، وقد خطه الشيب، وكان شاعراً فصيحاً، وكان مصروف الهمة

(١) حبابة: جارية يزيد بن عبد الملك، مغنية، من ألحن من رؤي في عصرها، ومن أحسن النساء وجهاً، وهي مولَّدة كانت لرجل من أهل المدينة يعرف بابن زمانه، أخذت الغناء عن ابن سريج وابن محرز وطبقتهما. فاشتراها يزيد بن عبد الملك بأربعة آلاف دينار، فغلبت على عقله، وشغل بها، ثم ماتت، فحزن عليها، ومات بعدها بأربعين يوماً. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص١٦٣.

(٢) سلامة: سلامة القَسِّ، مغنية شاعرة، من مولّدات المدينة، نشأت بها، وأخذت الغناء عن معبد وطبقته، فمهرت في الغناء، وحذقت الضرب على الأوتار، وقالت الشعر الكثير. وشغف بها عبد الرحمٰن بن أبي عمار الجشمي (من قراء مكة) الملقب بالقسّ لكثرة عبادته، وكان تابعيّاً، فنسبت إليه، وغلب عليها لقبه، وسمع بها يزيد بن عبد الملك، فاشتراها بعشرين ألف دينار، وانتقلت إلى دمشق، وبقيت عنده إلى أن توفي. ولها شعر في رثائه، وكان يقدم عليها حبابة. ماتت سنة١٣٠هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص١٠٧.

(٣) حران: مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور، وهي قصبة من ديار مضر، بينها وبين الرها يوم، وبين الرقة يومان، تقع على طريق الموصل والشام والروم. قيل: سميت بهاران أخي إبراهيم عليه السلام؛ لأنه أول من بناها، فعرّبت، فقيل حرّان، وذكر قوم أنها أول مدينة بنيت على الأرض بعد الطوفان، وكانت منازل الصابئة، وهم الحرّانيون الذين يذكرهم أصحاب كتب الملل والنحل. قال سُديف بن ميمون:

قد كنت أحسبني جلداً فضعضعني ... قبر بحرّان فيه عصمة الدين

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ج٢، ص٢٣٥.

إلى اللهو، والطرب، والأكل، والشرب، وكانت خلافته سنة وشهرين واثنين وعشرين يوماً.

ثم ولي يزيد بن الوليد، وكنيته أبو خالد، وكان فصيحاً معجباً بنفسه، وأقام ستة أشهر، وقيل: خمسة أشهر وأياماً.

ثم ولي من بعده أخوه إبراهيم (٣٥٦) بن يزيد، وكنيته أبو إسحاق. قيل: كان رجلاً عاجزاً، ضعيف الرأي، وكان أتباعه تارة يسلمون عليه بالخلافة وتارة بالإمارة، وتارة بغير ذلك، وقيل: إنه خلع نفسه، وسلّم الأمر إلى مروان بن محمد، وكانت خلافته شهرين وعشرة أيام، وقيل: شهراً واحداً.

ثم ولي مروان بن محمد، وكنيته أبو عبد الملك، ويكنى حمار الجزيرة، وهو آخر ملوك بني أمية، فلم يزل أمره مضطرباً، فقطع الأيدي، وسمل الأعين، ونحت الوجوه، وظهر عليه السفّاحُ، بالكوفة في شهر المحرّم سنة إثنتين وثلاثين ومائة، ثم بويع له، أعني السفّاح، في شهر ربيع الأول من هذه السنة، فجهز جيشاً إلى مروان بن محمد وأمر عليه عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس[(١)]، فسار حتى لقي مروان بزاب الموصل، فاقتتلوا، فانهزم مروان إلى طوس بفلسطين، وقتل جماعة من بني أمية، ثم انهزم مروان إلى مصر، فلحقه صالح بن علي[(٢)]، أخو

(١) عبد الله بن علي: عبد الله بن علي بن العباس الهاشمي العباسي (١٠٣ - ١٤٧هـ/ ٧٢١ - ٧٦٤م)، أمير، عمّ الخليفة أبي جعفر المنصور، وهو الذي هزم مروان بن محمد بالذاب، وتبعه إلى دمشق، وفتحها وهدم أسوارها، وقتل من أعيان بني أمية ٨٠ رجلاً بأرض الرملة، ومهّد دمشق لدخول السفاح، وظلّ أميراً على بلاد الشام مدة خلافته. فلما ولي المنصور خرج عبد الله عليه، ودعا لنفسه، فانتدب المنصور لإخضاعه أبا مسلم الخراساني، فقاتله في نصيبين، فانهزم عبد الله، واختفى. وهرب إلى البصرة، فأمنه المنصور، فاستسلم، وأشخص إلى بغداد، وحبس فيها، فوقع البيت الذي حبس فيه، فقتله. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص ١٠٤. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٦، ص ١٦١.

(٢) صالح بن علي: صالح بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي، أمير، عمّ السفاح والمنصور، وأول من ولي مصر من قبل الخلفاء العباسيين، فتعقب مروان بن محمد، وقتله، وقتل الكثير من أشياع بني أمية، وفي عهد المنصور أقر على الجزيرة، فكانت له الديار الشامية كلها. أنشأ مدينة أذنة في الأناضول، =

عبد الله بـن علـي ببوصير قريـة من صعيد مصر، فقتله بها فـي ليلة الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وسنّه سبع وخمسون سنة، وقيل: ست وخمسون سنة، وكانت خلافته إلى أن ظهر السفَّاح خمس سنين وشهر، ومنذ ظهر السفَّاح إلى أن قتل مروان تسعة أشهر، والله أعلم.

وكانت خلافة بني أمية إحدى وتسعين سنة وسبعة أشهر وخمسة أيام، وخلفاؤهم من لدن معاوية بن أبي سفيان إلى مروان بن محمد أربعة عشر خليفة، منها فتنة ابن الزبير سبع سنين وإثنان وعشرون يوماً.

ووجدت أيضاً في نسخة أن ملك بني أمية مائة سنة وإحدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر.

وتفرقت بنو أمية في البلدان هرباً بأنفسهم، وهرب عبد الرحمٰن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان إلى الأندلس، فلما دخل الأندلس قامت معه اليمانية، فحارب يوسف بن عبد الرحمٰن بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري[1]، وكان يوسف هو المستولي على الأندلس، فاستولى عليها عبد الرحمٰن بن معاوية، فلُقِّب بالداخل، وهزم يوسف، وكان عبد الرحمٰن أديباً شاعراً، وسار في الرعية سيرة حسنة، فمما قاله بالأندلس يتشوّق إلى مقاعده بالشام شعراً:

= وكسر الروم في وقائع كثيرة. كان شجاعاً حازماً. توفي في قنسرين سنة ١٥١هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص ١٩٢ – ١٩٣. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٧، ص ١٨.

(١) يوسف بن عبد الرحمٰن بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري: ولد بالقيروان سنة ٧٢هـ/ ٦٩١م، كان مقيماً قبل الإمارة بالبيرة، ولما توفي ثوابة بن سلامة بقرطبة اختلفت المضرية واليمانية فيمن يولون الإمرة، وكلا الفريقين يريد أن يكون الأمير منه. ثم اتفقوا عليه، فكتبوا إليه يذكرون له إجماعهم على تأميره، فجاءهم سنة ١٢٩هـ، وأطاعوه، وخرج عليه بعض الأمراء بأربونة، وباجة، وسرقسطة، فقضى على ثورتهم، واستمر إلى أن دخل عبد الرحمٰن الأموي الأندلس، فقاتله يوسف سنة ١٣٩هـ، فانهزم أصحابه، وقتله بعضهم في طليطلة، وحمل رأسه على عبد الرحمٰن، فنصبت بقرطبة سنة ١٤٢هـ/ ٧٥٩م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٨، ص ٢٣٦. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٧، ص ١٨.

(٣٥٧) أيها الراكب الميمم أرضي ... أقر من بعضي السلام لبعضِ
إن جسمي كما علمت بأرضٍ ... وفؤادي ومالكيه بأرضِ
قدّر البين بيننا فافترقنا ... وطوى البين عن جفوني غمضي
قد قضى الله بالفراق علينا ... فعسى باجتماعنا سوف يقضي[1]

وقال يمدح حيوة بن الملامس[2]، وكان من النفر الذين قاموا بأمره حين دخل الأندلس:

فلا خير في الدنيا ولا في نعيمها ... إذا غاب عنها حيوة بن الملامس
أخو السيف يقري الضيف حقاً يراهما ... عليه وينفي الضيم عن كل أيسِ[3]

وكانت ولايته ثلاثاً وثلاثين سنة وأربعة أشهر، وتوفي في غرّة جمادى الأول سنة إثنين وسبعين سنة ومائة.

ثم ولي ابنه هشام[4]، في اليوم الذي مات فيه أبوه، وسنّه يوم وُلي ثلاثون

(١) انظر الأبيات في: ابن منظور، محمد بن مكرم: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى ١٩٨٨م، ج١٥، ص ٥٢.

(٢) حيوة بن الملامس: والصحيح حيوة بن قلاقس، من زعماء اليمانية في الأندلس في عهد عبدالرحمٰن الداخل، قاد مع عبدالغفار ثورة إشبيلية ضدّ الأمويين، فاضطر عبدالرحمٰن الداخل إلى التراجع عن شقنا، وأرسل جيشاً بقيادة عبدالملك بن عمر للقضاء على الثورة، بعدما هاله أمرها، فلقيهم جيش عبدالملك مستميتاً، فهزمهم، وأثخن فيهم، ولحق بعبد الرحمٰن، فشكر له وولاه الوزارة ووصله بالصهر، ونجا عبدالغفار وحيوة بن قلاقس إلى إشبيلية، فسار عبدالرحمٰن سنة ١٥٧هـ إليها، فقتلهم، وقتل خلقاً ممن كان معهم. انظر: ابن خلدون، عبدالرحمٰن بن محمد: تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص ١٢٣.

(٣) قد يكون عبدالرحمٰن الداخل مدح حيوة بن قلاقس قبل ثورة إشبيلية في بداية أمره بالأندلس.

(٤) هشام: هشام بن عبدالرحمٰن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان (١٣٩ - ١٨٠هـ/ ٧٥٦ - ٧٩٦م)، أبو الوليد، ثاني ملوك الدولة الأموية بالأندلس، ولد بقرطبة، وولاه أبوه ماردة، وبويع بعد وفاة أبيه سنة ١٧٢هـ، فحسنت سياسته. كان حازماً شجاعاً شديداً على الأعداء، بنى عدّة مساجد، وتمم بناء جامع قرطبة. وأهل الأندلس يشبهونه بعمر بن عبدالعزيز. استمر في الحكم حتى وفاته في قرطبة سنة ١٨٠هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٨، ص ٨٦. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص ٢٥٣.

سنة وتسعة أشهر، وكنيته أبو الوليد، وكان حسن السيرة، يعود المرضى، ويشيّع الجنائز، وكانت ولايته سبع سنين وتسعة أشهر.

ثـم ولـي ابنه الحكم بن هشـام[1] الملقـب بالمرتضى، أول صفر من سـنة ثمانين ومائة، وسـنّه يوم وُلي إثنتان وعشـرون سـنة، وكنيته أبو العاص، وكان طاغيـاً مسـرفاً، وقع بأهـل (الربض)[2] وقعة مشـهورة، فقتلهم وهـدم ديارهم، وكانت ولايته سـبعاً وعشـرين سـنة وشهراً وخمسة وعشـرين يوماً، وتوفي في آخر ذي الحجة سنة ست ومائتين، وسنّه تسع وأربعون سنة وشهران إلّا أياماً.

ثـم ولي ابنـه عبدالرحمٰن[3]، ويكنى أبو المطرف أول شـهر المحرم سـنة سـبع ومائتين، وقام إثنتين وثلاثين سـنة وأربعة أشـهر، وكان حسن السيرة في الرعية، وسـنّه حين وُلي ثلاثون سـنة، ومات وهو ابن اثنتين وسـتين سـنة، في شهر صفر سنة ثماني وثلاثين ومائتين.

---

(١) الحكم بن هشام: الحكم بن هشام بن عبدالرحمٰن الداخل (١٥٤ - ٢٠٦هـ/ ٧٧١ - ٨٢٢م)، أبو العاص، مـن أفحـل ملـوك بني أمية في الأندلس، وأول من جعل للملك فيها أبّهـة، وأول من جنَّد بها الأجناد، وجمع الأسلحة والعدد، وأربط الخيول على بابه. كان شديداً جباراً، ضابطاً لأمر مملكته، يقظاً، يلقب بالربضي لإيقاعه بأهل الربض (وهي محلّة متصلة بقصره) قتلهم وهدم ديارهم. مولده ومنشأه بقرطبة، وولي الأمر بها بعد أبيه سنة ١٨١هـ. توفي في قرطبة سنة ٢٠٦هـ. وكان كثير العناية بالأدب والعلم، خطيبـاً، لـه شـعر يتفكّه بنظمه. انظـر: الزركلي، خيـر الديـن: الأعـلام، ج٢، ص٢٦٧ - ٢٦٨. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص٢٥٣.

(٢) أهـل (الرفض): اسـتدراك من النسـخة الأصلية ب، ص٣٥٧. والصحيح أهـل الربض، وهو حي من أحياء قرطبة شهد ثورة على الحكم بن هشام ولُقّب بسببه بالربضي.

(٣) عبدالرحمٰـن بـن الحكـم: عبدالرحمٰـن بـن الحكـم بـن هشـام بـن عبدالرحمٰـن الأمـوي (١٧٦ - ٢٣٨هـ/ ٧٩٢ - ٨٥٢م)، أبو المطـرف، رابـع ملـوك بنـي أمية في الأندلس. ولـد في طليطلة (وكان أبوه والياً فيها قبل تسلمه الملك). بويع بقرطبة سنة ٢٠٦هـ بعد وفاة أبيه بيوم واحد، وهو أول من جرى على سـنن الخلفاء في الزينة والشـكل وترتيب الخدمة، فشيد القصور، وجلب الماء العذب إلى قرطبة، وبنى مسـجد إشـبيليا وسورها، وضرب الدراهم باسمه. مدة ولايته ٣١ سنة وثلاثة أشهر، توفـي فـي قرطبة، ودفن فيهـا. انظر: الزركلي، خيـر الدين: الأعـلام، ج٣، ص٣٠٥. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص٢٦٠.

ثـم وُلي ابنـه محمد بن عبد الرحمٰن[١]، ويكنـى أبو عبد الله في اليوم الذي مات فيه أبوه، فأقام والياً أربعاً وثلاثين سنة وأحد عشر شهراً، ومات آخر شهر صفر سـنة ثلاث وسـبعين ومائتين، وكان محباً للعلـوم، مؤثراً لأهل الحديث، عارفاً، حسن السيرة في الرعية.

ثـم ولـي ابنه أبو الحكم المنذر بـن محمد[٢] في اليوم الـذي مات فيه أبوه، وكانت ولايته سنتين إلّا سبعة عشر يوماً، وكان مولده سنة تسع وعشرين ومائتين، ومات (٣٥٨) في صفر سـنة خمس وسـبعين ومائتين، وسنّه ست وأربعون سنة وأشـهر، وهـو الولد الخامس لصلـب عبد الرحمٰن الداخل، ولـم يكن له عقب، فوُلي أخوه عبد الله بن محمد[٣]، وكنيته أبو محمد في اليوم الذي مات فيه أخوه

(١) محمد بن عبد الرحمٰن: محمد بن عبد الرحمٰن بن الحكم بن هشام الأموي (٢٠٧ - ٢٧٣هـ/ ٨٢٢ - ٨٨٦م): أبو عبد الله، خامس ملوك الدولة الأموية في الأندلس، مولده ووفاته في قرطبة، ولي بعد وفاة أبيه سنة ٢٣٨هـ، وصفـت لـه أيامـه. كان عاقلاً عادلاً، أحبه أهل الدول المسـتقلة في عصـره، حتى كان «بنو مـدرار» بسجلماسـة، ومحمد بن أفلح في «تاهرت» لا يقدمـون ولا يؤخرون في أمورهم ومعضلاتهم إلّا برأيه. خلف نيفاً وخمسـين ولداً. ويقال: إن وزيراً له اسـمه «هاشـم بن عبد العزيز» أسـاء السـيرة، فضاعـت هيبـة الدولة فـي أواخر أيامه. انظر: الزركلـي، خير الدين: الأعـلام، ج٦، ص١٨٩. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص٢٦٢.

(٢) المنـذر بـن محمـد: المنـذر بـن محمـد بـن عبد الرحمـٰن بـن الحكـم بـن هشـام الأمـوي (٢٢٩ - ٢٧٥هـ/ ٧٤٣ - ٨٨٨م): أبو الحكـم، مـن ملـوك الدولـة الأمويـة في الأندلس، ولـد بقرطبة. ولما شـبّ سـيره أبوه للغزو والفتح، فكان مظفراً. وولي الأندلس بعد وفاة أبيه سـنة ٢٧٣هـ، ففرق العطـاء في الجند، وتحبب إلى أهل قرطبة، وأسـقط على الرعيّة عشـر ذلـك العام، وكان جواداً يصل الشـعراء، ويحـب الأدب. إلّا أنـه شـكس الأخـلاق، مرّ العقـاب. ولـم تطـل مدته في الإمـارة، مات محاصـراً لعمر بـن حفصون أمام قلعة ببشـتر، وانقرضت ذريته. انظر: الزركلـي، خير الدين: الأعلام، ج٧، ص٢٩٤. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص٢٦٣.

(٣) عبد الله بن محمد: عبد الله بن محمد بن عبد الرحمٰن بن الحكم بن هشام (٢٢٩ - ٣٠٠هـ/ ٧٤٣ - ٩١٢م): من ملوك بني أمية في الأندلس، بويع بقرطبة يوم وفاة أخيه المنذر سـنة ٢٧٥هـ، وكثرت الثورات في أيامه. كان مقتصداً كارهاً للصرف، كثير الصدقات والمبرات، ابتنى سـاباط قرطبة بين القصر والجامع. وكان يعقد فيه قبل صلاة الجمعة وبعدها، فيرفع الحجاب، ويأذن لكل متظلم. وكان يجلس على بعض أبواب قصره في أيام معلومة، فترفع إليه الشكايات، وتصله الكتب من باب يضع فيه أصحاب الظلامات كتبهـم وعرائضهـم. يعدّه المؤرخون مـن أصلح الأمويين في المغرب. توفي في قرطبة ودفن فيها سـنة ٣٠٠هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص١١٩.



المنذر، وكانت ولايته خمساً وعشرين سنة ونصف شهر، وكان لا يشرب الخمر، وفي ولايته امتلأت الأندلس بالفتن، وصار في كل جهة متغلّب، فلم يزل كذلك إلى أن مات مستهل ربيع الأول، وله من العمر سبعون سنة إلّا شهراً.

ثم وُلي ابن ابنه عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الله الناصر(١)، في الشهر الذي توفي فيه جدّه، فتسمى بأمير المؤمنين الناصر لدين الله، وهو أول من تسمى بأمير المؤمنين بالأندلس، ولم يزل والياً خمسين سنة، وكان شهماً ضارياً، وإنما تسمى بأمير المؤمنين لمّا بلغه ضعف الخلافة بالعراق أيام المقتدر بالله، وظهور الشيعة بالقيروان(٢)، ودعاؤهم للمهدي بالله، وكان في ذلك الزمان ثلاثة خلفاء: المقتدر بالعراق، والناصر بالأندلس، والمهدي بالقيروان.

ولم يزل الناصر يستنزل المتغلبين حتى استكمل استنزال جميعهم في خمس وعشرين سنة من ولايته، وصار جميع أقطار الأندلس في ولايته وطاعته، ومات في صدر رمضان سنة ثلاثمائة وخمسين. ثم وُلي من بعده

---

(١) عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الله الناصر (٢٧٧ - ٣٥٠هـ/ ٨٩٠ - ٩٦١م): عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمٰن بن الحكم الربضي ابن هشام بن عبد الرحمٰن الداخل، أبو المطرّف المرواني الأموي، أول من تلّقب بالخلافة من رجال الدولة الأموية في الأندلس. ولد وتوفي بقرطبة، ونشأ يتيماً (قُتل أبوه وعمره ٢١ عاماً فرباه جدّه) وبويع بعد وفاة جدّه سنة ٣٠٠هـ، فكان أول مبايعيه بإمارة الأندلس أعمامه، ولحبّ جدّه له. كان عاقلاً داهية مصلحاً طموحاً، وانصرف إلى تسكين القلاقل، وصفا له الملك. وظهر له ضعف المقتدر العباسي في العراق، فجمع الناس، وخطب فيهم، ذاكراً حق بني أمية بالخلافة، وأنهم أسبق إليها من بني العباس، فبايعوه سنة ٣١٦هـ، وتلقب بـ «الناصر لدين الله»، فجرى ذلك فيمن بعده. وكان أسلافه يسمون بني الخلائف، ويخطب لهم بالإمارة فقط. أنشأ الناصر مدينة الزهراء، وبنى بها قصر الزهراء. خرج عليه ابنه طالباً الخلافة، فقبض عليه وعلى أتباعه، وسجنهم إلى كان يوم عيد الأضحى، فأحضرهم بين يديه، وأمر ابنه أن يضطجع له، فاضطجع، فذبحه بيده، والتفت إلى خواصه فقال: هذه ضحيتي في هذا العيد، وليذبح كل منكم أضحيته، فاقتسموا أصحاب عبد الله، فذبحوهم عن آخرهم. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص ٣٢٤. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص ٢٦٥.

(٢) القيروان: مدينة عظيمة بإفريقية، مُصّرَت أيام معاوية بن أبي سفيان سنة ٥٥هـ، على يد عقبة بن نافع الفهري، بقيت عاصمة ولاية إفريقية طيلة العهد الأموي، والعهد العباسي، واتخذها الفاطميّون عاصمة لهم، حتى بنى عبد الله المهدي المهدية. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٤، ص ٤٢١.

ابنه الحكم[١]، وتلقَّب المستنصر بالله، في الشهر الذي مات فيه أبوه، وهو ابن سبع وأربعين سنة، وأقام والياً خمس عشرة سنة وأشهراً، وتوفي في صفر سنة ست وستين وثلاثمائة، وهو ابن اثنتين وستين، ويكنى أبا العاص، وكان حسن السيرة، جامعاً للعلوم محباً لها، مكرماً لأهلها، وجمع من الكتب في اختلاف أنواعها وأسمائها ما لم يجمعه أحد من الملوك قبله ولا بعده هنالك، وكان قد رام قطع الخمر بالأندلس، وأمر بإراقتها، وتشدد في استئصال شجرة العنب في جميع أعماله، فقيل له: إنهم يعملونها من التين وغيره، فتوقف عن ذلك، وقيل: إنه قتل أخاه غيرة على الملك، وكان مواصلاً لغزو الروم، ومن خالفه من المحاربين إلى أن مات. فولي من بعده ابنه هشام[٢]، ويلقب المؤيد بالله، وهو ابن تسع سنين، وقيل: عشر، فأقام تسعاً وثلاثين سنة، إلى أن قام عليه

(١) الحكم «المستنصر الأموي» (٣٠٢-٣٦٦هـ/ ٩١٤-٩٧٦م): الحكم بن عبد الرحمٰن الناصر بن محمد بن عبد الله، خليفة أموي أندلسي، ولد بقرطبة، وولي الخلافة بعد أبيه سنة ٣٥٠هـ، غزا الأسبان بنفسه، فعاقدوه على السلم، واشترط على «كونت برشلونة» وسائر أمراء الكتّلان دكّ حصونهم القريبة من ثغوره. وأوطأ عساكر أرض العدوة من المغرب الأقصى إلى المغرب الأوسط، وخطب بدعوته ملوك زناتة من مغراوة ومكناسة، وكان عالماً بالدين، ملماً بالأدب والتاريخ، ضليعاً في معرفة الأنساب، يروى له شعر، محباً للعلماء يستحضرهم من البلدان النائية فيستفيد منهم ويحسن إليهم، جماعاً للكتب، قيل: إن مكتبته بلغت أربعمائة ألف مجلد. توفي بقرطبة مفلوجاً سنة ٣٦٦هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص٣٦٧. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص٢٦٩.

(٢) هشام «المؤيد بالله» (٣٥٥-٤٠٣هـ/ ٩٦٦-١٠١٣م): هشام بن الحكم بن عبد الرحمٰن الناصر، أبو الوليد المؤيد الأموي، من خلفاء الدولة الأموية بالأندلس. ولد بقرطبة، وبويع يوم وفاة أبيه سنة ٣٦٦هـ، فاستأثر بتدبير مملكته وزير أبيه محمد بن عبد الله الملقب بالمنصور بن أبي عامر، ثم ابن المنصور، عبد الملك الملقب بالمظفر، ثم ابنه الثاني عبد الرحمٰن بن محمد الملقب بالناصر. وظل هشام خليفة في قفص إلى أن طلب منه عبد الرحمٰن هذا أن يوليه عهده، فأجابه، وكتب له عهداً بالخلافة من بعده، فثارت ثائرة أهل الدولة لذلك، فقتلوا صاحب الشرطة، وهو في باب قصر الخلافة بقرطبة سنة ٣٩٩هـ، ونادوا بخلع المؤيد، وبايعوا محمد بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر لدين الله، ولقبوه «المهدي بالله»، وقتلوا عبد الرحمٰن الوزير. ثم كانت فتن انتهت بعودة المؤيد إلى ملكه أواخر سنة ٤٠٠هـ، وقتل المهدي. وقُتل سراً في قرطبة بعد أن امتلكها سليمان بن الحكم الملقب بالمستعين بالله. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٨، ص٨٥. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص٢٧١.

محمد بن هشـام بن عبد الجبار بن عبد الصمد بن الناصر[١]، لثماني عشرة ليلة خلت من جمادى الأخرى من سـنة تسـع وتسـعين وثلاثمائة، فخلع هشام بن محمـد المؤيد، وتلقـب بالمهدي، فحاربه سـليمان بن الحكم بن سـليمان بن الناصر[٢]، ابن أخي (٣٥٩) هشام بالبربر والنصارى، وسار عليه بقرطبة، فحاربه حتـى قتـل من قرطبة نيفاً على عشـرين ألفاً، فانهزم المهدي، واسـتتر أياماً، ثم إنه استجاش من بقي في طاعته من ثغور طرطوسية إلى السبوية وأتى بهم إلى قرطبـة، فبـرز إليه سـليمان بن الحكم بالبربـر، على نحو بضعة عشـر ميلاً من قرطبة، فكانت الهزيمة على سليمان بن الحكم والبربر، واستولى المهدي على قرطبة. ثم إنه خرج إلى قتال جمهور البربر بوادي آرّة[٣]، فكانت الهزيمة عليه،

(١) محمد بن هشـام بن عبد الصمد الناصـر (٣٦٦-٤٠٠هـ/ ٩٧٧-١٠١٠م): أبو الوليد، أمير أموي من بيـت الملـك بالأندلس، خرج على «المؤيد بالله» الأموي بقرطبة سـنة ٣٩٩هـ، وبايعه الناس، فتلقَّب بالمهدي بالله، وملك قرطبة، فحبس المؤيد في القصر، ثم أظهر أنه مات، واستقرّ أمره إلى أن انتفض عليه سـليمان بن الحكم، وتغلّب عليه، فاختفى بن عبد الجبار، وسـار على طليطلة، فجمع عسـكراً، وعـاد إلـى قرطبة واسـتولى عليها، وجـدد البيعة لنفسـه، فدخل عليـه جماعة من الغلمان، وأسـروه، وأخرجـوا المؤيد، فأجلسـوه مجلس الخلافة، وبايعوه، وأحضـروا عبد الجبار بين يديه، فأمر به فقتل، وطيف برأسـه في قرطبة. ومدّة ولايته منذ قام إلى أن قتل ١٧شـهراً، وانقرض عقبه. انظر: الزركلي، خيـر الديـن: الأعـلام، ج٧، ص ١٣١-١٣٢. وانظـر: الذهبي، شـمس الدين محمد بن أحمد: سـير أعلام النبلاء، ج١٧، ص١٢٨.

(٢) سليمان الحكم بن سليمان الناصر (٣٥٤-٤٠٧هـ/ ٩٦٥-١٠١٦م): أبو أيوب من ملوك الدولة الأموية في الأندلس، بويع بعد مقتل عمه هشام بن سليمان سنة ٣٩٩هـ، وتلقَّب بالمستعين بالله، ودخل قرطبة سنة ٤١٠هـ، فتلقب فيها بالظافر بحول الله، وظهر المؤيد بن الحكم في أواخر السنة، فخرج المستعين إلـى شـباطة، فجمع جيشـاً من البربر، وهاجم قرطبـة، فحصنها المؤيد. ولم يزل المسـتعين يقوى إلى أن امتلك الزهراء وسرقسـطة وقرطبة، بعد حروب شـديدة بينه وبين المؤيد، فجددت له البيعة بقرطبة سـنة ٤٠٣هـ، وكان في جملة جنوده القاسـم وعلي ابنا حمود، فولى القاسم الجزيرة الخضراء، وولى علياً طنجة وسـبتة، ولم يلبث علي أن اسـتقل، وزحف إلى مالقة، ثم إلى قرطبة، وقتل المستعين بيده. وبمقتله انقطع ذكر بني أمية على منابر الأندلس مدة سـبع سـنين. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص١٢٣. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص١٣٣.

(٣) وادي آرّة: موجـود بالأندلـس، والمشـهور عند النـاس «وادي بارة» بالباء. انظـر: الحموي: ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج١، ص٥٢.

فرجع إلى قرطبة، فوثب عليه العبيد، فقتلوه في ذي القعدة سنة أربعمائة، وولوا هشاماً المؤيد الذي خلعه المهدي، وكانت ولاية المهدي ستة عشر شهراً.

ولم يزل سليمان بن الحكم يجول بعساكر البربر في بلاد الأندلس يفسد وينهب، ويقفر المدائن والقرى بالسيف، لا يبقي على صغير ولا كبير، ولا رجل ولا امرأة، إلى أن دخل قرطبة، وقتل هشاماً في اليوم الخامس من شوال سنة ثلاث وأربعمائة، وتلقب بالمستعين، ثم تلقب بالظافر، وأقام بقرطبة مستولياً عليها وعلى أعمالها، إلى أن قتل في شهر المحرّم سنة سبع وأربعمائة، قتله علي بن محمود بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبد الله بن عمر بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وقتل أباه الحكم بن سليمان، وكانت ولاية سليمان مذ دخل قرطبة إلى أن قتل ثلاث سنين وثلاثة أشهر وأياماً.

وانقطعت دولة بني أمية وذكرهم على المنابر في هذا الوقت في جميع أقطار الأندلس، إلى أن عاد في وقت آخر، وملك من بعدهم الفاطميون.

وكان سليمان بن الحكم شاعراً، فمن شعره هذه الأبيات:

عجباً يهاب الليث حدَّ سناني ... وأهابُ سحر فواتر الأجفانِ
وأقارعُ الأبطال لا متهيّباً ... منها سوى الإعراض والهجرانِ
وتملكت نفسي ثلاث كالدُّمى ... زهر الوجوه نواعم الأبدانِ
ككواكب الظلماء لحنَ لناظري ... من فوق أغصانٍ على كثبانِ
هذا الهلال وتلك بنت المشتري ... حسناً وهذي أختُ غصن البانِ
حاكمت فيهنَّ السلوَّ إلى (الصبا)[١] ... فقضى بسلطان على سلطانِ
فأبحنَ من قلبي الحمى وتركنني ... في عز ملكي كالأسير العانِ
لا تعذلوا ملكاً تذلل في الهوى ... ذُلُّ الهوى عِزٌّ وملك ثانِ

(١) استدراك من النسخة الأصلية، ب، ص٣٥٩.

(٣٦٠) ما ضرّ أني عبدهن صبابة وبنو الزمان وهنَّ من عبدانِ
إن لم أطع فيهن سلطان الهوى كلفاً بهنَّ فلست من مروانِ
وإذا الكريم أحب أمناً إلفه خطب الفلا ونوائب السلوانِ
وإذا تجارى في الهوى أهل الهوى عاش الهوى في عزة وأمانِ[(١)]

وله هذه الأبيات:

ملك الثلاث الآنسات عناني فحللن من قلبي بكل مكانِ
مالي تطاوعني البريّة كلها وأطيعهن وهنّ في عصياني
ما ذاك إلّا أن سلطان الهوى وبه قرين أعزّ من سلطاني[(٢)]

ثم استقام الأمر لعلي بن حمود[(٣)]، وتلقب بالناصر، ثم خالف عليه العبيد الذين كانوا معه، وقدّموا عليه عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الملك[(٤)]، وسموه

(١) انظر القصيدة في: التلمساني، أحمد بن محمد المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج١، ص٤٠٦ - ٤٠٧. وعنوان القصيدة: «ملك الثلاث الآنسات عناني» قالها يعارض هارون الرشيد.

(٢) الأبيات الثلاثة من قصيدة بعنوان: «ملك الثلاث الآنسات عناني» وقد فصل الإزكوي بينها وبين الأبيات السابقة، علماً أنها من قصيدة واحدة. انظر: التلمساني، أحمد بن محمد المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ص٤٠٦.

(٣) علي بن حمود «الناصر الحمّودي»: علي بن حمود بن ميمون بن أحمد الإدريسي الحسني العلوي الملقب بالناصر لدين الله (٣٥٤-٤٠٨هـ/ ٩٦٥ - ١٠١٨م): أول ملوك الدولة الحسنية الحمودية بقرطبة. كان في منشأه من جملة أجناد سليمان بن الحكم الأموي. وولاه سليمان مدينتي سبتة وطنجة سنة ٤٠٣هـ، فكاتب العصاة من أهل البادية، فبايعوه بالخلافة، فزحف بهم إلى قرطبة، فدخلها عنوة، بعد قتال، وقبض على سليمان بن الحكم وأبيه الحكم بن سليمان بن الناصر، فقتلهما في يوم واحد (٢١ محرم ٤٠٧هـ) وتلقب «الناصر لدين الله»، واستتبّ له الأمر سنة وعشرة أشهر، وخرج عليه الموالي الذين قاموا بنصرته، فخلعوه، ودخل عليه بعض الصقالبة منهم، وهو في الحمام، فقتلوه سنة ٤٠٨هـ/ ١٠١٨م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص٢٨٣. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص١٣٥.

(٤) عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الملك «المرتضى» (٣٦٨-٤٠٨هـ/ ٩٧٨ - ١٠١٨م): عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمٰن الناصر الأموي، أمير، كان مقيماً بقرطبة إلى أن قتل المؤيد (سليمان بن الحكم) واستولى على الملك علي بن حمود، فخرج عبد الرحمٰن مستخفياً، ونزل بجيان، فأقبل عليه بعض المخالفين لابن حمود، فبايعوه، ولقبوه «المرتضى» سنة ٤٠٧هـ، وساروا معه إلى =

المرتضى، وقاتلوه، فهزمهم علي. وبقي مشمر الأمر عامين إلا شهرين إلى أن قتل في أواخر سنة ثماني وأربعمائة.

وبايعوا أخاه القاسم بن حمود[1]، وكان أسنّ من أخيه، ثم حالف عليه ابن أخيه يحيى بن علي بن حمود[2]، وتلقب بالمعتلي، وغلبه على الجزيرة الخضراء، وهي معقل القاسم، وبها أهله وذخائره.

= صنهاجة، ومنها إلى غرناطة، فقاتلهم بها «زاوي بن زيري» الصنهاجي، ورأوا من عبد الرحمٰن صرامة، فندموا على تقديمه، وانهزموا عنه، ودسّوا من قتله غيلة. قال ابن حزم: كان رجلاً صالحاً متقشّفاً مائلاً إلى الفقه، لم يلبس في ولايته خزاً إلى أن قتل. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٣٢٦. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص٥١٨.

(١) القاسم بن حمود: القاسم بن حمود بن ميمون الإدريسي الحسني (٣٥١ - ٤٣١هـ/ ٩٦٢ - ١٠٤٠م): الملقب بالمأمون، ثاني ملوك الدولة الأموية الحمّودية بقرطبة، ولاه سليمان بن الحكم الأموي على الجزيرة الخضراء، وثار وأخوه (علي بن حمود) على سليمان، فملك الأندلس، وبويع بالخلافة، فأقام القاسم إلى أن توفي علي سنة ٤٠٨هـ، فولى الخلافة من بعده، واستقر في قرطبة، وحسنت سيرته، وأمن الناس في أيامه. ثم انتفض عليه ابن أخيه (يحيى بن علي) بمالقة سنة ٤١٢هـ، فخرج من قرطبة بلا قتال، وأقام بإشبيلية مدة جمع بها شتاته، واستمال طوائف البربر، وهاجم بهم قرطبة، فدخلها سنة ٤١٣هـ، ولم ينتظم له الأمر، فخرج إلى شريش، فقبض عليه يحيى، وسجنه بمالقة إلى أن مات خنقاً. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص١٧٥. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص١٣٦.

(٢) يحيى بن علي بن حمود «المعتلي الحمودي» (٣٨٥ - ٤٢٧هـ/ ٩٩٥ - ١٠٣٥م): من ملوك الدولة الحمّودية، ممن صار إليهم الملك في الأندلس بعد الأمويين. نشأ في دولة أبيه في قرطبة، وتوفي أبوه سنة ٤٠٨هـ، فبايع الناس لعمه القاسم، فأقام يحيى بمالقة يتربص الفرص، فبلغه سنة ٤١٢هـ أن عمه سار إلى إشبيلية، فخالفه يحيى في الطريق، ودخل قرطبة، فدعا الناس إليه، فبايعوه، وتلقب «المعتلي بالله»، وعاد القاسم، فاحتل قرطبة سنة ٤١٣هـ، وخرج يحيى إلى مالقة، ومنها إلى الجزيرة الخضراء، فغلب عليها، وحدثت أمور انتهت بعودة الملك إليه بمالقة سنة ٤١٥هـ، وضم إليها قرطبة سنة ٤١٦هـ، ثم أخذت منه قرطبة، ولم ترجع بعد ذلك لأحد من بني حمود. وانحصر ملكه بمالقة وشريش والمدية وسبتة. طمع بإشبيلية، فجهز القاضي محمد بن إسماعيل (ابن عباد) جيشاً خرج من إشبيلية، وفاجأ أسوار قرمونة، ليلاً، ونهض يحيى بن حمود على غير أهبة، قيل: وهو سكران، فاندفع إلى خارج السور في نحو ثلاثمائة من فرسانه، فنشبت المعركة، وكان المهاجمون قد أعدّوا كميناً قرب السور، فبرز الكمين ويحيى يقاتل في مقدمة رجاله، وأحاطت به الجموع، فصُرع، وحُزّ رأسه، وأُرسل إلى ابن عباد في إشبيلية. وكان آل عباد يحفظون رؤوس العظماء من قتلى أعدائهم، فلما ذهبت دولتهم، أخرجت تلك الرؤوس، فوجد فيها رأس يحيى بن حمود، غير متغيّر، فأخذه بعض أحفاده، ودفنوه. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٨، ص١٥٧. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص١٣٧.

وغلب ابن أخيه الثاني إدريس على طنجة[١]، وهي عدّة القاسم، يلجأ إليها إذا خاف أمراً، واجتمع البربر على تقديم يحيى بن علي بن حمّود، فقدّموه، فحاصر عمه حتى أخذه أسيراً عنده وعند أخيه إدريس.

ثم قتل القاسم في ولاية إدريس، وكانت ولاية يحيى في سنة ثلاث عشرة وأربعمائة.

ثم إنه خرج ذات يوم إلى جبل ظهرت، وهو سكران، فقتلوه، وكانت ولايته نحواً من سنة.

ولم يكن له ولد، فقدموا عبد الرحمٰن بن هشام[٢]، أخو محمد المهدي، وعادت دعوة بني أمية كما كانت، وعاد الملك إليهم، وكانت مدّة خروجه عنهم إلى الفاطميين سبع سنين وثمانية أشهر وأياماً، وذلك في شهر المحرم سنة أربع عشرة وأربعمائة.

ثم قام عليه محمد بن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن عبد الرحمٰن الناصر[٣]،

---

(١) طنجة: بلد على ساحل المغرب بين البحر الموسط والمحيط الأطلسي، مقابل الجزيرة الخضراء، قال ابن حوقل: طنجة مدينة أزلية، آثارها ظاهرة، بناؤها بالحجارة، قائمة على البحر. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٤، ص٤٣.

(٢) عبد الرحمٰن بن هشام «المستظهر بالله» (٣٩٢-٤١٤هـ/ ١٠٠٢-١٠٢٤م): أبو المطرف المستظهر بالله، أحد من ولي إمارة قرطبة في أيام ضعف الدولة الأموية في الأندلس. بويع بالخلافة سنة ٤١٤هـ، وثار عليه محمد بن عبد الرحمٰن الناصر مع طائفة من الغوغاء، فقتلوه بعد ٤٧ يوماً من ولايته، لم ينتظم له فيها الأمر، ولا تجاوزت دعوته قرطبة، قال مؤرخوه: كان عفيفاً رقيق النفس، حسن الفهم والعلم، أديباً يجيد الشعر، ختم به أهل بيته. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٣٤١. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٣٤٧.

(٣) محمد بن عبد الرحمٰن «المستكفي» (٣٦٦-٤١٦هـ/ ٩٧٦-١٠٢٥م): محمد بن عبد الرحمٰن بن عبيد الله بن ناصر الأموي، أبو عبد الرحمٰن المستكفي بالله، صاحب قرطبة، من ملوك الأمويين في الأندلس. ثار بطائفة من الغوغاء على سلفه المستظهر بالله، فقتلوه، وتولى الأمر بعده سنة ٤١٤هـ، وساءت سياسته. وأقام ١٧ شهر. وعلم أهل قرطبة بزحف يحيى بن علي الحمودي عليهم من مالقة، فدخلوا على المستكفي، وخلعوه وأخرجوه إلى ظاهر المدينة، فلحق بالثغور، وتوفي مقتولاً أو مسموماً في قرية شمنت، وقيل: بأقليش. قال ابن حزم: كان المستكفي في نهاية الضعة والسقوط والضعف والتأخر. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٦، ص١٩٠-١٩١. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٣٩٧.

وتلقب بالمستكفي مع طائفة من أراذل العوام، فقتل عبد الرحمٰن بن هشام.

ثم ولي محمد بن عبد الرحمٰن المستكفي، فكان مغلوباً لا ينفذ له أمر، ومات مسموماً سنة ثماني عشرة وأربعمائة.

ثم وُلي من بعده هشام بن محمد المعتدّ بن عبد الملك بن عبد الرحمٰن[(١)] في شهر ربيع الأول سنة ثماني عشرة وأربعمائة، ثم تغلّب عليه الجند وخلعوه.

وانقطعت دعوة بني أميّة، واستولى كل رئيس على ناحية، إلى أن ظهر يوسف بن تاشفين[(٢)]، فملك العدوتين وأطاعته الناس كلها، وتسمى بأمير

---

(١) هشام بن محمد «المعتدّ بالله» (٣٦٤-٤٢٨هـ/ ٩٧٤-١٠٣٦م): هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمٰن الناصر، أبو بكر، المتعدّ بالله، آخر ملوك بني أمية بالأندلس. كان مقيماً في حصن «ألبونت» من ثغور قرطبة. وبويع بالخلافة بعد وفاة المستكفي بالله سنة ٤١٨هـ، فكان يخطب له في قرطبة، وهو بأليونت (عند عبد الله بن قاسم الفهري) وتنقل في بعض الثغور، والفتن قائمة في البلاد، لا قدرة له على قمعها. دخل قرطبة أواخر سنة ٤٢٠هـ، فأقام قليلاً، وثارت به طائفة من الجند، فخلعوه من قصره هو ونساؤه وخدمه سنة ٤٢٢هـ، فلجأ إلى جامع قرطبة بمن معه، وأقام أياماً يعطف عليه الناس بالطعام والشراب. ثم أُخرج من قرطبة، ونودي فيها وفي أراضيها: «لا يبقى أحد من بني أمية ولا كنفهم أحد»، فقصد الثغور، ولحق بابن هود (المستعين بالله سليمان بن محمد صاحب تطيلة وسرقسطة ولاردة وطرطوشة) فأقام عنده إلى أن مات عقيماً في جهة لاردة. وانقرضت به الدولة الأموية في الأندلس. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٨، ص٨٨. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٥٤٢.

(٢) يوسف بن تاشفين (٤١٠-٥٠٠هـ/ ١٠١٩-١١٠٦م): يوسف بن تاشفين بن إبراهيم المصالي الصنهاجي اللمتوني الحميري، أبو يعقوب، أمير المسلمين، وملك الملثمين، سلطان المغرب الأقصى، وباني مدينة مراكش، وأول من دُعي أمير المسلمين. ولد في صحراء المغرب، وولاه ابن عمه أبو بكر بن عمر اللمتوني إمارة البربر، وبايعه أشياخ المرابطين، استولى على مدينة فاس، وغزا الأندلس، فصالحه ملوكها على الطاعة له. وكتب إليه المعتمد بن عباد من إشبيليا سنة ٤٧٥هـ يستنجده على قتال الفرنج، فانتصر عليهم في معركة الزلاقة المشهورة سنة ٤٧٩هـ، وبايعه من شهدها من ملوك الأندلس وأمرائها، وكانوا ثلاثة عشر ملكاً، فسلموا عليه بأمير المسلمين، وضرب السكة. وعاد إلى مراكش، وهو على اتصال بإشبيلية وغيرها. ثم سير الجيوش إلى الأندلس، ودخل غرناطة نفسها، فامتلكها، وأخذ عبد الله بن بلكين (آخر الصنهاجيين) معه إلى مراكش. وملك الأندلس، وشمل سلطانه المغربين الأقصى والأوسط. توفي بمراكش سنة ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٨، ص٢٢٢. وانظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان، ج٧، ص١١٢.

المؤمنين[١]، ودعا لبني العباس، وخطب لهم على المنابر في جميع (٣٦١) أقطار الأندلس، فكان حسن السيرة، كثير التواضع، وكّل أمره إلى الفقهاء والقضاة، لا يقطع رأياً ولا يبت أمراً إلّا بحضرتهم، وكان ذا دين وعفاف.

ثم تولى من بعده ابنه (علي بن يوسف بن)[٢] تاشفين[٣]، ثم قام عليه محمد بن تومرت[٤]، فاستنفذ خلقاً كثيراً، وكثر أتباعه، وحارب علي بن

(١) والصحيح أنه تسمى أمير المسلمين بعد مبايعة ملوك الطوائف في الأندلس له بعد معركة الزلاقة المشهورة.

(٢) وقع مؤلف المخطوطة بخطأ علمي، حيث ذكر أن تاشفين تولى الحكم بعد أبيه يوسف بن تاشفين. والصحيح هو أن ابنه علي بن يوسف بن تاشفين هو الذي تولى الحكم من بعد وفاة أبيه سنة ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م.

(٣) علي بن يوسف بن تاشفين (٤٧٧ - ٥٣٧هـ/ ١٠٨٤ - ١١٤٣م): علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني، أبو الحسن، أمير المسلمين بمراكش، وثاني ملوك دولة الملثمين المرابطين. ولد بسبتة. وبويع بعد وفاة أبيه سنة ٥٠٠هـ بعهد منه بمراكش. فسلك طريقة أبيه في جميع أموره. كان حليماً، وقوراً، صالحاً، عادلاً. عبر إلى الأندلس سنة ٥٠٣هـ بجيوش تزيد على مئة ألف فارس، فانتهى إلى قرطبة، ثم فتح طلاموت ومجريط ووادي الحجارة و٢٧ حصناً من أعمال طليطلة، وعاد. وفي عهده ظهر محمد بن عبدالله الملقب بالمهدي (ابن تومرت) فعجز علي عن دفع فتنته، واضطربت أموره، فمات في مراكش، ولم يشهر خبر موته إلّا بعد ثلاثة أشهر منه. ومدّة خلافته ٣٦ سنة و٧ أشهر. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص٣٣. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص١٢٤.

(٤) محمد بن تومرت (٤٨٥ - ٥٢٤هـ/ ١٠٩٢ - ١١٣٠م): محمد بن عبدالله بن تومرت المصمودي البربري، أبو عبدالله، الملقب بالمهدي، ويقال له: مهدي الموحدين، صاحب دعوة السلطان عبدالمؤمن بن علي ملك المغرب، وواضع أسس الدولة المؤمنية الكومية. وهو من قبيلة «هرغة» من «المصامدة» من قبائل جبل السوس بالمغرب الأقصى. وتنسب «هزغة» إلى الحسن بن علي. ولد ابن تومرت ونشأ في قبيلته، ورحل إلى الشرق سنة ٥٠٠هـ لطلب العلم، فانتهى إلى العراق، وحجّ، وأقام بمكة زمناً، واشتهر بالورع والشدّة في النهي عما يخالف الشرع، فتعصب عليه جماعة بمكة، فخرج إلى مصر، فطردته حكومتها، فعاد إلى المغرب، ونزل بالمهدية، ثم انتقل إلى بجاية، فأُخرج منها إلى قرية «ملالة»، حيث التقى فيها بعبد مؤمن بن علي القيسي الكومي الذي بدأ يدعو له، واتخذ أنصاراً رحل بهم على مراكش، فحضر مجلس علي بن يوسف بن تاشفين، فأنكر عليه ابن تومرت بدعاً ومنكرات. وخرج إلى موضع حصين من جبال «تينمل»، وحرّض السكان على عصيان ابن تاشفين، لكنه سرعان ما توفي، فتولى إدارة الدعوة من بعده عبدالمؤمن بن علي. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٦، ص٢٢٨ - ٢٢٩. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٥٣٩.

يوسف بن تاشفين، ومات محمد بن تومرت، فاستخلف ابن علي الكومي[(١)]، فتسمى بأمير المؤمنين، وخطب لنفسه، وقتل (إبراهيم بن)[(٢)] تاشفين[(٣)]، وانقطعت الدولة العباسية.

وكانت إقامة المرابطين ستين سنة، وملكها عبد المؤمن، ودانت له، وملك بلاد بني حماد، والقلعة وأعمالها، بلا حرب ولا قتال، وملك إفريقية جميعها، ثم توفي عبد المؤمن، وكانت وفاته في السابع والعشرين من جمادى الأخرى سنة ثمان وخمسين وخمسمائة.

---

(١) ابن علي الكومي (٤٨٧ - ٥٥٨هـ/ ١٠٩٤ - ١١٦٣م): عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلى بن مروان، أبو محمد الكومي، أمير المؤمنين، مؤسس دولة الموحدين المؤمنية في المغرب وإفريقية وتونس. نسبته إلى كومية من قبائل البربر، ولد في مدينة تاجرت بالمغرب (قرب تلمسان) ونشأ فيها طالب علم، وحج والتقى ابن تومرت، وتصادقا، وانتهى الأمر بأن ولي ابن تومرت ملك المغرب الأقصى، فجعل عبد المؤمن قائد جيشه، ولما توفي ابن تومرت سنة ٥٢٤هـ اتفق أصحابه على خلافة عبد المؤمن، ودعي أمير المؤمنين، وقاتل الملثمين (بني تاشفين) فاستأصلهم، وقتل آخرهم إبراهيم بن تاشفين، ودخل مراكش سنة ٥٤١هـ. كان عاقلاً حازماً شجاعاً موفقاً، محباً للغزو والفتوح، خضع له المغربان (الأقصى والأوسط) واستولى على إشبيلية وغرناطة وطرابلس. توفي في «رباط سلا» في طريقه إلى الأندلس مجاهداً، ونقل إلى تينمل فدفن فيها إلى جانب قبر ابن تومرت. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص ١٧٠. وانظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان، ج٣، ص ٢٣٧ ـ ٢٤١.

(٢) وقع مؤلف المخطوطة بخطأ علمي، حيث ذكر أن عبد المؤمن بن علي قتل تاشفين، والصحيح أنه قتل إبراهيم بن تاشفين المدوّنة ترجمته أدناه.

(٣) إبراهيم بن تاشفين: إبراهيم بن تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني الحميري، أمير المسلمين، أبو إسحاق، آخر ملوك دولة المرابطين، ويقال لهم: «الملثمون» بمراكش. كان مع أبيه في قتال الموحدين (رجال عبد المؤمن بن علي) في وهران، ووجهه أبوه إلى مراكش، بعد أن ولاه عهده، وقتل أبوه بعد شهر، فبويع له في مراكش سنة ٥٣٩هـ والدولة في اضطراب واندحار، وقد واصل عبد المؤمن زحفه من وهران إلى تلمسان إلى فاس فمراكش، ودافع أصحاب إبراهيم أشد الدفاع، فلم ينفعهم، فأخذ إبراهيم ومن بقي معه إلى موضع يسمى «جبل الجليز»، فلما عرضوا على عبد المؤمن أدركته شفقته على إبراهيم لصغر سنه، وكاد أن يأمر بسجنه، فقال له أحد رجاله: «أتحب أن تربي فرخ سبع»؟ فأمر بقتله ومن معه جميعاً. وبموته انقرض ملك «أهل اللثام» المسمين بالملثمين أو «المرابطين» وكانت مدتهم ٩٠ سنة وبالأندلس ٥٦ سنة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج١، ص ٣٤.

وولي ابنه محمد، فاضطرب أمره، واجتمعوا على خلعه في شهر شعبان من هذه السنة المذكورة.

وولوا أخاه أبا يعقوب يوسف[1]، فاستعلى أمره، وحسن نظره، ودانت له جزيرة الأندلس، وانتظمت في ملكه.

تمّت أخبار بني أمية بالشام والأندلس، وما اتصل بها من أخبار من ملك الأندلس من غيرهم.

١ ـ يوسف بن عبد المؤمن بن علي (٥٣٣ - ٥٨٠هـ/ ١١٣٨ - ١١٨٤م): يوسف بن عبد المؤمن بن علي القيسي الكيومي، أبو يعقوب، أمير المؤمنين، من ملوك دولة الموحدين بمراكش، مولده في تينمل، وبويع له وهو في إشبيلية بعد وفاة أبيه سنة ٥٥٨هـ، ثم بويع البيعة العامة في مراكش سنة ٥٦٠هـ، وحسنت سيرته. كان شجاعاً حازماً، عارفاً بسياسة رعيته، له علم الفقه، كثير الميل إلى الحكمة والفلسفة. بنى مسجد إشبيلية سنة ٥٦٧هـ، وإليه تنسب الدنانير «اليوسفية» في المغرب. له فتوحات انتهى بها إلى شنترين، وهو محاصر لها، أصيب بجراحة من حامية الفرنج، فأراد الرجوع إلى المغرب، فمات قرب الجزيرة الخضراء، فحمل إلى تينمل، ودفن بها إلى جانب قبر أبيه. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٨، ص ٢٤١ وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص ٩٨.

فصل في ذكر الدولة العباسية

قال المؤلف: قد قضى ذكر الدولة الأموية بالمشرق والمغرب، ونذكر الآن الدولة العباسية، فأولهم أبو العباس السفّاح[1]، ويكنى أبو أيوب عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، بويع له بالكوفة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة إثنتين وثلاثين ومائة، وتوفي في يوم الأحد سنة ست وثلاثين ومائة، وهو ابن إثنتين وثلاثين سنة ونصف، وكانت ولايته أربع سنين وتسعة أشهر.

ثم وُلي أبو جعفر المنصور عبد الله، قيل: إنه كان حازماً في الرأي، وكان يغيّر شيبه في كل شهر بألف مثقال من المسك، وأمر بتوسعة المسجد الحرام من ناحية باب الندوة سنة تسع وثلاثين ومائة، وبنى مسجد الحفيف.

وفي أيامه مات أبو حنيفة النعمان بن ثابت سنة خمس وأربعين ومائة، وهو ابن تسعين سنة، وقيل: سبعين سنة.

وتوفي أبو جعفر عند بئر ميمون، وهو محرم بالحج يوم السادس من شهر الحج سنة ثمانٍ وخمسين ومائة، ودفم بالحجون، وهو ابن ثلاث وستين سنة إلّا سبعة أيام.

---

(١) أبو العباس السفاح: عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب (١٠٤ - ١٣٦هـ/ ٧٢٢ - ٧٥٤م): أبو العباس، أول خلفاء الدولة العباسية، وأحد الجبارين الدهاة من ملوك العرب. ولد ونشأ بالحميمة (بين الشام والمدينة). بويع له بالخلافة جهراً في الكوفة سنة ١٣٢هـ، وصفا له الملك بعد مقتل مروان بن محمد (آخر ملوك الأمويين في الشام). تتبع بقايا الأمويين بالقتل والصليب والإحراق حتى لم يبقَ منهم إلّا الأطفال والفارين إلى الأندلس. ولقب بالسفاح لكثرة ما سفح من دمائهم. وكانت إقامته بالأنبار، حيث بنى مدينة سماها «الهاشمية»، وجعلها مقرّ خلافته. وهو أول من أحدث الوزارة في الإسلام. كان سخيّاً جداً. يوصف بالفصاحة والعلم والأدب. مرض بالجدري، فتوفي شاباً بالأنبار سنة ١٣٦هـ/ ٧٥٤م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص١١٦. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٦، ص٧٧.

ثم وُلي من بعده المهدي أبو عبد الله محمد بن عبد الله[1]، بويع له يوم السبت لست خلون من الحج من سنة ثمانٍ وخمسين ومائة، فكان كثير التولية والعزل بغير سبب. وزاد في المسجد الحرام، وبنى العلمين اللذين يسعى بينهما، وتوفي في شهر المحرّم سنة سبع وستين (٣٦٢) ومائة، وكانت خلافته عشر سنين وشهراً ونصف شهر.

ثم وُلي الهادي أبو محمد موسى بن محمد[2]، بويع له يوم مات أبوه، وتوفي ليلة الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة سبعين ومائة، وكانت خلافته سنة وشهر وأربعة عشر يوماً.

وولي من بعده الرشيد أبو محمد، وقيل: أبو جعفر هارون بن محمد المهدي[3]، بويع له يوم مات أخوه، وكان ينزل ببغداد، وتوفي ليلة السبت

---

(١) محمد المهدي (١٢٧ - ١٦٩هـ/ ٧٤٤ - ٧٨٥م): محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي العباسي، أبو عبد الله، المهدي بالله من خلفاء الدولة العباسية. ولد بإيذج (من كور الأهواز) وولي بعد وفاة أبيه وبعهد منه سنة ١٥٨هـ، وأقام في الخلافة عشر سنين وشهراً، ومات في ماسبذان صريعاً عن دابته في الصيد، وقيل مسموماً. كان يجلس للمظالم، ويقول: أدخلوا عليّ القضاة، فلو لم يكن ردّي للمظالم إلّا حياءً منهم لكفى. وهو أول من مُشي بين يديه بالسيوف المصلتة والقسي والنشاب والعمد، وأول من لعب بالصوالجة في الإسلام، وهو أول من بنى جامع الرصافة، وتربته بها، وانمحى أثر الجامع والتربة بعد ذلك. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٦، ص ٢٢١. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٧، ص ٤٠٠.

(٢) موس بن محمد الهادي (١٤٤ - ١٧٠هـ/ ٧٦١ - ٧٨٦م): موسى بن محمد (المهدي) بن أبي جعفر المنصور، أبو محمد، من خلفاء الدولة العباسية ببغداد. ولد بالريّ، وولي بعد وفاة أبيه سنة ١٦٩هـ، وكان غائباً بجرجان، فأقام أخوه الرشيد بيعته. واستبدّت أمه الخيزران بالأمر، وأراد خلع أخيه هارون الرشيد من ولاية العهد، وجعلها لابنه جعفر، فلم ترَ أمه ذلك، فزجرها، فأمرت جواريها أن يقتلنه، فخنقنهُ، ودفن في بستانه بعيسى آباد. ومدّة خلافته سنة وثلاثة أشهر. كان طويلاً جسيماً أبيض، في شفته العليا تقلص، شجاعاً جواداً، له معرفة بالأدب. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٧، ص ٣٢٧. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٧، ص ٤٤١.

(٣) هارون الرشيد (١٤٩ - ١٩٣/ ٧٦٦ - ٨٠٩م): هارون بن محمد (المهدي) بن المنصور العباسي، أبو جعفر، خامس خلفاء بني العباس في العراق وأشهرهم. ولد بالري لمّا كان أبوه أميراً على خراسان، ونشأ في دار الخلافة ببغداد. ولاه أبوه غزو الروم في القسطنطينية. بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الهادي =

لثلاث خلون من جمادى الأخرى سنة ثلاث وتسعين ومائة، وهو ابن خمس وأربعين سنة وخمسة أشهر، وقيل: أربع وخمسين وأربعة أشهر، وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وشهراً وتسعة عشر يوماً.

ثم ولي من بعده أبو عبد الله، وقيل: أبو موسى، وقيل: العباس محمد الأمين بن هارون، بويع له يوم مات أبوه، وهو ابن تسع وعشرين سنة وثلاثة أشهر، وكانت ولايته أربع سنين وسبعة أشهر وثمانية عشر يوماً، قيل: إنه كان سمحاً بالمال، قبيح السيرة سفّاكاً للدماء، حارب أخاه.

ثم ولي من بعده عبد الله المأمون[1]، بويع له يوم الأحد لخمس بقين من المحرّم سنة ثمانٍ وتسعين ومائة، وكانت خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر.

وفي أيامه مات محمد بن إدريس الشافعي بمصر سنة أربع ومائتين، وهو ابن أربع وخمسين سنة.

وفي سنة ثمانٍ ومائتين أظهر المأمون القول بخلق القرآن، وأن علي بن أبي طالب أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ، وردّ فدكاً على ولد فاطمة.

= سنة ١٧٠هـ فقام بأعبائها وازدهرت الدولة في عهده. كان عالماً بالأدب وأخبار العرب، فصيحاً له شعر، حازماً كريماً، ولم يجتمع على باب خليفة ما اجتمع على بابه من العلماء والشعراء والكتّاب والندماء. وهو صاحب نكبة البرامكة. أخباره كثيرة جداً. توفي في «سناباذ» من قرى طوس، وبها قبره. ولايته ٢٣ سنة وشهران وأيام. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٨، ص ٦٢. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٩، ص ٢٨٦.

(١) عبد الله المأمون (١٧٠ - ٢١٨هـ/ ٧٨٦ - ٨٣٣م): عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، أبو العباس، سابع الخلفاء من العباس، وأحد أعظم الملوك في سيرته وعلمه وسعة ملكه. ولي الخلافة بعد خلع أخيه الأمين سنة ١٩٨هـ. قامت دار الحكمة في أيامه، وقرّب العلماء والفقهاء والمحدثين والمتكلمين وأهل اللغة والأخبار والمعرفة بالشعر والأدب والأنساب. أخباره كثيرة، توفي «بذندون» ودفن في طرسوس. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص ١٤٢. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص ٢٧٢.

ومات غازياً بالروم لثمانٍ خلون من رجب سنة ثماني عشرة ومائتين، وهو ابن ثمانٍ وأربعين سنة، وقيل: تسع وأربعين، ودفن بطرسوس[١].

ثم ولي من بعده المعتصم، وهو أبو إسحاق محمد بن هارون[٢]، بويع له يوم مات المأمون بطرسوس، ثم قدم إلى بغداد، وولي وهو ابن ثماني وأربعين سنة، كان قوي البدن، قيل: إنه يحمل ألف رطل ويمشي بها خطوات، وكان شجاعاً، فتح عمورية سنة ثلاث وعشرين ومائتين، وكانت خلافته ثماني سنين وثمانية أشهر.

ثم ولي من بعده الواثق بالله أبو جعفر هارون بن المعتصم بن الرشيد[٣]، بويع له يوم الخميس لثماني عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين،

---

(١) طرسوس: مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم، سميت بطرسوس بن الروم بن اليفز بن سام بن نوح. عليها سوران وخندق واسع، ولها ستة أبواب، ويشقها نهر البردان، وبها قبر المأمون العباسي جاءها غازياً وأدركته منيته، فمات، قال الشاعر:

هل رأيت النجوم أغنت عن المأ ... مون في عز ملكه المأسوسِ

غادروه بعرصتي طرسوس ... مثل ما غادروا أباه بطوسِ

انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٤، ص٢٨.

(٢) محمد بن هارون المعتصم (١٧٩ - ٢٢٧هـ/ ٧٩٥ - ٨٤١م): محمد بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، أبو إسحاق، المعتصم العباسي، ثامن خلفاء الدولة العباسية. بويع بالخلافة سنة ٢١٨هـ يوم وفاة أخيه المأمون، وبعهد منه، وكان بطرسوس، وعاد إلى بغداد بعد سبعة أسابيع. كان قوي الساعد، يكسر زند الرجل بين إصبعيه، ولا تعمل في جسمه الأسنان. كره التعليم في صغره، فنشأ ضعيف القراءة، يكاد يكون أمياً. فاتح عمورية، وباني سامراء سنة ٢٢٢هـ. توفي بسامراء سنة ٢٢٧هـ وعمره ٤٨ سنة، خلافته ٨ سنين و٨ أشهر. كان أبيض أصهب حسن الجسم مربوعاً طويل اللحية. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٧، ص١٢٧ - ١٢٨. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٢٩٠.

(٣) هارون بن المعتصم بن الرشيد (٢٠٠ - ٢٣٢هـ/ ٨١٥ - ٨٤٧م): هارون (الواثق بالله) بن محمد (المعتصم بالله) بن هارون الرشيد العباسي، أبو جعفر، تاسع خلفاء الدولة العباسية. ولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٢٢٧هـ. شغل نفسه بمحنة الناس في الدين، فأفسد قلوبهم، وامتحنهم بخلق القرآن، وسجن جماعة، وقتل في ذلك أحمد بن نصر الخزاعي بيده سنة ٢٣١هـ. مات بعلة الاستسقاء بسامراء سنة ٢٣٢هـ. كان مسرفاً في حب النساء، ووصف له دواء للتقوية، فمرض منه، وعولج بالنار، فمات محترقاً. وخلافته خمس سنين وتسعة أيام. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٨، ص٦٢ - ٦٣. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٣٠٦.

وتوفي يوم الأربعاء لستٍ بقين من ذي الحجة سنة إثنتين وثلاثين ومائتين، وكانت ولايته خمس سنين وتسعة أشهر وستة أيام، وكان يذهب إلى مذهب المأمون، وكان يشغل نفسه (٣٦٢) بامتحان الناس في الدين، فأفسد قلوبهم، وكان يعاقب من امتنع عن القول بخلق القرآن، وكان له وزير يقال له: أحمد بن أبي داود[(١)]، يناظر الفقهاء والعلماء في خلق القرآن، وقد سعى في حبسهم وتنكيلهم وسفك دمائهم وإخراجهم من أوطانهم، حتى أوتي بشيخ من أهل أذنة من الشام مقيداً من أجل محنة، وهو جميل الوجه، تام القامة، حسن الشيبة، فلما رآه الخليفة استحى منه، ورقّ له، فما زال يدنيه ويقربه منه حتى قرب الشيخ، فسلّم على الخليفة، فأحسن، ودعا، فأبلغ، وقال، فأوجز، ثم قال له الخليفة: ناظر ابن أبي داود فيما يناظرك إليه. قال: إنه يعجز ويضعف عن المناظرة، فغضب الخليفة، وصار مكان الرقّة غضباً، فلما رأى الشيخ غضب الخليفة، قال له: هوّن ما بك، وأذن لابن أبي داود في المناظرة، واحفظ عليه وعليَّ ما نقول. فقال الخليفة: ما دعوتك إلّا للمناظرة. فقال الشيخ: يا أحمد أسألك عن مقالتك هذه أهي واجبة داخلة في الدين، فلا يكمل الدين لأحد حتى يقول بها؟ قال: نعم.

قال الشيخ: يا أحمد، أخبرني عن الرسول حين بعثه الله رسولاً لعباده، هل ستر عليهم شيئاً مما أمر الله به في أمر دينهم؟ قال: لا.

قال الشيخ: أفدعا رسول الله الأمّة إلى مقالتك هذه؟ فسكت ابن أبي داود.

فقال له الشيخ: تكلم، فسكت.

---

(١) أحمد بن أبي داود (١٦٠ - ٢٤٠هـ/ ٧٧٧ - ٨٥٤م): أحمد بن أبي داود بن جرير بن مالك الإيادي أبو عبد الله، أحد القضاة المشهورين من المعتزلة ورأس فتنة القول بخلق القرآن. قدم به أبوه وهو حدث من قنسرين إلى دمشق، فنشأ فيها، ونبغ، ومنها رحل إلى العراق. وقيل: ولد بالبصرة. كان عارفاً بالأنساب، شديد الدهاء، اتصل بالمأمون، فلما قرب موته أوصى به أخاه المعتصم، فجعله قاضي قضاته، وجعل يشيره في أمور الدولة كلها. ولما مات المعتصم اعتمد الواثق على رأيه. ومات الواثق راضياً عنه. وتولى المتوكل، ففلج ابن أبي داود في أول خلافته، وتوفي مفلوجاً ببغداد. كان جهمياً بغيضاً، حمل الخلفاء على امتحان الناس بخلق القرآن. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج١، ص ١٢٤.

فقال الشيخ للخليفة: هذه واحدة. قال: نعم.

قال الشيخ: يا أحمد، أخبرني عن الله حين أنزل القرآن على رسوله، فقال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣]. أكان الله الصادق في إتمامه أم أنت الصادق في نقصانه حتى يقال فيه بهذه المقالة؟ فسكت. فقال له: أجب، فلم يجب.

فقال الشيخ: إثنتان يا أمير المؤمنين. قال: نعم.

ثم قال الشيخ: يا أحمد، أخبرني عن مقالتك هذه، علمها رسول الله أم جهلها؟ قال: بل علمها: قال: فدعا الناس إليها؟ فسكت أحمد.

فقال الشيخ: ثلاث يا أمير المؤمنين. (قال: ثلاث)[١].

قال الشيخ: فاتسع لرسول الله كما زعمت أنه علمها ولم يطالب أمته بها؟ قال: نعم.

قال الشيخ: واتسع لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ومن بعدهما من الخلائق؟ قال أحمد: نعم.

قال الشيخ: يا أمير المؤمنين: (قد قدّمت القول)[٢] إن ابن أبي داوود يعجز ويضعف عن المناظرة.

فقال الخليفة: إن لم يتسع لنا من الإمساك عن هذه المقالة ما اتسع لرسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما والخلائق من بعدهما، فلا وسّع الله علينا.

ثم أمر بنزع القيد عنه، فنزع، فأخذ الشيخ القيد وجعله في كمّه، (٣٦٤) فسأله الخليفة لما أبردت به؟ قال: نويت أن أوصي أن يجعل بيني وبين كفني إذا متُّ، أخاصم به هذا الظالم يوم القيامة.

ثم إن الخليفة سأله الحل مما صنع به، فأحله.

---

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٣٦٤.

(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٣٦٤.

ثـم قال الخليفة: لي إليـك حاجة، قال: ما هي؟ قال: تقيم معنا ننتفع منك وتنتفع منا.

قـال: إن ردّك إياي إلـى موضعي أنفع لك من مقامتي عندك؛ لأني خلفت أهلي وولدي يدعون عليك، فإذا وصلت إليهم رددت دعاءهم منك.

ثم استأذنه في الخروج، فأذن له، وسقط ابن أبي داود من عين الخليفة، ولم يمتحن بعدها أحداً، ورجع عن قوله: إن القرآن مخلوق، والله أعلم وبه التوفيق.

ثـم ولي مـن بعده المتوكل علـى الله أبو الفضل جعفر بـن المعتصم بن الرشـيد(١)، بويع له في اليوم الذي مات فيه الواثق، وهو ابن إحدى وأربعين سـنة، فرفـع عن النـاس الامتحان في الديـن والجدل، وكانـت خلافته أربع عشرة سنة وسبعة أشهر وتسعة أيام، مات مقتولاً، قتله ولده المنتصر(٢)؛ لأنه قـدّم عليـه أخـاه الزبير، والمعتز، وهو أصغر منه سـنّاً، قيـل: كانت همته في

(١) المتـوكل علـى الله (٢٠٦ – ٢٤٧هـ/ ٨٢١ – ٨٦١م): جعفـر (المتوكل على الله) بـن محمد (المعتصم بالله) بن هارون الرشـيد، أبو الفضل، خليفة عباسـي. ولد ببغداد، وبويع له بعد وفاة أخيه الواثق سـنة ٢٣٢هـ. كان محبـاً للعمـران، من آثـاره «المتوكلية» ببغـداد. أنفق عليها أموالاً كثيرة، وسـكنها. ولما اسـتخلف كتـب إلـى أهل بغداد كتاباً قرئ علـى المنبر بترك الجدل في القرآن. نقـل مقرّ الخلافة من بغداد إلى دمشق، فأقام فيها شهرين، فلم يطب له مناخها، فعاد وأقام في سامراء إلى أن اغتيل فيها ليلاً بإغراء ابنه المنتصر. ولبعض الشـعراء هجاء في المتوكل لهدمة قبر الحسـين وما حوله سـنة ٢٣٦هـ. كثرت الزلازل في أيامه. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص١٢٧. وانظر: الذهبي، شـمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص٣٠.

(٢) المنتصـر العباسـي (٢٢٣ – ٢٤٨هـ/ ٨٣٨ – ٨٦٢م): محمـد (المنتصر بالله) ابـن جعفر (المتوكل على الله) بن المعتصم، أبو جعفر، من خلفاء الدولة العباسية، ولد في السامراء، وبويع بالخلافة بعد أن قتل أباه سـنة ٢٤٧هـ، وفي أيامه قويت سـلطة الغلمان، فحرّضوه على خلع أخويه المعتز والمؤيد (وكانا وليـي عهـده) كان إذا جلـس إلى الناس يتذكـر قتل أبيه، فترعـد فرائصه. قيل: مات مسـموماً بمبضع طبيب. ووفاته بسـامراء، ومدّة خلافته سـتة أشـهر وأيام. وهو أول خليفة من بني العباس عرف قبره، وكانـوا لا يحفلـون بقبور موتاهم، إلّا أن أمه طلبت إظهار قبـره. وكان له خاتمان نقش على أحدهما «محمـد رسـول الله» وعلى الثاني «المنتصر بالله». انظر: الزركلـي، خير الدين: الأعلام، ج٦، ص٧٠. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص٤٢.



تشـييد البنـاء، وقيل: بذل فيـه ثلاثمائة ألف ألف درهـم، وفيه يقول علي بن الجهم[١] شعراً:

فما زلـت أسـمع أن الملـوك ... تبني علـى بعـد أخطارهـا
وأعـلـم أن عـقـول الـرجـال ... تـقـضـي عـلـيـهـا بـآثـارهـا
حصـون تسـافر فيهـا العيـون ... فتحسـر عـن بعـد أقطارهـا
وقـبـة مـلـك كـأن النجوم ... تـقـضـي إلـيـهـا بـأسـرارهـا
إذا أوقـدت نـارهـا بالعراق ... أضـاء الحجـاز سـنا نارهـا
لـهـا شـرفـات كـأن الربيع ... كـسـا الـريـاض بـأنـوارهـا
فهـنّ كمصطلحـات خرجـن ... لفضـح النصـارى بأقطارهـا
فمـن بيـن عاقصـة شـعرهـا ... ومصطلحةٍ عقـد زنّارهـا
تـرد علـى المـزن مـا أنزلـت ... إلى الأرض من صوب مدرارها[٢]

(ولأبي عبادة البحتري)[٣][٤]:

أرى المتوكلية قـد تعالـت ... مصانعهـا وأكملـت التمامـا

---

(١) علي بن الجهم: علي بن الجهم بن بدر بن الجهم بن مسعود بن أسيد بن أذينة بن كرار بن كعب بن جابر بن مالـك بـن عتبـة بن جابـر بن الحارث بن قطن بن مدلـج بن قطن بن أحزم بن ذهل بـن عمرو بن مالك بن عبيدة بن الحارث بن سـامة بن لؤي بن غالب القرشـي السـامي، الشاعر المشهور، أحد الشعراء المجيدين، كان جيد الشعر عالماً بفنونه. كانت بينه وبين أبي تمام مودة أكيدة، وإليه كتب أبو تمام الأبيات التي أولها:

هـي فرقـة مـن صاحـب لـك ماجـد ... فغـدا إراقـة كلِّ دمـع جامـدِ

ويوان شعره صغير، وله أشياء حسنة، انظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٣٥٥ ـ ٣٥٨.

(٢) انظر القصيدة في: ديوان علي بن الجهم، ص ٢٤..

(٣) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٣٦٤.

(٤) أبو عبـادة البحتري (٢٠٦ ـ ٢٨٤هـ/ ٨٢١ ـ ٨٩٨م): الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي، أبو عبادة البحتري، شاعر كبير، وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أبناء عصرهم: المتنبي، وأبو تمام، والبحتري. ولد بمنبج، ورحل إلى العراق، فاتصل بجماعة من الخلفاء، أولهم المتوكل العباسـي، ثم عاد إلى الشـام، وتوفي بمنبج. له ديوان شـعر مطبوع، وكتاب الحماسـة على مثال حماسـة أبي تمام. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٨، ص ١٢١. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص ٤٨٦.

قصـور كالكواكـب لامعـات تكاد تضئـن للسـاري الظلاما[١]

(٣٦٥) ثم وُلي من بعد المنتصر بالله أبو جعفر محمد بن جعفر المتوكل، وهو ولده الذي قتله، بويع له لأربع خلون من شهر شوال سنة سبع وأربعين ومائتين، فأهان أخويه وأخافهما، ثم إنه احتجم، فجعل الحجام سمّاً في المحاجم، فمات مسموماً، وكانت خلافته ستة أشهر.

ثم وُلي من بعده المستعين بالله أبو العباس أحمد بن محمد بن المعتصم بالله ابن الرشيد[٢]، بويع له يوم الاثنين لأربع خلون من ربيع الآخر سنة ثماني وأربعين ومائتين. قيل: إنه كان فيه لين وانقياد لأتباعه، مهملاً أموره، شديد الخوف على نفسه، حاربه المعتز[٣] سنة ببغداد، فاشتد عليه الحصار، فخلع نفسه لأربع خلون من الحرم سنة إثنتين وخمسين ومائتين، وأمنه المعتز،

---

(١) بعد العودة إلى ديوان البحتري تبين أن البيتين غير موجودين فيه.

(٢) المستعين بالله العباسي (٢١٩ - ٢٥٢هـ/ ٧٣٤ - ٨٦٦م): أحمد بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد، أبو العباس، والمستعين بالله، من خلفاء الدولة العباسية. ولد في سامراء، وكانت إقامته فيها، وبويع بها بعد وفاة المنتصر سنة ٢٤٨هـ. وهارون. وكان المتحكم في الدولة في عهده «أتامش» التركي ورجاله، فثارت عصبة من الأتراك والموالي على أتامش، وقتلوه بموافقة المستعين سنة ٢٤٩هـ. انتقل إلى بغداد، فغضب القواد، وطلبوا عودته إلى سامراء، فامتنع، فنادوا بخلعه، واتصلوا بالمعتز، وكان سجيناً في سامراء، فأطلقوه، وبايعوه، فزحفوا لقتال المستعين ببغداد، فخلع نفسه، واستسلم للمعتز، ورحل إلى واسط بأمه وأهله، ونقله المعتز إلى القاطول، وسُلّم إلى حاجب يدعى سعيد بن صالح، فضربه حتى مات سنة ٢٥٢هـ/ ٨٦٦م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج١، ص ٢٠٤. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص ٤٦.

(٣) المعتز العباسي (٢٣٢ - ٢٥٥هـ/ ٨٤٦ - ٨٦٩م): محمد (المعتز بالله) بن جعفر (المتوكل بالله) بن المعتصم، خليفة عباسي، (هو أخو المنتصر بالله) ولد في سامراء، وعقد له أبوه البيعة بولاية العهد سنة ٢٣٥هـ، وأقطعه خراسان وطبرستان وأرمينية وأذربيجان وكورفارس. ثم أضاف إليه خزن الأموال من كل الآفاق. ولما ولي المستعين سنة ٢٤٨هـ سجن المعتز، فاستمر إلى أن أخرجه الأتراك بعد ثورتهم على المستعين، وبايعوا له سنة ٢٥١هـ. قيل: اسمه «الزبير»، وقيل: «طلحة» كان فصيحاً، فيه أدب وكفاية، فلم ينفعه ذلك لقرب قرناء السوء منه، فخُلع، وما زال يعذب بالضرب حتى مات في سامراء. وقيل: أُدخل في الحمام، فأغلق عليه حتى مات. مدّة خلافته ثلاث سنوات وستة أشهر و١٤ يوماً. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٦، ص ٧٠. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص ٥٣٢.

وأحدره إلى واسط، ثم قتله في آخر شهر رمضان من هذه السنة المذكورة، وهو ابن إحدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر إلّا أياماً، وكانت خلافته ثلاث سنين وتسعة أشهر، واستقام (الأمر)[١] للمعتز ثلاث سنين وسبعة أشهر إلّا أياماً.

ثم وُلي من بعده المهتدي بالله أبو عبد الله محمد بن المهتدي بن هارون الواثق[٢]، بويع له لليلة بقيت من شهر رجب سنة خمس وخمسين ومائتين، وقتل يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين، وهو ابن سبع وثلاثين، وكانت خلافته أربعة عشر شهراً وأياماً.

ثم وُلي المعتمد على الله أبو العباس بن المتوكل[٣]، بويع له يوم قتل المهتدي، وتوفي ليلة الإثنين لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة سبع وسبعين ومائتين، وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وأياماً، ومات وهو ابن خمسين سنة وأياماً، وقيل: إنه مات مسموماً.

وولي المعتضد[٤] بالله أبو العباس أحمد بن طلحة الموفق بن جعفر المتوكل،

---

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٣٦٥.

(٢) المهتدي العباسي (٢٢٢ - ٢٥٦هـ/ ٨٣٧ - ٨٧٠م): محمد بن هارون الواثق ابن محمد المعتصم بن هارون الرشيد، أبو عبد الله، المهتدي بالله، العباسي، من خلفاء الدولة العباسية. ولد بالقاطول (بسامراء) وبويع له بعد خلع المعتز سنة ٢٥٥هـ، ولم يلبث أن انقض عليه الترك ببغداد، فخرج لقتالهم، فتفرق عنه جنده، وانضموا إلى جانب بني جلدتهم من الأتراك، وبقيت معه جماعة يسيرة من أنصاره، فانهزم، وأصيب بطعنة مات على أثرها، مدة خلافته أحد عشر شهراً وأيام. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٧، ص١٢٨. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص٥٣٥.

(٣) المعتمد العباسي (٢٢٩ - ٢٧٩هـ/ ٨٤٣ - ٨٩٢م): أحمد بن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم، أبو العباس، المعتمد على الله، خليفة عباسي. ولد بسامراء، وولي الخلافة سنة ٢٥٦هـ بعد مقتل المهتدي بيومين، وطالت أيام ملكه، وكانت مضطربة، فقام ولي عهده أخوه الموفق بالله (طلحة) فضبط الأمور وصلحت الدولة. انتقل إلى بغداد. مات أخوه الموفق سنة ٢٧٨هـ، فأهمل الرعية، ومات مسموماً، وقيل: رمي برصاص مذاب. وكان موته ببغداد، وحمل إلى سامراء، ودفن فيها. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج١، ص١٠٦ - ١٠٧. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص٥٤٠.

(٤) المعتضد العباسي (٢٤٢ - ٢٨٩هـ/ ٨٥٧ - ٩٠٢م): أحمد بن طلحة بن جعفر، أبو العباس =

بويع له يوم مات المعتمد، فكان ضابطاً حازماً في الأمور، ووضع المكوس التي كانت توجد بالحرمين، وتزوج قطر الندى[١]، بنت خمارويه، وأصدقها ألف ألف درهـم، وأظنه هذا مخدوم محمـد بن نور[٢] الذي قتل عزان بن تميم[٣]، وخرّب عُمان، والله أعلم. وكانت خلافته تسع سنين وتسعة أشهر وأياماً.

ثـم ولي مـن بعده المكتفي[٤] بالله أبو محمد علي بن أحمد المعتضد بالله،

= المعتضد بالله ابن الموفق بالله ابن المتوكل، خليفة عباسي، ولد ونشأ ومات في بغداد. كان عون أبيه في خلافة المعتمد، وأظهر بسالة ودراية في حروبه مع الزنج الأعراب وهو في سـن الشـباب. بويع لـه بالخلافـة بعد وفـاة عمه المعتمد سـنة ٢٧٩هـ. وجعل أمر الجند مسـؤولين عن أعمـال أتباعهم، وكان شـجاعاً، ذا عـزم، مهيّباً عند أصحابه، يتقون سـطوته، ويكفّون عن الظلـم خوفاً منه. كان عارفاً بـالأدب موصوفـاً بالحلـم، إلّا في مواضع الشـدّة، مدّة خلافته ٩ سـنوات و٩ أشـهر و١٣ يوماً. كان نقـش خاتمـه: «أحمد يؤمن بالله الواحد». انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج١، ص ١٤٠. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص٤٦٣.

(١) قطـر النـدى: أسـماء بنـت خمارويه بـن أحمد بن طولون. من شـهيرات النسـاء عقلًا وجمـالًا وأدباً. تزوجها المعتضد العباسي سنة ٢٨١هـ، وجهّز لها بجهاز لم يُعمل مثله. توفيت ببغداد، ودفنت بقصر الرصافة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج١، ص ٣٠٥.

(٢) محمد بن نور: والي العباسيين على البحرين، كلفه الخليفة العباسي المعتضد بالقضاء على حكم الإمامة الإباضية الثانية في عُمان، فاحتل عُمان، وقتل الإمام عزان بن تتميم في سمد الشان سنة ٢٨٠هـ.

(٣) عزان بـن تميـم: هـو الإمام الخروصي الأزدي، من أئمة الإباضية في عُمـان، بويع له بعد خلع الإمام راشـد بن النضـر سـنة ٢٧٧هـ، فعزل أكثر ولاة راشـد. زحف عليـه محمد بن نور (عامـل المعتضد العباسي على البحرين) فاستولى على جلفار (رأس الخيمة) وتوام السر بعد قتال شديد، وقصد نزوى وفيها الإمام عزان، وتمكن من الانتصار عليه، فتراجع الإمام إلى سـمد الشـان، فتبعه محمد بن نور، واقتتلا قتالاً شـديداً، وقُتل فيه الإمام عزان، فقطع ابن نور رأسـه، وأرسـله إلى المعتضد العباسـي في بغـداد سـنة ٢٨٠هـ. انظر: الزركلي، خيـر الدين: الأعلام، ج٤، ص٢٢٨. وانظر: السـعدي، فهد بن علي بن هاشل: معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية، ج٢، ص ٣٤٤ ـ ٣٤٥.

(٤) المكتفـي بالله العباسـي (٢٦٣ ـ ٢٩٥هـ/ ٨٧٦ ـ ٩٠٨م): علي (المكتفـي بالله) ابن أحمد المعتضد بن الموفق بـن المتوكل، أبو محمد، من خلفاء الدولة العباسـية في العـراق، كان مقيماً بالرقة، جاءه نعي أبيه المعتضد سـنة ٢٨٩هـ، فبويع بها، وانتقل إلى بغداد، فقام بشـؤون الملك قياماً حسـناً، وظفر في أكثـر مـا كان مـن الوقائع بينه وبيـن الثائرين عليـه. أنفق الأمـوال العظيمة في حـرب القرامطة، حتى أبادهم واسـتأصلهم. وفي أيامه فتحت أنطاكية، وكان الروم قد اسـتولوا عليها. توفي شـاباً ببغداد سنة ٢٩٥هـ/ ٩٠٨م. انظـر: الزركلـي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص٢٥٣. وانظر: الذهبي، شـمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص٤٧٩.

بويع له لسبع بقين من ربيع الآخر سنة سبع وثمانين ومائتين، وتوفي ببغداد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين، وكانت خلافته ست سنين وستة أشهر وعشرين يوماً.

ثم وُلي المقتدر بالله أبو العباس جعفر بن المعتضد، بويع له يوم مات المكتفي بالله، (٣٦٦) وقتل يوم الأربعاء لثلاث بقين من شوال سنة عشرين وثلاثمائة، وهو ابن ثمانٍ وثلاثين سنة وشهر، وكانت خلافته أربعاً وعشرين سنة وأحد عشر شهراً وأربعة وعشرين يوماً، وبويع له وهو ابن ثلاث عشرة سنة وشهرين إلّا أياماً، فكان الوزراء والكتّاب يدبّرون الأمر، وغلب على أمره النساء والخدم، حتى أنه كانت جارية لأمه كانت تجلس للمظالم، وتحضرها القضاة والفقهاء.

وخُلع مرتين: فالمرّة الأولى خلعه الحسين بن أحمد بن حمدان[١]، وجماعة من القوّاد، وبايعوا عبد الله بن المعتز[٢]، فلم يتم له الأمر غير يوم وليلة، وعاد الأمر إلى المقتدر. وأما الخلع الثاني، فإنه أشهد على نفسه بالخلع، وبويع أخوه القاهر، وأقام يومين، ثم عاد الأمر إلى المقتدر إلى أن مات.

---

(١) الحسين بن أحمد بن حمدان: الحسين بن أحمد بن حمدان التغلبي، أمير، من القادة، وهو عم سيف الدولة الحمداني. أرسله المكتفي العباسي على رأس جيش إلى دمشق لقتال الطولونية. واندبه لقتال القرامطة. وولاه المقتدر ديار ربيعة سنة ٢٩٩هـ، وغزا الروم، ففتح حصوناً كثيرة. ثم تغير المقتدر عليه، وقيل: إنه عصاه، فبعث عليه عسكراً اعتقله وحُمل إلى بغداد، فحبس ثم قتل. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص ٢٣٠ – ٢٣١.

(٢) عبد الله بن المعتز (٢٤٧ – ٢٩٦هـ/ ٨٦١ – ٩٠٩م): عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي، أبو العباس، الشاعر المبدع، خليفة يوم وليلة. ولد ببغداد، وأُولع بالأدب، فكان يقصد فصحاء الأعراب، ويأخذ عنهم، وصنف كتباً منها: «الزهر والرياض» و«البديع» و«والدب» و«الجامع في الغناء» و«الجوارح والصيد» و«فصول التماثيل» و«حلى الأخبار» و«أشعار الملوك» و«طبقات الشعراء». وجاءته النكبة من حيث يسعد الناس. آلت الخلافة في أيامه إلى المقتدر العباسي، واستصغره القواد، فخلعوه، وأقبلوا على عبد الله بن المعتز، فلقبوه «المرتضي بالله»، وبايعوه بالخلافة، فأقام يوماً وليلة، ووثب عليه غلمان المقتدر، فخلعوه، وعاد المقتدر، فقبض عليه وسلمه إلى خادم له اسمه مؤنس، فخنقه سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٩م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص ١١٨ – ١١٩. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٤، ص ٤٢.

وفـي أيامـه بطل الحج، وأُخذ الحجر الأسـود، وذلك أن أبا طاهر سـليمان بن الحسـن القرمطي[(١)]، دخل مكة يوم التروية، فقتل الحجاج قتلاً ذريعاً، ورمى القتلى فـي زمـزم، وقلع الحجر الأسـود، وعرّى الكعبة، وقلع بابها، وبقي الحجر الأسـود معهم اثنتين وعشرين سنة إلّا أياماً. وفي أيامه خرجت المغرب من دولة بني العباس.

ثـم وُلـي القاهر بـالله[(٢)]، أبو المنصـور محمد بـن المعتضد، بويـع له يوم الخميس لليلتين بقيتا من شـوال سنة ثلاثمائة وعشرين، وخلع وسُملت عيناه، أي: وسـمت بعمـود من حديد محمي، لسـت خلون من جمادى الأولى سـنة إثنين وعشرين وثلاثمائة، وكانت ولايته سنة وستة أشهر وثمانية أيام.

ثم ولي الراضي[(٣)] بالله أبو العباس محمد بن المقتدر، بويع له يوم خلع القاهر،

(١) سليمان بن الحسن القرمطي: سليمان بن الحسن بن بهرام الجنابي الهجري، أبو الطاهر القرمطي، ملك البحرين، وزعيم القرامطة، طاغية جبار، نسـبته إلى جنابة (من بلاد فارس) وكان أبوه قد اسـتولى على هجر والإحساء والقطيف وسائر بلاد البحرين، وهلك أبوه سنة ٣٠١هـ، وقد عهد بالأمر إلى كبير أبنائه «سـعيد» فعجز عن الأمر، فغلبه سـليمان. وجاءه كتاب من المقتدر العباسـي فيه رقة ورغبة بإطلاق ما عنده من الأسرى المسلمين، فأطلق الأسرى، وأكرم حاملي الكتاب، وأعادهم بالجواب. ثم وثب سنة ٣١١هـ على البصرة، فنهبها وسبى نساءها. وأغار على الكوفة سنة ٣١٢هـ، فسير المقتدر جيشاً لقتاله، فشتته ابن الطاهر. وأغار على مكة يوم التروية سنة ٣١٧هـ، والناس محرمون، فاقتلع الحجر الأسود، وأرسـله إلى هجر. مات كهلاً بالجدري ٣٣٢هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص١٢٣. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص٣٢٠.

(٢) القاهـر العباسـي (٢٨٧ - ٣٣٩هـ/ ٩٠٠ - ٩٥٠م): محمد بـن أحمد بـن طلحـة العباسـي، القاهر بـن المعتضد بن الموفق، أبو منصور، من خلفاء الدولة العباسية. بويع أيام سلفه (المقتدر) أخيه لأبيه، سنة ٣١٧هـ، وأقام يومين، وخُلع، وسـجن. ولما قتل المقتدر سـنة ٣٢٠هـ، أُخرج من السـجن، وبويع، فأقام إلى سنة ٣٢٢هـ، ولم تحسن سيرته، فهاج الجند، وخلعوه، وكحّلوا عينيه بالنار بمسمار محمي دفعتين. وهو أول من سُمل من الخلفاء، وحبسوه، ثم أطلقوه. توفي ببغداد سنة ٣٣٩هـ/ ٩٥٠م، كان أسمر، ربعة، أصهب الشعر، طويل الأنف. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص٣٠٩ - ٣١٠. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص٩٨.

(٣) الراضـي بـالله العباسـي (٢٩٧ - ٣٢٩هـ/ ٩١٠ - ٩٤٠م): محمد بـن جعفر بـن المعتضـد بـالله أحمـد، أبو العباس، الراضي بالله، خليفة عباسـي، ولي الخلافة سـنة ٣٢٢هـ، وحاول إصلاح الأمر، فأعجزه. في عهده تفاقم أمر العمل في الأطراف، فلم يبقَ اسـم للخليفة في غير بغداد وأعمالها، فكانت بلاد فارس في أيدي بني بويه، والموصل وديار بكر ومضر وربيعة بيد بني حمدان، ومصر والشـام في يد محمد بن طغج =

وتوفي ليلة السبت، غرّة ربيع الأول سنة سبع وعشرين وثلاثمائة، وكانت خلافته ست سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام، وسنّه يوم مات إثنتان وثلاثون سنة وأشهر.

ثم وُلي المتقي[(١)] بالله أبو إسحاق إبراهيم المقتدر، بويع له يوم الأربعاء لعشرين بقين من ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، وخلع وسُملت عيناه يوم السبت لعشرين بقين من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، وكانت ولايته ثلاث سنين وأحد عشر شهراً، وكان في أيامه غلاء وشدّة، حتى بلغ المكرّ المعدّل من المحنطة باثني عشر ديناراً، وخرجت الحرم من قصر الرصافة ينادين الجوع الجوع.

ثم ولي المستكفي بالله[(٢)]، أبو القاسم عبد الله المكتفي بالله، بويع له يوم

= الإخشيدي، والمغرب وإفريقية بيد القائم العلوي، والأندلس بيد الناصر الأموي، وخراسان وما وراء النهر بيد نصر الساماني، وطبرستان وجرجان بيد الديلم. وهكذا تفككت الدولة في أيام الراضي. مات ببغداد سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م، ودفن في الرصافة. كان قصير، أسمر، خفيفاً. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٦، ص ٧١. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص ١٠٣.

(١) المتقي لله العباسي (٢٩٧ - ٣٥٧هـ/ ٩١٠ - ٩٦٨م): إبراهيم بن المقتدر بالله جعفر بن المعتضد بالله أحمد بن الموفق بن المتوكل، أبو إسحاق، خليفة عباسي، ولي الخلافة بعد موت أخيه الراضي بالله سنة ٣٢٩م، ودامت خلافته أربع سنين إلّا شهراً وأياماً، كان فيها المسيطرون على الملك في أيام سلفه مسيطرين عليه. كان موصوفاً بالصلاح والتقى. وفي أيامه تولى توزون التركي إمارة الأمراء، وخافه المتقي، فخرج بأهله من بغداد عاصمته إلى الموصل ومنها إلى الرقة، وتوزون، يأمر وينهي. وفي سنة ٣٣٣هـ، بعث إلى توزون يستأمنه، فأقسم له الأمان، فركب الفرات، وبلغ السندية، فقبض عليه توزون وخلعه، ثم سمل عينيه، وجيء به إلى بغداد، فسجن وهو أعمى، إلى أن مات سنة ٣٥٧هـ / ٩٦٨م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج١، ص ٣٥. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص ١٠٤.

(٢) المستكفي بالله العباسي (٢٩٢ - ٣٣٨هـ/ ٩٠٤ - ٩٤٩م): عبد الله بن علي المكتفي بن المعتضد، أبو القاسم، المستكفي بالله، من خلفاء الدولة العباسية في العراق، بويع له بعد خلع المتقي لله سنة ٣٣٣هـ، ولقّب نفسه «إمام الحق». فكان يخطب له بلقبين «إمام الحق بالمستكفي بالله». ولم تطل مدّته غير سنة وأربعة أشهر. كان ضعيفاً، دخل «آل بويه» بغداد في أيامه، واستولى معز الدولة أحمد بن بويه على الأمور، وكان والياً على الأهواز أيام المتقي، وضربت على النقود ألقاب ثلاثة منهم، وهم: معز الدولة، وعماد الدولة، وركن الدولة، أبناء بويه، وبعث إليه معز الدولة اثنين من الديلم جذباه عن السرير وجعلا عمامته في رقبته، وقاداه إلى معزّ الدولة، حيث سُمل، وعمي، وسجن إلى أن مات. وكان خلعه سنة ٣٣٤هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص ١٠٤. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص ١١١.

مـات المقتـدر، وخُلع، وسُـملت عيناه فـي جمادى الآخرة سـنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، وكانت خلافته سنة وأربعة أشهر.

ثم وُلي المطيع لله[١]، أبو القاسـم الفضل بن المقتدر يوم خلع المستكفي، وخلع نفسـه، ولقب ابنه أبا بكر الطائع لله[٢]، وبايعه في ذي القعدة سـنة ثلاث وستين وثلاثمائة، وكانت خلافته تسعاً وعشرين سنة وأربعة أشهر وأياماً. وفي أيامه خرجت مصر والشـام والمغرب والحجاز وصقلية من دولة بني العباس، ثم عادت الشـام، والحجاز، وإفريقية، والقيروان، والأندلس، وكانت دولة ابنه الطائع لله سبع عشرة سنة وسبعة أشهر وخمسة أيام.

ثم وُلي القادر بالله[٣] أبو العباس أحمد بن إسحاق، بويع له لسبع بقين من

(١) المطيع لله العباسي (٣٠١ - ٣٦٤هـ/ ٩١٣ - ٩٧٤م): الفضل (المطيع لله) بن جعفر (المقتدر بالله) بن المعتضد العباسـي، أبو القاسم، من خلفاء الدولة العباسية. بويع بالخلافة بعد خلع المستكفي بالله سنة ٣٣٤هـ، وكانت أيامه أيام ضعف وفتور، ولم يكن له في الملك إلّا الخطبة، فإن الديلم اسـتولوا على كل شـيء، وأصبح الحل الإبرام في عهـده للوزير معـز الدولة أحمد بن بويه، واسـتأثر هـذا بكل مـا للخليفة من عمل، وفلـج المطيع، وثقل لسانه، فخلع نفسـه، وعهد إلى ابنه الطائع لله. وتوفي بعد شـهرين وأيام بدير العاقول، وحُمل إلى بغداد، ودفن فيها. وفي أيامه أُعيد الحجر الأسـود إلى البيت من القرامطة. انظر: الزركلـي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص١٤٧. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص١١٧.

(٢) الطائـع لله العباسـي (٣١٧ - ٣٩٣هـ/ ٩٢٩ - ١٠٠٣م): عبدالكريم بـن الفضـل المطيع لله بن المقتدر العباسي، أبو الفضل، الطائع لله. من خلفاء الدولة العباسية بالعراق أيام ضعفها. ولد ببغداد، ونزل له أبوه (المطيع) عن الخلافة سنة ٣٦٣هـ، وكانت في أيامه فتن بين عضد الدولة سنة ٣٧٢هـ، والأمير بختيـار البويهـي، فقتل بختيار سـنة ٣٦٧هـ، ومات عضد الدولة سـنة ٣٧٢هـ، وخلف عضد الدولة ابنـه بهـاء الدولة بـن بويه، فقام بشـؤون الملك، وقبض على الطائع سـنة ٣٨١هـ، وحبسـه في داره، وأشهد عليه بالخلع، ونهب دار الخلافة. واستمر الطائع سجيناً إلى أن توفي سنة ٣٩٣هـ. كان قوي البنية مقداماً كريماً. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص٥٣. وانظر: الذهبي، شـمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص١١٨.

(٣) القـادر بـالله العباسـي (٣٣٦ - ٤٢٢هـ/ ٩٤٧ - ١٠٣١م): أحمد بن إسـحاق بن المقتـدر، أبو العباس، القـادر بالله، الحليفة العباسـي، ولـي الخلافة سـنة ٣٨١هـ، وطالت أيامه، كان حازمـاً مطاعاً، حليماً كريمـاً، هابه من كانت لهم السـيطرة على الدولة مـن الترك والديلم، فأطاعوه، وأحبّه الناس، فصفا له الملـك. جـدد نامـوس الخلافة كما يقول ابن الأثير. دامت خلافته ٤١ سـنة، ونعتـه ابن دحيّة بالإمام الزاهـد العابـد. كان يجلس في كل يوم اثنين وخميس مجلسـاً عاماً للنـاس. وكان أبيض اللون. وهو =

(شهر)[١] شعبان سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، وتوفي في اليوم الحادي عشر من ذي الحجة سنة إثنين وعشرين وأربعمائة، وهو ابن ست وثمانين سنة، وكانت ولايته إحدى وأربعين سنة وثلاثة أشهر.

ثم وُلي القائم بأمر الله[٢]، أبو جعفر عبد الله بن أحمد القادر، بويع له يوم مات أبوه، وتوفي يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة، وكانت خلافته أربعاً وأربعين سنة وثمانية أشهر ويومين.

ثم وُلي المقتدي بأمر الله[٣]، أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد الله القائم بأمر الله، بويع له يوم مات أبو جعفر، وتوفي في نصف المحرّم سنة سبع وثمانين وأربعمائة، وكانت خلافته سبع عشرة سنة وخمسة أشهر ويومين.

ثم وُلي المستظهر بالله[٤]، أبو العباس أحمد بن عبد الله المقتدي بأمر الله،

= من علماء الخلفاء، صنّف كتاباً في «الأصول». كان كثيراً ما يلبس لباس العامة، ويخرج، ويتجول في بغداد متفقداً أمور أهلها. توفي ببغداد سنة ٤٢٢هـ/ ١٠٣١م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج١، ص ٩٥ – ٩٦. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص١٢٧.

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٣٦٧.

(٢) القائم بأمر الله العباسي (٣٩١ – ٤٦٧هـ/ ١٠٠١ – ١٠٧٥م): عبد الله بن أحمد القادر بالله ابن الأمير إسحاق بن المقتدر العباسي، أبو جعفر، القائم بأمر الله، خليفة عباسي، ولي الخلافة بعد وفاة أبيه القادر بالله العباسي سنة ٤٢٢هـ وبعهد منه، وكان ورعاً عادلاً، كثير الرفق بالرعيّة، له فضل وعناية بالأدب والإنشاء. وفي أيام كانت فتنة البساسيري سنة ٤٥٠هـ. أمه أرمنية. توفي سنة ٤٦٧هـ/ ١٠٧٥م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص٦٦. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص١٣٨.

(٣) والصحيح المقتدي بأمر الله العباسي (٤٤٨ – ٤٨٧هـ/ ١٠٥٦ – ١٠٩٤م): عبد الله بن محمد بن القائم بن المقتدر، أبو القاسم، من خلفاء الدولة العباسية، ولد في بغداد، وعهد إليه بالخلافة جدّه القائم بأمر الله، ولقبه «المقتدي»، فوليها بعد وفاته سنة ٤٦٧هـ، وعمره ثماني عشرة سنة، فانصرف إلى عمران بغداد. وأمر بنفي المغنيات والمفسدات، وبقلع أبراج الطيور، ومنع إجراء ماء الحمامات إلى دجلة، وألزم أربابها بحفر آبار للمياه. ومنع الملّاحين أن يحملوا في زوارقهم الرجال والنساء مجتمعين. كان عالي الهمة، له علم بالأدب، وشعر، وأيامه خير وسعة واطمئنان. مات فجأة ببغداد سنة ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص١٢٢.

(٤) المستظهر بالله العباسي (٤٧٠ – ٥١٢هـ/ ١٠٧٧ – ١١١٨م): أحمد (المستظهر) بن عبد الله (المقتدي) بن محمد بن القائم، أبو العباس، خليفة عباسي، ولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٤٨٧هـ، واتسق له الأمر على حداثة سنه. وكان ممدوح السيرة، وقال ابن الأثير: كان المستظهر لين الجانب، كريم الأخلاق =

بويع له يوم مات أبوه، وتوفي سنة اثنتي عشرة وخمسمائة، وكانت خلافته ستاً وعشرين سنة، وفي أيامه مات أبو حامد الغزالي سنة خمسمائة وخمسين.

ثم ولي المسترشد بالله[1]، أبو المنصور الفضل بن أحمد، يوم مات أبوه، وقتل بخراسان بناحية المراغة[2]، سنة ثماني وعشرين سنة وخمسمائة، وكانت خلافته سبع عشرة سنة إلّا شهر، قتله مسعود[3] سلطان العراق.

= يحب اصطناع الناس، ويفعل الخير، لا يردّ مكرمة تطلب منه. كانت خلافته ٢٤ سنة و٣ أشهر و٢٠ يوماً، ومات ببغداد، ودفن في حجرة له كان يألفها. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج١، ص١٥٧. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٣٩٦.

(١) المسترشد بالله العباسي (٤٨٥ - ٥٢٩هـ/ ١٠٩٢ - ١١٣٥م): الفضل (المسترشد بالله) بن أحمد (المستظهر بالله) بن المقتدي عبدالله بن محمد الهاشمي العباسي، أبو منصور، من خلفاء الدولة العباسية، بويع بالخلافة بعد أبيه سنة ٥١٢هـ. وكان عالي الهمة شجاعاً فصيحاً، بليغ التوقيعات، له شعر جيد، حدثت في أواخر أيامه فتنة همذان، قام بها أمير أمرائه السلطان مسعود بن ملكشاه السلجوقي، فجرّد المسترشد جيشاً لقتاله. ودس له السلطان مسعود جمعاً من رجاله، أظهروا له الطاعة حتى نشبت الحرب في موضع يقال له: «وايمرج» فانقلبوا على الخليفة، وانهزم عسكره، وثبت وحده في مقرّه، فاعتقله السلطان مسعود، وأخذه معه يريد دخول بغداد به، فلما كانوا على باب مراغة دخل عليه جمع من الباطنية، أرسلهم السلطان سنجر السلجوقي لقتله، فقتلوه، ومثّلوا به. ودفن في مراغة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص١٤٧. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٥٦١.

(٢) المراغة: بلدة مشهورة عظيمة، أعظم وأشهر بلاد أذربيجان، وكانت تُدعى أفرازهروذ سميت في عهد مروان بن محمد (الحمار) المراغة، وبنى خازم بن خزيمة والي العباسيين على أذربيجان وأرمينية سورها، وحصنتها، ومصّرها، وأنزل بها جنداً كثيفاً. وفيها قامت حركة بابك الخرمي الشهيرة. وينسب إليها عدد كبير من رجالات العلم والأدب. انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٥، ص٩٣.

(٣) مسعود السلجوقي: السلطان الكبير غياث الدين، أبو الفتح، مسعود بن السلطان محمد ابن السلطان ملكشاه السلجوقي. نشأ بالموصل مع أتابك مودود، وربّاه، ثم مع أقسنقر البرسقي، ثم مع خوشبك صاحب الموصل، فلما مات والده، حَسَّنَ له خوشبك الخروج على أخيه محمود، فالتقيا، فانكسر مسعود، ثم تنقّلت به الأحوال، واستقل بالسلطنة في سنة ٥٢٨هـ، وقدم بغداد. كان عادلاً ليناً، كبير النفس، فرّق مملكته على أصحابه، وما ناوأهُ أحد إلّا ظفر به، وقتل خلقاً من كبار الأمراء والخليفتين الراشد والمسترشد؛ لأنه وقع بينه وبين المسترشد لاستطالة نواب مسعود على العراق، وعارضوا الخليفة في أملاكه، فبرز لحربه، فجيّش مسعود بهمذان، فالتقيا، فانكسر جيش المسترشد، وأسر في عدّة من أمرائه، وطاف بهم مسعود بأذربيجان، وقُتل الخليفة بمراغة، وأقبل مسعود على اللذات والبطالة. توفي في أصبهان في جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وخمسمائة ودفن بها، عاش خمساً وأربعين سنة. انظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص٣٨٤ - ٣٨٥، ٣٨٦. وانظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان، ج٥، ص٢٠٠ ـ ٢٠٣.

ثـم وُلـي الراشـد بـالله[١]، بويـع له يـوم قُتل أبـوه، وقُتـل في سـنة ثلاثين وخمسمائة، وكانت خلافته سنتين.

ثم ولي المقتضي لأمر الله[٢]، أبو عبدالله محمد بن أحمد، بويع له يوم قتل الراشد، وتوفي لليلتين خلتا من رجب سنة خمس وخمسين وخمسمائة، وقيل: توفي في صفر من هذه السنة. وكانت خلافته خمساً وعشرين سنة وثلاثة أشهر ونصف، كان جبّاراً ينهب أموال رعاياه، محباً لجمع المال.

ثـم ولي المسـتنجد بـالله[٣]، أبو المظفر يوسـف بن المقتفـي، بويع له يوم مـات أبوه، وكانت دعوته قائمة بالعراق والشـام وخراسـان والحجاز وما وراء

---

(١) الراشـد بـالله العباسـي (٥٠٤ - ٥٣٢هـ/ ١١١٠ - ١١٣٨م): المنصور (الراشـد بـالله، أبو جعفر) بن الفضل المسترشـد بن المستظهر. من خلفاء الدولة العباسـية ببغداد، ولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٥٢٩هـ. وكان المسـتولي على الملك في أيامه السـلطان مسعود السلجوقي، فتنافرا، ونشـبت فتنة بينهما، فخلعه السلطان مسعود بفتوى فقهاء بغداد، وهو بالموصل، وأمر بالقبض عليه، فرحل إلى مراغة، ومنها إلى الري. ولم يزل تتقلب به الأحوال إلى أن اغتاله الباطنية على باب أصبهان، ودفن بشهرسـتان (أو بمدينة جيّ). كان حسـن السـيرة، يؤثر العدل ويكره الشـرّ، أديباً، شاعراً، سـمحاً، جواداً، خلف نيفاً وعشـرين ولداً. انظر: الزركلي، خيـر الدين: الأعـلام، ج٧، ص٣٠٢. وانظر: الذهبي، شـمس الدين محمد بن أحمد: سـير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٥٦٨.

(٢) المقتضي لأمر الله العباسي (٤٨٩ - ٥٥٥هـ/ ١٠٩٦ - ١١٦٠م): محمد بن أحمد، المقتضي بن المستظهر بن المقتدي العباسـي، من أعاظم الخلفاء العباسـيين. بويع بالخلافة سـنة ٥٣٠هـ، والسـلاجقة قابضون على أزمـة الأمـور، فجمـع مالاً وافراً، وهيأ قوة وسـلاحاً، وقبـض على من في بغداد منهم، ومـن أعوانهم بعد موت السـلطان مسـعود زعيمهم الأكبر، واستقل بأعمال الدولة. كان حازماً مقداماً، يباشر الحروب بنفسه. وهـو أول مـن انفـرد بإدارة شـؤون الملك بنفسـه من أول عهد الديلـم إلى عهـده، وأول خليفة تمكن من الخلافـة، وحكم على عسـكره وأصحابه مـن حين تحكم المماليك بالخلفاء من عهـد المنتصر إلى أيامه، ولـم يتقدمه في ذلك غير المعتضد. دامت له الخلافة أربعاً وعشـرين سـنة وثلاثة أشـهر. توفي ببغداد سـنة ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م. انظـر: الزركلـي، خيـر الديـن: الأعـلام، ج٥، ص٣١٧. وانظـر: الذهبي، شـمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص٣٩٩.

(٣) المسـتنجد بالله العباسـي (٥١٠ - ٥٦٦هـ/ ١١١٦ - ١١٧٠م): يوسـف (المسـتنجد) بن محمد (المقتفي) بن المستظهر، أبو المظفر العباسي. من خلفاء الدولة العباسية ببغداد. بويع له بعد وفاة أبيه (سنة ٥٥٥هـ) فأزال المكوس، ورفع الضرائب عن الناس. وكان من أحسـن الخلفاء سـيرة مع رعيته، لولا ما قيل من أنه أحرق مكتبة قاضٍ يُعرف بابن المرخم، ثبت للخليفة أنه أخذ أموالاً كثيرة من الناس بالباطل، فحبسـه وصادره في مالـه، وأحـرق كتبـه. توفي ببغداد مخنوقاً في الحمـام. انظر: الزركلي، خير الديـن: الأعلام، ج٨، ص٢٤٧. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص٤١٢.

النهر، وتوفي في سنة ست وستين وخمسمائة، أصابه وجع النقرس، وكانت (٣٦٨) خلافته عشر سنين وأحد عشر شهراً.

ثم ولي المستضيء بأمر الله[1]، أبو محمد الحسن بن المستنجد، بويع له يوم مات أبوه، ففي أيامه قامت دعوة بني العباس بالديار المصرية، خطب له بها في شهر المحرّم سنة سبع وستين وخمسمائة. وتوفي في آخر ذي الحجة سنة خمس وسبعين وخمسمائة.

ثم وُلّي الناصر[2]، أبو العباس أحمد بن الحسن المستضيء، بويع له يوم مات أبوه، وخطب له على المنابر في مصر والشام والعراق وخراسان وما وراء النهر، واليمن والصين والجاوة.

ثم ولي ولده عمدة الدين محمد[3]، وذلك في جمادى الأولى سنة (اثنتان وعشرين وستمائة).

---

(١) المستضيء بأمر الله العباسي (٥٣٦ - ٥٧٥هـ/ ١١٤٢ - ١١٨٠م): الحسن ابن المستنجد بالله يوسف بن المقتفي العباسي الهاشمي، أبو محمد، المستضيء بالله، خليفة من العباسيين في العراق. كان جواداً حليماً، محباً للعفو، قليل المعاقبة على الذنوب، كريم اليد. بويع بعد وفاة أبيه، وبعهد منه سنة ٥٦٦هـ، وصفت له الخلافة تسع سنين وسبعة أشهر، وكانت أيامه مشرقة بالعطاء والعدل، توفي ببغداد سنة ٥٧٥هـ/ ١١٨٠م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص٢٢٧. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص٦٨.

(٢) الناصر لدين الله العباسي (٥٥٣ - ٦٢٢هـ/ ١١٥٨ - ١٢٢٥م): أحمد بن المستضيء بأمر الله الحسن بن المستنجد، أبو العباس، الناصر لدين الله. خليفة عباسي، بويع له بالخلافة بعد موت أبيه سنة ٥٧٥هـ، وطالت أيامه. يوصف بالدهاء على ما في أطواره من تقلب، فبينما هو مهتم بشؤون قومه يطلق المكوس، ويرفع عن الناس الضرائب، إذا به قد انقلب، فانصرف إلى اللهو، وأعاد ما رفع. ويقال: إنه هو الذي كاتب التتر وأطمعهم بالبلاد لما كان بينه وبين خوارزم شاه من العداوة. استمرت خلافته ٤٦ سنة و١١ شهراً إلّا يومين. وذهبت إحدى عينيه في آخر عمره، وضعف بصر الثانية، وفلج فبطلت حركته ثلاث سنين. مات ببغداد سنة ٦٢٢هـ. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج١، ص١١٠. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٢٢، ص١٩٢.

(٣) وقع مؤلف المخطوطة في خطأ عندما ذكر تولي (عمدة الدين محمد) ابن الناصر لدين الله العباسي في سنة أربع وستمائة. والصحيح أن ابن الناصر لدين الله هو (الظاهر بأمر الله) وتولى الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٦٢٢هـ. وفيما يأتي ترجمته: الظاهر بأمر الله العباسي (٥٧١ - ٦٢٣هـ/ ١١٧٥ - ١٢٢٦م): محمد بن أحمد، أبو نصر، الظاهر بن الناصر بن المستضيء العباسي. من خلفاء الدولة العباسية في العراق. بويع بعد وفاة أبيه سنة ٦٢٢هـ. وحُمدت أيامه على قصرها، وعانى مصاعب كثيرة. كان مستقيماً محباً للخير. قال ابن كثير: كان من أجود بني العباس وأحسنهم سيرة وسريرة. كانت خلافته تسعة أشهر وأياماً. توفي سنة ٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص٣٢٠.

فهذا ما وجدته من تواريخ الخلفاء من بني أمية وبني العباس[(١)].

(خلفاء الدولة الفاطمية في المغرب ومصر)

ثم نذكر أخبار مصر والمغرب بعد خروجهما من الدولة العباسية، وذلك أن المهدي بالله[(٢)] أبا محمد (عبيد الله بن سعيد بن محمد بن أحمد)[(٣)] بن

(١) ذكر مؤلف المخطوطة جميع خلفاء الدولة العباسية إلاّ المستنصر بالله، والمستعصم بالله آخر خلفاء بني العباس، وفيما يأتي ترجمتهما:

أ ـ المستنصر بالله العباسي (٥٨٨ ـ ٦٤٠هـ/ ١١٩٢ ـ ١٢٤٢م): منصور (المستنصر بالله) بن أحمد (الظاهر بأمر الله) بن الناصر بن المستضيء. خليفة عباسي. بويع ببغداد بعد وفاة أبيه الظاهر بأمر الله سنة ٦٢٣هـ. وكان جدّه الناصر يسميه القاضي لوفرة عقله، وهو باني «المدرسة المستنصرية» ببغداد على شطّ دجلة من الجانب الشرقي. كان حازماً عادلاً، حسن السياسة، إلّا أنه جاء في أيام تراجع الدولة. وفي عهده استولى المغول على كثير من البلاد، حتى كادوا يدخلون بغداد، فدفعوا عنها. واستمر المستنصر في الخلافة إلى أن توفي ببغداد سنة ٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص٣٠٤. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٢٣، ص١٦٨.

ب ـ المستعصم بالله العباسي (٦٠٩ ـ ٦٥٦هـ/ ١٢١٢ ـ ١٢٥٨م): عبد الله (المستعصم) بن منصور (المستنصر) بن محمد (الظاهر) بن أحمد (الناصر) من سلالة هارون الرشيد العباسي، وكنيته أبو أحمد، آخر خلفاء الدولة العباسية في العراق. ولد ببغداد، وولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٦٤٠هـ والدولة في شيخوختها. لم يبقَ منها للخلفاء غير دار الأمراء والقواد، واعتمدت على وزيره ابن العلقمي الذي كاتب قائد المغول (هولاكو) يشير إليه باحتلال بغداد، فزحف هولاكو سنة ٦٥٥هـ. ودخل بغداد، فجمع له ابن العلقمي سادتها ومدرسيها وعلمائها، وقتلهم، وأبقى الخليفة حيّاً إلى أن دلّ على موضع الأموال والدفائن ثم قتله سنة ٦٥٦هـ /١٢٥٨م. وبموته انقرضت دولة بني العباس في العراق. وعدّه خلفائها ٣٧ ملكوا مدّة ٥٢٤ سنة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص١٤٠. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٢٣، ص١٧٤.

(٢) المهدي بالله الفاطمي (٢٥٩ ـ ٣٢٢هـ/ ٨٧٣ ـ ٩٣٤م): عبيد الله بن محمد الحبيب بن جعفر المصدّق بن محمد المكتوم، الفاطمي العلوي، من ولد جعفر الصادق. مؤسس دولة العلويين في المغرب، وجدّ العبيديين الفاطميين أصحاب مصر. كان يسكن بلدة السلمية (بسورية) ومولده بها (أو الكوفة). كان أبوه قد أرسل الدعاة، وأعظمهم أبو عبد الله الحسين بن أحمد الملقب بالعَلَم والشهير بالشيعي، فمهّد له بيعة المغرب. حيث بويع بالقيروان سنة ٢٩٧هـ، واستوطن رقادة، وبعث الولاة إلى طرابلس وصقلية وبرقة. واستولى على تاهرت، وحاول امتلاك مصر. بنى مدينة المهدية سنة ٣٠٣هـ، واتخذها قاعدة لملكه، ومات بها بعد أن حكم أربعاً وعشرين سنة. أخباره كثيرة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص١٩٧.

(٣) هناك اختلاف في نسب المهدي بالله الفاطمي غير أن غالبية المصادر التاريخية تجمع على أن نسبه هو: عبيد الله بن محمد (الحبيب) بن جعفر (المصدّق) بن محمد (المكتوم) بن إسماعيل بن جعفر (الصادق) بن محمد (الباقر) بن علي (زين العابدين) بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ظهر بسجلماسة[1]، من أرض المغرب يوم الأحد السابع من ذي الحجة سنة ست وتسعين ومائتين، وبنى المهدية، ثم استقرّ بها سنة ثماني وثلاثمائة، وملك إفريقية وأعمال المغرب وطرابلس وبرقة وصقلية، وسيّر ولده إلى مصر مرتين، وملك الإسكندرية[2]، والفيوّم[3]، وكانت وفاته يوم الاثنين الرابع عشر من ربيع الأول سنة إثنين وعشرين وثلاثمائة، وكانت خلافته خمساً وعشرين سنة وثلاثة أشهر وثلاثة أيام، وله من العمر إثنتان وستون سنة.

ثم ولي القائم بأمر الله[4]، أبو القاسم محمد بن المهدي، بويع له يوم مات المهدي، وقام عليه أبو يزيد مخلد بن كيداد[5]، في سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة،

(١) سجلماسة: مدينة في جنوبي المغرب في طرف بلاد السودان، في منقطع جبل درن، وسط رمال، ويمرّ بها نهر كبير، غرسوا عليه البساتين والنخل على مدّ البصر، وأهلها من أغنى الناس؛ لأنهم أهل صنعة وتجارة. انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٣، ص ١٦٢.

(٢) الإسكندرية: مدينة مصرية على شاطئ البحر المتوسط، أنشأها الإسكندر الأكبر سنة ٣٣٢ ق.م، وكانت من أهم مراكز الثقافة العالمية في العصر العباسي، واشتهرت بمكتبتها الفنيّة. انظر: غربال، محمد شفيق: الموسوعة العربية الميسّرة، ج١، ص ١٥٢.

(٣) الفيّوم: ولاية غربية في مصر بينها وبين الفسطاط أربعة أيام، وهي في منخفض من الأرض كالدارة، ويقال: إن النبي يوسف الصديق عليه السلام حفر نهراً عظيماً وساقه إليها، ويتفرق على جميع مزارعها، وزرعت بالنخيل والبساتين، فصارت أكثر ولاياتها كالحديقة. وقيل: إن مروان بن محمد (الحمار) قتل في بعض نواحيها على يد العباسين. انظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله: معجم البلدان، ج٤، ص ٢٨٦ - ٢٨٨.

(٤) القائم بأمر الله الفاطمي (٢٧٨ - ٣٣٤هـ/ ٨٩١ - ٩٤٦م): محمد بن عبيد الله، أبو القاسم، القائم بن المهدي العبيدي الفاطمي. صاحب المغرب، ويسمى نزاراً. ولد ونشأ في بلدة السلمية بسورية، ودخل المغرب مع أبيه. ولما استقر أبوه في ملك المغرب جهّز إلى مصر مرتين سنة ٣٠١هـ و٣٠٧هـ، فملك في الأولى الإسكندرية والفيوم، وفي الثانية وصل إلى الجيزة، وقاتله جيش المقتدر العباسي بقيادة «مؤنس»، فعاد القائم إلى المغرب. وبويع بعد موت أبيه سنة ٣٢٢هـ، وهو ثاني خلفاء الدولة الفاطمية، وأول من تلقب بأمير المؤمنين فيها. مات محصوراً في المهدية. كان شجاعاً مهيباً. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٦، ص ٢٥٩. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص ١٥٢.

(٥) مخلد بن كيداد: مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث الزناتي النكّاري، أبو يزيد، ثائر من زعماء الإباضية وأئمتهم، بربري الأصل. كان يغلب عليه الزهد والتقشف، ويلبس جبة صوف قصيرة ضيّقة الكمّين. ولد ونشأ في «قسطيلة» وكانت تابعة لتوزر، ونشأ بتوزر، وخالط النكّارية، وسافر إلى تاهرت، فكان معلماً للصبيان فيها. وانتقل إلى «يقيوس». وأخذ الحسبة على الناس وتغيير المنكر سنة ٣١٦هـ، فكثر أتباعه. ولما مات المهدي =

وكانت بينهما وقائع كثيرة، وتوفي القائم يوم الأحد الثالث عشر من شوال سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، وكانت خلافته إثنتي عشرة سنة وسبعة أشهر، وعمره خمس وخمسون سنة.

ثم ولي المنصور بالله[١] أبو طاهر إسماعيل بن القائم، ومات يوم الجمعة فسخ شوال سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة، وله من العمر تسع وثلاثون سنة، وكانت ولايته سبع سنين.

ثم ولي المعز لدين الله[٢] أبو تميم معد بن المنصور، ولما توفي كافور[٣] أمير

= الفاطمي سنة ٣٢٢هـ، خرج بناحية جبل «أوراس»، وتلقب بشيخ المؤمنين، وقاتله عساكر القائم بأمر الله، فزحف على رقادة وامتلكها، وخضعت له القيروان سنة ٣٣٣هـ، وأرسل أحد قواده إلى سوسة، فاستباحها، وحصر القائم في عاصمته المهدية، وجاع أهلها حتى أكلوا الدواب. ثم بدأت هزائمه بانقضاض البربر عليه، فرجع إلى القيروان سنة ٣٣٤هـ، وغنم أهل المهدية معسكره. وبعد موت القائم، حاربه ابنه المنصور، وتعقبه في الجبال، وحاصره في قلعة «كتامة»، ثم اجتاحت قوات المنصور القلعة، وجرح مخلد، وأسر، ومات بعد ثلاثة أيام سنة ٣٣٦هـ/ ٩٤٧م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٧، ص ١٩٤.

(١) المنصور بالله الفاطمي (٣٠٢ - ٣٤١هـ/ ٩١٤ - ٩٥٣م): إسماعيل بن محمد عبيد الله المهدي، أبو الطاهر، المنصور بنصر الله. ثالث خلفاء الدولة الفاطمية العبيدية بالمغرب، مولده بالقيروان. تولى الخلافة بعد وفاة أبيه القائم بأمر الله سنة ٣٣٤هـ، بويع سنة ٣٣٦هـ، بعد أن فرغ من حرب أبي يزيد النكار (مخلد بن كيداد) فبنى مدينة بالقرب من القيروان سماها المنصورية، ونقل إليها حاشيته وجنده. كان حازماً خطيباً بليغاً. مات بالمنصورية، ودفن بالمهدية سنة ٣٤١هـ/ ٩٥٣م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج١، ص ٣٢٢ - ٣٢٣. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص ١٥٦.

(٢) المعز لدين الله الفاطمي (٣١٩ - ٣٦٥هـ/ ٩٣١ - ٩٧٥م): معد (المعز لدين الله) بن إسماعيل (المنصور) بن القائم بن المهدي عبيد الله الفاطمي العبيدي، أبو تميم. صاحب مصر وإفريقية، رابع خلفاء الدولة الفاطمية. ولد بالمهدية، وبويع بالخلافة في المنصورية، بعد وفاة أبيه سنة ٣٤١هـ، فجهّز وزيره القائد جوهر الصقلي، وأصحبه بجيش كثيف ليفتح ما استعصى من بلاد المغرب، ففتح فاس وسلجماسة وبلاد إفريقية كلها. وقصد جوهر مصر بعد موت كافور الإخشيدي، ودخلها فاتحاً سنة ٣٥٨هـ، واختط القاهرة سنة ٣٥٩ - ٣٦١هـ، وسماها القاهرية المعزية. وأقام الدعوة للمعز بمصر وبلاد الشام والحجاز بعد فتحها. وفي أواخر عام ٣٦١هـ، استخلف المعز على إفريقية «بلكين بن زيري» الصنهاجي، ودخل القاهرة في شعبان سنة ٣٦٢هـ، وأصبحت عاصمة الفاطميين إلى آخر أيامهم. كان المعز عاقلاً حازماً، شجاعاً، أديباً. ظل يحكم الدولة حتى وفاته سنة ٣٦٥هـ/ ٩٧٥م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٧، ص ٣٦٥. وانظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان، ج٥، ص ٢٢٤ ـ ٢٢٩.

(٣) كافور الإخشيدي (٣٩٢ - ٣٧٥هـ/ ٩٠٥ - ٩٦٨): كافور بن عبد الله الإخشيدي، أبو المسك، الأمير =

المصريين، سيّر لها المعز قائداً يقال له: أبو الحسن جوهر[(١)]، غلام أبي المنصور، أصله رومي، ففتحها له، أعني مصر، وكان دخوله فيها يوم الثلاثاء لتسع عشرة ليلة خلت من شهر شعبان سنة ثماني وخمسين وثلاثمائة، ووصل المعزّ إلى الإسكندرية، وتوفي المعز يوم الجمعة الحادي (عشر من)[(٢)] ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاثمائة، وكانت ولايته (٣٦٩) ثلاث وعشرين سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام.

ثم انتقل ملك المغرب إلى الإفرنج.

ثم انتقل ملك الإفرنج إلى عبدالمؤمن صاحب المغرب.

ثم ولي العزيز بالله أبو المنصور[(٣)] مصر يوم الخميس العاشر من ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاثمائة، وكانت خلافته إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر وخمسة عشر يوماً.

= المشهور، صاحب المتنبي. كان عبداً حبشياً، اشتراه الإخشيدي ملك مصر سنة ٣١٢هـ، فنسب إليه، وأعتقه، فترقى عنده. وما زالت همته تصعد به حتى ملك مصر سنة ٣٥٥هـ. كان ذكياً فطناً، حسن السياسة. أخباره كثيرة. توفي بالقاهرة، وقيل: حُمل تابوته إلى القدس، ودفن فيها. وكان وزيره ابن الفرات. قال الذهبي: كان عجباً في العقل والشجاعة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص٢١٦. وانظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان، ج٤، ص٩٩ ـ ١٠٥.

(١) جوهر الصقلي: جوهر بن عبدالله الرومي، أبو الحسن. قائد فاطمي، بنى مدينة القاهرة والجامع الأزهر. كان من موالي المعز لدين الله الفاطمي، سيره إلى مصر بعد وفاة كافور الإخشيدي، فدخلها سنة ٢٥٨هـ. وأرسل الجيوش لفتح بلاد الشام، وضمها إليها. كان كثير الإحسان، شجاعاً، توفي في القاهرة سنة ٣٨١هـ/ ٩٩٢م. ولم يبقَ بمصر شاعراً إلّا رثاه. ولعلي إبراهيم حسن «تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي». انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص١٤٨. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٤٦٧.

(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٣٦٩.

(٣) العزيز بالله الفاطمي (٣٤٤-٣٨٦هـ/ ٩٥٥-٩٩٦م): نزار (العزيز بالله) بن معد (المعز لدين الله) بن المنصور العبيدي الفاطمي، أبو المنصور. خامس خلفاء الدولة الفاطمية، ولد بالمهدية، وبويع له بعد وفاة أبيه سنة ٣٦٥هـ. كانت أيامه فتن وقلاقل. كان كريم الأخلاق، حليماً، يكره سفك الدماء، مغرم بصيد السباع، أديباً، فاضلاً. وفي زمنه بني قصر البحر، وقصر الذهب، وجامع القرافة في القاهرة، خُطب له بمكة. طالت مدّته إلى أن خرج يريد غزو الروم، فلما كان في مدينة بلبيس أدركته الوفاة سنة ٣٨٦هـ/ ٩٩٦م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٧، ص١٦. وانظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان، ج٥، ص٣٧١ ـ ٣٧٦.



ثـم ولي الحاكـم بأمر الله أبو(علي)[١] المنصور بن العزيز[٢]، في شـعبان سـنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة، وكانت ولايته خمسـاً وعشـرين سـنة وشهراً. كان جـواداً بالمال سـفّاكاً للدماء، فقتل عدداً كثيراً مـن أماثل دولته وغيرهـم صبراً.

ثـم ولـي الظاهر لإعزاز دين الله، أبو الحسـن علي بن الحاكـم[٣]، بويع له يـوم عيـد النحر سـنة إحدى عشـرة وأربعمائة، وتوفي ليلة النصف من شـعبان سـنة سبع وعشـرين وأربعمائة، وكانت ولايته خمس عشـرة سنة وثمانية أشهر إلّا أياماً.

ثم ولي المستنصر بالله، أبو تميم معد بن الظاهر[٤]، بويع له يوم مات أبوه،

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٣٦٩.

(٢) الحاكم بأمر الله الفاطمي (٣٧٥ - ٤١١هـ/ ٩٨٥ - ١٠٢١م): منصور (الحاكم بأمر الله) بن نزار (العزيز بالله) بن معد (المعز لدين الله) بن إسماعيل بن محمد العبيدي الفاطمي، أبو علي. سادس خلفاء الدولة الفاطمية. ولد بالقاهرة، وسلم عليه بالخلافة في مدينة بلبيس، بعد وفاة أبيه سنة ٣٨٦هـ وعمره إحدى وعشـرين سـنة، فدخل القاهرة في اليوم الثاني، ودفن أباه، وباشر أعمال الدولة، خطب له على المنابر فـي مصـر والشـام والحجاز وإفريقيـة. في عام ٤٠٧هـ أُعلنـت الدعوة إلى تأليهه، وقـام بها محمد بن إسـماعيل الدرزي (إليه ينسب الدروز) وحسن بن حيدرة الفرغاني، وحمزة بن علي بن أحمد. وسمي «الحاكم بأمره»، فدّست له أخته «ست الملك» رجلين اغتالاه، وأخفيا أثره. فأعلن حمزة أنه: «احتجب، وسـيعود لنشـر الإيمان بعـد الغيبة». انظر: الزركلي، خيـر الدين: الأعـلام، ج٧، ص٣٠٥. وانظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان، ج٥، ص٢٩٢ ـ ٢٩٩.

(٣) الظاهـر لإعزاز دين الله الفاطمي (٣٩٥ - ٤٢٧هـ/ ١٠٠٥ - ١٠٣٦م): علي (الظاهر لإعزاز دين الله) بن منصـور (الحاكـم بأمـر الله) بن العزيز بـن المعز الفاطمي العبيدي، أبو الحسـن. سـابع خلفـاء الدولة الفاطمية، بويع له بعد وفاة أبيه سـنة ٤١١هـ وبعهد منه، كانت عمته سـت الملك (أخت الحاكم بأمر الله) هي القائمة على أمور الدولة لصغر سنه، واستمرت إلى أن توفيت سنة ٤١٥هـ. واضطربت أحوال الديـار المصرية والبلاد الشـامية، وتغلب حسـان بن مفرج الطائي شـيخ عربان جبـل نابلس على أكثر الشـام. ودامت دولة الظاهر لإعزاز دين الله سـتة عشـر عاماً. كان محباً للعدل، فيه لين وسكون، وميل إلى اللهو. توفي في القاهرة سنة ٤٢٧هـ/ ١٠٣٦م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص٢٥. وانظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان، ج٣، ص٤٠٧ ـ ٤٠٩.

(٤) المسـتنصر بالله الفاطمي (٤٢٠ - ٤٨٧هـ/ ١٠٢٩ - ١٠٩٤م): معد (المسـتنصر بالله) بن علي (الظاهر لإعـزاز دين الله) بـن الحكم بأمر الله، أبو تميم. ثامن خلفاء الدولـة الفاطمية (العبيدية) بمصر، مولده =

وتوفي ليلة الخميس الثامن عشر من ذي الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة، وكانت خلافته ستين سنة، وكان في أيامه غلاء وشدّة.

ثم ولي المستعلي بالله، أبو القاسم أحمد بن المستنصر[(١)]، بويع له يوم مات أبوه، وتوفي في صفر سنة خمس وتسعين وأربعمائة، وكانت خلافته تسع سنين وأياماً.

ثم ولي الآمر بأحكام الله، أبو علي المنصور بن المستعلي[(٢)]، بويع له في اليوم الذي فيه مات أبوه، وهو ابن خمس سنين، فأقام بالدولة الأفضل ابن أمير

= ووفاته فيها. بويع وهو طفل بعد موت أبيه سنة ٤٢٧هـ. وقام بأمره وزير أبيه (أبو القاسم علي بن أحمد الجرجرائي). ثم تغلبت أمه على الدولة، فكانت تصنع الوزراء وتوليهم. خطب البساسيري باسمه في بغداد مدّة سنة، وخطب علي بن محمد المصليحي باسمه في بلاد اليمن، وقطعت الخطبة باسمه في إفريقية سنة ٤٤٣هـ والحرمين سنة ٤٤٩هـ. وحدثت مجاعة في عهده دامت سبع سنين، واستمر في الخلافة، وكان كالمحجور عليه في أيام «بدر الجمالي» وابنه «شاهنشاه بن بدر» إلى أن توفي سنة ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٧، ص٢٦٦. وانظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان، ج٥، ص٢٢٩ ـ ٢٣١.

(١) المستعلي بالله الفاطمي (٤٦٧ - ٤٩٥هـ/ ١٠٧٥ - ١١٠١م): أحمد بن معد (المستنصر بالله) بن الظاهر بن منصور، أبو القاسم، المستعلي بالله. تاسع الخلفاء الفاطميين. بويع بالخلافة في مصر سنة ٤٨٧هـ بعد وفاة أبيه المستنصر. وكانت أيامه وقائع كثيرة بين أمير جيوشه الأفضل شاهنشاه وجموع الصليبيين في عسقلان وغيرها من بلاد الشام، وملك الصليبيون بيت المقدس. توفي في القاهرة سنة ٤٩٥هـ/ ١١٠١م. ومدّة حكمه سبع سنوات وشهران. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٧، ص٢٥٩. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٣، ص١٩٦.

(٢) الآمر بأحكام الله الفاطمي (٤٩٠ - ٥٢٤هـ/ ١٠٩٧ - ١١٣٠م): منصور (الآمر بأحكام الله) بن أحمد (المستعلي بالله) بن معد (المستنصر) أبو علي العبيدي الفاطمي. عاشر الخلفاء الفاطميين. ولد في القاهرة، وبويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٤٩٥هـ، وعمره خمس سنين، فقام وزير أبيه «الأفضل بن بدر الجمالي» بشؤون الدولة. ولما كبر الآمر عمد إلى التخلص منه، فدّس له جماعة قتلوه سنة ٥١٥هـ، وتظاهر بالحزن عليه. وولي بدلاً منه «أبا عبدالله محمد بن فاتك البطائحي» ولم يكن أخف وطأة عليه من «الأفضل» فقبض عليه الآمر سنة ٥١٩هـ، واستصفى أمواله، ثم قتله سنة ٥٢١هـ. استمر في الخلافة ٢٩ سنة. واعترضه بعض الباطنية «الغداوية» وهو مار على جسر الروضة بين الجزيرة والقاهرة، فضربوه بسيوفهم، فماتت بعد ساعات عام ٥٢٤هـ/ ١١٣٠م. ولا عقب له. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٧، ص٢٩٧. وانظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان، ج٥، ص٢٩٩ ـ ٣٠٢.

الجيوش[1] أحسن قيام، وحسّن حال الرعيّة. فلما كبر أبو علي قتل الأفضل، وكانت خلافته تسعاً وعشرين سنة.

ثم ولي الحافظ لدين الله[2]، أبو الميمون عبدالمجيد بن الأمين أبي القاسم محمد بن المستنصر، بويع له في اليوم الذي مات فيه الآمر، فتحسنت أحوال الرعية على يده، إلى أن مات في جمادى الأخرى سنة أربعين وخمسمائة.

ثم ولي الظافر بأمر الله[3] أبو المنصور إسماعيل بن الحافظ، بويع له في

---

(١) الأفضل بن بدر الجمالي (٤٥٨ - ٥١٥/ ١٠٦٦ - ١١٢١م): أحمد بن بدر الجمالي، أبو القاسم شاهنشاه الملقب بالملك الأفضل. وزير، مولده بعكا، خلف أباه في إمارة الجيوش المصرية. أرمني الأصل. داهية، فحل الرأي، ودبّر شؤون دولته. فنقم عليه الآمر أمراً، فدّس له من قتله على مقربة من داره في الظاهرة. وكانت ولايته ثمان وعشرين سنة، وأول من استوزره المستنصر جدّ الآمر. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج١، ص١٠٣. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٥٠٧.

(٢) الحافظ لدين الله (٤٦٧ - ٥٤٤هـ/ ١٠٧٤ - ١١٤٩م): عبدالمجيد بن محمد ابن المستنصر بالله العبيدي، أبو الميمون، الملقب بالحافظ لدين الله، من خلفاء الدولة الفاطمية، ولد في عسقلان، وتملك الديار المصرية سنة ٥٢٤هـ، بعد موت الآمر بأحكام الله. واستقام له الآمر زمناً. كان كثير الفتك بوزرائه وخاصته: استوزر أحمد بن الفضل الجمالي، وساءه منه أن يتصرف بالأمر دونه، فقتله سنة ٥٢٦هـ، واستوزر أبا الفتح يانساً الحافظي، فرأى استبداداً منه في الرأي، فسمّه، وفوّض الأمر إلى ابن له يدعى سليمان، فمات لشهرين من ولايته، وأقام ابناً آخر له اسمه الحسن، فارتفعت إليه وشاية به، فقتله بالسم سنة ٥٢٩هـ، واستوزر أميراً أرمنياً يدعى تاج الدولة بهرام، ثم قتله سنة ٥٤٣هـ. وباشر بعد ذلك أمور الدولة بنفسه، فلم يولِ وزرائه أحداً إلى أن مات بمصر سنة ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص١٥٠. وانظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٣٥ ـ ٢٣٧.

(٣) الظافر بأمر الله الفاطمي (٥٢٧ - ٥٤٩هـ/ ١١٣٣ ـ ١١٥٤م): إسماعيل بن عبدالمجيد الحافظ بن محمد المستنصر بن الظاهر بن الحاكم بأمر الله العلوي الفاطمي، أبو المنصور الظافر بأمر الله. من خلفاء الدولة الفاطمية. ولد في القاهرة، وولي بها الخلافة صغيراً بعد وفاة أبيه (الحافظ لدين الله) سنة ٥٤٤هـ بعهد منه. ولم يطل زمنه. كان كثير اللهو ولوعاً باستماع الأغاني، من أحسن الناس صورة. وفي أيامه أُخذت عسقلان، فظهر الخلل في الدولة، وإليه ينسب الجامع الظافري في القاهرة، قتله أحد رجاله غيلة سنة ٥٤٩هـ/ ١٢٥٤م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص٣١٨ - ٣١٩. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص٢٠٢.

اليوم الذي مات فيه أبوه، وتوفي مقتولاً، قتله ابن وزيره في نصف المحرم سنة تسع وأربعين وخمسمائة، وكانت خلافته خمس سنين وستة أشهر وأياماً.

ثم ولي الفائز بنصر الله[(١)]، أبو القاسم عيسى بن إسماعيل، بويع له بعد وفاة أبيه في المحرم في السنة المذكورة، وهرب عياش ابن الوزير في شهر صفر إلى الإفرنج، فقتلوه، وتوفي الفائز في سنة خمس وخمسين وخمسمائة، وكانت خلافته ست سنين وأشهر.

ثم ولي العاضد لدين الله[(٢)]، أبو محمد عبد الله بن (٣٧٠) يوسف الأمين ابن الحافظ لدين (الله)[(٣)]، بويع له سنة خمس وخمسين وخمسمائة، وهو طفل صغير، فقام بالأمر طلائع بن رُزَيِّك، حتى قتل في العشر الأواخر

---

(١) الفائز بأمر الله الفاطمي (٥٤٤ ـ ٥٥٥هـ/ ١١٤٩ ـ ١١٦٠م): عيسى (الفائز) ابن إسماعيل الظافر بن الحافظ، أبو القاسم العبيدي الفاطمي. من خلفاء الدولة الفاطمية، بويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٥٤٩هـ وهو طفل، فتولى عباس ابن أبي الفتوح (وزير أبيه والمتهم بقتله) تدبير شؤونه، وكتب نساء القصر إلى طلائع ابن رزيك (كان والياً على الأشمونين والبهنسة) يتشْكينَ ويَسْتَغثنَ، فأقبل ابن رزيك، وخافه ابن أبي الفتوح، فعبر النيل، فاعترضه بعض الإفرنج، فقتلوه، وقام ابن رزيك بالوزارة وإدارة الملك سنة ٥٤٩هـ، ومات الفائز صغيراً في القاهرة سنة ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص١٠١. وانظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان، ج٣، ص٤٩١ ـ ٤٩٤.

(٢) العاضد لدين الله الفاطمي (٥٤٤ ـ ٥٦٧هـ/ ١١٤٩ ـ ١١٧١م): عبد الله (العاضد) بن يوسف بن الحافظ، العلوي الفاطمي، أبو محمد. آخر خلفاء الدولة الفاطمية. بويع له بمصر سنة ٥٥٥هـ بعد موت الفائز. وكان الضعف قد ظهر على رجال هذه الدولة، واستبد الوزراء والمستشارون من الترك وغيرهم بالأمر. وفي أيامه قوي السلطان صلاح الدين، وتولى وزارته، وتصرف بشؤون الملك، ثم قطع خطبته، وأمر بالخطبة للمستضيء بالله العباسي، وكان العاضد في مرض موته، فمات ولم يعلم بذلك، فهو آخر من دعي بأمير المؤمنين من الفاطميين بمصر، وآخر من تولى الخلافة منهم، وكانت مدتهم ٥٦٨سنة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص١٤٧. وانظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان، ج٣، ص١٠٩ ـ ١١٢.

(٣) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٣٧١.

من شهر رمضان سنة ست وخمسين وخمسمائة، فوقعت بعد ذلك حروب عظيمة فيما بينهم لأجل الوزارة، ثم جاءهم الروم، فوقعت بينهم الحروب، ثم جاءهم الإفرنج فحاربوهم، وبنى الإفرنج برجاً عظيماً، ثم إنهم أخرجوا الإفرنج.

فلما كانت سنة سبع وستين وخمسمائة توفي أبو محمد عبدالله بن العاضد لدين الله، وانتقلت الخطبة والدولة لبني العباس، فخطب للمستضيء بنور الله بن المستنجد، وكان مدّة خروج الدولة عنهم بمصر إلى أن رجعت لهم مائتين وإحدى وسبعين سنة.

فهذا ما وجدته، والله أعلم. وأنا أستغفر الله العظيم من جميع ما خالفت فيه الحق والصواب.

الباب الحادي والثلاثون

في ذكر الأئمة الذين باعوا أنفسهم للّه في إنكار المنكر



فأولهم عبد الله بن وهب الراسبي[١] إمام أهل النهروان، عقد له بعد انخلاع علي بن أبي طالب بإحداثه، فقاتل حتى مضى لسبيله رحمة الله عليه وعلى من اتبعه، وقتل كافة أصحابه، وانحاز من بقي منهم إلى النخيلة، وعقدوا للحوثرة بن وداع، فقاتل بأصحابه حتى قتلوا.

ثم خرجت من بعدهم عصابة من المسلمين أميرهم رجل يقال له: مزاحم، فقاتلوا حتى قتلوا.

ثم خرج زياد بن الخراش[٢]، رجل من أهل الكوفة، فقاتل حتى قتل.

(١) عبد الله بن وهب الراسبي: عبد الله بن وهب راسب بن ميدعان بن مالك بن نصر الأزدي العُماني، صحابي، كان في وفد عُمان الذي توجه إلى المدينة سنة ٩هـ لإعلان إسلام عُمان، عُرف بالعلم والرأي والصلاح والعبادة، شارك في فتوح العراق مع سعد بن أبي وقاص، وأبلى البلاء الحسن، ولمّا أقبلت الفتن على البلاد الإسلامية في آخر عهد الراشدين، كان في صف الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، وشارك معه في حروبه، وفي صفين سنة ٣٧هـ حارب معاوية وجنده بلا هوادة، وعندما ارتفعت المصاحف على أسنّة الرماح في جيش معاوية المنهزم يريد التحكيم خدعة «وحيلة»، خرجت طائفة من جند علي، رفضت التحكيم، وقالوا: «لا حكم إلّا بالله»، وكان فيهم عبد الله بن وهب الراسبي، وعرفوا باسم «المحكمة» أرادوا إعلان الإمامة، فتداولوا بينهم، وعرضوا الإمامة على علمائهم، فرفضوها، وهنا برز عبد الله بن وهب ينقذ الموقف ويتولاها قائلاً: «فوالله ما أخذتها رغبة في الدنيا، ولا أدعها فرقاً من الموت» فبايعوه بالإمامة. قتل في التاسع من شهر صفر سنة ٣٨هـ في معركة النهروان مع عدد كبير من أصحابه. وتنسب الإباضية إلى عبد الله بن وهب، لذا يقال: الإباضية الوهبية التي التزمت منهاج عبد الله بن إباض «القعود والتروّي». انظر: بابا عمي، محمد بن موسى: معجم أعلام الإباضية، ج٢، ص ٢٧٧ - ٢٧٩.

(٢) زياد بن الخراش: زياد بن الخراش العجلي، شجاع، ثائر، خرج على معاوية بن أبي سفيان في ثلاثمائة فارس، فأتى أرض مسكن، من سواد العراق، فسيّر إليه زياد بن أبيه جيشاً، فقاتله، ونشبت معارك بينهما، انتهت بمقتل زياد بن الخراش سنة ٥٢هـ/ ٦٧٢م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص ٥٤.

ثم خرج من بعده رجل يقال له: تميم بن مسلمة وأصحابه. ثم خرج علي الأعرج بقرية حروراء من أرض الكوفة، وسميت الخوارج حروريين على اسم القرية، فدعا إلى ما دعا إليه من قبله من المسلمين، حتى مضى لسبيله.

ثم خرج المرداس بن حدير، وكان خروجه في زمن عبيد الله بن زياد، وكان جباراً غشوماً منافقاً فاسقاً باغياً، يعذب المسلمين ويقتلهم بغير حق، ويقطع أيديهم، وأرجلهم، ويسمل أعينهم. فلما رأى أبو بلال ذلك، أخذته الحمية والعصبية على أهل دينه، فكتب كتاباً إلى جابر بن زيد(١) يشاوره، وكان جابر ذا رأي صائب، وكان أئمة المسلمين لا يخرجون إلّا برأيه، ويحجبونه ويسترونه عن الحرب لئلا تموت دعوتهم؛ لأنه إمامهم ورئيسهم، ويكون لهم رداءًا وظهيراً، وكان أعور العين وألثغ، وكان يسكن بفرق(٢) قرية بين منح(٣)

---

(١) جابر بن زيد: الإمام جابر بن زيد الأزدي الجوفي العُماني البصري، من بني عمرو بن اليحمد، من بلدة فرق القريبة من نزوى، ولد بها، وهي موطنه، وبها نشأ، وتلقى مبادئ علومه بها، ثم خرج منها لطلب العلم إلى البصرة، وكانت من بين عواصم البلاد الإسلامية في العلم والأدب والسياسة، واتخذها دار المقام، ومدرسة علم. وكان ينتقل بينها وبين الحجاز، لاستزادة معرفة، أو لتحقيق مسألة، أو لملاقاة شيخ. وروى الحديث عن ثلّة من خيرة الصحابة منهم: عائشة أم المؤمنين، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن مسعود، وجابر بن عبدالله، وأبو سعيد الخدري. ويروى عن جابر أنه قال: «أدركت سبعين بدرياً، فحويت ما عندهم إلا ـ البحر الزاخر ـ عبدالله بن عباس، كان مفتي البصرة في زمانه، ومن تلامذته أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وضمام بن السائب، وقتادة شيخ البخاري، وعمر بن دينار، وأيوب بن أبي تميمة كيسان، وجعفر السماك، وغيرهم. كان جابر إماماً في التفسير، والحديث، والفقه، ترك موسوعة علمية نفيسة تعرف بـ «ديوان جابر»، وهو أول من جمع الحديث في ديوان، لكن ديوانه ضاع، وبقيت فتاواه. ومن مؤلفاته أيضاً كتاب «الصلاة»، وكتاب «النكاح»، «وفقه الإمام جابر»، و«جوابات الإمام جابر». وهو إمام أهل الدعوة والاستقامة، وواضع قواعد المذهب الإباضي. توفي سنة ٩٤هـ. وبعد موته قال أنس بن مالك: «مات أعلم من على ظهر الأرض». انظر الترجمة الكاملة في: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج١، ص ٧٤ - ٨٥. وبابا عمي، محمد بن موسى: معجم أعلام الإباضية، ج٢، ص١٠٨ - ١٠٩.

(٢) فرق: بلدة في المنطقة الداخلية من عُمان، تبعد عن مدينة نزوى عشرة كيلومترات تحوي رفات الشعثاء بنت الإمام جابر بن زيد الأزدي العُماني.

(٣) منح: بلدة في المنطقة الداخلية من عُمان، تبعد مسافة عشرين كيلومتراً عن مدينة نزوى.

ونزوى[1]، حمل العلم عن ابن عباس وعائشة أم المؤمنين (٣٧١) وعن سبعين بدرياً، وكانت وفاته سنة ثلاث ومائة في خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان، وكان مختفياً في أيام الكتمان. وقال أبو سفيان محبوب بن الرحيل رحمه الله: كان أبو بلال[2] يبرز في جوف الليل بصحن داره، فيقلب بصره في السماء، ويقول: ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦]. ثم يستوي على فرسه، ويلبس لامة حربه وسلاحه، فيخرج يدعو إلى الله، ويرغب إليه، ثم يقول لأصحابه: مالله فينا حاجة، ولا حاجة لله في جميع خلقه.

(١) نزوى: مدينة عُمانية تقع على سفح الجبل الأخضر في المنطقة الداخلية، أنشأها عرمان بن عمر الأزدي، نزلها السبئيون. كما سكنها الخيار بن يحيى من أبناء امرئ القيس، وسكن أخوه الآخر بسمد نزوى، ومنهم انتشرت ذريتهم بنزوى. توسعت المدينة أيام الأئمة الخروصيين، ثم في عهد النباهنة، وكذلك الأئمة اليعاربة، حيث اتخذت عاصمة للإمامة في عُمان منذ بداية عهد الإمامة الثانية سنة ١٧٧هـ. وقال ياقوت: يعمل في نزوى صنف من الثياب منمقة بالحرير جيدة فائقة، لا يعمل في شيء من بلاد العرب مثلها، ومآزر من ذلك الصنف يبالغ في ثمنها. انظر: نزوى عبر التاريخ، حصاد ندوة المنتدى الأدبي في نزوى، الطبعة الأولى ٢٠٠١م. والحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٥، ص ٢٨١. وانظر: السيابي، سالم بن حمود بن شامس: العنوان في تاريخ عُمان، ص٦٣ ـ ٦٦.

(٢) أبو بلال: مرداس بن حدير، ويعرف بمرداس بن أديّة التميمي، أبو بلال، أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، اشتهر بمرداس بن أديّة، وأديّة أمه. تابعي من أئمة المذهب الإباضي الأوائل، لازم الإمام جابر بن زيد، أخذ عنه، والتقى عدداً من الصحابة، منهم: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن وهب الراسبي، وعائشة أم المؤمنين. وشارك في حرب صفين، فأنكر التحكيم، وكان من أهل النهروان، فنجى منها، أنشأ جماعة سريّة منظمة، تتكون من أربعين شاباً، منهم: حريث السدوسي، وكهمس الصريمي، وعقد المجالس والمناظرات لإقناع الناس بوجهة نظره، سجنه عبيد الله بن زياد، ثم أطلق سراحه، واضطرته الضغوط والمظالم الأموية أن يعلن براءته منهم، فأرسل إليه عبيد الله بن زياد جيشاً بقيادة أسلم بن زرعة الكلابي في ألف رجل، لكنه هزمه، فوجه له جيشاً آخر قوامه أربعة آلاف جندي بقيادة عباد بن علقمة المازني المشهور بعباد الأخضر، فغدر بأبي بلال وصحبه، وقتلهم بين ساجد وراكع في آسك سنة ٦١هـ. ويعدّ أبو بلال من الشعراء المجيدين، ومن شعره:

أبعد ابن وهب في الوفاء وفي التقى ... ومن خاض في تلك الحروب المهالكا
أحبُّ لقاءً أو أرجّي سلامة ... وقد قتلوا زيد بن حصن ومالكا
فياربّ سلّم نيتي وبصيرتي ... وزدني تقى حتى ألاقي أولئكا

انظر: بابا عمي، محمد بن موسى، وآخرين: معجم أعلام الإباضية، ج٢، ص ٤٤١ - ٤١٢.

ثـم خـرج هو وأصحابه في بيـت بني تميم، فدعوا ربهـم، ورغبوا إليه، إن كان راضيـاً فيمـا يريدون أن يجعل لهـم علامة، فانشـق سـقف البيت الذي هم فيـه، حتـى نظروا إلى السـماء، ثم التأم السـقف كما كان، فخـرج أبو بلال في أربعيـن رجـلًا لا يدعون هجـرة ولا ينتحلونها، ولا يخيفون آمنـاً، ولا يغنمون مالاً، ولا يسبون ذرية، ولا ينزلون أهل القبلة منزلة عبدة الأوثان، ولـم يخرجوا مـع النسـاء ولا العبيـد، إلّا أن امرأة كانت مشـهورة بالجمـال، وكان قد طلبها عبيد الله بن زياد، لعنه الله، فخافت على نفسها أن يبطش بها، فخرجت مع أبي بلال هاربة ببنيها، حتى بلغوا الأهواز توفيت بها.

وكان خروجهم مسـتخفين في جيش بعثه عبيد الله، فقال أبو بلال: تداعوا بالبغلـة الشـهباء. ثـم إنهـم انسـلّوا من الجيـش حتى نزلـوا بآسـك[1] من قرى الأهواز، وكان أبو بلال حصد من غلّة ماله سنة خروجهم مائة ألف دينار، فلما علـم بهـم عبيد الله بعـث إليهم ألفي رجل، وأمَّر عليهم رجلاً يقال له: مسـلم، فلمـا التقوا ناشـدهم الله أبو بلال، فقال: نذكركم الله فـي دمائنا، فقد علمتم ما انتهك منا وما نالنا من المناكر حين ادّعينا الإسلام، وانتحلنا ملّة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقـد علمتـم قول الله ﷻ، حيـث يقـول: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠]. فأبـوا إلّا القتال، فقاتلهم أبو بلال بمن معه، فهزمهم بإذن الله، وفي ذلك يقول الأعشى[2] أخو بني تميم شعراً[3]:

(١) آسـك: أو جاسـك، وهـي جزيرة كبيرة بين جزيـرة قيس (وهـي المعروفة بكيش) وعُمـان قبالة مدينة هرمز. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج٢، ص٩٥.

(٢) الأعشـى: عبد الرحمٰن بن عبد الله بن الحارث بن نظام بن جشـم الهمذاني: شـاعر اليمانيين بالكوفة، وفارسهم في عصره، ويعدّ من شعراء الدولة الأموية. كان أحد الفقهاء القراء، وقال الشعر فعرف به، وكان من الغزاة أيام الحجاج، غزا الديلم، وله شعر كثير في وصف بلادهم ووقائع المسلمين معهم. ولما خرج عبد الرحمٰن بن الأشـعث انحاز الأعشـى إليه، واسـتولى على سجستان معه، وقاتل رجال الحجـاج الثقفي، ثم جيء به إلى الحجاج أسـيراً بعد مقتل ابن الأشـعث، فأمـر به الحجاج، فضربت عنقه سنة ٨٣هـ. وأخباره كثيرة. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص٣١٢. وانظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، ج٤، ص١٨٥.

(٣) ذكر الإزكوي أن الأبيات للأعشى، ولدى العودة إلى ديوانه تبيّن أنها غير موجودة فيه، وأشار صلاح =

أألفا مؤمن منكم زعمتم وتهزمكم بآسك أربعونا
كذبتم ليس ذاك كما زعمتم ولكن الخوارج مؤمنونا
هم الفئة القليلة قد علمتم على الفئة الكثيرة ينصرونا
أطاعوا أمر جبار عظيم وما من طاعة للظالمينا[1]

(٣٧٢) وكتب أبو بلال إلى القاعدين من ملَّته: أما بعد فقد لقينا قوماً، فهزم الله كثرتهم بقلَّتنا، وكنّا نحن الفئة القليلة، فغلبت الفئة الكثيرة بإذن الله، والله مع الصابرين، ألا وإني قاطع البحر، وخارج إلى عُمان، وماضٍ إلى مكة، فأقيم بها كما أقام بها شهم بن غالب[2]، وأدعوهم إلى ما دعاهم إليه، فمن أراد أن يلحق بنا فليوافينا مكة.

ثم إن عبيد الله بن زياد جهز جيشاً آخر فيه ثلاثة آلاف فارس، وقيل: أربعة

= الدين الهادي إلى أنها لعيسى بن فاتك الخطي، قالها في وصف أبي بلال، ومن أصحابه في آسك. في حين ذكر الحارثي أنها لرجل من الخوارج، وأشار إلى أن المبرّد نسبها لعيسى بن فاتك من بني تميم اللات بن ثعلبة، وزاد قبلها:

فلما أصبحوا صلّوا وقاموا إلى الجرد العتاق مسومينا
فلما استجمعوا حملوا عليهم فظل ذوو الجعايل يقتلونا
بقية يومهم حتى أتاهم سواد الليل فيه يقتلونا
يقول بصيرهم لما أتاهم بأن القوم ولّوا هاربينا

انظر: الهادي، صلاح الدين: اتجاهات الشعر في العصر الأموي، ص٢٠٦. وانظر: الحارثي، سالم بن حمد بن سليمان بن حميد: العقود الفضية في أصول الإباضية، ص١١١ - ١١٤.

(١) انظر الأبيات في: الهادي، صلاح الدين: اتجاهات الشعر في العصر الأموي، ص٢٠٦. وفي الحارثي، سالم بن حمد بن سليمان بن حمد: العقود الفضية في أصول الإباضية، ص١١١ - ١١٢.

(٢) شهم بن غالب: والصحيح سهم بن غالب الهجيمي، من زعماء الثائرين على معاوية، خرج سنة ٤١هـ بالبصرة، وقاتل حتى فني أكثر أصحابه، فاستخفى، ثم ظهر، فطلبه زياد بن أبيه، فتوارى. وما زال كذلك حتى قبض عليه عبيد الله بن زياد، فصلبه في البصرة، وقيل: صلبه زياد. وفيه يقول الشاعر:

فإن تكن الأحزاب باءت فلا يبعدّن الله سهم بن غالبِ

انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص١٤٤.

آلاف، وأمَّـر عليـه عباد بن الأخضر[1]، وأَمَره بالمسـير إلى أبي بلال وأصحابه، فبينمـا أبو بـلال وأصحابه بعد العصـر إذ هم بالرايات قـد رُفعت، والأعلام قد نصبـت، وزعقـات القـوم قد عليـت، والبيض تتـلألأ، وصهيل الخيـل، وقعقعة اللجـم، وقـد أقبل عباد بخميسـه، وكان في أصحاب المـرداس، رجل يقال له: حريث بن الجهم[2]، حسن الصوت بقراءة القرآن، فنادى في أصحابه، فاجتمعوا، ووقفوا حوله، فقرأ عليهم، ورجَّع صوته هذه أبواب الجنان قد فتحت لكم من ورائكم. ثم قرأ: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢]. فلـم يـدع آية فيها ذكر القتال إلّا تلاها وحرّض أصحابه بها، فقال أبو بلال رحمه الله:

إنـي وزنـت الـذي يبقـى ليعدله ... مـا ليـس يبقى فمـا والله ما اتزنا
مـن كان يرجـو بقـاءًا لا نفاذ له ... فـلا تكـن جنـة الدنيـا له سـكنا
تقوى الإلٰه وخوف الله أخرجني ... وبيع نفسي بما ليست له ثمنا[3]

(١) عباد بـن الأخضـر: عباد بـن علقمة بـن عبـاد المازني التميمي. نُسـب إلـى الأخضر، وهـو زوج أمه. قائد اشـتهر في العصر الأموي، وجهه عبيد الله بن زياد لقتال مرداس بن حدير ومن معه من الشـراة، فالتحمـا فـي معركة شـديدة قرب البصرة يـوم الجمعة، حمـل على أصحاب مرداس وهـم بين راكع وسـاجد، وقتلهم جميعاً، وأرسـل رأس مرداس إلى ابن زياد، وعاد هو إلى البصرة، فأقام مدّة وائتمر به بعض الشـراة، فقتلوه غيلة في سـكة بني مازن عند مسجد كليب بالبصرة سنة ٦١هـ/ ٦٨٠م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص ٢٥٧.

(٢) حريث بن الجهم: والصحيح حريث بن حجل السدوسـي، أحد أصحاب أبي بلال مرداس بن حدير، شـهد معركة آسـك سـنة ٦١هـ ضدّ جيش عبيد الله بن زياد، وهو الذي حمل على القعقاع بن عطية الباهلي، عندما نزل إلى ساحة القتال وهو يقول:

أقـاتـلـهـم ولـيـس عـلـيّ بعث ... نـشـاطـا لـيـس هــذا بالنشاط
أكـرّ علـى الحروريين مهـري ... لأحملهـم علـى وضـح الصـراط

ـ فهاجمه حريث ومعه كهمس بن طلق الصريمي، وتمكنا من أسره وقتله، ولم يأتيا به أبا بلال، وقتل حريـث مـع أبي بـلال مرداس بقية أصحابه فـي المعركة. انظر: الحارثي، سـالم بن حمد بن سليمان بن حمد: العقود الفضية في أصول الإباضية، ص ١١٤ ـ ١١٥.

(٣) انظـر الأبيات في: الحارثي، سـالم بن حمد بن حمد بن سـليمان بن حمد: العقـود الفضية في أصول الإباضية، ص ١١٨، مع اختلاف في الألفاظ.

وقال أيضاً:

ماذا نبالي إذا طارت جماجمنا ... تحت العجاج كمثل الحنظل البالي
ماذا نبالي إذا أرواحنا خرجت ... ماذا فعلتم بأجسام وأوصالِ
نرجو الإلٰه إذا أرواحنا خرجت ... تحت العجاج وتحت القسطل العالِ
إني امرئ باعني ربي لموعده ... إذا القلوب جرت من خوف أهوالِ
وأدّت الأرض منّا مثل ما أخذت ... وقرّبت لحساب القسط أعمالي
نفسي ظنون ولست الدهر آمنها ... من بعد كعب وطوّاف وعسّالِ
(٣٧٣) من كان من أهل هذا الدين كان له ... ودّي وشاركته في تالد المالِ
الله يعلم إني لا أحبهم ... إلّا لوجهك دون العم والخالِ[(١)]

وبلغنا أن أبا بلال لمّا انعطف عليهم عبّاد، قال لأصحابه: من كان قد خرج إلى الدنيا فليذهب إليها، ومن أراد الآخرة فقد سبق له ذلك، وتلا هذه الآية: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠]. ثم ركب، وركب معه أصحابه، ومشى إليهم يقدمهم كهمس[(٢)]، الذي كانت أمه تفرغ عليه الدرع، وتقول: اللهم إني أتقرب به إليك، فلا تردّ عليّ قرباني، فقاتل حتى قتل رحمه الله، فمرَّ عليه الشيخ مرداس، فأكبّ عليه، وقبله، وبكى، ثم شدّ، وجعل يضرب يميناً

(١) انظر الأبيات في: الحارثي، سالم بن حمد بن سليمان بن حمد: العقود الفضية في أصول الإباضية، ص ١١٧ - ١١٨، مع اختلاف في الألفاظ.

(٢) كهمس: هو كهمس بن طلق الصّريمي، من شجعان الخوارج. كان مع مرداس بن حدير، وهما في نحو أربعين رجلاً، فقاتلهم أسلم بن زرعة الكلابي ومعه ألف رجل، وانهزم أسلم إلى البصرة. قال مودود العنبري: «وقيل: الوليد بن حنيفة»: يضرب المثل برجال كهمس:

وكنا حسبناهم فوارس كهمس ... حيوا بعد ما ماتوا من الدهر أعصرا

- وقتل في «آسك» بالأهواز، في معركة مع عباد بن علقمة. قال المبرد: كان كهمس من أبرّ الناس بأمه، فقال لها: (قبل خروجه مع مرداس): يا أمه، لولا مكانك لخرجت. فقالت، يا بني وقد وهبتك لله. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص ٢٣٥ - ٢٣٦.

وشمالاً، حتى طعنه رجل برمح، فأدخل نفسه في الرمح حتى ضرب طاعته، فانضجعا ميتين معاً، رحم الله مرداساً وأصحابه.

ووجدت أنه كان رجل من قوم عباد رأى في نومه تلك الليلة التي قتل فيها المرداس كأنَّ سُلّماً وضع من السماء إلى الأرض، فصعد أبو بلال وأصحابه إلى السماء، فأراد الرجل أن يصعد معهم، فضُرب وجهه، ومُنع من الصعود، وقيل له: لست من القوم (حتى)[1] تصعد معهم، ورفع السلم. فلما أصبح الرجل، بَرِئَ من دين قومه، وتولى أبا بلال وأصحابه، وقاتل على سبيلهم حتى قتل. وقال عمران بن حطان شعراً:

لقد زاد الحياة إليَّ بغضاً ... وحبّاً للخروج أبو بلالِ
أحاذر أن أموت على فراشي ... وأرجو الموت تحت ذرى العوالِ[2]

وله أيضاً:

يا عين ابكي لمرداس ومصرعه ... يا رب مرداس اجعلني كمرداسِ
تركتني هائماً أبكي لمصرعه[3] ... في منزل موحش من بعد إيناسِ
أنكرت بعدك ممن كنت أعرفه ... ما الناس بعدك يامرداس بالناسِ
أما شربت بكأس دار أولها ... على القرون فذاقوا جرعة الكاسِ
فكل من لم يذقها شاربٌ عجلاً ... منها بأنفاس ورد بعد أنفاسِ[4]

(١) إضافة يقتضيها السياق.

(٢) انظر الأبيات في: الهادي، صلاح الدين: اتجاهات الشعر في العصر الأموي، مكتبة الناجي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٦، ص ١٩٤. وفي العقود الفضية:

ولو أني علمت بأن حتفي ... كحتف أبي بلال لم أبالي

انظر: الحارثي، سالم بن حمد بن سليمان بن حمد: العقود الفضية في أصول الإباضية، ص ١١٧.

(٣) «تركتني هائماً أبكي لمرزئتي». انظر: المبرّد، أبي العباس: الكامل في اللغة والأدب والنحو والتصريف، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى البابي، مصر، الطبعة الأولى ١٩٣٧، ج٣، ص ٨٩٦.

(٤) انظر الأبيات في: المبرّد، أبي العباس: المصدر نفسه. وفي الحارثي، سالم بن حمد بن سليمان بن حميد: العقود الفضية في أصول الإباضية، ص ١١٧.

وله أيضاً:

يا جمر نفسـي من الأحداث موحشة	مفزوعـة القلب فـي روع وفي دهشِ
أبكـي لمصـرع مـرداسٍ وصحبتـه	حتـى سـينفذ مـاء العيـن بالعمـشِ
لضربـة فـي سـبيل الله مجهـرة	أشهى من الموت في الأنماط والفرشِ
(٣٧٤) صلى الإله على قوم قبورهم	حواصـل الطيـر فـي بريّـة مـرشِ[١]

ومن فضائل أبي بلال رحمه الله كان يبكي في جوف الليل، حتى لا يطيق أن يقوم، ولقد كان من شوقه إلى إخوانه كان يخرج من عند أبي الشعثاء جابر بن زيد اليحمـدي مـن بعد العتمة، فيأتيه قبل الفجر، فيقول له جابر: يا أخي لقد شـققت على نفسك، فيقول: والله لقد طال ما هبت نفسي شوقاً إلى لقائك حتى آتيك.

وكان مـن رحمته ليتبع المملوك وعلى ظهره قربته، فيدعوه إلى الإسـلام، ويبيّن له حق الإسلام، حتى إذا دنا المملوك من منزل أربابه رجع أبو بلال.

وكان لا يفطر حتى يعزل من فطرته لسـائل يسـأل، يتيماً، أو مسكيناً، وقال يـوم قتـل: يا ليت لي نفسـان: نفس تقاتل في سـبيل الله، ونفـس تقوم بحوائج المسلمين، وإن أثر السجود لفي عظم وجهه.

وكان يقول: ما أبيت ليلة عليَّ فيها ذكر خطيئة عملتها إلّا استغفرت منها، وإني لأحفظ كل شيء تكلمت به مذ أصبحت مخافة أن أخطئ، ولقد كان أول من حكَّم بالكوفة.

فكونوا إخواني لهؤلاء مقتدين، وفيهم متفكرين، وبهم متذكرين، أسأل الله لنـا ولكم هداه ومغفرته ورضاه، إنه جواد كريم. ثم خرج قريب، والزحاف[٢]،

(١) انظر الأبيات في: ديوان عمران بن حطان، ص٥٦.

(٢) الزحاف: زحاف الطائي الهلالي، أحد التابعين، ومن أهل الدعوة، كان شديداً في معارضته للأمويين، وعنيفـاً، وكان أبو بـلال مرداس يؤنّبه على ذلك. انظر: بابا عمي، محمد بن موسـى، وآخرين: معجم أعلام الإباضية، ج٢، ص١٥١.

وهما ابنا خاله، فأما قريب فإنه أزدي، والزحاف طائي، وعقدا لواءًا، وذلك لما رأيا ما انتهك منهما ومن قومهما، اجتمعوا بالبصرة يريدون الخروج ومعهم جماعة من المسلمين، فبلغ أمرهم إلى عبيد الله بن زياد، فبعث إليهم الخيل والرجال، وهم بعد لم يتأهبوا، فلما بلغهم ذلك تأهبوا ليخرجوا إلى الجبّان، فجعل الناس يرمونهم بالصخر من فوق البيوت يميناً وشمالاً، الرجال والنساء والولدان، وجميع أعداء الله، وطلعت امرأة لترميهم بصخرة، فطعنها أحدهم برمحه، فقتلها، وكانت بذلك جديرة، فقاتلا بمن معهما حتى قتل قريب، وأُخذ طواف أسيراً، وقتل كافة أصحابهما، فطلب طواف من عبيد الله ليمضي في حاجة ويرجع، فيأخذ عليه كفيلاً، فأبطأ طواف، فأراد عبيد الله أن يقتل الكفيل، فبلغ ذلك طواف، فأتى، وبرّأ الكفيل من الكفالة، فقال له عدو الله: ما حبسك عني؟ قال: كنت في المناظرة فيك وفي أمثالك. قال: فما وجدتني؟ قال: وجدتك حاكماً بغير ما أنزل الله، فأمر بصلبه (فصلب)[1]، (٣٧٥) ثم أمر بقتله، فكلما أتاه أحد ليقتله، قال له: أتطيع عبيد الله فيَّ وتعصي الله؟ فتحاموا قتله لما سمعوا من عدل كلامه، حتى أتاه إعرابي يقال: إنه من باهلة، وقد شحذ له سيفاً، فقال لهم: ما هذا الرجل؟ فقالوا: أمر الملك بقتله. قال: أجرّب سيفي، فردّ به السيف، فقتله رحمه الله.

فثار المسلمون في مكيدة الإعرابي، فوجده رجلان منهم بالسوق، فقالا له: يا هذا هل (لك)[2] في ناقة حمراء الوبر لينة؟ فقال: هي من حاجتي، فما لكما لا تبرزاها إلى السوق.؟ قالا: إنها قريبة (عهد)[3] بالبادية، وهي صعبة قال: انتظراني حتى أقضي حاجتي من السوق. قالا: نعم.

---

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٣٧٦.
(٢) استدراك من النسخة الأصلية، ب، ص٣٧٦.
(٣) استدراك من النسخة الأصلية، ب، ص٣٧٦.

فانتظـراه، حتـى إذا فـرغ انطلقا به، فجعـل يقول (لهما)[١]: مـا للبن؟ قالا: مـا حلبت يـدك. قال: ما الثمن؟ قـالا: ما أعطيت، وصدقا فيمـا قالا، ثم تقدم أحدهمـا واسـتأخر الآخـر، وجعـلاه بينهما حتى دخلا بـه داراً، وشـدّا الباب، فأخذاه وشغراه وذبحاه، أبعده الله من رحمته.

وأما قاتل المرداس بن حدير التميمي فهو عباد بن الأخضر، فإنه قتله أهل الجـدار، وذلـك أنهم رأوه يـوم الجمعة راكباً دابّته هو وولـده، فقالوا: ما تقول في رجل قتل أخانا، كيف نصنع به؟ قال: اسـتعدوا عليه إلى السـلطان. قالوا: إن السلطان لا ينصفنا. قال: إن لم ينصفكم السلطان فاقتلوه. فوثبوا عليه وهم ستة أنفار، فقتلوه، فوثب عليهم الناس من كل جهة، فالتجأوا إلى جنب الجدار فهدموه عليهم، فماتوا رحمهم الله. وفيهم يقول بعض المسلمين:

مـا كان فـي ديـن طـواف وصحبتـه ... أهـل الجدار احتراث الحب والعنب
النافذيـن عـلـى مـنـهـاج أولـهـم ... من الخـوارج قبل الغل والشـغب[٢]

وفيهم بعض المسلمين يقول:

يا رب هب لي الشرا والصدق في ثقة ... واكـفِ المهـمّ فأنت الـرازق الكافي
حتـى أبيـع الـذي يغني بآخـرةِ ... تبقـى علـى ديـن مـرداس وطـوافِ
وكهمـسٍ وأبي الشـعثاء[٣] إذا انفرقا ... وابن المبيح[٤] وجوّاب[٥] وزحافِ[٦]

---

(١) استدراك من النسخة الأصلية، ب، ص٣٧٦.

(٢) انظر البيتين في: الحارثي، سـالم بن حمد بن سـليمان بن حميد: العقود الفضية في أصول الإباضية، ص١٠٩.

(٣) أبو الشعثاء: هو الإمام جابر بن زيد الأزدي العُماني. وقد وردت ترجمته سابقاً.

(٤) ابـن المبيـح: ذكره الحارثي باسـم ابن المنيح. انظر: الحارثي، سـالم بن حمد بن سـليمان بن حميد: العقود الفضية في أصول الإباضية، ص١٠٩.

(٥) جوّاب: علم من أعلام الإباضية لم نعثر على ترجمة له.

(٦) زحاف: هو الزحاف الطائي الهلالي، وردت ترجمته سابقاً.

ما راقهم باطل الدنيا وزخرفها ... ولا الترفل في خزّ وأفوافِ
كم فيهم من غلام العلم ذي ثقة ... ومن خطيب لدين الله وصّاف
أولئك البائعون الله أنفسهم ... بجنّة الخلد والمنقوص بالوافي[1]

(٣٧٦) ولمّا قتل المرداس وأصحابه رحمة الله عليهم، خرج طالب الحق عبدالله بن يحيى الحضرمي. قيل: إنه كان أعور بعين، وكان النبي ﷺ يقول: «**إذا قتل الأعور اليماني غضب له أولياؤه من أهل السماوات والأرض**»؛ يعني: عبدالله بن يحيى الحضرمي. وكان خروجه سنة تسعين من الهجرة في خلافة مروان بن محمد، وكان عامل حضرموت رجل يقال له: إبراهيم بن جبلة بن مخزمة الكندي، من تحت القويسم بن عمر الثقفي[2]، والقويسم عامل على اليمن من تحت مروان بن محمد.

وكان إبراهيم قد أظهر بحضرموت سيرة الجبابرة، وعظم ذلك على أهل حضرموت، فشكوا إلى عبدالله بن يحيى، وكان يرى رأي الإباضية، وهو مختزن في بيته، وكان على رأيه طائفة من أهل حضرموت، فقال ابن يحيى لأصحابه: لا يجوز لنا المقام على ما نرى من الجور، ولا يسعنا دون أن نغيّره.

فكتب إلى مسلم بن أبي كريمة وغيره من إخوانه من أهل البصرة يشاورهم في الخروج. فكتبوا له: إن استطعت أن تقيم ساعة واحدة، فإن المبادرة بالعمل

(١) انظر القصيدة في: الحارثي، سالم بن حمد بن سليمان بن حميد: العقود الفضية في أصول الإباضية، ص١٠٩.

(٢) القويسم بن عمر الثقفي: والصحيح القاسم بن محمد بن الحكم، من بني ثقيف، والٍ، من رجال العصر المرواني، له شعر. ولاه مروان بن محمد على اليمن سنة ١٢٧هـ، ونشبت في أيامه ثورة الإباضية بحضرموت واليمن، يقودها «طالب الحق» عبدالله بن يحيى، وقاتلهم ليردّهم عن صنعاء، فغلبوه، وقتلوا أخاً له اسمه «الصلت» فرحل عنها، ومما قاله بعد خروجه:

ألا ليت شعري هل أدوسنَّ بالقنا ... تبالة أو نجران قبل مماتي

ـ انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص١٧٨ ـ ١٧٩.

الصالح أفضل، ولا تدري متى يأتي عليك أجلك، ولله خيرته من خلقه إذا (بيعتهم)[١] شاء لنصر دينه، ويختصهم الشهادة.

وشخص إليه من عندهم أبو حمزة المختار بن عوف السليمي الأزدي من أهل عُمان في اثني عشر رجلاً، منهم: بلج بن عقبة[٢] (السليمي الأزدي)[٣] من أهل عُمان، يعدّ المختار وبلج لألفي فارس.

فلما وصلوا إلى عبد الله بن يحيى حارب عامل حضرموت حتى هزموه، ونصرهم الله عليه.

ثم تجهّزوا لحرب القويسم باليمن في أربعة آلاف، فلما علم بهم القويسم خرج للقائهم في ثلاثين ألفاً في السلاح والعدّة، وشخص من صنعاء يريد عسكر ابن يحيى، حتى لقيهم قرب أبين[٤]، فنزل بالسرادقات والخيام والدفوف والغناء والرقص والمزامير واللعب، ونزل المسلمون بالتسبيح والتقديس والتهليل والتكبير والتحميد وقراءة القرآن.

ولما رأى أصحاب ابن يحيى كثرة أصحاب القويسم ضعف من ضعف

(١) استدراك من النسخة الأصلية، ب، ص٣٧٧.

(٢) بلج بن عقبة: بلج بن عقبة بن الهيصم الأسدي، من فراهيد بني مالك بن فهم، عُماني الأصل، عاش بالبصرة، صنفه الشماخي في طبقة تابعي التابعين. اشتهر بالشجاعة والبطولة، حتى قيل ـ مبالغة في شجاعته ـ؛ إنه يقابله ألف رجل، بعثه أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي إلى عبد الله بن يحيى الكندي «طالب الحق» ليشارك معه في حروبه ضدّ جور ولاة بني أمية في اليمن والحجاز، وقد حققت تلك الثورة الإباضية التي قادها طالب الحق نتائج باهرة، ولا تزال ثورتهم عند بعض المؤرخين المنصفين مضرب المثل في اعتدال موقفهم وتضحيتهم في سبيل الدين، شارك بلج في معركة الدفاع عن الحجاز وأبلى بلاءً حسناً، وقتل في معركة وادي القرى سنة ١٣٠هـ. انظر: بابا عمي، محمد بن موسى، وآخرون: معجم أعلام الإباضية، ج٢، ص٩٩.

(٣) استدراك من النسخة الأصلية، ب، ص٣٧٧.

(٤) أبين: وهو مخلاف اليمن، منه عدن، ويقال: إنه سمي بأبين بن زهير بن أيمن بن الحسن بن الهميسع بن حمير بن سبأ. وقال الطبري: عدن بن أبين بن أدد. وقال عمارة بن الحسن اليمني الشاعر: أبين موضع في جبل عدن. انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، ج١، ص٨٦.

منهم، وقالوا: اهجم بنا عليهم بالليل، فإن تكن لنا أصبحنا، وإن تكن علينا نجونا في سواد الليل. فأتى ابن يحيى، وأمر منادياً فنادى: من لم يرد القتال فلينصرف من الليلة، فانكشف الناس، وبقي ألف وستمائة رجل، وقد أمَّر ابن يحيى على كل فئة رجلاً منها، وبات تلك الليلة رجال من أصحابه يقرأون القرآن، ويسبّحون، ويصلّون، حتى صلّوا بوضوئهم لصلاة المغرب صلاة الفجر.

فلما أصبحوا، أمرهم ابن يحيى بالحملة، فحملوا عليهم، واقتتلوا قتالاً شديداً، حتى أزيل أصحاب ابن يحيى عن مراكزهم، وهموا بالهزيمة، فصاح ابن يحيى برجال قومه، وصوّت ببلج بن عقبة وابن عمارة[1]، وبلج يومئذ هو ابن عشرين سنة، وقال: أين ما كنتما تعدانني؟ إلى أين (٣٧٧) تريدون؟ إلى النار أم إلى الدنيا؟ فوالله ما تمتعون إلّا قليلاً. فصاحا بأصحابهما، وقالا: احملوا، فإن اللقاء أهون من الهيبة.

فحملوا جميعاً حملة واحدة، واقتتلوا حتى هزم الله القويسم وجنده بعد أن قتل من أصحابه أربعمائة رجل، وقتل من أصحاب ابن يحيى ستون رجلاً.

وتوجه القويسم إلى صنعاء، وخندق على نفسه، فلم يلبث إلّا قليلاً حتى وافاه ابن يحيى، وألقى الله إليه الرعب، فهرب إلى الشام، واستولى يحيى على جميع اليمن، وخطب الناس بصنعاء، ودعاهم إلى الله تعالى، وخوفهم عقوبته.

---

(١) ابن عمارة: هو المعتمر بن عمارة، اجتمع مع وائل بن أيوب عند الربيع بن حبيب مع جماعة من أهل الدعوة، فسألوه أن يخرج إلى موسم الحج معهم، فقال: ما عندي ما أتحمل به، فمشوا إلى النظر بن ميمون، وكان من خيّار المسلمين، فأتاه بأربعين ديناراً، فقال له: حج بها، فلم يقبلها الإمام الربيع، فأتاه المعتمر ووائل، فقالا: تعلم يا أبا عمرو حاجة الناس إليك، فأبيت أن تقبل من النظر، قال لي: خذها على أن تحج بها، ولست أقبلها على شرط. انظر: الحارثي، سالم بن حمد بن سليمان بن حميد: العقود الفضية في أصول الإباضية، ص ١٥١. وانظر ترجمته في: السعدي، فهد بن علي بن هاشل: معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية، ج٣، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤.

ثم توجه أبو حمزة المختار بن عوف، وبلج بن عقبة، وأبرهة بن الصباح[١] إلى مكة وإلى المدينة، فوافى أبو حمزة الحج، وأمير الحجاج يومئذ عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان[٢]، فهرب عبد الواحد، وأخذ أبو حمزة مكة بغير قتال، واستولى على مكة، وخطب أهلها.

وكان خروجه من عند ابن يحيى في تسعمائة رجل، أو ثمانمائة رجل، وكان يومئذ أبو الحر علي بن الحصين[٣] قد بعث إليه مروان بن محمد،

(١) أبرهة بن الصباح: أبرهة بن الصباح الحميري، قائد بطل في جيش طالب الحق عبد الله بن يحيى الكندي، الذي بعثه مع المختار بن عوف أبي حمزة الشاري، وبلج بن عقبة إلى مكة المكرّمة سنة ١٣٠هـ/ ٧٤٧م في الثورة الكبرى التي قامت بها الإباضية في الجزيرة العربية، والتي هزّت كيان الأمويين، وكانت أحد أسباب سقوطها. دخل هذا القائد مكة بجيشه، وعمل على تطهيرها من الظلم والفساد والفسوق، قتل في المعركة التي واجه فيها قوّات الأمويين، وذلك سنة ١٣٠هـ/ ٧٤٧م، ورثاه عمرو بن الحصين بقصيدة. كان أبرهة إلى جانب بطولاته شاعراً، لكنه لم يكن من المكثرين. انظر: بابا عمي، محمد بن موسى، وآخرون: معجم أعلام الإباضية، ج٢، ص٣٨.

(٢) عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك: أمير مرواني أموي، ولي إمرة مكة والمدينة سنة ١٢٩هـ لمروان بن محمد. وله خبر مع الحرورية أيام فتنة المختار بن عوف (أبي حمزة) بمكة. فرّ منهم عبد الواحد إلى المدينة فعيّره أحد الشعراء بأبيات، منها:

ترك الإمارة والحلائل هارباً ومضى يخبط كالبعير الشارد

ولما ظفر العباسيون بالأمويين كان عبد الواحد في جملة من قتلهم عبد الله بن علي العباسي سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص ١٧٥ - ١٧٦.

(٣) علي بن الحصين: علي بن الحصين العنبري (أبو الحر) عاش في أوائل القرن الثاني الهجري في مكة، وصنفه الدرجيني ضمن الطبقة الثالثة (١٠٠ - ١٥٠هـ) فهو من تابعي التابعين، وأئمة الإباضية الأوائل. تتلمذ على يد إمام أهل الدعوة أبي الشعثاء جابر بن زيد، وعاصر الإمام أبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة. لأبي الحرّ مجلس علم بمكة، ويجتمع إليه علماء أهل الحق والاستقامة، وممن كان يحضره أبو سفيان محبوب بن الرحيل. ساهم بجهاده مع الشراة، في مقاومة الحكم الأموي، وكان في جيش عبد الله بن يحيى الكندي طالب الحق. وهو إلى شجاعته، عالم، فقيه، زاهد في الدنيا والرغبة في الآخرة. اختير ضمن أعضاء الوفد الستة الذين أرسلهم الإباضية لمقابلة الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، وإدلاء آرائهم ومواقفهم في قضايا الحكم وشؤون الأمة الإسلامية يومذاك، وطلبوا منه العمل على تصحيح الأوضاع والعودة بالأمة إلى نهج الرسول ﷺ، وخلفائه الراشدين، ومنع سُنَّة لعن الإمام علي على المنابر. وأورد الدرجيني قصّة طريفة تبيّن منهجية أبي الحرّ في التربية والأخذ بيد المنحرفين للعودة إلى الاستقامة، =

وأخذه من مكة، وشدّه في الحديد، وسار به أصحاب مروان يريدون به الشام، فسار المسلمون في طلبه على الأثر يسايرونهم استخفاءً، حتى هجموا عليهم، وأخذوه من عندهم، وأخذوا أصحاب مروان أسارى مخافة الطلب، حتى أبعدوهم إلى الساحل، ثم خلّوا سبيلهم، وقدموا مكة بأبي الحرّ، وهو يومئذ مستخف عن الناس، حتى وافاهم أبو حمزة المختار بن عوف، فلما رآه أبو الحر أمر أصحابه بالغسل والإحرام، وكشف عن نفسه الغطاء، ودخل في عسكر المختار. فوافاهم رسول مروان بن محمد بجنوده إلى مكة بعد الحج، فقاتلهم أبو حمزة بعد الاحتجاج عليهم حتى قُتل أميرهم، وقُتل يومئذ أبو الحر رحمه الله.

ثم توجه أبو حمزة يريد المدينة في ثلاثمائة راجل وأربعمائة فارس، فلقيهم أهل المدينة وعليهم عبد العزيز بن عبد الله من ولد عثمان بن عفان في ثمانية آلاف، فالتقوا بغدير، وهو موضع بين مكة والمدينة، وهو إلى مكة أقرب تحت عقبة خليص، فقاتلهم أبو حمزة بعد الاحتجاج عليهم، حتى هزمهم بإذن الله تعالى، وقتل منهم أميرهم عبد العزيز في أربعمائة وخمسين رجلاً من قريش، وقتل من الأنصار ثمانون رجلاً، وقتل من سائر الناس ألف وسبعمائة رجل، فهذه موقعة قديد.

ثم توجه أبو حمزة إلى المدينة وعلى مقدمته بلج بن عقبة، فدخلها، وخطب الناس على منبر رسول الله ﷺ، وهو متقلد سيفه، (٣٧٨) متنكب قوسه، وكان من أخطب الناس وأفصحهم، فهذه خطبته المشهورة المأثورة، المخبورة المأثورة، المذكورة المسطورة، المزبورة المشكورة المخبورة. قال:

= أسره جند مروان بن محمد، وقيّدوه في الحديد، فقتل في مكة تحت راية أبي المختار بن عوف حوالي ١٣٠هـ. انظر: بابا عمي، محمد بن موسى، وآخرون: معجم أعلام الإباضية، ج٢، ص٢٩٢. وانظر: السعدي، فهد بن علي بن هاشل: معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية، ج٢، ص٣٥١ ـ ٣٥٣.

أخبرنا الهيثم بن عدي الطائي[١]، قال: أخبرنا عيسى بن عبد الحميد، قال: دخل أبو حمزة المدينة في أصحابه وعليه قميص خلق وكساء صوف مصبوغ، معتمّ بعمامة بيضاء وسيف عريض حمائله ليف وعلى أصحابه مثله. قال عيسى: فلم أرَ هيئة قط أحسن من هيئتهم، ولا وجوهاً أحسن من وجوههم شباب كلهم، فلما صعد منبر رسول الله ﷺ، وضع جبهته في الموضع الذي كان يضع رسول الله ﷺ فيه قدميه، وبكى بكاءًا شديداً، حتى اشتدّ بكاؤه، ثم قال:

هاكم من قدم عاصية عاملة بغير كتاب الله، مؤثرة هواها على مرضاة الله ورسوله، قد وضعت موضع قدم رسول الله ﷺ، بأبي وأمي، سبحان الله، أين كانت آراء المسلمين وحلومهم.

ثم حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن الله تعالى قد بعث محمداً بالحق على فترة من الرسل وانقطاع من الحق ودروس منه، فأنزل الله عليه الكتاب، وشرّع له الشرائع، وفرض له الفرائض، وعلم له من الجهالة، واستنقذ به من الضلالة، وبيّن له ما يأتي وما يبقى، ولا يقدّم ولا يؤخّر إلّا بأمر عن الله، يمدّه بملائكته، وأمره بالجهاد، فمضى بما أمره الله من مجاهدة أعدائه. ثم قبضه الله على منهاج أنبيائه بعد تبليغه الرسالة وإنذاره وقيامه بالحجة، وقد علَّم الناس معالم دينهم، وأدّى الذي عليه من الحق لهم، ولم يذرهم في لبس ولا شبهة من أمر دينهم، ثم قبضه إليه ﷺ.

(١) الهيثم بن عدي الطائي (١١٤ - ٢٠٧هـ/ ٧٣٢ - ٨٢٢م): الهيثم بن عدي بن عبد الرحمٰن الثعلبي الطائي البحتري الكوفي، أبو عبد الرحمٰن، مؤرخ، عالم بالأدب والنسب، أصله من منبج، إقامته وشهرته بالكوفة، ووفاته في فم الصلح (قرب واسط) عند الحسن بن سهل. اختصّ بمجالسة المنصور والمهدي والهادي والرشيد، وروى عنهم. ونقل عنه أنه ذكر العباس بن عبد المطلب بشيء، فحبس عدّة سنين. قال ابن قتيبة وآخرون: كان يرى رأي الخوارج. له مؤلفات كثيرة منها: «بيوتات العرب» و«بيوتات قريش» و«نزول العرب خراسان والسواد» و«نسب طيء» و«تاريخ الأشراف» و«أخبار زياد بن أبيه» و«كتاب المعمرين». انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٧، ص ١٠٤ - ١٠٥. وانظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان، ج٦، ص ١٠٦ ـ ١١٦.

ثم ولي من بعده أبو بكر، ثاني إثنين، فقام، واستقام، وشمر عن ساق، وعدل في الرعية، ولم يقبل في دينه الدنيّة، فقاتل أهل الردّة، ومن ارتدّ من العرب، فأعرضوا أن يقيموا الصلاة، ولا يؤتوا الزكاة، فأبى أن يقبل منهم إلّا ما كان رسول الله ﷺ قابلاً منهم، فضرب بأهل الحق أكتاف أهل الباطل حتى قررهم بالحق، وردّهم في الذي خرجوا منه، وجعلهم على شريعة الحق التي كانوا عليها قبل الفرقة، وأعطى كل ذي حق حقّه، ولم تأخذه في الله لومة لائم، ولم ترده الدنيا، ولم يردها. ثم مضى لسبيله والأمة عنه راضون رحمة الله عليه، فلما حضرته الوفاة أوصى إلى رجل من المهاجرين الأولين عمر بن الخطاب، ليس من بطنه (٣٧٩) الأدنين، ولا من رهطه الأقربين، فرضيت به الأمة.

ثم ولي عمر بن الخطاب، فقام بالحق، وعمل به، واستقام لأمر الله، واتبع سُنَّة صاحبيه، ومصّر الأمصار، وجنّد الأجناد، ودوّن الدواوين، وجبى الأموال، وفرض الأعطية، فلم يضع اسمه إلّا بقدر قرابته، ولم يأخذ من المال إلّا بقدر سهمه، وقام في شهر رمضان، وجلد في الخمر ثمانين، وخلط الشدّة باللين، وأقلَّت إليه الأرض أفلاذ كبدها، وأدى إلى كل ذي حق حقه، وقتل كسرى وآل كسرى، وأخرج قيصر وآل قيصر من الشام. ثم أوتي بكنوز كسرى من الشام، وكان أقل حظاً فيها آل الخطاب، وأرادته الدنيا ولم يردها، فقبضه الله على منهاج صاحبيه، فلما حضرته الوفاة أوصى إلى ستة نفر من المهاجرين، قبض رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، ليسوا من بطنه الأدنين، ولا من رهطه الأقربين، فقدّموا خيرهم عثمان (بن عفان)[1].

(ثم ولي عثمان،)[2] فعمل بعمل صاحبيه ست سنين مشمراً، وأصاب من

---

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٣٨١.
(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٣٨١.

الدنيا مترعاً. ثم عمل في الست البواقي ما أحبط الآخر الأول، فقتله المسلمون، ثم اضطرب الحبل واضطرب الناس بينهم، وطلبها كل امرئٍ لنفسه.

ثم ولي علي بن أبي طالب، أقدمهم في الإسلام إسلاماً، وأعظمهم في الإسلام نصيباً، ولد على الفطرة، وله سابقة في الهجرة، وله فضائل كثيرة، ولم يأخذ من المال إلّا بقدر عطاه، وأتاه عقيل بن أبي طالب[(١)] يسأله، فلم يعطه شيئاً، ولم يزل حاداً مجتهداً غالباً مظفراً، حتى حكم الحكمين، فاختلف عليه أمره، وصار أصحابه شيعاً، وقاتل أهل النهروان، وكان من أمره ما كان.

ثم ولي معاوية بن أبي سفيان لعين رسول الله ﷺ وابن لعينه، يالَعباد الله أين كانت عقول أصحاب رسول الله ﷺ؟ ويا لهفاه! أين كانت تغير المسلمين عليه؟ فأخذ المال غصباً بغير وصية إمام، ولا رضى عن جماعة، وعمل بالغدر، ونقض العهد، وركب البراذين، وأرشى الرشا، وأقطع القطائع، واتخذ المقاصير، واحتجب عن المسلمين، فالعنوه لعنه الله.

ثم ولي يزيد بن معاوية، فمضى إلى منهاج أبيه، لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً، ولا يؤنس منه رشد، فإنا لله وإنا إليه راجعون، يريد القرود والفهود، ويريد الخمور، سيفه غير مأمون على الخزائن، قال الله (تعالى)[(٢)]: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم

(١) عقيل بن أبي طالب: عقيل بن عبد مناف (أبي طالب) بن عبدالمطلب الهاشمي القرشي، وكنيته أبو يزيد. أعلم قريش بأيامها ومآثرها ومثالبها وأنسابها. صحابي، فصيح اللسان، شديد الجواب، وهو أخو علي وجعفر لأبيهما. وكان أسنّ منهما. برز اسمه في الجاهلية. وكان في قريش أربعة يتحاكم الناس إليهم في المنافرات: عقيل، ومخرمة، وحويطب، وأبو جهم، وبقي عقيل على الشرك حتى كانت وقعة بدر، فأخرجته قريش للقتال كرهاً، فشهدها معهم، وأسره المسلمون، ففداه العباس بن عبدالمطلب، فرجع إلى مكة. ثم أسلم بعد الحديبية. وهاجر إلى المدينة سنة ٨هـ، وشهد غزوة مؤتة، وثبت يوم حنين، وفارق أخاه علياً على خلافته، فوفد إلى معاوية في دَيْن لحقه، وعمي في أواخر أيامه. توفي أول أيام يزيد. وكان في حلب وأطرافها جماعة ينتسبون إليه، يعرفون ببني عقيل. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص٢٤٢. وانظر: ابن الأثير، علي بن محمد: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص٦١ ـ ٦٣.

(٢) إضافة يقتضيها السياق.

مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء: ٦]. فأمر أمة محمد ﷺ ودماؤها وأموالها أعظم (٣٨٠) يالعباد الله، أين كانت عقول القوم عنه؟ فالعنوه لعنه الله.

ثم اضطرب الحبل، وولي طريد رسول الله ﷺ، فتناولها مروان وآل مروان، وورَّثها الأكبرُ الأصغرَ، والحمد لله رب العالمين، أين ذهبت عقول المسلمين؟ فالعنوا آل مروان لعنهم الله.

ثم ولي عبدالملك بن مروان أبو ذبان طريد رسول الله ﷺ، وقد لعنه الله وملائكته ورسله، فاتخذ عباد الله خولًا، ماله دولًا، وسلطانه ملكًا ودغلًا، يعطي الفيء فيئ المسلمين أقواماً لم يشهدوا موطئاً، ولم يحضروا مقاماً، ويحرمه من شهده وقام به، فهدم بيت الله الحرام، وأحيا سُنَّة أهل الطغام، ثم جعل الصخرة هيئة كهيئة المقام، يحجّ إليها حفاة أهل الشام،، فالعنوه لعنه الله.

ثم ولي الوليد بن عبدالملك، (فعمل بما عمل أبوه، فالعنوه لعنه الله)[1].

(ثم ولي سليمان بن عبدالملك)[2] فأكل نهماً، ولبس فخراً، وأظهر زياً، فرون المعصفر، فالعنوه لعنه الله.

ثم ولي عمر بن عبدالعزيز، فعمل، ولم يعمل، ولم يفعل، وأراد أمراً.

ثم ولي الفاسق يزيد بن الوليد بن عبدالملك، فوليها سفيهاً ضعيفاً، لم يؤنس منه رشد، ولم يستحق دفع ماله إليه، وقد قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء: ٦]. فأمر أمة محمد وفروجها ودماؤها أعظم عند الله، فشرب الخمور، وأكل الحرام، وشرب الحرام، ولبس الحرام، فأمر فصنعت له حلتان بألفي دينار، فارتدى واحدة، وآثر بأخرى، حبّابة عن

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٣٨٢.
(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص ٣٨٢.

يمينه، وسلّامة عن يساره، فأسقتاه الخمر، وغنتاه بأوتارهما، حتى إذا أخذت الخمرة فيه مأخذها، التفت إلى إحداهما، فمزّق حلّته، ثم التفت إلى الأخرى وقال: أطير؟ نعم، طر إلى النار حيث لا أراك الله. وقد ضرب المسلمين في تلك الحلتين، وحلق شعورهم، وأخنع أكبادهم، فيا سبحان الله أين كان تغير المسلمين؟ وأين كانت آراء المسلمين؟ فالعنوه لعنه الله.

وولي هشام الأحوال، فمزق العطاء، واستأثر بالفيء، وجعل الهنا والمراء فخره من فيئ المسلمين، فلا هنيئاً ولا مرئياً، وحضرت لكم يا أهل المدينة جمعة في سلطان هشام، وأصابتكم حطمة، وكتب إليكم كتاباً أسخط الله إليه، وكتب أرضاكم يدع لكم الصدقة، فزاد غنيكم غنى، وأضرّ بالمحتاج الذي أمر له بها، فقلتم: جزاك الله خيراً، فالعنوه لعنه الله.

ثم ولي الفاسق الوليد بن يزيد، فشرب الخمر ظاهراً، وأظهر الفاحشة عمداً، فوثب عليه يزيد بن خالد، فقتله، وكذلك قال الله (تعالى)[1]: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩].

ثم ولي مروان بن محمد، وادعى الخلافة، فنحت الوجوه، وسمل الأعين، وقطّع الأيدي والأرجل، فواعجباً ورضاكم ببني أمية بني الطريد بني (٣٨١) اللعين، فالعنوه لعنه الله.

ثم قال: أيها الناس، الفسقة بنو أمية سلطانهم سلطان ربوبية، وبطشهم بطش جبرية، يأخذون بالظنّة، يحكمون بالهوى، ويقتلون بالغضب، ويعفون بالشفاعة، ويأمنون الخيانة، ويعصون ذوي الأمانة، ويأخذون الصدقة على غير فريضتها، ويضعونها في غير موضعها، وقد سمى الله أصحابها، فجعلها بين أصناف ثمانية، فأقبل صنف تاسع منهم، فأناخ بين ظهرانيهم، فقال: الأرض أرضنا،

(١) إضافة يقتضيها السياق.

والمال مالنا، والناس خولنا، فأخذها كلها. فتلك الفرقة الحاكمة بغير ما أنزل الله، والله تعالى يقول: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤]. ﴿ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [المائدة: ٤٥]. ﴿ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٧]. كفر القوم والله كلهم صلعاً، فالعنوهم لعنهم الله.

وأما إخواننا الشيعة، وليسوا بإخواننا في الدين، ولكن سمعت الله تعالى يقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾ الآية [الحجرات: ١٣]. فشيعة ظاهرت كتاب الله، وأعلنت الفريّة على الله، ولا يتقرّبون إلى الله بنصرنا بما قد جاء في القرآن، ولا بفضل بالغ في الإسلام، ينقمون المعصية على أهلها، ويعملون بها إذا ظفروا بها، جفاة عن القرآن، اتباع الكهّان، يؤمنون ببعث قبل يوم القيامة، قلّدوا أهل بيت من العرب دينهم، قاتلهم الله أنى يؤفكون.

وقد بلغني يا أهل المدينة أقوال من أصحابي أنهم أرذال أنذال، فهل كان أصحاب الأنبياء والصالحين قبل جبارين أو مستكبرين؟ بل كانوا أوساطاً متواضعين. وهل كان أصحاب رسول الله ﷺ، إلّا شباباً رسول الله أسن أكثرهم، وقد قيل ذلك في الصالحين. قال قوم نوح صلى الله عليه: ﴿ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴾ [الشعراء: ١١١]. وإن كانوا شباباً في أسنانهم، فإنهم لكهول في شبابهم، عميَّة من الشر أعينهم، ثقيلة عن الباطل أقدامهم، قد أكلت الأرض جباههم وركبهم، متواصل كلال ليلهم بكلال نهارهم، قوّام الليل، صوام النهار، أنضاء وعباد كما قال الله تعالى: ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [الفتح: ٢٩]. قد نظر الله إليهم في سواد ليلهم منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن، كل ما مرَّ أحدهم بآية فيها ذكر النار شهق شهقة كأن زفير جهنّم عند أذنيه، وكلما مرّ بآية فيها ذكر الجنة بكى شوقاً إليها، حتى رأوا السيوف قد انتضأت، وإلى السهام قد فوّقت، وإلى الرماح قد أُشرعت، وأرعدت الكتيبة

بصواعق الموت، واستخفّوا وعيد الكتيبة لوعيد الله، ولم يستخفوا وعيد الله لوعيد الكتيبة، فمضى الشباب منهم قدماً، حتى إذا اختلفت رجلاه على عنق فرسه، وتخضَّبت محاسن (٣٨٢) وجهه بالدماء، فأسرعت إليه سباع الأرض، وانحطت إليه طير السماء، فكم من عينٍ في منقار طير طالما بكى صاحبها في جوف الليل؟

أيها الناس، احفظوا الإيمان، فإن حفظها أمان، وتضييعها عصيان، والاستئذان على الناس في الإسكان، واجتناب الحائض، والنكاح بالفرائض، وبالولي والشهود، ورضى المرأة بالعقد المعقود، واجتناب اللعب، والتوبة إلى الله من الكذب، والبراءة من أهل الضلال، والبغض للسفهاء والجهال، واجتنبوا القبائح، واقبلوا النصائح، واذكروا اسم الله على الذبائح، واحكموا بالسويّة، واعدلوا في القضيّة، ولا تحيفوا في الوصية، واقسموا المواريث بحكم الكتاب، وأجروها على قسم ربّ الأرباب، واحفظوا الألسنة، ولا تقذفوا محصناً ولا محصنة، ولا تؤذوا مؤمناً ولا مؤمنة، فتدور عليكم الدائرة، وتلعنوا في الدنيا والآخرة، واتقوا الله عند الحسد، فإنه يحرق الجسد، ولا يبقي على أحد، واتقوا الله عند النفاق، فإنه كفر وشقاق، يحيى حيّه شقياً، ويموت إن لم يتب إلى النار صليّاً، ويكون الشيطان له ولياً، ولم يزل الله منه بريئاً، فاعرفوا لله العظمة، واجعلوا حقوق الإسلام مقدمة، وتداعوا بالإسلام لا بالفضيلة، وتشرّفوا بالله لا بالقبيلة، فإنهم لا يؤنسون ميتاً في قبره، ولا يصحبون من آثرهم في حشرة، والله أولى به وبعقابه وأجره، فلا تهلكوا أنفسكم، ولا تشبهوا بأخلاق الجاهلية قبلكم، وكونوا كما قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. وقال الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [التوبة: ١١١]. إلى آخر القصّة.

فهذا فرض على العباد، والجهاد رحمة من الله في المبدأ والمعاد، أرأيتم لو أن سلّطت الفسقة وكل فئة منافقة، فيقتلون الأنفس البريئة، ويسبون النساء والذرية، وبلغوا آمالهم، وحرّم الله مع ذلك قتالهم، أليس هذا كان من أعظم النوائب وأكبر المصائب؟ ولكن أذن الله أن يقتلوا، لئلّا يفسدوا في الأرض ويهلكوا، وهذا من الله امتنان، ووعد عليه الرضوان والجنان، والشيطان له احتيال، يهوّل أهوالاً بعد أهوال، يحذر الناس الوفاة، ويرغبهم في الحياة وإن الدنيا عليهم قد حسرت، وشبوب الدنيا قد حضرت، ويذكرهم الأموال والأولاد والأهل والبلاد، وقد علم الله أنها ساعة عند المعصية والطاعة، فضربهم بالإرجاف والكذب والمخاريق واللعب، حتى ماتت الكرامة، ووقعت بهم الندامة، ولم يكن لهم من خدائع الشيطان سلامة، وقد قيل: لكل طريق مختصر، وطريق مختصر الجنّة الجهاد في سبيل الله، إذا غزا المسلمون المشركين في بلادهم، فلا يقاتلون إلّا بعد الدعوة، فإن أسلموا قُبل منهم، وإن كرهوا الإسلام حل قتلهم وغنيمة أموالهم وسبي ذراريهم ونسائهم، وأما إذا التقى المسلمون والمشركون في برّ أو بحر في غير بلادهم، فقال من قال: يقاتلون بغير دعوة. وقال من قال: لا قتال إلّا بعد الدعوة. وإن انهزموا فكل من قدر عليه منهم وهو بالغ قُتل، إلّا أن يدخل في الإسلام، فلا يحل قتله، ومن كان بالغ منهم فهو غنيمة لا قتل عليه، يباع، أو يستخدم، ويجبرون على الإسلام، ولا يتركون على دين آبائهم، ويجاز منهم على الجريح، وهم في هذا غير أهل القبلة، ومن أسلم من البالغين قبل أن يظفر بهم فلا سبيل عليه، ومن أسلم بعد الأخذ استُبعد ولا يُقتل، (ومن أسلم من الأسارى استخدم، وبيع، واستُبعد)[1] ولا يُقتل والحكم في عبدة الأوثان من العرب لا يقبل منهم إلّا الإسلام أو القتل، وهم أحرار إذا أسلموا، وأما أهل الكتاب من العرب

(١) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٣٨٦.

فإنهم يسترقّون، وكذلك عبدة الأوثان من العجم، يسترقّون، وتقبل منهم الجزية، إذا أُظهر عليهم، ومن لا تُقبل منه الجزية لا يجري عليه السباء، ومن كان من اليهود والنصارى وأقرّ بالجزية قبل منه، وأُقرّ على دينه، وحرام على المسلمين دماؤهم وسبي ذراريهم، وحلال ذبائحهم، ونكاح المحصنات من نسائهم، وهنّ الحرائر اللاتي لا أزواج لهن، وإذا كانوا حرباً للمسلمين فقد حلّت غنيمة أموالهم، وسباء ذراريهم وحُرّمت مناكحتهم؛ لأنه لا يحل نكاح امرأة وسباها للمسلمين. ومن كان مجوسياً وأقرّ بالجزية قبلت منه، وحُرّمت دماؤهم وأموالهم، ولا تحل مناكحتهم ولا ذبائحهم، كانوا حرباً أو سلماً، وإنما السبي في الذين نقضوا العهد، وحاربوا من أهل الذمة على النساء والذراري الذين ولدوا بعد نقض العهد، وإن لم يحاربوا، وبذلك جاءت السُّنَّة، وكذا الحكم في الميراث.

وأما قتال أهل القبلة على نحوين الفاضل منهما أن يقيموا إماماً عدلاً مرضيّاً، ويتسمّوا بالشراء بعد وفاء الحقوق التي عليهم والتبرىء من العلاقات والتبعات، ثم يخرجون، فيدعون إلى الله ويحكِّمونه حتى يظفروا، أو يقتلوا، وإذا لقي الإمام عدوّه دعاه إلى كتاب الله وسُنَّة رسوله محمد ﷺ وإعطاء الحق، وإقامة العدل، فإن قبلوا، قُبل منهم، وإن ردّوا عليه ذلك، وزعموا أنه مخطئ ضال فيما دعاهم إليه من الحق، وأن الحق فيما يدعون إليه من الباطل، استعان الله عليهم، وقاتلهم بعد البيان والإنذار. والنحو الثاني يدخل عليهم العدو في بلادهم، ويسير إليهم بالباطل والجور والغشم، فيدفعون عن أنفسهم وحريمهم. قال الله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْ﴾ [آل عمران: ١٦٧]. فهما هما، فمن دعا إلى غير ذلك فقد أخطأ.

وقد قيل: لا بغي في الإيمان، ولا إيمان للبغاة، وأنه لا قصاص لمن حلّ دمه، فإن أظهر الله المسلمين على البغاة من أهل القبلة، حرّموا سبي ذراريهم

وغنيمة أموالهم، ولا يجهزون على جريحهم، ولا يقتلون موليّهم، إلّا إذا كانوا يرجعون إلى مئة، فإنه قيل: يُقتل موليّهم، ويجاز على جريحهم.

ثم قال: يا أهل المدينة، ما خرجنا من دارنا شراً، ولا بطراً، ولا لهواً، ولا لعباً، ولا لثأرٍ قديم ينل مناولاً لدولة ملك نرجو أن نحيط فيها، ولكننا رأينا الأرض قد أظلمت، ومعالم الجور قد ظهرت، وكثر الإدغال في الدين وعمل بالهوى، وعُطّلت الأحكام، وعُنّف القائل بالحق، وقُتل القائم بالقسط، فضاقت علينا الأرض بما رحبت، وسمعنا داعياً يدعو إلى الله بحق، فأجبنا داعي الله، ومن لم يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض، فأقبلنا من قبائل شتى الرهط منّا على جمل واحد، فقالوا: جند قليل مستضعفون في الأرض، فنصرنا الله، فأصبحنا بنعمته إخواناً، وعلى البرّ والتقوى أعواناً.

ثم إنا لقينا رجالاً لكم بقديد، فدعوناهم إلى طاعة الرحمٰن وحكم القرآن، ودعونا إلى طاعة مروان وآل مروان، فيا سبحان الله، فشتان ما بين العمى والرشد، فادعوا أنهم أنصار أمير المؤمنين بزعمهم، فأقبلوا يرفلون، قد ضرب الشيطان الغيّ فيهم بجناحه، فغلت دماؤهم في مراجلها، فصدّق عليهم إبليس ظنّه، ونادينا: أين أنصار الله؟ فأقبلوا كتائب وعصائب بكل مهنّد ذي رونق، فدارت واستدارت رحاهم بضرب يرتاب فيه المبطلون، فأصبح أنصار الله (٣٨٣) فرحين مستبشرين ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وأصبح أيضاً أنصار مروان خامدين، قد أنزل الله بهم بأسه الذي لا يردّه عن القوم الظالمين.

وأنتم يا أهل المدينة، إن تنصروا مروان يسحقكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا، ويلحقكم بإخوانكم أجمعين، وإنّا نخيّركم في خلالٍ ثلاث، أيها شئتم



فخذوا لأنفسكم، رُحم امرؤٌ اختار لنفسه: إما قائل يقول بقولنا، دائن بالذي قلنا، حملته نيّته أن يجاهد معنا، فيكون له من الأجر ما للمجاهدين منّا، ومن قسم هذا الفيء ما لأفضلهم. وعارف بهذا الأمر مقيم في داره يدعو إليه بقلبه ولسانه، فعسى أن يكون بأحسن منزلة منّا، أو ناكب كره قولنا، فليخرج بأمان منّا على أهله وماله، ويكفّ عنّا يده ولسانه. فإن ظفرنا كأن لم يعرض لنا بنفسه، ولم يسفك دمه، وإن قتلنا كان قد كفي مؤنتنا، وعسى أن لا يعمر في كفره إلّا قليلاً.

ثم نزل من المنبر وهو يقول: آه آه على فراق الصالحين. ثم أرسل عينيه بالبكاء، فما زال يبكي حتى نزل.

ثم توجه بلج بن عقبة الأزدي العُماني، وأبرهة بن الصباح الحضرمي في ستمائة، وقيل: سبعمائة، وقالوا: لا ننتهي أو نربط خيلنا بالزيتون من الشام.

وتأخر أبو حمزة بالمدينة، وسار بلج بمن معه من أصحابه، فوجه إلى لقائهم مروان بن محمد عبدالملك بن عطية[1] في إثني عشر ألفاً، منهم أربعة آلاف فارس، فالتقوا بوادي القرى، فاقتتلوا به، ثم كانت الهزيمة على أصحاب عبدالملك، فنادى عبدالملك بأصحابه: يا أهل الشام، يا أهل الحفاظ. فقطعوا على بلج وأصحابه، فقتل بلج بن عقبة ومن شاء الله من أصحابه، ونجا من نجا منهم، فالتقوا بأبي حمزة، فتأخر أبو حمزة بمكة، فوافى عبدالملك بجنوده، فقاتلهم أبو حمزة بعد الاحتجاج حتى قتل، وقتل أبرهة بن الصباح الحضرمي. قيل: إنه كان في الحرب وهو يرتجز ويقول:

(١) عبدالملك بن عطية: والصحيح عبدالملك بن محمد بن عطية السعدي، من سعد هوازن، أمير من القادة في العصر الأموي، سيّره مروان بن محمد من الشام في أربعة آلاف فارس لقتال أبي حمزة وطالب الحق، فمضى إليهما، فالتقى بأبي حمزة في وادي القرى، فقتله، وهزم أصحابه، وقصد اليمن، فقتله، وبعث برأسه إلى الشام، ومضى إلى صنعاء، فأقام بها، فكتب إليه مروان أن يسرع في العودة ليحجّ بالناس، فأبقى جيشه وخيله بصنعاء، وسار في عدد قليل، فلقيه جمع من بني مراد، فقتلوه سنة ١٣٠هـ/ ٧٤٨م. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص ١٦٢.

أنا الغلام الحضرمي الشاري مهذب لا يصطلي بنارِ
جوركم جنبني قراري وجاء من وطني وداري
حب جلاد القوم في الصحاري[(١)]

قال المؤلف: وجدت عن محمد بن محبوب، عن أبي صفرة، أن امرأة من الجنّ استجابت للمسلمين، وكانت تأتي إلى محبوب مع جهانة بنت أبي عبيدة فقالت جهانة: يا أبا سفيان، (٣٨٤) إن رحيمة تقول: إن أخاها يريد أن يدخل في الإسلام. فقال: أهو حاضر؟ قالت: نعم، فنسب محبوب عليه الإسلام، فسمعه محبوب حين قال له: قد قبلت، يقول: نعم، ثم قال له: يا أبا سفيان، ابنِ لي مسجداً، وابنِ لي عنده خيمة للخلاء، فقال له أبو سفيان: طهر المسجد من الأذى وأخرجه. قال: نعم. ثم قال: يا أبا سفيان، إن الجن ربوبان كان من أصحاب المختار بن عوف، وقتل معه بمكة، قتله قوم من الجن كانوا مع عبد الملك بن عطية، وقيل: إن الإمام عبد الله بن يحيى لمّا انهزم أصحابه من مكّة اشتدّ ذلك عليه، ثم قال: أنا فيئتكم، فرأى أنهم قد تحيّزوا إلى فئة. وكذلك يوجد أن الإمام فئة ورجا لهم بذلك السلامة، والله أعلم.

ثم إن عدو الله عبد الملك توجه إلى اليمن يريد عبد الله بن يحيى، فلما وصل إليهم، قاتلهم الإمام عبد الله بن يحيى، وكان يضارب، ويقول:

أحمل رأساً قد مللت حمله وقد مللت دهنه وغسله
ألا فتى يحمل عنّي ثقله إن الشقي من تولّى قتله[(٢)]

---

(١) انظر الأبيات في: الحارثي، سالم بن حمد بن سليمان بن حميد: العقود الفضية في أصول الإباضية، ص١٩٨. وفي مسير أبي حمزة يقول أبرهة بن الصباح الحضرمي:

اذهب إلى الشارين يا با حمزة قاموا الرضوان مليك العزّة
فسدد القوم وشد أزرهم أنت وإخوانك وائل أمرهم
حتى أتوا إمامهم فسلموا واستبشروا بالعرف لما قدموا

انظر: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج١، ص١٩٥.

(٢) انظر البيتين في: سالم بن حمد بن سليمان بن حميد: العقود الفضية في أصول الإباضية، ص١٩٩.

فلـم يزل يقاتل حتى قُتل هو ومن شـاء الله مـن أصحابه، رحمة الله عليهم أجمعين.

وقال الشـيخ عبدالله بن عمر بن زياد بن أحمد بن زياد البهلوي[1] (رحمه الله)[2] شعراً:

يـا عين جـودي بدمـع منك مـدرارِ ... علـى الشـهيدين مـرداس وعمّـارِ
لا تبخلـي بدمـوع منـك كامنـة ... فـي محجريك خفى من لفحـة النارِ
علـى ابـن ياسـر عمـار وصحبتـه ... وابن التميمي حدير السـيد الشـاري
همـا الشـهيدان في الإسـلام قد قُتلا ... فـي طاعة المصطفى والخالق الباري
همـا اللـذان أطاعـا أمـر ربهمـا ... قـد شـيّدا دينـه للمدلـج السـاري
علـى سـبيل نبـي الله قـد سـلكا ... وصاحب المصطفى الثاني لدى الغارِ
وصنـوه عمـر الفـاروق قـد فرقـا ... عـن كل ذي بدعـة شـنعاء ختـارِ
لـم يرضيـا نافعـاً إذ لا انتفـاع بـه ... ونـعـثـلاً رفـضـا مـع كـل فـجّـارِ
وصاحـب الحكميـن الآخرين مضى ... على ضـلال لتحكيم وإنـكـارِ
علـى مقالـة ابـن العـاص معتديـاً ... والأشـعـري بـقـول مـنـه غـدّارِ
وفـاز بالحـق أهـل النهـر إذ نهضـوا ... مـع الإمـام الهمـام السـيّد الشـاري
(٣٨٥) فهو ابن وهب إمام الدين قدوتنا ... أكـرم بـه مـن همـام ضيغـم ضاري
لـم يبتـغ زينـة الدنيـا وزهرتهـا ... نـاهٍ عـن المنكـر بالخيـرات أمّـارِ

(١) عبدالله بـن عمر البهلوي: هو الشـيخ العالم الفقيـه والناظم البليغ عبدالله بن عمر بـن زياد بن أحمد بن راشد بن عمر بن راشد بن أبي بكر الشقصي البهلوي. من علماء قرية بهلا، وله قصائد وأراجيز كثيرة في الأحكام والأديان. عاصر الإمام محمد بن إسماعيل، وكان على رأس المبايعين لولده بركات بن إسماعيل بالإمامـة سـنة ٩٤٢هـ، وكان مـن المؤيدين للإمام، ويثني عليه في سـيرته. له قصائـد كثيرة، لو جمعت لكانت مجلد كبير. انظر: البطاشـي، سـيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج٢، ص٣١٩-٣٢٠. وانظر: السعدي، فهد بن علي بن هاشل: معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية، ج٢، ص٢٨٠ ـ ٢٨١.
(٢) استدراك من النسخة الأصلية ب، ص٢٨٩.

حتى مضى في سبيل الله مجتهداً ... بالنهروان شهيداً نافي العارِ
عليهم رحمة الرحمٰن تشملهم ... أنصار دين الهدى من خير أنصارِ
واذكر أبا حمزة المختار في نفرٍ ... من قومه فهم من خير أنفارِ
وابن عقبة بلجاً كان ذا جَلَدٍ ... تحت العجاج كمثل الضيغم الضاري
وهم ألوف على خيل مطهمةٍ ... يقودهم حمزة أكرم بمختارِ
سليل عوف عفاه الله من ذللٍ ... وفي الخميس هداه الخالق الباري
وطالب الحق عبد الله إذ طلعت ... فرسانه بينهم كالكوكب الساري
حتى أتى مكة في جحفل لجبٍ ... وفي قديد كليث الغاب كرارِ
قد قاتلوا في سبيل الله واجتهدوا ... حتى مضوا شُهَداً من غير فُرّارِ
أكرم بقوم مضوا في كل حوصلة ... من الطيور حواهم كل ذي ضاري
من السباعِ انتهاشاً يوم مصرعهم ... من غير غسل ولا رمسٍ لقبّارِ
قد أخلصوا دينهم لله واصطبروا ... في حومة الحرب نالوا فضل غفارِ
باعوا نفوسهم لله خالقهم ... بجنة لهم خوفاً من النارِ
لم يلبسوا دينهم مما يدنسه ... فهم بريئون من إثم وأوزارِ
زهر بها ليل أحبار ذوو شرف ... أقمار دين الهدى من خير أقمارِ
أركان مذهبنا أسناء أمتنا ... أحبار قدوتنا من خير أحبارِ
عليهم من رضا الرحمٰن إذ نصروا ... دين النبي وعادوا كل ختارِ
لم يخفوا لومة اللوّام إذ بذلوا ... تلك النفوس بإخلاص وإقرارِ
يا رب فاسلك بنا ما قد سلكت بهم ... ونجّنا من عذاب النار والعارِ
ثم الصلاة على المختار سيدنا ... محمد المصطفى من نسل قيذارِ[1]

---

(١) انظر القصيدة كاملة في: البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان، ج٢، ص ٣٤٣ - ٣٤٥.

فهرس الجزء الثاني

الباب الثامن عشر

الباب التاسع عشر

الباب العشرون

الباب الحادي والعشرون

الباب الثاني والعشرون

الباب الثالث والعشرون

الباب الرابع والعشرون

الباب الخامس والعشرون

الباب السادس والعشرون

الباب السابع والعشرون

الباب الثامن والعشرون

الباب التاسع والعشرون

الباب الثلاثون

الباب الحادي والثلاثون